دِرَاسَاتٌ فِي

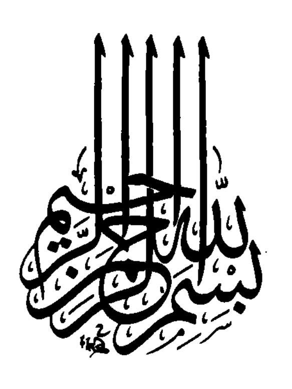
الأَهْوَاءِ وَالفِرَقِ وَالبِدَعِ

وَمَوْقِفِ السَّلَفِ مِنْهَا

تأليف

الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل




بسم الله الرحمن الرحيم

دِراسَاتٌ فِي

الأَهْوَاءِ والفِرَقِ والبِدَعِ

وَمَوْقِفِ السَّلَفِ مِنْهَا

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العقل، ناصر بن عبد الكريم
دراسات في الأهواء والبدع وموقف السلف منها ــ الرياض.
٦٠٨ ص؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك: ٨ ــ ٠٦ ــ ٧٢٧ ــ ٩٩٦٠
١ ــ البدع في الإسلام أ ــ العنوان
ديوي ٢١٢,٣ ١٧/٢٣٤٧

رقم الإيداع: ١٧/٢٣٤٧
ردمك: ٨ ــ ٠٦ ــ ٧٢٧ ــ ٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ-١٩٩٧م

مركز الدراسات والإعلام / دار إشبيليا
ت/٤٧٩٤٣٥٤ - ف/٤٧٧٣٩٥٩ - ص.ب: ٣٢٤٦٠ - الرياض: ١١٤٢٨

مقـدّمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فقد قامت رسالات الرسل كلّها على قاعدتين عظيمتين، وأصلين كبيرين:

الأولـى: (أن اعبدوا الله).

والثانية: (واجتنبوا الطاغوت).

قال ــ تعالى ــ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [سورة النحل، الآية: ٣٦].

وكل دعوة لا ترتكز في غاياتها وأهدافها ومناهجها على هذين الأصلين فهي مخالفة لنهج المرسلين وناقصة، ولا تؤتي ثمارها المرجوّة.

فقاعدة (**أن اعبدوا الله**): تعني تحقيق التوحيد والعقيدة السليمة، وطاعة الله ــ تعالى ــ واتباع شرعه.

وقاعدة (**واجتنبوا الطاغوت**): تعني تجنب الأهواء والافتراق والبدع وما تؤول إليه من الشرك والكفر، والظلم، والفسق، والإعراض عن دين الله.

وكل الدين جملة وتفصيلاً يدور على هاتين القاعدتين.

ولذا تضمنت الدعوة إلى الله ــ تعالى ــ غايتين لا تصح إلا بهما. وهما ركناها:

الركن الأول: تقرير الدين والعقيدة والشريعة، وتعلمها، وتعليمها، ونشرها، والعمل بها.

والركن الثاني: حماية الدين والعقيدة والشريعة والدفاع عنها، وبيان ما يخالفها؛ وكل ذلك كان منهج القرآن، وعليه عمل النبي ﷺ وأصحابه وأئمة السلف، وهو سبيل المؤمنين.

فكتاب الله ــ تعالى ــ (القرآن الكريم) عُني بالتحذير من مناهج الشرك والكفر والضلالة والبدع، وعرض شبهاتهم وبيان فسادها، كقوله ــ تعالى ــ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الكهف، الآية: ٢٨].

وقوله ــ تعالى ــ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٢٢].

وقوله ــ تعالى ــ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [سورة البقرة، الآية: ١١٨].

وقوله ــ تعالى ــ: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [سورة البقرة، الآية: ٨٠].

وقوله ــ تعالى ــ: ﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [سورة يونس، الآية: ٨٦].

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة التوبة، الآية: ٣٠].

وقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٧].

ولقد تضمنت أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ الرد على الخصوم وبيان فساد منهجهم، قال ـ تعالى ـ : ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾. [سورة العلق، الآيتان: ٦ و ٧].

وغير ذلك كثير من كتاب الله ـ تعالى ـ ، فكما جاءت آيات كثيرة في تقرير العقيدة، وبيان الدين، كذلك جاءت آيات كثيرة في بيان عقائد أهل الأهواء والزيغ والضلال، وبَيان فساد أصولهم وكشف شبهاتهم الباطلة.

والسنّة كذلك اشتملت على الكثير من ذلك في أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته، كقوله: (لتتبعنَّ سَنن من كان قبلكم)[1]، وإخباره ﷺ ـ على سبيل التحذير ـ بأن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة[2]. وإخباره عن دعاة الضلالة، وعن صفات الخوارج وعن الفتن، وكقوله ﷺ: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)، قالت عائشة: يحذر مما صنعوا[3].

ثم الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ لما ظهرت الأهواء في آخر عهدهم ـ كالخوارج والشيعة والقدرية ـ تكلموا في بدعها وأشخاصها على سبيل التحذير، بالمناظرة، وإقامة الحجة، والرد، والدفاع عن السنّة، وكشف

---

(١) تخريجه ص (٥٩).

(٢) سيأتي تخريجه ص (٥٩).

(٣) أخرجه البخاري رقم (٥٨١٥) كتاب اللباس؛ ومسلم رقم (٥٣١) كتاب المساجد.

الباطل، وبيان زيف شبهاته، وتحصين الأمة من دعاته بالهجر، والتغريب والضرب والحبس والقتل ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٩١].

ثم التابعون وتابعوهم وأئمة السنّة كانوا على هذا النهج، وكانت عنايتهم بهذا الجانب كبيرة، فكلما كثرت البدع والأهواء والفرق زادت عناية السلف بردها ومقاومتها، وتنوعت أساليبهم، وتعددت مناهجهم، فأنشأوا المصنفات، والمؤلفات، ورووا الآثار في الرد والبيان وحماية الدين، واتخذوا كل ما استطاعوا من الوسائل والأساليب الشرعية في ذلك.

والمتأمل لآثار السلف يجد أن مشاهير الأئمة الكبار في تاريخ هذه الأمة استفاض عنهم الاهتمام بأمر حماية العقيدة، والدفاع عنها، والتصدي للبدع والضلالة والأهواء وأهلها.. والنقول في ذلك لا تكاد تحصى عن أولئك الأئمة الكبار: كأبـي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، وأبـي موسى الأشعري، وابن عباس، وابن عمر، وعائشة وأسماء بنتي أبـي بكر وغيرهم من الصحابة الكرام ــ رضي الله عنهم أجمعين ــ .

ثم مَنْ بعدهم كأبـي العالية، وابن سيرين، وابن المسيب، وعطاء، ومجاهد، والحسن البصري، وعمر بن عبد العزيز، والأوزاعي، وأيوب السختياني، وثابت البناني، وابن عون، وإبراهيم بن أدهم، وابن المبارك، ومالك، وأبـي حنيفة، والشافعي، والزهري، والشعبـي، والدارمي، وأحمد بن حنبل، والبخاري، والأشعري، والبربهاري، وابن خزيمة، والطحاوي، وابن بطة، والآجري، واللالكائي، والصابوني، وتلاميذهم، مما لا يكادون يحصون كثرة[1].

---

(١) راجع كتب السنن والسير مثل السنّة لعبد الله بن أحمد، وشرح اللالكائي، والإبانتين لابن بطة، والرد على الجهمية لكل من الإمام أحمد، والبخاري، والدارمي، وابن قتيبة، وتاريخ ابن جرير وابن كثير، وذم الكلام للهروي، وسير أعلام النبلاء للذهبـي، وسائر مصنفات السلف وآثارهم.

ثم ابن تيمية، وابن القيم وتلاميذهما.

ثم محمد بن عبد الوهاب وتلاميذه إلى يومنا، وغيرهم كثير كثير.

كل أولئك الأخيار استفاض عنهم التصدي للأهواء والبدع وأهلها، وعليه:

فإن التصدي لأهل البدع والأهواء والافتراق من سنن الهدى، ومن مطالب الدين وغاياته، ومن أبواب الجهاد، وأعلى درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن غايات الدعوة ومقاصدها.

وكما قال الشيخ بكر أبو زيد ــ حفظه الله ــ «الرد على المخالف من أصول الإسلام»[1]:

أما أنه من أبواب الجهاد فلأن النبي ﷺ قال فيما رواه أنس ــ رضي الله عنه ــ: **(جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم)**[2].

وقال يحيى بن يحيى ــ أحد أعلام السلف ــ: «الذب عن السنة أفضل الجهاد»[3]، وقد استشهد بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية على أن الرادَّ على أهل البدع مجاهد[4].

والجهاد بالقلم فرع من الجهاد باللسان، بل هو أبلغ وأبقى وأعم فائدة.

* **ومن هذا المنطلق**، وبناء على هذا التصور، شرعت ــ مستعيناً بالله

---

(١) هذا عنوان كتاب له ــ وفقه الله ــ فليرجع إليه فإنه في غاية الأهمية.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٨١؛ وصححه ووافقه الذهبي؛ والسيوطي في الجامع الصغير؛ وصححه ١/ ٥٥٤؛ وصححه الألباني في الجامع الصغير رقم (٣٠٨٥)؛ وأخرجه أحمد في المسند ٣/ ١٢٤، ١٥٣، ٢٥١؛ وأبو داود رقم (٢٥٠٤) ٣/ ٢٢.

(٣) الفتاوى ٤/ ١٣، وراجع الرد على المخالف للشيخ بكر ٣٩.

(٤) المراجع السابقة.

ولا حول ولا قوة إلا بالله ـ في هذا الكتاب عن الأهواء والافتراق والبدع، ونشأتها وأصولها ومصادرها، ورؤوسها، ومناهجها، وسماتها، ومواقف السلف منها.

مع الوقوف عند مواطن العبر، واستجلاء الفوائد، والتركيز على جانب التحذير من مسالك أهل الأهواء عند العرض، وكشف فسادها وزيفها وعوارها. مع الحرص على عدم التعمق في تفاصيل المقالات والشبهات، إلا عند الضرورة، والاقتصار على الإجمال، وبيان الأصول والمناهج والشواهد على جهة العموم، خوفاً من تلوث القارىء بشبهات القوم، كما هو منهج السلف حيث كانوا يعرضون مقولات الأهواء إجمالاً ويردونها تفصيلاً إلا عند الضرورة.

وكم كنت متردداً في ولوج هذا الأمر؛ لأنه شائك وثقيل ومؤذ، ولأنه يحوج من يلجه أن يعايش حياة أناس يكرههم ويبغضهم في الله، ويقرأ عقائد ومقالات وبدعاً وأحوالاً يبرأ إلى الله منها، وتنفر منها الطباع والعقول السليمة، والفطر المستقيمة.

لكن لا بد مما ليس منه بدّ، فقد دعا داعي الله ورسوله ﷺ حيث انتُهكت السنّة، ونُصرت البدعة، وضيم السلف وأئمة الهدى، وأشيد برؤوس الضلالة، ورُفعت أعلامهم.

*** والناظر في حال المسلمين اليوم يدرك خطورة الأمر، وفداحة الخطب**، فقد تداعت على السنّة أمم الكفر والشرك من خارجها، وطوائف البدع والأهواء من داخلها.

ونشأت بين المسلمين ناشئة طيبة، تحكمها العواطف والرغبة في الخير وعزة الإسلام، مع قلة البضاعة في العلم الشرعي، وضعف في الفقه

والدين، وجهل بأصول السلف ومناهجهم، وهديهم وآثارهم، وصار أكثر القرَّاء يقرأون كل ما عرض لهم مما هبَّ ودبَّ، بما في ذلك كتب الأهواء والفرق، فرُفِعَتْ بين ثنايا الصحوة أعلام البدعة تحت شعار السنّة ظاهراً، وحقيقتها على أصول أهل الكلام والاعتزال والتجهّم، وراجت المذاهب الباطلة باسم الحرية الفكرية والتجديد والمعاصرة، وتلقفها كثير من المسلمين عن جهل أو هوى.

ورُفعت باسم الدعوة شعارات التجميع والتلفيق، بين أهل البدع وبين أهل الهدى باسم المصلحة، ووحدة الصف، وجمع الكلمة، حتى ضاق بعض المفكرين والمثقفين والدعاة ـ الذين لا يفقهون ـ بالسنة والسلف، ظنّاً منهم أن ذلك يمثل حجراً على الناس وتفريقاً للأمة. وما علموا أن الله تعالى لا يجمع الأمة على ضلالة، وأن الاعتصام وجمع الكلمة لا يكون إلا على الحق والسنة.

وما ذلك إلا عن جهل بالسنة، أو عن هوى، أو التباس.

* **وبعض الاتجاهات الإسلامية الحديثة يعد امتداداً للفرق القديمة الهالكة، والبدعية والطرقية الضالة.** مما جعل بعض الأهواء والبدع تتأصل وتروج تحت شعارات دعوية براقة.

* **وإقبال الشباب والمثقفين وطلاب العلم على القراءة،** واتساع نطاق الأنشطة الإسلامية على مختلف الأصعدة، صاحبه شيء من عدم التمييز بين الصالح والطالح. مما يؤكد ضرورة تنقية مصادر التلقي والمعرفة من الشوائب.

لا سيما أن أكثر ما في متناول أيدي القراء من كتب الثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي الحديث من النوع الذي لا يسير ـ غالباً ـ في سبيل السنة،

إما انحرافاً عنها في المفاهيم والتصورات والأحكام، أو جهلاً بها، أو إغفالاً لها. فأغلب ذلك فيه دَخَن. فلذا لزم التصحيح والتنبيه.

وقد تكفَّل الله بحفظ الدين، وبقاء طائفة من الأمة على الحق والسنة ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من عاداهم، مما يقطع حجة من زعم أنه بوسع الأمة أن ترضى بواقعها المؤلم وتجتمع على عِلاَّتها، ويتنازل الدعاة عن تحقيق التوحيد ونصر السنة! أقول: يأبى الله ذلك ثم المؤمنون، فأمراض المسلمين لا بد لها من علاج، وعلاج ذلك يحتاج إلى أسلوبين:

أولهما: نشر السنّة وبسطها، وتعليمها، وتربية الأجيال عليها، مع الاهتمام بسير أعلامها، وكتبها وآثارها، بالعلم والعمل والقدوة.

وهذا الأسلوب أرى فيه شيئاً من الجهد بدأت بوادره الطيبة تؤتي ثمارها إلى حد ما في الأمة.

وثانيهما: كشف مناهج أهل الأهواء والافتراق والبدع (قديماً وحديثاً) وبيان أساليبهم وسماتهم، وأعلامهم، للتحذير من سلوك سبيلهم.

* **وهذا هو موضوع هذا الكتاب.**

وأرى طلاب العلم أكثر تقصيراً في هذا الجانب.

لذا عزمت بحول الله وقوته أن أبذل جهدي في ذلك، سائلاً الله تعالى التوفيق والسداد، وأن يغفر لي ويتجاوز عن تقصيري.

هذا وقد قسمت البحث إلى فصول على النحو التالي:

الفصل الأول في: مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع.
الفصل الثاني في: نشأة الأهواء والفرق والبدع وأسبابها.
الفصل الثالث في: مناهج أهل الأهواء وسماتهم.

وعند عرض كل فرقة سيكون الحديث على النشأة والأصول والمصادر

والمناهج والسمات والرؤوس، ومواقف السلف من كل فرقة على حدة بحسب ما يتيسر.

* وأكثر المعلومات والأحكام والنتائج التي توصلت إليها من خلال هذه المباحث إنما رصدتها أو استقرأتها، أو استنتجتها من آثار السلف وأقوالهم ومواقفهم، ومصنفاتهم.

وقد أشرت إلى المراجع واستشهدت بالنقول في أكثر ذلك، وأحياناً قليلة قد لا أشير إلى المراجع؛ إما لشهرة المسألة واستفاضتها، أو لأنها تكون حصيلة قراءة كثيرة يصعب حصرها وتحديد مواطنها من المراجع.

ونظراً لأن أكثر النتائج التي أتوصل إليها من قبيل المناهج والقواعد والأصول العامة، والسمات التي تحتاج إلى تَقَصٍّ واستقراء عميقين، فقد جعلت كتب شيخ الإسلام ابن تيمية المصدر الأول والأساس في ذلك، ولم أجد فعلاً أثرى من مصنفاته في ذلك، ثم يليه الشاطبي وابن القيم، وقد أفدت من غيرهم كثيراً كذلك.

فما ذكرت أمراً ذا بال إلا عن أثر أو نقل أو استنتاج أطمئن إليه وإلى نسبته للسلف، وأئمة الهدى أو أحدهم، وما شذّ عن ذلك فهو إما عن خطأ مني في الفهم أو قصور لم أتعمده، وأستغفر الله وأسأله تعالى العفو والعافية في الدين والدنيا.

وفي الختام أعوذ بالله من الهوى والزلل، ومن الغل والحسد، وأعوذ بالله من أن أضِلَّ أو أُضلّ، أو أَزِلَّ أو أُزَلَّ، أو أَظلم أو أُظلم، أو أَجهل أو يُجهل عليَّ.

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾

[سورة آل عمران، الآية: ٨].

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة الحشر، الآية: ١٠].

ولا يسعني إلا أن أشكر كل من أسهم في إخراج هذه الدراسات، وعلى رأسهم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ممثلة بكلية أصول الدين بالرياض، وقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، والمجالس المختصة التي هيَّأت لي فرصة التفرغ العلمي لسنة (١٤١٣هـ) مما تمكنت به بعون الله وتوفيقه من إنجاز نواة هذه الدراسات.

كما أشكر دار إشبيليا على استعدادها لنشر هذا الكتاب، وأشكر كل من أسدى لي نصيحة أو معلومة أو عاونني بأي نوع من الخدمة فله مني الدعاء ومن الله الأجر والثواب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم وبارك على الناصح الأمين، نبينا محمد وآله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين.

كتبه

ناصر بن عبد الكريم العقل

الفصل الأول

مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع



المقدمة الأولى

تعريف الافتراق والأهواء والبدع

تعريف الافتراق والأهواء والبدع

(١)
الافتراق، تعريفه

الافتراق في اللغة:

١ ـ خلاف الاجتماع، والفَرْقُ خلاف الجَمْع، قال في لسان العرب: «فَرَقَ: الفَرْقُ خلافُ الجمع. فَرَقَهُ يَفْرُقُه فَرْقاً، وفرَّقَهُ.

وقيل: فَرَقَ (للصلاح) فَرْقاً، وفَرَّقَ (للإفساد) تفريقاً.

وانفَرَقَ الشيءُ وتفرَّقَ وافْتَرَق»[١].

قال الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٣]، أي: بعد الاجتماع.

وقال تعالى في الزوجين المختلفين: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ [سورة النساء، الآية: ١٣٠]، أي: يفارق أحدهما الآخر.

فجعل الافتراق خلاف الاجتماع ونقيضه.

ومنه قوله ﷺ: (**البيّعان بالخيار ما لم يَتَفَرَّقا**)[٢] أي: من مجلسهما، فينفصل أحدهما عن الآخر.

---

(١) لسان العرب لابن منظور، مادة (فرق) ١٠/ ٢٩٩.

(٢) صحيح البخاري، الفتح، الحديث رقم (٢٠٧٩).

٢ ـ والافتراق: الانقسام، «والفَرْقُ: القِسْم، والجمع أفراق»[١].

والفِرْقُ: الفِلق من الشيء إذا انفلق منه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة الشعراء، الآية: ٦٣][٢].

والفِرْقَةُ: الطائفة المفارقة.

٣ ـ والمفارقة: المباينة، وفارق الشيء مفارقة وفِرَاقاً: باينه، والاسم الفُرْقَةُ[٣].

وتَفارقَ القوم: فارقَ بعضهم بعضاً. وفارق فلان امرأته مفارقة وفرقاً: باينها[٤].

٤ ـ والفِرْقَةُ: الطائفة من الناس، والفَريقُ أكثر منه[٥]. وفِرَقٌ: جمع فِرْقة.

٥ ـ والفَرْقُ: التفريقُ بين الشيئين والفصل بينهما[٦].

والفَرِيْقَةُ: القِطْعَةُ من الغنم، والغنم الضالة، والتي تشذ عن معظمها[٧].

«والتَّفَرُّق والافتراق سواء. ومنهم من يجعل التَّفَرُّقَ للأبدان، والافتراق في الكلام، يقال: فرَّقتُ بين الكلامين فافترقا، وفرَّقتُ بين

(١) لسان العرب لابن منظور، مادة (فرق) ١٠/ ٣٠٠.
(٢) انظر مختار الصحاح (فرق) ٥٠١.
(٣) لسان العرب لابن منظور، مادة (فرق) ١٠/ ٣٠٠.
(٤) لسان العرب لابن منظور، مادة (فرق) ١٠/ ٣٠٠.
(٥) لسان العرب لابن منظور، مادة (فرق) ١٠/ ٣٠٠؛ ومختار الصحاح (فرق) ٥٠١.
(٦) لسان العرب لابن منظور، مادة (فرق) ١٠/ ٣٠١.
(٧) لسان العرب لابن منظور، مادة (فرق) ١٠/ ٣٠٤.

الرجلين فَتَفرَّقا»[1].

٦ ــ **والتَّفريق والتَّفْرِقَةُ**: التبديد. يقال: «فرَّقهُ تَفريقاً وتفْرِقةً: بَدَّدَهُ»[2].

وفي الجملة: نجد أن الافتراق يدور لغة حول معاني:

التفرق، والانفصال، والمفاصلة، والشذوذ، والمباينة، والانقسام، والتيه، والضلال، والمقاطعة، والانقطاع، والتشعب، والخروج عن الجادة، وعن الأصل، وعن الأكثر، وعن الجماعة.

الافتراق في الاصطلاح:

الافتراق في الشرع يطلق على أمور:

١ ــ **التفرق في الدين**، والاختلاف فيه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٣]، وقوله ﷺ: (**تفرَّقت اليهود على إحدى وسبعين أو ثنتين وسبعين فرقة...**) الحديث[3]، وهو الاختلاف في الأصول، واختلاف التضاد المؤدي إلى التنازع في الدين والخروج عن السنة.

٢ ــ **الافتراق عن جماعة المسلمين**، وهم عموم أمة الإسلام في عهد الرسول ﷺ، والصحابة، وهم أهل السنّة ومن كان على هديهم بعد ظهور الافتراق. فمن خالف سبيلهم في أمر يقتضي الخروج عن أصولهم في الاعتقاد أو الشذوذ عنهم في المناهج، أو الخروج على أئمتهم، أو استحلال السيف فيهم، فهو مفارق.

---

(١) لسان العرب لابن منظور، مادة (فرق) ١٠/٣٠٠، وانظر: المعجم الوسيط ٢/٦٩٢ (فرق).

(٢) القاموس المحيط ١١٨٥ (فرق).

(٣) سيأتي تخريجه.

ومنه قوله ﷺ: (من فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه)[1].

وقوله ﷺ: (من فارق الجماعة وخرج من الطاعة فمات فميتته جاهلية، ومن خرج على أمتي بسيفه يضرب برها وفاجرها، لا يحاشي مؤمناً لإيمانه، ولا يفي لذي عهد بعهده فليس من أمتي، ومن قتل تحت راية عمية يغضب للعصبية، أو يقاتل للعصبية، أو يدعو إلى عصبية فقتلته جاهلية)[2].

ولفظ مسلم: (من خرج من الطاعة وفارق الجماعة، ثم مات، مات ميتة جاهلية، ومن قتل تحت راية عمية، يغضب للعصبية، ويقاتل للعصبية فليس من أمتي، ومن خرج من أمتي على أمتي، يضرب برّها وفاجرها، ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي بذي عهدها فليس مني)[3].

وقد ذَكَر أصنافاً من المفارقين الخارجين وهم:

١ ــ المفارقون للجماعة.

٢ ــ والخارجون من الطاعة.

٣ ــ والخارجون على الأمة بالسيف.

٤ ــ والمقاتلون تحت راية عمية وهو الأمر الأعمى الذي لا يستبين وجهه، ومنه قتال العصبية، وقتال الفتنة، ومنه القوميات، والشعارات، والقبليات، والحزبيات ونحوها.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٨٠ عن أبـي ذر؛ والحاكم في المستدرك ١/ ١١٧؛ وأبو داود (٤٧٥٨) وصححه الألباني، انظر: صحيح الجامع الصغير، الحديث رقم (٦٢٨٦).

(٢) أخرجه أحمد في المسند عن أبـي هريرة ٢/ ٣٠٦، وأخرج أوله الحاكم في المستدرك ١/ ١١٩.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين، الحديث (١٨٤٨)، ٣/ ١٤٧٧.

كل ذلك داخل في المفارقة والأهواء.

وكل هذه الأصناف وجدت في أهل الافتراق والأهواء والفرق المتفرقة المفارقة.

والتعريف الشامل للافتراق:

هو الخروج عن السنّة والجماعة في أصل أو أكثر من أصول الدين الاعتقادية منها أو العملية، أو المتعلق بالمصالح العظمى للأمة، ومنه الخروج على أئمة المسلمين وجماعتهم بالسيف.

وأهل الافتراق:

هم الفرق المفترقة عن طريق السنّة والجماعة، المفارقة لأئمة المسلمين وجماعتهم، السالكة لغير سبيل السنّة وأهلها، المباينة لنهج السلف الصالح، وهم: أصحاب السيف، الخارجون على أئمة المسلمين، ومنهم: أهل الجدل والخصومات في الدين، وأهل الكلام، وأصحاب البدع والمحدثات في الدين، كالخوارج، والرافضة، والقدرية، والمرجئة، والمعتزلة، والجهمية، والمشبهة، والمتصوفة، والباطنية، والفلاسفة، ومتكلمة[1] الكلابية، والأشاعرة، والماتريدية ومن سلك سبيلهم، فإن كل طائفة تفرعت عنها فرق ولا تزال.

وفي العصور المتأخرة ظهرت أهواء حادثة، كأصحاب الاتجاهات الحديثة المنحرفة، كالقومية، والعلمانية، والحداثة، والشيوعية ونحوها، فهم كلهم في سبيل الفرقة، بل غالبهم في سبيل الردة والخروج من الملة،

---

(١) قد ينتسب لهذه الفرق الكلامية الأشاعرة والكلابية والماتريدية من ليس متكلماً ويكون على السنّة في الجملة كبعض المحدثين والفقهاء والقضاة، فهذا الصنف لا يشمله وصف الافتراق ما دام على نهج السلف والسنّة وإن انتسب لفرق أهل الكلام، مع أن الانتساب لغير السنّة خطأ بذاته وبدعة، لكن لا توجب الوصف بالمفارقة لذاتها.

أما حزب التحرير، والعقلانية، والعصرانية، والتنوير، فهي امتداد من حيث الأصول والغايات للمعتزلة والجهمية[1].

وأهل الافتراق والأهواء كلهم أصحاب بدع، اعتقادية كانت أو قولية، أو عملية، أو أحدها أو كلها، فهي غالباً متلازمة.

والعكس كذلك، فأصحاب البدع في الجملة: هم أهل افتراق وأهواء، فالبدعة مقرونة بالفرقة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والبدعة مقرونة بالفرقة، كما أن السنَّة مقرونة بالجماعة، فيقال: أهل السنَّة والجماعة، كما يقال: أهل البدع والفرقة»[2].

فالفُرْقَةُ: أعظم سمة من سمات أهل البدع والأهواء.

ومن كان على السنّة، وتلبَّس ببدعة غير مغلظة ولم يكن داعية لها فلا يخرجه ذلك عن السنّة، كحال قتادة في قوله بالقدر، وعبد الرزاق بن همام، والحاكم النيسابوري في التشيع، وابن حجر والنووي في تأويلاتهما.



(١) أغلب الجماعات والحركات الإسلامية المعاصرة التي ترفع الشعارات الحزبية والتي تتخذ لنفسها مناهج في الدين تتميز بها، هي كذلك في سبيل الفرقة.

(٢) الاستقامة ١/ ٤٢.

(٢)
الأهـواء، تعريفهـا

الأهواء لغة:

الأهواء: جمع، واحدها هوى[١].

وَهَوَى يَهْوِي بمعنى: سقط[٢]. وأهويته إذا ألقيته من فوق. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۝٥٣﴾ [سورة النجم، الآية: ٥٣]، أي: أسقطها الله فهوت[٣]. وهوى السهم هوياً: سقط. وهوت الناقة: إذا عدت مسرعة[٤].

والهـوى (مقصـور): هـوى النفـس، أي: إرادتهـا، والجمـع: الأهواء[٥]. قال ـ تعالى ـ: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [سورة النجم، الآية: ٢٣].

وقال اللغويون: الهوى محبة الإنسان الشيء، وغلبته على قلبه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠﴾ [سورة النازعات، الآية: ٤٠]. معناه: نهاها عن شهواتها وما تدعو إليه من معاصي الله ـ عز وجل ـ. اهـ[٦].

---

(١) انظر: لسان العرب ١٥/ ١٧٠ ـ ١٧٣، مادة (هوا)؛ والمعجم الوسيط ص (١٠١٢).
(٢) نفس المرجع السابق.
(٣) نفس المرجع السابق.
(٤) نفس المرجع السابق.
(٥) نفس المرجع السابق.
(٦) نفس المرجع السابق.

واستهوته الشياطين: ذهبت بهواه وعقله. قيل: استهامته وحيَّرته[1].

قال ــ تعالى ــ: ﴿ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٦١].

وفي الجملة، فإن هذه المعاني للهوى تدور حول:

السقوط، والميل عن الحق، والميل إلى رغبة النفس وشهواتها، ومحبة الشيء وغلبته على القلب. واستحواذ الشياطين، والحيرة، والضلال، والفجور، والظلم.

والهوى شرعاً: خلاف الهدى.

فهو ميل النفس إلى ما ترغبه، وميل القلب إلى ما يحبه إذا خرج ذلك عن حد الشرع والاعتدال. ويكون ذلك في الشهوات والعقائد والآراء والمذاهب.

فما خرج عن موجب الكتاب والسنَّة فهو هوى. ويسمى صاحبه: صاحب الهوى.

فكل من لم يتبع العلم والحق فهو صاحب هوى. قال ــ تعالى ــ: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١١٩].

وقال ــ تعالى ــ: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [سورة القصص، الآية: ٥٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ: «ولهذا كان من خرج عن موجب الكتاب والسنّة من المنسوبين إلى العلماء والعبَّاد يُجعل من أهل الأهواء، كما كان السلف يسمُّونهم أهل الأهواء. وذلك أن كل من لم يتّبع

---

(١) نفس المرجع السابق.

العلم فقد اتبع هواه، والعلم بالدين لا يكون إلاَّ بهدي الله الذي بعث به رسوله ﷺ»[1]، وخلافه إنما هو الأهواء.

والهوى في القرآن إنما جاء على جهة الذم:

فالإعراض عما جاء به المرسلون من الحق والهدى هوى، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [سورة البقرة، الآية: ٨٧].

وقال ــ تعالى ــ: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٤٥].

وقال ــ تعالى ــ: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [سورة طه، الآية: ١٦].

وقال ــ تعالى ــ: ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٥٦].

وقال ــ تعالى ــ: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [سورة المائدة، الآية: ٧٠].

والغفلة عن ذكر الله واتباع شهوات النفس هوى، قال ــ تعالى ــ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة النازعات، الآية: ٤٠].

---

(١) الاستقامة ٢/ ٢٢٤، ٢٢٥.

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة الكهف، الآية: ٢٨].

والحكم بغير شرع الله هوى، قال ـ تعالى ـ : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة ص، الآية: ٢٦].

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ [سورة النساء، الآية: ١٣٥].

ولذلك سمي الهوى بذلك؛ لأنه يهوي بصاحبه إلى الضلالة والفرقة، ثم إلى النار، قال ابن عباس وأبو العالية: «إنما سمي هوى لأنه يهوي بصاحبه إلى النار»[١]، وبمثله قال الشعبي والحسن البصري ومجاهد[٢].

فكل من أعرض عن دين الله، أو زاد فيه، أو نقص، أو بدَّل فهو صاحب هوى مبتدع، وليس هناك قسيم ثالث.

قال الشاطبي ـ رحمه الله ـ في الابتداع: «إنه اتباع الهوى، لأن العقل إذا لم يكن متبعاً للشرع لم يبق له إلاَّ الهوى والشهوة، وأنت تعلم ما في اتباع الهوى، وأنه ضلال مبين. ألا ترى قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة ص، الآية: ٢٦]. فحصر الحكم في أمرين لا ثالث لهما عنده، وهو الحق والهوى، وعزل الفعل مجرداً، إذ لا يمكن في العادة إلاَّ ذلك.

---

(١) الشرح والإبانة لابن بطة ١٢٤، ١٢٥.

(٢) سنن الدارمي ١/ ١٠٩، واللالكائي ١/ ١٣٠، والشرح والإبانة ١٢٣، ١٢٤.

وقال: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [سورة الكهف، الآية: ٢٨]. فجعل الأمر محصوراً بين أمرين، اتباع الذكر، واتباع الهوى.

وقال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [سورة القصص، الآية: ٥٠]. وهي مثل ما قبلها. وتأملوا هذه الآية، فإنها صريحة في أن من لم يتبع هدى الله في هوى نفسه، فلا أحد أضل منه.

وهذا شأن المبتدع، فإنه اتبع هواه بغير هدىً من الله، وهدى الله هو القرآن»[1].

وأهل الأهواء:

هم كل من خالف السنّة والجماعة من:

١ ـ **أصحاب السيف الخارجين على أئمة المسلمين وجماعتهم:** كالخوارج، والبغاة، والمنازعين للأئمة.

٢ ـ **وأهل الكلام والبدع والجدل والخصومات:** كالخوارج، والرافضة، والقدرية، والمرجئة، والمعتزلة، والجهمية، والمشبهة، والمتصوفة، والباطنية، والفلاسفة، ومتكلمة الكلابية والكرامية، والأشاعرة، والماتريدية. كما يدخل في مسمى الأهواء كل من سار على نهج هذه الفرق وأصولها، أو أحدث مناهج تخالف السنّة والجماعة: كأصحاب الاتجاهات الحديثة المنحرفة: من قوميين، وعلمانيين، وحداثيين، وشيوعيين... إلخ. وأما الفرق الحديثة: كالقاديانية، والبهائية، والبابية، والبريلوية، ونحوها، فإنها سائرة على أصول الفرق السابقة: كالباطنية، والرافضة، والصوفية، والمقابرية، ونحوها.

❑ ❑ ❑



(١) الاعتصام ١/ ٥١.

(٣)

البدع، تعريفها

البدعة لغة:

١ ــ البدء والإنشاء:

قال في لسان العرب: «بَدَعَ الشيء يبدعُهُ بَدْعاً: أنشأه وبدأه.

وبَدَعَ الرَّكيَّة استنبطها وأحدثها»[١].

٢ ــ ومنه الأول: «والبديع والبدع: الشيء الذي يكون أولاً. وفي التنزيل: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [سورة الأحقاف، الآية: ٩]. أي ما كنت أول من أرسل، قد أرسل قبلي رسل كثير»[٢].

٣ ــ والبدعة: الحدث.

«والبدعة الحدث، وما ابتدع من الدين بعد الإكمال»[٣].

٤ ــ والاختراع:

«وأبدعت الشيء اخترعته لا على مثال»[٤].

---

(١) لسان العرب (بدع) ٨/٦.

(٢) لسان العرب (بدع) ٨/٦.

(٣) لسان العرب (بدع) ٨/٦.

(٤) لسان العرب (بدع) ٨/٦.

٥ ــ والخلق:

و ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١١٧]. أي خالقها ومبدعها، فهو سبحانه الخالق المخترع لا عن مثال سابق»[١].

٦ ــ والجديد:

«وسقاء بديع: جديد»[٢].

٧ ــ والانقطاع والكلال:

«وأبدعت الإبل: بركت في الطريق من هزال، أو داء، أو كلال»[٣].

وهكذا نجد البدعة لغة تدور حول معاني: البدء، والنشأة، والأول، والحديث، والاختراع، والخلق، والجديد، والانقطاع.

والمعنى الشرعي للبدعة يوافق سائر هذه المعاني كما سيتبين.

البدعة شرعاً:

البدعة في الشرع خلاف السنّة، وهي كما عرَّفها شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: «البدعة في الدين هي ما لم يشرعه الله ورسوله، وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب»[٤].

وقال: «والبدعة ما خالفت الكتاب والسنَّة أو إجماع سلف الأمة، من الاعتقادات والعبادات: كأقوال الخوارج، والروافض، والقدرية،

---

(١) لسان العرب (بدع) ٨/ ٧. وانظر في ذلك: الصحاح للجوهري ٣/ ١١٨٣، ومعجم مقاييس اللغة ١/ ٢٠٩، والعين للخليل ٢/ ٥٤، والقاموس المحيط باب العين فصل الباء ٣/ ٣.

(٢) المراجع السابقة.

(٣) المراجع السابقة.

(٤) الفتاوى ٤/ ١٠٧، ١٠٨.

والجهمية. وكالذين يتعبدون بالرقص[1] والغناء في المساجد، والذين يتعبدون بحلق اللحى، وأكل الحشيشة، وأنواع ذلك من البدع التي يتعبد بها طوائف من المخالفين للكتاب والسنَّة»[2].

وقال: «... فإن البدعة ما لم يشرعه الله من الدين، فكل من دان بشيء لم يشرعه الله؛ فذاك بدعة، وإن كان متأولاً فيه»[3].

ومن أجمع ما قرأته في تعريف البدعة ما عرفها به الشيخ محمد بن صالح العثيمين حيث عرَّف البدعة بقوله: «ما أُحدث في الدين على خلاف ما كان عليه النبي ﷺ، وأصحابه، من عقيدة أو عمل»[4].

وكذلك تعريف الشاطبي، قال: «البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة، يقصد بالسلوك عليها ما **يقصد بالطريقة الشرعية**»[5].

وهذه التعاريف كلها تجتمع على أن كل مُحدثة في الدين من زيادة أو نقص بدعة، ويصدق ذلك قوله ﷺ: (**وكل محدثة بدعة**)[6].

وأهل البدع هم:

كل من أحدث في الدين ما ليس منه في الاعتقادات، والأقوال، والأعمال.

---

(١) يقصد بهذا وما بعده طوائف من الصوفية.

(٢) الفتاوى ١٨/ ٣٤٦.

(٣) الاستقامة ١/ ٤٢.

(٤) شرح لمعة الاعتقاد ٢٣.

(٥) الاعتصام ١/ ٣٧، وقد استقصى الباحث الأستاذ: سعيد بن ناصر الغامدي هذه المسألة في كتابه (حقيقة البدعة وأحكامها) ١/ ٢٥٢ ـ ٢٦٧، فليراجع، وكذلك الدكتور صالح بن سعد السحيمي في كتابه (تنبيه أولي الأبصار).

(٦) من حديث أصله في صحيح مسلم رقم (٨٦٧) لكن اللفظ هنا لابن أبي عاصم في السنَّة ١/ ١٦، وصححه الألباني.

ولها عند عامة أهل العلم إطلاقان:

الأول: عام حيث تطلق كلمة (أهل البدع) على كل أهل الأهواء والافتراق والمبتدعات الاعتقادية والقولية والعملية: كالخوارج، والرافضة، والقدرية، والمرجئة، والجبرية، والجهمية، والمعتزلة، وأهل الكلام (كالأشاعرة والماتريدية)، والصوفية، والفلاسفة، والباطنية، وأهل الحزبيات والشعارات القومية، والاشتراكية، ونحوها وكذلك الفرق الحادثة: كالقاديانية، والبهائية، والبريلوية، ونحوها.

الثاني: خاص حيث تطلق كلمة (أهل البدع) على أصحاب البدع العملية: كالمقابرية، وأصحاب التوسلات البدعية، والصوفية الطرقية، وبدع الأذكار، والمشاهد، والمزارات، ونحو ذلك.

والإطلاقان لا يتعارضان بل يتداخلان، لكن قد يكون إطلاق (أهل البدع) على البدع العملية أكثر، لأنها أظهر وأعم وأكثر في الناس، ويدركها العامة والخاصة (أهل العلم).

أما البدع الاعتقادية فهي مما لا يدركه إلاَّ أهل العلم، ويخفى أكثره على العامة، والبدع الاعتقادية ليست ظاهرة غالباً.

هذا مع العلم أن البدع الاعتقادية والعملية تتلازمان على الأغلب.

- فأهل البدع الاعتقادية فيهم بدع عملية إلاَّ القليل.
- وأهل البدع العملية فيهم بدع اعتقادية إلاَّ القليل.
- وأغلب البدع العملية تنشأ عن فساد في الاعتقاد. والله أعلم.



المقدمة الثانية

الفرق بين الاختلاف والافتراق



الفروق بين الاختلاف والافتراق

المتأمل للنصوص الشرعية التي ورد فيها ذكر الاختلاف والافتراق، وكذلك أقوال أهل العلم، وواقع الأمة يتحصل على ما يلي:

١ ــ **أن الافتراق**: أشد أنواع الاختلاف، وثمرة من ثماره.

٢ ــ **أن من الاختلاف ما لا يصل إلى حد الافتراق**، وهو أكثر أنواع الخلاف بين الأمة، فالخلاف بين الصحابة والتابعين والأئمة والعلماء لم يصل إلى حد الافتراق ولا التنازع في الدين.

٣ ــ **أن كل افتراق اختلاف**، وليس كل اختلاف افتراقاً.

٤ ــ **أن الاختلاف سائغ شرعاً**، والافتراق غير سائغ.

٥ ــ **أن الافتراق إنما يكون في أصول الاعتقاد والقطعيات والإجماع**، وما يؤدي إلى الشذوذ عن جماعة المسلمين والخروج على أئمتهم، والاختلاف دون ذلك.

٦ ــ **الافتراق مذموم كله**، والاختلاف ليس كله مذموماً. فإن:

٧ ــ **الاختلاف يعذر صاحبه إذا كان مجتهداً**، والافتراق لا يعذر صاحبه.

٨ ــ **الاختلاف عن اجتهاد يؤجر عليه المجتهد**، والافتراق مأزور صاحبه.

٩ ــ **الافتراق يكون عن هوىً**، أما الاختلاف فلا يلزم منه ذلك.

١٠ ــ **الاختلاف رحمة**، وأهله ناجون إن شاء الله، والفرقة عذاب، وأهله هالكون ومتوعدون.

وإليك طرفاً من أقوال أهل العلم في ذلك:

النزاع في الأحكام قد يكون رحمة:

فلهذا لا يعد من قبيل الأهواء ولا الافتراق؛ **قال شيخ الإسلام**: «والنزاع في الأحكام قد يكون رحمة إذا لم يفض إلى شر عظيم من خفاء الحكم؛ ولهذا صنف رجل كتاباً سماه (كتاب الاختلاف) فقال أحمد: سمه كتاب (السعة)، وإن الحق في نفس الأمر واحد، وقد يكون من رحمة الله ببعض الناس خفاؤه، لما في ظهوره من الشدة عليه، ويكون من باب قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [سورة المائدة، الآية: ١٠١]»[1].

الاختلاف رحمة وأهله معذورون، والافتراق عذاب وفرقة، ولا يعذر أهله:

فأهل السنّة المختلفون في الفروع داخلون في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ [سورة هود، الآية: ١١٨]، لأنهم باينوا الذين ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [سورة هود، الآية: ١١٨]، وهم أهل الأهواء والافتراق.

والخلاف في مسائل الاجتهاد وقع قطعاً من السابقين أهل الفضل والرحمة: الصحابة والتابعين، ولم يوجب افتراقاً ولا خصومات في الدين، أما ما وقع من أهل الأهواء فهو من الخصومات في الدين؛ لأنه كان عن هوىً، ولأنه أدّى إلى إكفار بعضهم لبعض، فلو كان القول قولاً واحداً لكان الناس في ضيق[2]. كما قال عمر بن عبد العزيز: «ما أحب أن أصحاب محمد ﷺ لا يختلفون». قال القاسم: «لأنه لو كان قولاً واحداً لكان الناس

---

(١) الفتاوى ١٤/١٥٩.

(٢) انظر: الاعتصام ٢/ ١٧٠.

في ضيق»[1]، لأنه اختلاف رحمة واجتهاد. أما اختلاف أهل الأهواء، فهو اختلاف عذاب وفرقة.

الاختلاف الذي لا يؤدي إلى الافتراق ليس مذموماً ما دام فيما أذن الله فيه:

قال الشاطبي: «فأما العلامات الإجمالية فثلاثة: (أحدها) الفرقة التي نبَّه عليها قوله ــ تعالى ــ : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٥].

وقوله ــ تعالى ــ : ﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٦٤]. روى ابن وهب عن إبراهيم النخعي أنه قال: هي الجدال والخصومات في الدين.

وقوله ــ تعالى ــ : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٣].

وفي الصحيح عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن الله يرضى لكم ثلاثاً؛ ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وصدق الحديث)**[2].

وهذا التفريق ــ كما تقدم ــ إنما هو الذي يصيّر الفرقة الواحدة فرقاً، والشيعة الواحدة شيعاً.

قال بعض العلماء: صاروا فرقاً لاتباع أهوائهم، وبمفارقة الدين

---

(١) انظر: الاعتصام ٢/ ١٧٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب (٥)، الحديث (١٧١٥)، وليس فيه (وصدق الحديث).

تشتَّتت أهواؤهم، فافترقوا، وهو قوله ــ تعالى ــ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾، ثم برأه الله منهم بقوله: ﴿ لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾، وهم أصحاب البدع وأصحاب الضلالات، والكلام فيما لم يأذن الله فيه ولا رسوله».

إلى أن قال: ووجدنا أصحاب رسول الله ﷺ من بعده قد اختلفوا في أحكام الدين ولم يتفرقوا، ولا صاروا شيعاً لأنهم لم يفارقوا الدين، وإنما اختلفوا فيما أذن لهم من اجتهاد إلى الرأي، والاستنباط من الكتاب والسنّة فيما لم يجدوا فيه نصّاً، واختلفت في ذلك أقوالهم فصاروا محمودين؛ لأنهم اجتهدوا فيما أمروا به: كاختلاف أبـي بكر وعمر وعلي وزيد في الجد مع الأم، وقول عمر وعلي في أمهات الأولاد، وخلافهم في الفريضة المشتركة، وخلافهم في الطلاق قبل النكاح، وفي البيوع، وغير ذلك مما[1] اختلفوا فيه، وكانوا مع هذا أهل مودة وتناصح، وأخوة الإسلام فيما بينهم قائمة، فلما حدثت الأهواء المردية، التي حذر منها رسول الله ﷺ، وظهرت العداوات، وتحزَّب أهلها، فصاروا شيعاً، دل على أنه إنما حدث ذلك من المسائل المحدثة التي ألقاها الشيطان على أفواه أوليائه»[2].

وقال الشاطبي: «قال (يعني بعض العلماء): كل مسألة حدثت في الإسلام واختلف الناس فيها، ولم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاء ولا فرقة ــ علمنا أنها من مسائل الإسلام، وكل مسألة حدثت وطرأت، فأوجبت العداوة والبغضاء والتدابر والقطيعة ــ علمنا أنها ليست من أمر الدين في شيء، وأنها التي عنى رسول الله ﷺ بتفسير الآية.

وذلك ما روي عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت: قال رسول الله ﷺ: (**يا عائشة** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ من هم؟) قلت:

(١) في المطبوعة (فما)، ولعلها (مما) ليستقيم الكلام.

(٢) الاعتصام ٢/ ٢٣١، ٢٣٢.

الله ورسوله أعلم. قال: (هم أصحاب الأهواء، وأصحاب البدع، وأصحاب الضلالة من هذه الأمة)[1]. الحديث الذي تقدم ذكره.

قال: فيجب على كل ذي عقل ودين أن يجتنبها؛ ودليل ذلك قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٣]، فإذا اختلفوا وتعاطوا ذلك كان لحدث أحدثوه من اتباع الهوى»[2].

الضابط في الحكم بالافتراق:

يحكم بالمفارقة على كل من خرج عن سبيل أهل السنة، في أصلٍ مما عدّوه من أصول الدين، قال الشاطبي: «وذلك أن هذه الفرق إنما تصير فرقاً، بخلافها للفرقة الناجية في معنىً كُليٍّ في الدين، وقاعدة من قواعد الشريعة، لا في جزئي من الجزئيات، وإذا الجزء والفرع الشاذ لا ينشأ عنه مخالفة يقع بسببها التفرق شيعاً، وإنما ينشأ التفرق عند وقوع المخالفة في الأمور الكلية؛ لأن الكليات نص من الجزئيات غير قليل، وشاذها في الغالب أن لا يختص بمحل دون محل، ولا بباب دون باب.

واعتبر ذلك بمسألة التحسين العقلي، فإن المخالفة فيها أنشأت بين المخالفين خلافاً في فروع لا تنحصر، ما بين فروع عقائد وفروع أعمال.

ويجري مجرى القاعدة الكلية كثرة الجزئيات، فإن المبتدع إذا أكثر من إنشاء الفروع المخترعة عاد ذلك على كثير من الشريعة بالمعارضة، كما تصير القاعدة الكلية معارضة أيضاً، وأما الجزئي فبخلاف ذلك، بل يعد وقوع ذلك من المبتدع له كالزلة والفلتة، وإن كانت زلة العالم مما يهدم

---

(١) أخرجه ابن كثير في تفسيره ٢/ ١٧١، وقال: «وهذا رواه ابن مردويه وهو غريب أيضاً ولا يصح رفعه».

(٢) الاعتصام ٢/ ٢٣٢.

الدين، حيث قال عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ : «ثلاث يهدمن الدين: زلة العالم، وجدال منافق بالقرآن، وأئمة مضلون». ولكن إذا قرب موقع الزلة لم يحصل بسببها تفرق في الغالب ولا هدم للدين. بخلاف الكليات»[1].

وعليه فإنه تعتبر المفارقة في حالين:

١ ــ فيمن خالف أهل السنة والجماعة في أصل كلي أو قاعدة من قواعد الشرع الكلية.

٢ ــ فيمن خالف في فروع كثيرة، وجزئيات كثيرة تخرجه عن سمت أهل السنّة وهديهم، كبدع الشعائر والعبادات إذا كثرت.

اختلاف التنوع قد يؤدي إلى الفرقة إذا اقترن بالهوى:

وأكثر الاختلاف بين الأمة الذي يورث الأهواء والفرقة تجده من اختلاف التنوع، حيث يكون كل من المختلفين مصيباً فيما قاله وذهب إليه، أو بعضه، مخطئاً في نفي أو جحود ما عليه خصمه في أمر يسع فيه الخلاف، أو سائغ القول به: كالقراءات، واختلاف الأحكام باختلاف الأحوال[2]، ونحو ذلك.

فهذا التنوع من الاختلاف ليس هو المذموم في أصله ما لم يؤد إلى المنازعة والفرقة، لكن لما اقترن بالتعصب، والخصومات، والمراء، والعدوان، والهوى من كثير من المختلفين، صار من النوع المذموم من هذا الوجه؛ لأنه يكون سبباً في الفرقة والتنازع.

---

(١) الاعتصام ٢/ ٢٠٠، ٢٠١.

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ١/ ١٢٨، ١٢٩.

فالذم واقع على الافتراق والأهواء لا على الاجتهاد:

قال الشاطبي: «إن هذه الآثار الذامَّة للرأي لا يمكن أن يكون المقصود بها ذم الاجتهاد على الأصول في نازلة لم توجد في كتاب ولا سنّة ولا إجماع، ممن يعرف الأشباه والنظائر، ويفهم معاني الأحكام، فيقيس قياس تشبيه وتعليل، قياساً لم يعارضه ما هو أولى منه، فإن هذا ليس فيه تحليل وتحريم ولا العكس، وإنما القياس الهادم للإسلام ما عارض الكتاب والسنّة، أو ما عليه سلف الأمة، أو معانيها المعتبرة»[1].

الاختلاف السائغ أهله ناجون، وهم الفرقة الناجية، أما الافتراق فأهله هالِكُون:

فإن أهل الحق المستمسكين بالسنّة لا يضرهم اختلافهم فيما يسوغ فيه الخلاف، ما دام ذلك عن اجتهاد وحسن نية واتباع للدليل، بخلاف الافتراق، فإن أهله في سبيل الهلكة والذم.

يقول الشاطبي: «إن قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : **(إلاَّ واحدة)** قد أعطى بنصه أن الحق واحد لا يختلف، إذ لو كان للحق فِرَقٌ لم يقل: **(إلاَّ واحدة)**، ولأن الاختلاف منفي عن الشريعة بإطلاق، لأنها الحاكمة بين المختلفين، لقوله ـ تعالى ـ : ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [سورة النساء، الآية: ٥٩]. إذ رد التنازع إلى الشريعة، فلو كانت الشريعة تقتضي الخلاف لم يكن في الرد إليها فائدة.

وقوله ﴿فِي شَيۡءٖ﴾ نكرة في سياق الشرط، فهي صيغة من صيغ العموم، فتنتظم كل تنازع على العموم، فالرد فيها لا يكون إلاَّ لأمر واحد، فلا يسع أن يكون أهل الحق فِرَقاً.

---

(١) الاعتصام ٢/ ٢٨٥.

وقال ـ تعالى ـ : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٥٣]، وهو نص فيما نحن فيه، فإن السبيل الواحد لا يقتضي الافتراق، بخلاف السبل المختلفة»[١].

❑ ❑ ❑

(١) الاعتصام ٢/ ٢٤٩.

المقدمة الثالثة

التحذير من الأهواء والافتراق والبدع



(١)
النهي عن الاختلاف والتفرق في كتاب الله والإخبار عن وقوعه

فالله ـ تعالى ـ في كتابه الكريم بيَّن أن الاختلاف واقع لا محالة، وأنه سنّة من سنن الله التي لا تتبدل ولا تتغير في كل الأمم وجميع الناس، وقد وردت آيات كثيرة في كتاب الله ـ تعالى ـ تنهى عن الاختلاف والتفرق، وتحذر منه، وتتوعد المفترقين، وتحذر مما وقع فيه أهل الكتاب والمشركون والأمم السابقة، التي افترقت واختلفت وانقسمت إلى شيع وأحزاب بعدما أنزل الله إليهم ما يتقون، حيث أرسل الرسل، وأنزل الكتب بالبينات، فكان اختلافهم بعد الهدى، وتفرقهم بعد وفاق، وضلالهم بعد بيِّنة. والآيات في هذا كثيرة، وسأذكر طرفاً منها للذكرى:

قال ـ تعالى ـ : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٥٣].

فالصراط المستقيم، هو القرآن والإسلام والفطرة التي فطر الله الناس عليها، والسبل هي الأهواء والفرق والبدع والمحدثات، قال مجاهد:

« ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ ﴾ ، يعني البدع والشبهات والضلالات»[1].

وهذا تحذير وإخبار، ووصف لسبل الضلالة والغواية التي يستهوي دعاتها الناس، وقد أشفق النبي ﷺ على أمته، وبيَّن لها، وحذَّرها، «ولهذا فسر النبي ﷺ الصراط المستقيم بكتاب الله، وفسره بالإسلام، وكلاهما مأثور عن النبي ﷺ، ففي حديث النواس بن سمعان عن النبي ﷺ قال: **(ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سوران، وفي السورين أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وداعٍ من فوق الصراط، وداعٍ على رأس الصراط، فالصراط المستقيم هو الإسلام، والسوران حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله، والداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم، فإذا أراد العبد أن يفتح باباً من تلك الأبواب، دعاه الداعي: يا عبد الله لا تفتحنه فإنك إن فتحته تلجه)**. رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه»[2].

وقد أخبر الله ــ تعالى ــ أن الذين يتبعون المتشابه هم أهل الزيغ والفتنة وهم أهل الأهواء والافتراق، قال ــ سبحانه ــ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٧].

ونهى الله ــ تعالى ــ هذه الأمة عما وقعت فيه الأمم السابقة من الاختلاف والتفرق من بعد ما جاءتهم البينات وأنزل الله إليهم الكتب، فقال ــ سبحانه ــ : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ

---

(١) تفسير مجاهد ٢٢٧.

(٢) درء التعارض ٥/ ٢٦٧، والحديث في مسند الإمام أحمد ٤/ ١٨٢، ١٨٣؛ والترمذي كتاب الأمثال، باب (١)، الحديث (٢٨٥٩) ٥/ ١٤٤.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٥]، وقد توعد الله المفترقين المختلفين بالعذاب العظيم.

ثم بيَّن ــ تعالى ــ حال المفارقين، أهل الأهواء والبدع، فقال ــ تعالى ــ : ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٦]، قال ابن عباس ــ رضي الله عنه ــ : «تبيض وجوه أهل السنّة، وتسود وجوه أهل البدع»(١).

وأمر الله ــ تعالى ــ نبيَّه ﷺ وأمته بالإعراض عن أهل الأهواء الذين يخوضون في آيات الله، وهَجْرِهم حتى ينتهوا، فقال ــ تعالى ــ : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٦٨].

ونهى الأمة أن تكون من المشركين، الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شيعاً، فقال ــ عز من قائل ــ : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الروم، الآيات: ٣٠ ــ ٣٢].

وأخبر ــ تعالى ــ أن الرسول ﷺ بريء من الذين يفرقون دينهم، ويكونون شيعاً وأحزاباً، قال ــ تعالى ــ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٥٩].

الاختلاف والتنازع من سنن الله في خلقه:

ومن سنن الله ــ تعالى ــ التي حكم فيها بين عباده أنهم لا يزالون

---

(١) الاعتصام ١/٥٦.

مختلفين، إلاَّ من رحم ربك، وأنه كتب ذلك عليهم ابتلاءً، فلا راد لقضاء الله ـ سبحانه ـ، قال ـ عز وجل ـ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [سورة هود، الآية: ١١٨].

وأخبر ـ سبحانه ـ على سبيل التحذير؛ بخوض طوائف من هذه الأمة بما خاضت به الأمم السابقة من الأهواء، فقال الله ـ تعالى ـ: ﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟﴾ [سورة التوبة، الآية: ٦٩].

قال شيخ الإسلام: «فقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ﴾ إشارة إلى اتباع الشهوات، وهو داء العصاة، وقوله: ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟﴾ إشارةً إلى اتباع الشبهات، وهو داء المبتدعة، وأهل الأهواء والخصومات، وكثيراً ما يجتمعان»[1].

أنواع الاختلاف الوارد في القرآن:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والاختلاف على ما ذكره الله في القرآن قسمان:

أحدهما: يذم الطائفتين جميعاً: كما في قوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ﴾ [سورة هود، الآيتان: ١١٨، ١١٩]. فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف.

وكذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٧٦].

وكذلك قوله: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٩].

---

(١) اقتضاء الصراط ١/١٠٧.

وقوله: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٥].

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٥٩].

وكذلك وصف اختلاف النصارى بقوله: ﴿ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة المائدة، الآية: ١٤].

ووصف اختلاف اليهود بقوله: ﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٦٤].

وقال: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [سورة المؤمنون، الآية: ٥٣].

وكذلك النبي ﷺ لما وصف أن الأمة: ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة؛ قال: (**كلها في النار إلاَّ واحدة، وهي الجماعة**). وفي الرواية الأخرى: (**من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**)[1].

فبين: أن عامة المختلفين هالِكُون من الجانبين، إلاَّ فرقة واحدة، وهم أهل السنّة والجماعة.

وهذا الاختلاف المذموم من الطرفين يكون سببه:

١ ــ **تارة فساد النية**: لما في النفوس من البغي والحسد، وإرادة العلو في الأرض، ونحو ذلك. فيحب لذلك ذم قول غيرها، أو فعله، أو غلبته ليتميز عليه، أو يحب قول من يوافقه في نسب أو مذهب أو بلد

---

(١) انظر: الكلام حول الحديث ص (٦٠).

أو صداقة، ونحو ذلك؛ لما في قيام قوله من حصول الشرف له والرئاسة، وما أكثر هذا من بني آدم. وهذا ظلم.

٢ ــ **ويكون سببه ــ تارةً ــ جهل المختلفين بحقيقة الأمر الذي** يتنازعان فيه، أو الجهل بالدليل الذي يرشد به أحدهما الآخر، أو جهل أحدهما بما مع الآخر من الحق في الحكم، أو في الدليل، وإن كان عالماً بما مع نفسه من الحق حكماً ودليلاً.

والجهل والظلم، هما أصل كل شر، كما قال ــ سبحانه ــ: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٢﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٧٢].

أما أنواعه: فهو في الأصل قسمان:

اختلاف تنوع، واختلاف تضاد.

واختلاف التنوع على وجوه:

(أ) منه: ما يكون كل واحد من القولين، أو الفعلين حقّاً مشروعاً: كما في القراءات التي اختلف فيها الصحابة، حتى زجرهم عن الاختلاف رسول الله ﷺ وقال: (**كلاكما محسن**)(١). ومثله اختلاف الأنواع في صفة الأذان، والإقامة، والاستفتاح، والتشهدات، وصلاة الخوف، وتكبيرات العيد، وتكبيرات الجنازة، إلى غير ذلك مما قد شرع جميعه. وإن كان قد يقال: إن بعض أنواعه أفضل.

ثم نجد لكثير من الأمة في ذلك من الاختلاف ما أوجب اقتتال طوائف منهم على شفع الإقامة وإيتارها، ونحو ذلك. وهذا عين المحرم. ومن لم يبلغ هذا المبلغ؛ فتجد كثيراً منهم في قلبه من الهوى لأحد هذه الأنواع،

---

(١) صحيح البخاري، الحديث رقم (٢٤١٠)، كتاب الخصومات، باب (١)؛ وفتح الباري ٥/ ٧٠.

والإعراض عن الآخر، أو النهي عنه ـ ما دخل به فيما نهى عنه النبـي ﷺ.

(ب) ومنه: ما يكون كل من القولين هو في معنى القول الآخر، لكنْ العبارتان مختلفتان: كما قد يختلف كثير من الناس في ألفاظ الحدود، وصيغ الأدلة، والتعبير عن المسميات، وتقسيم الأحكام، وغير ذلك.

ثـم الجهل أو الظلم يحـمل عـلى حمد إحـدى المقالتين وذم الأخرى.

(ج) ومنه: ما يكون المعنيان غيرين، لكن لا يتنافيان: فهذا قول صحيح، وهذا قول صحيح، وإن لم يكن معنى أحدهما هو معنى الآخر، وهذا كثير في المنازعات جدّاً.

(د) ومنه: ما يكون طريقتان مشروعتان، ورجل أو قوم قد سلكوا هذه الطريق، وآخرون قد سلكوا الأخرى، وكلاهما حسن في الدين:

ثم الجهل أو الظلم يحمل على ذم إحداهما، أو تفضيلها بلا قصد صالح، أو بلا علم، أو بلا نية وبلا علم.

وأما اختلاف التضاد فهو: القولان المتنافيان: إما في الأصول، وإما في الفروع ، عند الجمهور الذين يقولون: «المصيب واحد» وإلاَّ فمن قال: «كل مجتهد مصيب» فعنده: هو من باب اختلاف التنوع، لا اختلاف التضاد، فهذا الخطب فيه أشد؛ لأن القولين يتنافيان، لكن نجد كثيراً من هؤلاء قد يكون القول الباطل الذي مع منازعه فيه حق ما، أو معه دليل يقتضي حقّاً ما، فيرد الحق في الأصل هذا كله، حتى يبقى هذا مبطلاً في البعض، كما كان الأول مبطلاً في الأصل، كما رأيته لكثير من أهل السنّة، في مسائل القدر والصفات والصحابة، وغيرهم.

وأما أهل البدعة: فالأمر فيهم ظاهر[1]، وكما رأيته لكثير من الفقهاء، أو لأكثر المتأخرين في مسائل الفقه، وكذلك رأيت الاختلاف كثيراً بين بعض المتفقهة، وبعض المتصوفة، وبين فرق المتصوفة، ونظائره كثيرة.

ومن جعل الله له هداية ونوراً، رأى من هذا ما يتبين له به منفعة ما جاء في الكتاب والسنّة: من النهي عن هذا وأشباهه، وإن كانت القلوب الصحيحة تنكر هذا ابتداءً، لكن نور على نور.

وهذا القسم ــ الذي سميناه[2] اختلاف التنوع ــ كل واحد من المختلفين مصيب فيه بلا تردد. لكن الذم واقع على من بغى على الآخر فيه، وقد دل القرآن على حمد كل واحدة من الطائفتين في مثل ذلك ــ إذا لم يحصل بغي ــ كما في قوله: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الحشر، الآية: ٥].

وقد كانوا اختلفوا في قطع الأشجار، فقطع قوم وترك آخرون، وكما في قوله: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [سورة الأنبياء، الآيتان: ٧٨، ٧٩]. فخص سليمان بالفهم، وأثنى عليهما بالعلم والحكم.

وكما في إقرار النبي ﷺ، يوم بني قريظة لمن صلّى العصر في وقتها، ولمن أخرها إلى أن وصل إلى بني قريظة[3].

---

(١) أي أن أهل البدع ظاهر بطلان قولهم ونزاعهم، لقيام الحجة عليهم بالكتاب والسنّة، وليس معهم من الحق ما يلزم الخصم بالاعتراف لهم بحق.

(٢) الكلام لشيخ الإسلام.

(٣) وذلك إشارة للحديث المتفق عليه عن النبي ﷺ، وهو قوله: (لا يصلين أحد العصر إلاَّ في بني قريظة) فبعض الصحابة صلَّى في الطريق الصلاة في وقتها، وآخرون أخروها حتى وصلوا إلى بني قريظة بعد فوات العصر، فأقرهم الرسول ﷺ جميعاً. وفي مسلم (الظهر) =

وكما في قوله ﷺ: (**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر**)[1] ونظائره كثيرة.

وإذا جعلت هذا[2] قسماً آخر صار الاختلاف ثلاثة أقسام[3].

وأما القسم الثاني من الاختلاف المذكور في كتاب الله: فهو ما حمد فيه إحدى الطائفتين، وهم المؤمنون، وذم فيه الأخرى: كما في قوله ــ تعالى ــ: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ ــ إلى قوله ــ: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٥٣].

فقوله: ﴿ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ ﴾. حمد لإحدى الطائفتين ــ وهم المؤمنين ــ وذم الأخرى.

وكذلك قوله: ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ ﴾ ــ إلى قوله ــ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ ﴾ [سورة الحج، الآيتان: ١٩، ٢٣].

= بدل العصر. انظر: البخاري، كتاب الخوف، باب صلاة الطالب والمطلوب راكباً وإيماء، في فتح الباري، حديث رقم (٩٤٦) ٢/ ٤٣٦، وطرف الحديث رقم (٤١١٩)؛ وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب المبادرة بالغزو، حديث رقم (١٧٧٠) ٣/ ١٣٩١.

(١) الحديث متفق عليه بلفظ: (**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر**). انظر: صحيح البخاري، كتاب الاعتصام، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، الحديث رقم (٧٣٥٢)، في فتح الباري ١٣/ ٣١٨.

(٢) الإشارة إلى اختلاف التنوع الذي يكون كل واحد من المختلفين فيه مصيباً.

(٣) وهذه الأقسام الثلاثة كما بينها المؤلف تكون هي:
(أ) ما يذم فيه كلا الطائفتين المتنازعتين. وهو من اختلاف التنوع. وهو القسم الأول.
(ب) ما يذم فيه إحدى الطائفتين المتنازعتين، وتحمد الأخرى. وهو من اختلاف التضاد وهو القسم الثاني.
(ج) ما يحمد فيه كلا الطائفتين المتنازعتين ويكون هو القسم الثالث.

مع ما ثبت في الصحيح عن أبـي ذر ــ رضي الله عنه ــ : «أنها أنزلت في المقتتلين يوم بدر: علي وحمزة وعبيدة، والذين بارزوهم من قريش وهم: عتبة وشيبة والوليد. وأكثر الاختلاف الذي يؤول إلى الأهواء بين الأمة من القسم الأول، وكذلك آل إلى سفك الدماء، واستباحة الأموال، والعداوة والبغضاء؛ لأن إحدى الطائفتين لا تعترف للأخرى بما معها من الحق ولا تنصفها، بل تزيد على ما مع نفسها من الحق زيادات من الباطل، والأخرى كذلك»[1]. اهـ.

قلت: ولا يزال هذا هو ما عليه كثير من المتنازعين اليوم من أهل السنّة. أما غيرهم فلا عبرة بهم، ولا مأسوف عليهم، والأصل فيهم وعندهم الخصومات والظلم والأهواء.



(١) اقتضاء الصراط ١/ ١٣٠، ١٣٩ مع هوامشه.

(٢)
تحذير النبـي ﷺ أمته من الافتراق والأهواء والبدع، وإخباره عن وقوعها

كما أن النبـي ﷺ لم يدع شيئاً من الخير إلا دل الأمة عليه، وأرشدها إليه، وبينه لها، كذلك فإنه ﷺ لم يدع شيئاً من الشر والردى إلا حذر الأمة منه، ونهاها عن سلوك طريق الغواية والضلالة والبدع والمحدثات، وبين ذلك.

فقد أخبر ﷺ بوقوع الافتراق، واتباع سنن الأمم الهالكة من قبل طوائف من هذه الأمة، حتى لا يبقى على السنّة إلا طائفة واحدة، وأنذر من سلك سبيل أهل الأهواء، واستجاب لدعاة الضلالة والبدع، وأمر بلزوم السنّة والجماعة.

وإليك أخي القارىء طائفة مما ثبت عن رسول الله ﷺ في ذلك:

الأمر بالاعتصام بحبل الله ولزوم الجماعة وترك الفرقة:

قال شيخ الإسلام: «وهذا الأصل العظيم: وهو الاعتصام بحبل الله جميعاً، وأن لا يتفرق، هو من أعظم أصول الإسلام، ومما عظمت وصية الله ـ تعالى ـ به في كتابه.

ومما عظم ذمه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم، وما عظمت به

وصية النبـي ﷺ في مواطن عامة وخاصة، مثل قوله: (**وعليكم بالجماعة، فإن يد الله على الجماعة**)[1].

وقوله: (**فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد**)[2].

وقوله: (**من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإن من فارق الجماعة قيد شبر، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه**)[3].

وقوله: (**ألا أنبئكم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟** قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين**)[4].

وقوله: (**من جاءكم وأمركم على رجل واحد منكم يريد أن يفرق جماعتكم، فاضربوا عنقه بالسيف كائناً من كان**)[5].

وقوله: (**يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطأوا فلكم وعليهم**)[6].

---

(١) أخرجه الحاكم ١/ ١١٤؛ وصححه ووافقه الذهبـي؛ وأحمد في المسند ١/ ١٨؛ وابن أبـي عاصم في السنّة ١/ ٤٢، ٤٣ (٨٨)؛ وصححه الألباني (مع اختلاف يسير في الألفاظ).

(٢) هذه اللفظة وردت في بعض روايات الحديث السابق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب (٢)، الحديث (٧٠٥٤)؛ فتح الباري ١٣/ ٥، وفيه (فمات إلا مات ميتة جاهلية).

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٤٥؛ وأبو داود كتاب الأدب، باب (٥٨)، الحديث (٤٩١٩) ٥/ ٢١٨؛ والترمذي في صفة القيامة، الحديث (٢٥٠٩)، وقال: «هذا حديث صحيح» ٤/ ٦٦٣، ٦٦٤؛ وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٩٢).

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة (بألفاظ متقاربة)، باب (١٤)، الحديث (١٨٥٢)، ص ١٤٧٩ ــ ١٤٨٠.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأذان والجماعة، باب (٥٥)؛ فتح الباري ٢/ ١٨٧.

وقوله: (ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، منها واحدة ناجية، واثنتان وسبعون في النار، قيل: ومَنْ الفرقة الناجية؟ قال: هي الجماعة، يد الله على الجماعة)[1]»[2].

إخبار النبـي ﷺ عن وقوع الافتراق والأهواء وتحذيره من ذلك:

أما إخبار النبـي ﷺ عن وقوع الأمة في الافتراق والأهواء وتحذيره من ذلك: فهو مشهور متواتر، فمن ذلك:

١ ــ **ما خرَّجاه في الصحيحين**: عن أبـي سعيد الخدري ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله ﷺ: (**لتتبعنَّ سنن من كان قبلكم حذو القذَّة[3] بالقذَّة، حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلتموه، قالوا**: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: **فمن؟!**)[4].

٢ ــ **وروى البخاري في صحيحه عن أبـي هريرة** ــ رضي الله عنه ــ عن النبـي ﷺ قال: (**لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي مأخذ القرون، شبراً**

---

(١) أخرجه بنحوه ابن أبـي عاصم في السنّة ١/ ٣٢، رقم (٦٣)؛ وصححه الألباني هنا وفي السلسلة الصحيحة رقم (١٤٩٢)، وأخرجه ابن ماجه رقم (٣٩٩٢) ٢/ ١٣٢٢.

(٢) الفتاوى ٢٢/ ٣٥٩، ٣٦٠.

(٣) القذة: بالضم ريشة السهم. وقوله: حذو القذة بالقذة.. كناية عن التشابه والتتابع. ويُضرب مثلاً للشيئين يستويان ولا يتفاوتان. لسان العرب ٤/ ٥٠٣ قذذ.

(٤) هذا الحديث من الأحاديث الصحيحة المستفيضة في الصحاح والسنن والمسانيد. وقد أخرجاه في الصحيحين من طرق وألفاظ متعددة، ولفظ الصحيحين المتفق عليه عن أبـي سعيد الخدري هو: (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع) الحديث بتمامه مع اختلاف يسير في الألفاظ. انظر: صحيح البخاري، كتاب الاعتصام، باب قول النبـي ﷺ: (لتتبعن سنن من كان قبلكم) الحديث رقم (٧٣٢٠)، من فتح الباري ١٣/ ٣٠٠؛ وصحيح مسلم، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، الحديث رقم (٢٦٦٩) ٤/ ٢٠٥٤. أما لفظ: «حذو القذة بالقذة»، فقد أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٢٥؛ وذكره ابن الأثير في جامع الأصول عن رزين. انظر: جامع الأصول ١٠/ ٣٤.

بشبر، وذراعاً بذراع)، فقيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟ قال: (ومن الناس إلا أولئك؟)[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فأخبر أنه سيكون في أمته مضاهاة لليهود والنصارى، وهم أهل الكتاب، ومضاهاة لفارس والروم، وهم الأعاجم.

وقد كان ﷺ ينهى عن التشبّه بهؤلاء وهؤلاء، وليس هذا إخباراً عن جميع الأمة، بل قد تواتر عنه: (أنه لا تزال طائفة من أمته ظاهرة على الحق، حتى تقوم الساعة[2])[3].

٣ ـ وعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: (ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل، حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية، لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرَّقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة). قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: (ما أنا عليه[4] وأصحابي). رواه أبو عيسى الترمذي، وقال: «هذا حديث غريب مفسر، لا نعرف مثل هذا إلا من هذا الوجه»[5].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ: (لتتبعن سنن من كان قبلكم) الحديث رقم (٧٣١٩) من فتح الباري ١٣/ ٣٠٠.

(٢) جاء ذلك في أحاديث صحيحة ومستفيضة عن رسول الله ﷺ، أخرجها البخاري ومسلم؛ وابن ماجه؛ والحاكم في مستدركه؛ وأحمد في المسند؛ والترمذي وغيرهم كثير. وأكتفي بالإشارة إلى الأحاديث في الصحيحين، فقد أخرجها البخاري في كتاب المناقب، الباب (٢٧)، الحديث رقم (٣٦٤٠) من فتح الباري ٦/ ٦٣٢؛ ومسلم في كتاب الإمارة، باب: لا تزال طائفة... الحديث (١٩٢٠) (١٩٢١).

(٣) اقتضاء الصراط ١/ ١٦٩ مع الهوامش.

(٤) في مستدرك الحاكم (ما أنا عليه اليوم) ١/ ١٢٨.

(٥) رواه الترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، حديث رقم (٢٦٤١) ٥/ ٢٥ ـ ٢٦. وأخرجه أيضاً بهذا اللفظ الحاكم في المستدرك، كتاب العلم ١/ ١٢٨ ـ ١٢٩، مع اختلاف يسير بالألفاظ، والسند واحد. وفيه عبد الرحمن بن زياد ضعيف.

قال شيخ الإسلام: «وهذا الافتراق مشهور عن النبـي ﷺ، من حديث أبـي هريرة، وسعد، ومعاوية، وعمرو بن عوف، وغيرهم. وإنما ذكرت حديث ابن عمرو لما فيه من ذكر المشابهة»[١].

٤ ــ **وعن أبـي هريرة** ــ رضي الله عنه ــ أن رسول الله ﷺ، قال: **(تفترق اليهود على إحدى وسبعين فرقة، أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة)**. رواه أبو داود، وابن ماجه، والترمذي وقال: «هذا حديث حسن صحيح»[٢].

٥ ــ **وعن معاوية قال**: قال رسول الله ﷺ: **(إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على اثنتين وسبعين ملّة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة ــ يعني الأهواء ــ كلهم في النار إلا واحدة، وهي الجماعة)**. وقال: **(إنه سيخرج من أمّتي أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكَلَب[٣] بصاحبه، فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله. والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به محمد لغيركم من الناس أحرى أن لا يقوم به)**[٤].

---

(١) اقتضاء الصراط ١/ ١٢٠.

(٢) انظر: سنن أبـي داود، كتاب السنّة، باب شرح السنّة، الحديث رقم (٤٥٩٦)، ٥/ ٤؛ وسنن ابن ماجه، باب افتراق الأمم، الحديث رقم (٣٩٩١)، ٢/ ١٣٢١؛ وسنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة. حديث رقم ٢٦٤٠، ٥/ ٢٥، وقال: «حديث أبـي هريرة حديث حسن صحيح».

(٣) الكَلَب: داء يصيب الإنسان من عض الكلب المسعور، فيصيبه شبه الجنون، ويلحق به حتى يموت. انظر: لسان العرب (كَلَبَ) ١/ ٧٢٣، وتتجارى بهم الأهواء: أي يتواقعون فيها ويتداعون ويتهافتون في الأهواء الفاسدة. انظر: لسان العرب (جرا) ١٤/ ١٤١.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٠٢؛ وأبو داود، مختصراً في كتاب السنّة، باب شرح السنّة، الحديث رقم (٤٥٩٧) ٥/ ٥، ٦.

وابن أبـي عاصم في كتاب السنّة، ذكر الأهواء المذمومة، الحديث رقم ١، ٢، ١/ ٧، ٨ من طريقين، ولم يذكر قوله: «والله يا معشر العرب..» إلخ الحديث؛ وصححه الألباني بهما؛ وأخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ١٢٨.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هذا حديث محفوظ من حديث صفوان بن عمرو، عن الأزهر بن عبد الله الحرازي، عن أبـي عامر عبد الله بن لحي، عن معاوية. رواه عنه غير واحد. منهم: أبو اليمان، وبقية، وأبو المغيرة. رواه أحمد وأبو داود في سننه»[1].

وقال: «وقد روى ابن ماجه هذا المعنى[2] من حديث صفوان بن عمرو، عن سعد، عن عوف بن مالك الأشجعي»[3].

وقال أيضاً: «وهذا الاختلاف الذي دلت عليه هذه الأحاديث هو مما نهى عنه في قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٥].

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٥٩].

وقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٥٣].

٦ ــ وعن عامر بن سعد بن أبـي وقاص، عن أبيه: «أنه أقبل مع رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه، من العالية[4]، حتى إذا مرّ بمسجد بني معاوية، دخل فركع فيه ركعتين، وصلينا معه ودعا ربه طويلاً، ثم انصرف إلينا فقال: (**سألت ربـي ثلاثاً؛ فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة: سألت ربـي**

---

(١) اقتضاء الصراط ١/ ١٢٢.

(٢) انظر: سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، الحديث رقم (٣٩٩٢)، ٢/ ١٣٢٢.

(٣) اقتضاء الصراط ١/ ١٢٢.

(٤) العالية: ما كان من جهة نجدٍ من المدينة. انظر: معجم البلدان لياقوت ٥/ ٧١، حرف العين.

أن لا يهلك أمتي بالسَّنَة[1]، فأعطانيها. وسألت ربـي أن لا يهلك أمتي بالغرق، فأعطانيها. وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها)[2].

٧ ــ عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض[3]، وإني سألت ربـي لأمتي: أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدوّاً من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم[4]، وإن ربـي قال: يا محمد إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة[5]، وأن لا أسلط عليهم عدوّاً من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم مَنْ بأقطارها، أو قال: من بين أقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، ويسبـي بعضهم بعضاً)[6].

قال شيخ الإسلام: «ورواه البرقاني في صحيحه. وزاد: (وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حيّ من أمتي بالمشركين، وحتى يعبد فئام من

---

(١) السَّنَة: الجدب والقحط الذي يعم. انظر: القاموس المحيط، فصل السين، باب الهاء، جزء ٤/ ٢٨٧، ٢٨٨.

(٢) الحديث في صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، حديث رقم (٢٨٩٠)، ٤/ ٢٢١٦.

(٣) الكنزان الأحمر والأبيض هما: الذهب والفضة. وفي ذلك إشارة إلى ملكي كسرى وقيصر؟ لأنهما اشتملا على الذهب والفضة، كما فيه إشارة إلى الشام وتوابعها، والعراق وتوابعها، وفي ذلك معجزة كبرى تحققت من معجزات الرسول ﷺ.

(٤) بيضتهم: أي أصلهم، وحوزتهم، وعزهم ومنعتهم. انظر: مختار الصحاح (ب ي ض) ص ٧١.

(٥) بعامة: أي جميعها.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، حديث رقم (٢٨٨٩) ٤/ ٢٢١٥.

أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون؛ كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله ــ تبارك وتعالى ــ)(١) (٢).

وقال شيخ الإسلام: «وهذا المعنى محفوظ عن النبي ﷺ، من غير وجه؛ يشير إلى أن التفرقة، والاختلاف؛ لا بد من وقوعهما في الأمة، وكان يحذر أمته؛ لينجو من شاء الله له السلامة، كما روى النَّزَّال بن سبرة، عن عبد الله بن مسعود قال: «سمعت رجلاً قرأ آية سمعت النبي ﷺ يقرأ خلافها، فأخذت بيده، فانطلقت به إلى النبي ﷺ، فذكرت ذلك له، فعرفت في وجهه الكراهية، وقال: (**كلاكما محسن، ولا تختلفوا؛ فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**)(٣).

---

(١) حديث ثوبان هذا مع الزيادة التي ذكرها المؤلف، رواه بتمامه أبو داود في سننه، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها، حديث رقم (٤٢٥٢) ٤/ ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢؛ ورواه الترمذي في مواضع من كتاب الفتن مجزءاً، حديث رقم (٢٢٠٢)، ولم يسم الباب ورقم (٢٢١٩) باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون، ٤/ ٤٩٠ و ٤٩٩، وقال فيها الترمذي: «حديث حسن صحيح» كلا الحديثين؛ كما رواه ابن ماجه في سننه مع اختلاف يسير في ألفاظ الحديث، كتاب الفتن، باب ما يكون من الفتن، حديث رقم (٣٩٥٢) ٢/ ١٣٠٤.

(٢) اقتضاء الصراط ١/ ١٢٦ (مع الهوامش).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص، والخصومة بين المسلم واليهود، فتح الباري، حديث رقم (٢٤١٠) ٥/ ٧٠؛ وقد أخرجه البخاري في أكثر من موضع، وأطرافه: (٣٤٧٦، ٥٠٦٢) من فتح الباري؛ وأحمد في المسند ١/ ٤١٢، ٤٥٦.

نهى النبـي ﷺ عن الاختلاف الذي فيه جحد كل واحد من المختلفين ما مع الآخر من الحق؛ لأن كلا القارئين كان محسناً فيما قرأه، وعلّل ذلك: بأن من كان قبلنا اختلفوا فهلكوا.

ولهذا قال حذيفة لعثمان: «أدرك هذه الأمة، لا تختلف في الكتاب كما اختلف فيه الأمم قبلهم»[1] لما رأى أهل الشام والعراق، يختلفون في حروف القرآن، الاختلاف الذي نهى عنه النبـي ﷺ.

فأفاد ذلك بشيئين:

أحدهما: تحريم الاختلاف في مثل هذا.

والثاني: الاعتبار بمن كان قبلنا، والحذر من مشابهتهم.

واعلم أن أكثر الاختلاف بين الأمة، الذي يورث الأهواء؛ تجده من هذا الضرب، وهو: أن يكون كل واحد من المختلفين مصيباً فيما يثبته، أو في بعضه، مخطئاً في نفي ما عليه الآخر، كما أن القارئين كل منهما كان مصيباً في القراءة بالحرف الذي علمه، مخطئاً في نفي حرف غيره؛ فإن أكثر الجهل إنما يقع في النفي الذي هو الجحود والتكذيب، لا في الإثبات؛ لأن إحاطة الإنسان بما يثبته أيسر من إحاطته بما ينفيه. ولهذا نهيت هذه الأمة أن تضرب آيات الله بعضها ببعض؛ لأن مضمون الضرب: الإيمان بإحدى الآيتين، والكفر بالأخرى إذا اعتقد أن بينهما تضاداً ــ إذ الضدان لا يجتمعان[2].

---

(١) رواه البخاري. ولفظه: **«أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى»** أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، الحديث رقم (٤٩٨٧) من فتح الباري ٨/ ١١.

(٢) اقتضاء الصراط ١/ ١٢٧ ــ ١٢٩ (مع الهوامش).

٨ ــ وعن عبد الله بن رباح الأنصاري: أن عبد الله بن عمرو قال: «هَجَّرتُ[١] إلى رسول الله ﷺ يوماً؛ فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج علينا رسول الله ﷺ يعرف في وجهه الغضب، فقال: (**إنما هلك من كان قبلكم من الأمم باختلافهم في الكتاب**)[٢].

٩ ــ وعن أبـي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: (**دعوني ما تركتكم، فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم**)[٣].

قال شيخ الإسلام: «لكن هذا الاختلاف على الأنبياء هو ــ والله أعلم ــ مخالفة الأنبياء، كما يقول: اختلاف الناس على الأمير، إذا خالفوه»[٤].

١٠ ــ وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده: «أن نفراً كانوا جلوساً بباب النبـي ﷺ، فقال بعضهم: ألم يقل الله كذا وكذا! وقال بعضهم: ألم يقل الله كذا وكذا؟ فسمع ذلك رسول الله ﷺ، فخرج، فكأنما فقىء في وجهه حب الرمان! فقال: (**أبهذا أمرتم؟ أو بهذا بعثتم؟ أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟ إنما ضلَّت الأمم قبلكم في مثل هذا؛ إنكم لستم مما**

---

(١) أي ذهبت في الهاجرة، وهي نصف النهار عند اشتداد الحر. مختار الصحاح (هـ ج ر) ص ٦٩٠.

(٢) رواه مسلم في كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن.. الحديث رقم (٢٦٦٦) ٤/٢٠٥٣.

(٣) رواه البخاري في كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ. انظر: فتح الباري، حديث رقم (٧٢٨٨) ١٣/ ٢٥١؛ ومسلم في كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، حديث (١٣٣٧) ٢/ ٩٧٥.

(٤) اقتضاء الصراط ١/ ١٤١.

ههنا في شيء. انظروا الذي أمرتم به فاعملوا به، والذي نُهيتم عنه فانتهوا عنه)[١].

١١ ـ وأيضاً عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: «لقد جلست أنا وأخي مجلساً ما أحب أن لي به حمر النعم: أقبلت أنا وأخي، وإذا مشيخة من صحابة رسول الله ﷺ جلوس عند باب من أبوابه، فكرهنا أن نفرق بينهم، فجلسنا حجرة[٢]، إذ ذكروا آية من القرآن، فتماروا[٣] فيها، حتى ارتفعت أصواتهم، فخرج رسول الله ﷺ مغضباً، قد احمرَّ وجهه، يرميهم بالتراب، ويقول: (**مهلاً يا قوم. بهذا أهلكت الأمم من قبلكم: باختلافهم على أنبيائهم، وضربهم الكتب بعضها ببعض. إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضاً، وإنما أنزل يصدق بعضه بعضاً، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه**[٤])[٥].

وكذلك عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: «خرج رسول الله ﷺ ذات يوم، والناس يتكلمون في القدر. قال: فكأنما تفقأ في وجهه الرمان من الغضب. قال: فقال لهم: (**ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟ بهذا هلك من كان قبلكم**)، قال: فما غبطت نفسي بمجلس فيه

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٢/١٩٦، ورجاله ثقات، وأخرج ابن ماجه نحوه في المقدمة، باب في القدر، الحديث رقم (٨٥) ١/٣٣؛ وقال صاحب الزوائد في حديث ابن ماجه: «هذا إسناده صحيح ورجاله ثقات».

(٢) الحجرة: الناحية.

(٣) تماروا: تجادلوا.

(٤) اقتضاء الصراط ١/١٤٤ ـ ١٤٥ (مع الهوامش).

(٥) الحديث رواه أحمد في المسند ٣/١٨١، وله شاهد عنده أيضاً، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده. ٢/١٨٥ مختصراً. وله شواهد أخرى.

رسول الله ﷺ، لم أشهده، ما غبطت نفسي بذلك المجلس أني لم أشهده»[١].

قال شيخ الإسلام: «هذا حديث محفوظ عن عمرو بن شعيب، رواه عنه الناس، ورواه ابن ماجه[٢] في سننه من حديث أبـي معاوية، كما سقناه»[٣].

وقال: «وقد كتب أحمد في رسالته[٤] إلى المتوكل هذا الحديث، وجعل يقول لهم في مناظرته يوم الدار[٥]: «إنا قد نهينا أن نضرب كتاب الله بعضه ببعض». وهذا لعلمه ــ رحمه الله ــ بما في خلاف هذا الحديث من الفساد العظيم.

وقد روى هذا المعنى الترمذي من حديث أبـي هريرة ــ رضي الله عنه ــ وقال: «حديث حسن غريب». وقال: «وفي الباب عن عمر، وعائشة، وأنس»[٦]. اهـ.

---

(١) الحديث رواه أحمد في المسند ٢/ ١٧٨ مسند عبد الله بن عمرو بن العاص ــ رضي الله عنهما ــ.

(٢) رواه ابن ماجه بهذا اللفظ: «حدثنا علي بن محمد، حدثنا أبو معاوية، حدثنا داود بن أبـي هند، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده. قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يختصمون في القدر، فكأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب. فقال: (**بهذا أمرتم أو لهذا خلقتم؟ تضربون القرآن بعضه ببعض. بهذا هلكت الأمم قبلكم**)، قال: فقال عبد الله بن عمرو: «ما غبطت نفسي بمجلس تخلفت فيه عن رسول الله ﷺ ما غبطت نفسي بذلك المجلس وتخلفي عنه». انظر: سنن ابن ماجه، المقدمة، باب في القدر، حديث رقم (٨٥) ١/ ٣٣، وقد أشرت إلى قول صاحب الزوائد أن الحديث صحيح الإسناد ورجاله ثقات.

(٣) اقتضاء الصراط ١/ ١٤٦.

(٤) ذكر هذه الرسالة ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد ص ٤٦١، ٤٦٢، تحقيق د. عبد الله التركي. وذكرها أيضاً أبو نعيم في الحلية ٩/ ٢١٦ ــ ٢١٧ في ترجمة الإمام أحمد.

(٥) هي دار إسحاق بن إبراهيم، وزير الخلافة العباسية آنذاك.

(٦) اقتضاء الصراط ١/ ١٤٦، ١٤٧ (مع الهوامش).

وحديث الترمذي الذي أشار إليه ابن تيمية هنا عن أبي هريرة قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر، فغضب حتى احمرّ وجهه، حتى كأنما فقىء في وجنتيه الرمان، فقال: **(أبهذا أمرتم؟ أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر؛ عزمت عليكم، عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه)** »[1].

١٢ ـ **وعن أبي واقد الليثي أنه قال**: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون[2] بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط. فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: **(الله أكبر! إنها السنن[3]، قلتم ـ والذي نفسي بيده ـ كما قالت بنو إسرائيل لموسى**: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝١٣٨﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٣٨]. **لتركبن سنن من كان قبلكم)**[4]. رواه مالك والنسائي والترمذي. وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، ولفظه: **(لتركبن سنة من كان قبلكم)**[5].

١٣ ـ **وعن أبي هريرة** ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال:

---

(١) سنن الترمذي، كتب القدر، باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر، الحديث رقم (٢١٣٣) ٤/ ٤٤٣.

(٢) ينوطون: يعلقون.

(٣) السنن: الطريقة والوجهة. والمقصود: إنها الطريقة التي سلكها من قبلكم من الأمم كاليهود والنصارى حين وقعوا في هذه البدع، والحديث يفسره آخره. انظر: مختار الصحاح (س ن ن) ص (٣١٧).

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢١٨، والترمذي في كتاب الفتن، باب لتركبن سنن من كان قبلكم، رقم (٢١٨٠)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح» ٤/ ٤٧٥.

(٥) اقتضاء الصراط ١/ ١٤٩ ـ ١٥١ (مع الهوامش).

(لتأخذنَّ أمتي مأخذ القرون قبلها: شبراً بشبر وذراعاً بذراع)، قالوا: فارس والروم؟ قال: (فمن الناس إلا أولئك؟)[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهذا كله خرج منه مخرج الخبر عن وقوع ذلك، والذم لمن يفعله، كما كان يخبر عما يفعله الناس بين يدي الساعة من الأشراط والأمور المحرمات»[2].

١٤ ــ وعن عائشة قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾، حتى بلغ: ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٧]. فقال رسول الله ﷺ: (إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه أولئك الذين سماهم الله، فاحذروهم). أخرجه البخاري ومسلم[3].

١٥ ــ وعن أبي أمامة ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله ﷺ: (لتنقضنَّ عُرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبَّث الناس بالتي تليها، فأولهنَّ نقضاً: الحكم، وآخرهن: الصلاة)[4].

١٦ ــ عن عرفجة قال: قال رسول الله ﷺ: (إنه ستكون هنَّات

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب قول النبي ﷺ: (لتتبعن سنن من كان قبلكم). الحديث رقم (٧٣١٩) من فتح الباري ١٣/ ٢٠٠.

(٢) اقتضاء الصراط ١/ ١٥٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، التفسير، باب (٤٠)؛ الفتح ٨/ ٢٠٩؛ ومسلم، الحديث (٢٦٦٥).

(٤) رواه أحمد ٥/ ٢٥١؛ وابن بطة في الإبانة، وقال محقق الإبانة: «رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح» ١/ ١٧٠، ١٧١؛ والحاكم في المستدرك ٤/ ٩٢ وصححه، لكن ضعفه الذهبي في التلخيص. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٩٥١) ٥/ ١٥.

وهنَّات، فمن أراد أن يفرق هذه الأمة، وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائناً من كان)[1].

فقوله ﷺ: (**ستكون هنات وهنات**) يعني: البدع، والأهواء، والفتن، والخروج على أئمة المسلمين وجماعتهم. وهو من سمات أهل الأهواء.

١٧ ــ وعن جابر بن عبد الله في خطبة رسول الله ﷺ، أنه يقول: (**أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة)**[2].

١٨ ــ وفي حديث العرباض بن سارية: (إياكم والمحدثات، فإن كل محدثة ضلالة)[3]. والمحدثات هي: البدع والأهواء التي أدَّت إلى الافتراق، وترك السنّة، وتفريق الأمة إلى: شيع وفرق، وطرق، وأحزاب.

١٩ ــ كما خاف النبي ﷺ على أمته، وحذرها من أصول البدع: كالاستسقاء بالنجوم، والتكذيب بالقدر، فقال: (**ثلاث أخاف على أمتي: الاستسقاء بالأنواء، وحيف السلطان، وتكذيب بالقدر)**[4].

فالتعلق بالنجوم من أعظم أبواب الدجل والسحر والشعوذة والكهانة، كما أنه من وسائل الشرك، وأحياناً يكون شركاً خالصاً.

أما التكذيب بالقدر، فهو أول بدعة كلامية، فتقت الأهواء

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، الحديث (١٨٥٢).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب (١٣)، الحديث (٨٦٧) ٢/ ٥٩٢.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنّة ١/ ١٧؛ وصححه الألباني؛ وأخرجه الحاكم ١/ ٩٧؛ وابن ماجه (٤٢).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٩٠ عن جابر بن سمرة؛ وكذلك عزاه السيوطي إلى الطبراني في الكبير وضعفه؛ وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (١١٢٧)، وصحيح الجامع الصغير (٣٠١٩) ٣/ ٦٠.

والخصومات والافتراق في العقيدة، فمنه نشأت القدرية، والجبرية، والجهمية، والمعتزلة، وغيرها من فرق أهل الأهواء.

إخبار النبي ﷺ عن أول فتنة تقع في الأمة:

٢٠ ــ عن حذيفة قال: «كنا عند عمر فقال: أيكم سمع رسول الله ﷺ يذكر الفتن؟ فقال قوم: «نحن سمعناه. فقال: لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله وجاره، قالوا: أجل، قال: تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة، ولكن أيكم سمع النبي ﷺ يذكر الفتن التي تموج كموج البحر؟ قال حذيفة: فأسكت القوم، فقلت: أنا، قال: أنت لله أبوك. قال حذيفه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(تعرض الفتن على القلوب: كالحصير عوداً عوداً، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة، ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مربادا: كالكوز مجخياً، لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب هواه)**، قال حذيفة: وحدثته أن بينك وبينها باباً مغلقاً، يوشك أن يكسر، قال عمر: أكسراً لا أبا لك! فلو أنه فتح لعله كان يعاد، قلت: لا بل يكسر، وحدثته: أن ذلك الباب رجل يقتل أو يموت، حديثاً ليس بالأغاليط»[1].

هذا لفظ مسلم، وزاد في البخاري: «فهبنا أن نسأل حذيفة، فأمرنا مسروقاً، فسأله، فقال: الباب عمر».

٢١ ــ وحذر النبي ﷺ كذلك مما وقع فيه أهل الكلام، وهو الخوض في الله ــ سبحانه وتعالى ــ فأخرج مسلم في صحيحه أن أبا هريرة

---

(١) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب (٤)؛ الفتح ٨/٢؛ ومسلم ١٢٨/١، ١٢٩، الحديث (١٤٤).

قال: قال رسول الله ﷺ: (**يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا وكذا، حتى يقول له: من خلق ربك؟ فإذا بلغ ذلك، فليستعذ بالله، ولينته**)[1].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ، قال: (**لا يزال الناس يسألونكم عن العلم، حتى يقولوا: هذا الله خلقنا، فمن خلق الله؟**)[2].

وهذه المقولة الشيطانية حامت حولها مقولات الجهمية والمعتزلة والمتكلمين حتى قالوا: (هل يخلق الله مثله)[3]، وقالوا في مبدأ الخلق وتكلموا في الخالق سبحانه بما حذر منه ﷺ.

ونهى النبي ﷺ عن الخوض فيما سكت عنه الشرع:

٢٢ ـ عن أبي ثعلبة قال: قال رسول الله ﷺ: (**إن الله ـ عزَّ وجلّ ـ فرض فرائض فلا تضيعوها، وحدَّ حدوداً فلا تعتدوها، وسكت عن أشياء من غير نسيان لها، رحمة بكم، فلا تبحثوا عنها**)[4].

فأين أهل الكلام من هذا التوجيه العظيم المشفق منه ﷺ، فإن سائر أصولهم وأكثر كلامهم فيما سكت عنه الشارع، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب (٦٠)، الحديث تابع رقم (١٣٤) ١/ ١٢٠.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين ٢/ ٢٤٦.

(٤) أخرجه ابن بطة في الإبانة ١/ ٤٠٧، ٤٠٨، عن أبي ثعلبة الخشني. وانظر: كنز العمال ١/ ١٩٣، ١٩٤، رقم (٩٨٠)؛ وعزاه للطبراني في الكبير، وأبي نعيم في الحلية ٩/ ١٧. وقال النووي: «حديث حسن رواه الدارقطني وغيره» عن جامع العلوم والحكم ٢٦١.
وأخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ١١٥؛ وأعله الحافظ ابن رجب بعلتين، الجامع ٢٦١، وذكر أن السمعاني حسنه، وأن البزار قال: إسناده صالح. وانظر: هامش الإبانة ١/ ٤٠٧.

حتمية وقوع الافتراق:

٢٣ ـ ومما يدل على حتمية الافتراق وأن وقوعه حق وصدق لا محالة، وأن أهل الحق هم الأقلون، وطائفة من طوائف الأمة، وفرقة من فرقها الكثيرة ـ **أحاديث الغربة** ـ كقوله ﷺ من حديث ابن عمر: **(إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها)**[١].

وبيَّن ﷺ أن الغرباء: **(أناس صالحون في أناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم)**[٢].

والحديث نص قاطع في أنه يكون أهل الأهواء والافتراق كثيرين، حتى يشعر أهل الحق والسنة بالغربة في بعض الأزمان، **والله المستعان**.



---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، الحديث (١٤٦).

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢/١٧٧، ٢/٢٢٢؛ وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، رقم (٣٨١٦)؛ وانظر: الغرباء الأولون للشيخ سلمان العودة ص ٤٧ وما بعدها.

(٣)
تحذير السلف من الأهواء والبدع والافتراق، وإخبارهم عن وقوعها

حذَّر الله ـ تعالى ـ في كتابه من الأهواء والافتراق، وأخبر بوقوعه في الأمة، كذلك فعل النبي ﷺ، فقد حذر وأخبر عن الافتراق والأهواء، وقد حمل الصحابة والتابعون وسلف الأمة هذه الأمانة، فحذروا من البدع والأهواء، وأخبروا وأنذروا بوقوعها، ولما وقعت عملوا على صدّها، والتصدي لأهلها والنصح للأمة، وتحذيرها من ذلك، وأعمالهم في ذلك وأقوالهم كثيرة مسطورة مستفيضة، ولا يزال أهل السنّة على هدي السلف الصالح في ذلك، يَحْذَرون ويُحذِّرون من البدع والأهواء وأهلها.

وقد عقدت باباً في موقف السلف من أهل الافتراق والأهواء والبدع سيصدر ـ إن شاء الله ـ في كتاب مستقل، لكني هنا أسوق جملة من ذلك لمناسبته لهذا الفصل.

قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ : «إياكم وأصحاب الرأي، فإن أصحاب الرأي أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، فقالوا بالرأي، فضَلّوا وأَضَلُّوا»[١]. وقال: «سيأتي قوم يجادلونكم بشبهات

---

(١) سنن الدارقطني، الوصايا ٤/١٤٦؛ وجامع بيان العلم ٢/١٢٣؛ واللالكائي ١/١٢٣.

القرآن، فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله»[1].

وجاء في وصية ابن مسعود ـــ رضي الله عنه ـــ : «إنها ستكون أمور مشتبهات، فعليكم بالتؤدة، فإن الرجل يكون تابعاً في الخير، خير من أن يكون رأساً في الضلالة»[2].

وقال: «إنكم أصبحتم عن الفطرة، وإنكم مستحدثون، ويحدث لكم، فإذا رأيتم محدثة فعليكم بالهدي الأول»[3].

وقال عبد الله بن مسعود ـــ رضي الله عنه ـــ أيضاً: «إياكم وما يُحدِث الناس من البدع، فإن الدين لا يذهب من القلوب بمرة، ولكن الشيطان يحدث له بدعاً، حتى يخرج الإيمان من قلبه، ويوشك أن يدع الناس ما ألزمهم الله من فرضه في الصلاة، والصيام، والحلال والحرام، ويتكلمون في ربهم ـــ عز وجل ـــ ، فمن أدرك ذلك الزمان فليهرب. قيل: يا أبا عبد الرحمن: فإلى أين؟ قال: إلى لا أين (قال: يهرب) بقلبه ودينه، لا يجالس أحداً من أهل البدع»[4].

وعن ابن مسعود أيضاً قال: «اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كفيتم، وكل بدعة ضلالة»[5].

وعنه، أي: ابن مسعود ـــ رضي الله عنه ـــ قال: «كيف أنتم إذا ألبستكم فتنة يربو فيها الكبير، إذا ترك منها شيء، قيل: تركت السنّة. قيل:

---

(١) سنن الدارمي ١/ ١٤٩؛ وجامع بيان العلم ٢/ ١٢٣؛ واللالكائي ١/ ١٢٣؛ والإبانة لابن بطة، وقال المحقق: «إسناده صحيح» ١/ ٢٥٠.

(٢) الإبانة ١/ ٣٢٩؛ والبدع لابن وضاح ٨٠.

(٣) الإبانة ١/ ٣٢٩.

(٤) اللالكائي ١/ ١٢١.

(٥) الإبانة ١/ ٣٢٧، ٣٢٨، وقال المحقق: قال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح».

متى ذلك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: ذلك إذا ذهب علماؤكم، وكَثُرت جهّالكم، وكثرت قرّاؤكم، وقلّت فقهاؤكم، والتُمِسَت الدنيا بعمل الآخرة، وتُفُقِّه لغير الدين»[1].

وعن سعيد بن المسيب قال: «إذا تكلم الناس في ربهم وفي الملائكة ظهر لهم الشيطان، فقدمهم إلى عبادة الأوثان»[2].

وقال عمر بن عبد العزيز: «السنّة إنما سنَّها من علم ما جاء في خلافها من الزلل، ولهم كانوا على المنازعة والجدل أقدر منكم»[3].

وقال رجل لابن عباس: «الحمد لله الذي جعل هوانا على هواكم، فقال ابن عباس: إن الله لم يجعل في هذه الأهواء شيئاً من الخير، وإنما سمي هوى لأنه يهوي بصاحبه في النار»[4].

و «عن حذيفة بن اليمان أنه أخذ حجرين فوضع أحدهما على الآخر، ثم قال لأصحابه: هل ترون ما بين هذين الحجرين من النور؟ قالوا: يا أبا عبد الله! ما نرى بينهما من النور إلاَّ قليلاً. قال: والذي نفسي بيده لتظهرن البدع حتى لا يُرى من الحق إلاَّ قدر ما ترون ما بين هذين الحجرين من النور، والله لتفشُوَنَّ البدع حتى إذا ترك منها شيء، قالوا: تركت السنّة»[5].

و «دخل ابن مسعود على حُذيفة فقال: اعهَدْ إليَّ، فقال له: ألم يأتك اليقين؟ قال: بلى وعزَّة ربـي، قال: فاعلم أن الضلالة حق، الضلالة أن تعرِفَ ما كنت تُنكر، وأن تُنكر ما كنت تعرفُ، وإياك والتَّلوُّن، فإن دين الله

---

(١) ابن وضاح ٣٤، ٨٩، والدارمي ١٩١، ١٩٢؛ واللالكائي ١/ ٩١، ٩٢.
(٢) الإبانة ١/ ١٢١، ١٢٢.
(٣) الشرح والإبانة ١٢٣.
(٤) المصدر السابق ١٢٣.
(٥) البدع والنهي عنها ٥٨.

واحد»[1].

وقال أبو العالية: «وعليكم بسنّة نبيكم والذي كان عليه أصحابه، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء»[2].

وقال شريح القاضي: «إن السنّة قد سبقت قياسكم، فاتَّبِع ولا تبتدع، فإنك لن تضل ما أخذتَ بالأثر»[3].

وعن ابن عباس أيضاً قال: «من أقر باسم من هذه الأسماء المحدثة، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»[4]، والأسماء المحدثة أسماء أهل الأهواء: كالخوارج والرافضة والقدرية، والله أعلم.

وقال الشعبي: «إنما الرأي بمنزلة الميتة إذا احتجت إليها أكلتها»[5]. يعني: الرأي في الدين، فإن الدين مبناه على الوحي، والرأي مجاله الاجتهاديات.

وجاء رجل إلى مالك فسأله عن مسألة، فقال له: قال رسول الله ﷺ: كذا وكذا، فقال الرجل: أرأيت؟ قال مالك: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[6] [سورة النور، الآية: ٦٣].

وقال سفيان الثوري: «البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، المعصية يُتابُ منها، والبدعة لا يُتاب منها»[7].

---

(١) شرح السنّة للبغوي ١/٢١٦.
(٢) الإبانة ١/١٩٩.
(٣) شرح السنّة ١/٢١٦.
(٤) الإبانة ١/٣٥٤.
(٥) السابق ١/٢١٦.
(٦) السابق ١/٢١٦.
(٧) السابق ١/٢١٦.

وقال البغوي في شرح السنّة: «واتفق علماء السلف من أهل السنّة على النهي عن الجدال والخصومات في الصفات، وعلى الزجر عن الخوض في علم الكلام وتعلمه»[1].

«سأل رجل عمر بن عبد العزيز عن شيء من الأهواء، فقال: الزم دين الصبي في الكتاب والأعرابي، واله عما سوى ذلك»[2] يعني بذلك دين الفطرة، والتسليم بالنصوص من غير جدال ولا تكلف.

وقال أيضاً: «من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقُّل»[3]، أي الاضطراب في الدين، والانتقال من بدعة إلى أخرى، والتردي من رأي إلى رأي، فلا يوفق للهدى ولا لليقين.

وقال الزهري: «من الله الرسالة وعلى الرسول ﷺ البلاغ وعلينا التسليم»[4]، أي التسليم بما جاء عن الله ــ تعالى ــ وعن رسوله ﷺ.

وقال مالك بن أنس: «إياكم والبدع، قيل: يا أبا عبد الله وما البِدعُ؟ قال: أهلُ البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعِلمه وقدرته، ولا يسكتون عمَّا سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان»[5]. وهذا ضابط عظيم، وتعريف صائب للبدع، ووصف صادق لأهل البدع.

وقول مالك أيضاً: «لو كان الكلام علماً، لتكلم فيه الصحابة والتابعون، كما تكلموا في الأحكام والشرائع، ولكنه باطل يدلّ على

---

(١) شرح السنّة ١/ ٢١٦.
(٢) جامع بيان العلم ٢/ ٩٣؛ وشرح السنّة للبغوي ١/ ٢١٧.
(٣) جامع بيان العلم ٢/ ٩٣؛ وشرح السنّة للبغوي ١/ ٢١٧.
(٤) شرح السنّة ١/ ٢١٧.
(٥) شرح السنّة ١/ ٢١٧، وذم الكلام للهروي ٢٩٣، ٢٩٤ (مخطوط).

باطل»[1]. فهو جهل مبني على جهل، وظلمات بعضها فوق بعض، نسأل الله العافية والسلامة.

وسُئل سفيان الثوري عن الكلام فقال: «دع الباطل، أين أنت عن الحق، اتَّبع السنّة، ودعِ البدعة. وقال: وجدت الأمر الاتباع، وقال: عليكم بما عليه الجمَّالون والنساء في البيوت، والصبيان في الكتاب من الإقرار والعمل»[2].

قال الربيع عن الشافعي: «لأن يلقى اللَّهَ العبدُ بكل ذنب ما خلا الشرك، خير له من أن يلقاه بشيء من الأهواء»[3].

وقال يونس بن عبد الأعلى عن الشافعي: «لأن يُبتلى المرءُ بما نهى الله عنه خلا الشرك بالله، خير له من أن يبتليه بالكلام»[4].

وقال أبو ثور عن الشافعي: «ما ارتدى أحدٌ بالكلام فأفلح»[5].

وقال ابن عبد البر: «ونهى السلف ــ رحمهم الله ــ عن الجدال في الله جل ثناؤه في صفاته وأسمائه، وأما الفقه فأجمعوا على الجدال فيه والتناظر؛ لأنه علم يحتاج فيه إلى رد الفروع على الأصول للحاجة إلى ذلك، وليس الاعتقادات، كذلك لأن الله ــ عز وجل ــ لا يوصف عند الجماعة أهل السنّة إلاَّ بما وصف به نفسه أو وصفه به رسول الله ﷺ، أو أجمعت الأمة عليه، وليس كمثله شيء، فيدرك بقياس، أو بإنعام نظر، وقد نهينا عن التفكر في الله، وأمرنا بالتفكر في خلقه الدال عليه، وللكلام في ذلك موضع غير

---

(١) السابق ١/ ٢١٧.
(٢) شرح السنّة ١/ ٢١٧.
(٣) شرح السنّة ١/ ٢١٧.
(٤) جامع بيان العلم ٢/ ٩٥؛ وشرح السنّة ١/ ٢١٧.
(٥) اللالكائي ١/ ١٤٦؛ وشرح السنة ١/ ٢١٧.

هذا، والدين قد وصل العذراء في خدرها والحمد لله»[1].

وعن إبراهيم النخعي قال: «كانوا يكرهون التلون في الدين»[2].

وعن إبراهيم النخعي أيضاً: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾. قال: الخصومات والجدال في الدين[3].

وعن العوام بن حوشب قال: «إياكم والخصومات في الدين فإنها تحبط الأعمال»[4].

وعن الفضيل بن عياض قال: «أدركت خيار الناس كلهم أصحاب سنّة، وينهون عن أصحاب البدع»[5].

وقال الفضيل: «لا تجالسوا أهل الخصومات، فإنهم يخوضون في آيات الله»[6].

وعن عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي أن عمر بن عبد العزيز قال: «إذا رأيت قوماً يتناجون في دينهم دون العامة فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة»[7].

وعن خالد بن سعد قال: «دخل أبو مسعود على حذيفة قال: اعهد إليَّ، قال: أولم يأتك اليقين؟ قال: بلى، قال: فإن الضلالة حق، الضلالة

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٩٢.
(٢) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٩٣.
(٣) الشرح والإبانة ١٤١؛ وجامع بيان العلم وفضله ٢/ ٩٣؛ ونفسير ابن كثير ٢/ ٦٨.
(٤) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٩٣؛ وأخرجه اللالكائي ١/ ٢٩؛ عن معاوية بن قرة، ومثله الآجري في الشريعة ٥٦. وانظر: ذم الكلام للهروي ٢٧٥ (مخطوط).
(٥) اللالكائي ١/ ١٣٨.
(٦) سنن الدارمي رقم (٤٠٦)؛ واللالكائي ١/ ١٢٩، ولفظه: (لا تجادلوا. . . ألخ).
(٧) اللالكائي ١/ ١٣٥؛ وجامع بيان العلم وفضله ٢/ ٩٣.

أن تعرف ما كنت تنكر، وتنكر ما كنت تعرف، وإياك والتلون في دين الله، فإن دين الله واحد»[1].

وقال الأوزاعي: «بلغني أن الله إذا أراد بقومٍ شرّاً ألزمهم الجدل ومنعهم العمل»[2].

وعن ابن الحنفية قال: «لا تنقضي الدنيا حتى تكون خصوماتهم في ربهم»[3].

وقال ابن عباس: «لا يزال أمر هذه الأمة مقارباً حتى يتكلموا في الولدان والقدر»[4].

وكان مالك بن أنس يقول: «الكلام في الدين أكرهه، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه، وينهون عنه، نحو الكلام في رأي جهم، والقدر، وكل ما أشبه ذلك، ولا أحب الكلام إلاَّ فيما تحته عمل، فأما الكلام في دين الله وفي الله ــ عز وجل ــ فالسكوت أحب إليَّ لأني رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في الدين إلاَّ فيما تحته عمل»[5].

قال أبو عمر[6]: قد بيّن مالك ــ رحمه الله ــ أن الكلام فيما تحته عمل هو المباح عنده، وعند أهل بلده ــ يعني العلماء منهم رضي الله عنهم ــ وأخبر أن الكلام في الدين: نحو القول في صفات الله وأسمائه، وضرب مثلاً، فقال: نحو قول جهم والقدر. والذي قاله مالك ــ رحمة الله عليه ــ

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٩٣.
(٢) اللالكائي ١/ ١٤٥؛ وجامع بيان العلم وفضله ٢/ ٩٣.
(٣) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٩٣.
(٤) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٩٣.
(٥) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٩٥. وانظر: اللالكائي ١/ ١٤٨، ١٤٩.
(٦) هو ابن عبد البر.

قاله جماعة الفقهاء والعلماء قديماً وحديثاً من أهل الحديث والفتوى، وإنما خالف ذلك أهل البدع والمعتزلة وسائر الفرق، وأما الجماعة فعلى ما قال مالك ــ رحمه الله ــ إلاَّ أن يضطر أحد إلى الكلام فلا يسعه السكوت إذا طمع برد الباطل، وصرف صاحبه عن مذهبه، أو خشي ضلال عامة، أو نحو هذا»[1].

قلت: هذه قاعدة عظيمة فافهمها، واعمل بها، رعاك الله.

قال ابن عيينة: «سمعت من جابر الجعفي كلاماً خشيت أن يقع عليَّ وعليه البيت»[2]. والجعفي رافضي متكلم من رؤوس الأهواء.

وقال يونس بن عبد الأعلى: «سمعت الشافعي يوم ناظره حفص الفرد، قال لي: يا أبا موسى لأن يلقى اللَّهَ ــ عز وجل ــ العبدُ بكل ذنب ما خلا الشرك، خير من أن يلقاه بشيء من الكلام، لقد سمعت من حفص كلاماً لا أقدر أن أحكيه»[3]. وحفص الفرد: معتزلي، جهمي، متكلم، أحد رؤوس الأهواء.

وقال أحمد بن حنبل ــ رحمه الله ــ: «إنه لا يفلح صاحب كلام أبداً، ولا تكاد ترى أحداً نظر في الكلام إلاَّ وفي قلبه دَغَل»[4].

وقال مالك: «أرأيت إن جاء من هو أجدل منه أيدع دينه كل يوم لدين جديد؟»[5].

وقال ابن عبد البر: «أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٩٥.
(٢) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٩٥.
(٣) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٩٥، وذم الكلام للهروي (مخطوط) ٣٥٥.
(٤) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٩٥.
(٥) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٩٥.

أهل الكلام أهل بدع وزيغ، ولا يعدون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء، وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه، ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز والفهم»[١].

وذكر ابن عبد البر عن محمد بن إسحاق بن أحمد بن خويز منداد المصري المالكي، قال في كتاب الإجارات من كتابه في الخلاف: «قال مالك: لا تجوز الإجارات في شيء من كتب الأهواء والبدع والتنجيم، وذكر كتباً، ثم قال: وكُتبُ أهل الأهواء والبدع عند أصحابنا هي كتب أصحاب الكلام من المعتزلة وغيرهم، وتفسخ الإجارة في ذلك، قال: وكذلك كتب القضاء بالنجوم وعزايم الجن، وما أشبه ذلك. وقال في كتاب الشهادات في تأويل قول مالك: لا تجوز شهادة أهل البدع وأهل الأهواء، قال: أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام، فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعرياً كان أو غير أشعري، ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبداً، ويهجر ويؤدب على بدعته، فإن تمادى عليها استتيب منها. قال أبو عمر[٢]: ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلاَّ ما جاء منصوصاً في كتاب الله أو صح عن رسول الله ﷺ، أو أجمعت عليه الأمة، وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله، أو نحوه يسلم له ولا يناظر فيه»[٣].

وعن سعيد بن جبير قال: «ما لم يعرفه البدريون فليس من الدين»[٤].

قال ابن عبد البر في نصوص القدر والصفات: «رواها السلف، وسكتوا عنها، وهم أعمق الناس علماً، وأوسعهم فهماً، وأقلهم تكلفاً، ولم

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٩٥.

(٢) ابن عبد البر.

(٣) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٩٦.

(٤) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٩٧.

يكن سكوتهم عن عي، فمن لم يسعه ما وسعهم فقد خاب وخسر»[1].

وقال ابن عبد البر أيضاً: «كان الحسن في مجلس فذكر أصحاب محمد ﷺ، فقال: إنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوماً اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فإنهم ورب الكعبة على الهدى المستقيم»[2].

وقال ابن مسعود: «من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد ﷺ، فإنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوماً اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»[3].

قلت: هذه وصايا عظيمة، وحكم بليغة، وأصول وقواعد تمثل سبيل المؤمنين، ونهج السلف الصالح، وعلماء السنّة، فعليك بها أخي الكريم، وإياك وحذلقة المتحذلقين، وتكلفات المتكلفين، وشعارات المهرِّجين.

ولا تنخدع بدعاوى المخالفين من الجماعات والاتجاهات التي لا تلتزم طريق أئمة الهدى، ولا تدين للمشايخ الفضلاء بفضل ولا قدوة، فإنها في سبيل الهوى والشذوذ والهلكة ولو بعد حين، فإن الأمر لا بد أن ينجلي عن الحق، فاصبر على السنّة ولو شعرت بالغربة، وإياك والقنوط واليأس، فإنه لا ييأس من روح الله إلاَّ القوم الكافرون. عافانا الله وإياك من ذلك، وثبّتنا على الحق والطريق المستقيم، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٩٧.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٩٧.

(٣) ذم الكلام للهروي ٢٦٧ مخطوط، وجامع بيان العلم وفضله ٢/ ٩٧.



المقدمة الرابعة

وقفة حول الفرق

وتحديدها وتعدادها



وقفة حول الفرق وتعدادها وتحديدها

اختلف أهل العلم قديماً وحديثاً في الفرق الثنتين والسبعين الهالكة من هي؟ ومن يدخل فيها من الفرق التي ظهرت ومن يخرج؟ وهل يمكن تعيينها نوعيّاً وعدديّاً وإحصاؤها على سبيل الحصر والتحديد؟

أما الفرقة الناجية فليست محل خلاف بين أهل العلم المعتبرين، لأن تعيينها بالوصف قاطع لا شك فيه، وبيِّن لا لبس فيه، إلاَّ لمن عميت بصيرته، فلا حيلة فيه. فالفرقة الناجية وصفها الرسول ﷺ، بأنها: من كان على **ما** عليه الرسول ﷺ وأصحابه، وما كان عليه ﷺ وأصحابه، معلوم منقول مأثور مسطور، وهو السنّة وسبيل المؤمنين، وقد تكفّل الله تعالى ببقائه وحفظه وبقاء طائفة من الأمة عليه، ظاهرة بالحق، قائمة بالدين، والحمد لله.

وقبل أن أعرض أقوال أهل العلم، وشبهات أهل الأهواء ومزاعمهم، أشير إلى ما تقرر عند جمهور السلف وهو:

ـ أن وقوع الافتراق في الأمة أمر ثابت قطعاً في القرآن والسنَّة، والواقع يشهد له.

ـ أن الرسول ﷺ، صح عنه أن عدد الفرق الهالكة: ثنتين وسبعين، والناجية واحدة.

ـ أنه ﷺ، بيَّن أن الفرقة الناجية هم أهل السنَّة حيث كانوا على ما وصف، أي على ما كان عليه هو ﷺ، وأصحابه.

ـ أن الفرق الهالكة من أهل النار، لكن ليسوا كلهم من المخلدين في النار.

ـ أن من الفرق من يخرج عن مسمى جميع الفرق، لخروجهم من الملة أصلاً، وليسوا من عداد المسلمين كغلاة الجهمية، وغلاة الرافضة، والباطنية، والفلاسفة الخالصة، وأهل الحلول والاتحاد ووحدة الوجود، ومشركي أهل البدع الواقعين في الشرك الأعظم، **والله أعلم**.

ـ **أن تحديد الفرق** الثنتين والسبعين على سبيل التعيين، وتوزيع الأعداد تحديداً على أصول الفرق الكبرى أمر غيبي لا دليل عليه، وكذلك تسميتها من باب الأولى؛ لأن الافتراق يزداد، والأهواء والبدع تتجدد، وتنبعث في كل عصر، وإلى قيام الساعة، **والله أعلم**.

أصول الفرق الهالكة عند بعض العلماء، وإخراجهم الجهمية الخالصة من الثنتين والسبعين:

لقد اجتهد بعض الأئمة في تعيين أصول الفرق الهالكة، وتقسيم عددها على أصول الفرق الكبرى في زمانهم.

قال حفص بن حميد: «قلت لعبد الله بن المبارك: على كم افترقت هذه الأمة؟ فقال: الأصل أربع فرق: هم الشيعة، والحرورية، والقدرية، والمرجئة، فافترقت الشيعة على اثنتين وعشرين فرقة، وافترقت الحرورية على إحدى وعشرين فرقة، وافترقت القدرية على ست عشرة فرقة، وافترقت المرجئة على ثلاث عشرة فرقة. قال: قلت: يا أبا عبد الرحمن لم أسمعك تذكر الجهمية، قال: إنما سألتني عن فرق المسلمين».

قال أبو حاتم: «وأُخبرت عن بعض أهل العلم أول ما افترق من هذه الأمة الزنادقة والقدرية والمرجئة والرافضة والحرورية، فهذه جماع الفرق وأصولها، ثم تشعبت كل فرقة من هذه الفرق على فرق، وكان جماعها الأصل، واختلفوا في الفروع، فكفَّر بعضهم بعضاً، فافترقت الزنادقة على إحدى عشرة فرقة، وكان منها المعطلة والمنانية، وإنما سمّوا المنانية برجل كان يقال له: ماني كان يدعو إلى الاثنين، فزعموا أنه نبيهم وكان في زمن الأكاسرة، فقتله بعضهم»[1]. ثم ذكر الفرق تفصيلاً حيث ذكر أن عدد الزنادقة (١١) فرقة، والحرورية (١٨) فرقة، والرافضة (١٣) فرقة، والقدرية (١٦) فرقة، والمرجئة (١٤) فرقة، فيكون حاصل المجموع (٧٢) فرقة، وقد ذكرها بأسمائها[2].

وقال يوسف بن أسباط: «أهل البدع أربعة: الروافض، والخوارج، والقدرية، والمرجئة. ثم تتشعب كل فرقة ثماني عشرة طائفة فتلك اثنتان وسبعون فرقة، والثالث والسبعون الجماعة التي قال رسول الله ﷺ، إنها الناجية»[3].

ويرى أكثر أهل العلم أن الجهمية الخالصة خارجة من عداد الفرق لأنها كفرت بالتعطيل، وكذلك الباطنية وملاحدة الفلاسفة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «**ولهذا قال عبد الله بن المبارك ويوسف بن أسباط وغيرهما**: أصول البدع أربعة: الشيعة، والخوارج، والقدرية، والمرجئة. قالوا: والجهمية ليسوا من الثنتين وسبعين فرقة.

---

(١) الإبانة لابن بطة ١/ ٣٧٩، ٣٨٠.

(٢) انظر الإبانة ١/ ٣٨٠ ــ ٣٨٦.

(٣) الإبانة ١/ ٣٧٧.

وكذلك ذكر أبو عبد الله بن حامد عن أصحاب أحمد في ذلك قولين، هذا أحدهما، وهذا أرادوا به التجهم المحض، الذي كان عليه جهم نفسه، ومتبعوه عليه، وهو نفي الأسماء مع نفي الصفات، بحيث لا يسمى الله بشيء من أسمائه الحسنى، ولا يسميه شيئاً ولا موجوداً ولا غير ذلك»[١].

وقال أيضاً: «وشر منه نفاة الأسماء والصفات، وهم الملاحدة من الفلاسفة والقرامطة، ولهذا كان هؤلاء عند الأئمة قاطبة ملاحدة منافقين، بل فيهم من الكفر الباطن ما هو أعظم من كفر اليهود والنصارى، وهؤلاء لا ريب أنهم ليسوا من الثنتين وسبعين فرقة، وإذا أظهروا الإسلام فغايتهم أن يكونوا منافقين: كالمنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ، وأولئك كانوا أقرب إلى الإسلام من هؤلاء، فإنهم كانوا يلتزمون شرائع الإسلام الظاهرة، وهؤلاء قد يقولون برفعها فلا صوم ولا صلاة ولا حج ولا زكاة، لكن قد يقال: إن أولئك كانوا قد قامت عليهم الحجة بالرسالة أكثر من هؤلاء»[٢].

وقال أيضاً: «والجهمية عند كثير من السلف، مثل: عبد الله بن المبارك، ويوسف بن أسباط، وطائفة من أصحاب الإمام أحمد، وغيرهم، ليسوا من الثنتين والسبعين فرقة التي افترقت عليها هذه الأمة، بل أصول هذه عند هؤلاء هم: الخوارج، والشيعة، والمرجئة، والقدرية، وهذا المأثور عن أحمد، وهو المأثور عن عامة أئمة السنّة والحديث، أنهم كانوا يقولون: من قال: القرآن مخلوق: فهو كافر، ومن قال: إن الله لا يُرى في الآخرة: فهو كافر، ونحو ذلك»[٣].

---

(١) الفتاوى ١٧/ ٤٤٧.

(٢) الفتاوى ١٧/ ٤٤٧، ٤٤٨.

(٣) الفتاوى ١٢/ ٤٨٦، ٤٨٧.

قلت: وهذه المقولات، أعني: القول بخلق القرآن، وإنكار الرؤية، عليه طوائف من الرافضة[1] والخوارج المتأخرين[2]. فعلى هذه القاعدة يأخذون حكم الجهمية. والله أعلم.

ليس كل الفرق الهالكة خارجة عن الملة ولا كافرة:

والفرق الثنتين والسبعين الهالكة كلهم من أهل الوعيد، لكن ليسوا كلهم كفاراً، وليسوا كلهم خارجين من الملة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن قال: إن الثنتين وسبعين فرقة كل واحد منهم يكفر كفراً ينقل عن الملة، فقد خالف الكتاب والسنَّة وإجماع الصحابة ــ رضوان الله عليهم أجمعين ــ بل وإجماع الأئمة الأربعة وغير الأربعة، فليس فيهم من كفّر كل واحد من الثنتين وسبعين فرقة، وإنما يكفّر بعضهم بعضاً ببعض المقالات»[3].

وقال: «وأما من يقول ببعض التجهم: كالمعتزلة، ونحوهم الذين يتدينون بدين الإسلام باطناً وظاهراً، فهؤلاء من أمة محمد ﷺ، بلا ريب، وكذلك من هو خير منهم: كالكلابية والكرامية.

وكذلك الشيعة المفضلين لعلي، ومن كان منهم يقول: بالنص والعصمة مع اعتقاده بنبوة محمد ﷺ، باطناً وظاهراً، وظنه أن ما هو عليه هو دين الإسلام، فهؤلاء أهل ضلال وجهل، ليسوا خارجين عن أمة محمد ﷺ، بل هم من الذين فرقوا دينهم، وكانوا شيعاً»[4].

---

(١) انظر منهاج السنّة ٢/٢٤٨ ــ ٢٥٠، ٣١٥، ومقالات الإسلاميين ١/١١٤.
(٢) انظر الحق الدامغ للخليلي ٢٣ ــ ٩٦، ٩٩ ــ ١٨٧.
(٣) الفتاوى ١٧/٢١٨.
(٤) الفتاوى ١٧/٤٤٨.

وقال: «وإن كان من الثنتين والسبعين فرقة، فإنه ما من فرقة إلاَّ وفيها خلق كثير ليسوا كفاراً، بل مؤمنين، فيهم ضلال وذنب، يستحقون به الوعيد، كما يستحقه عصاة المؤمنين، والنبي ﷺ لم يخرجهم من الإسلام، بل جعلهم من أمته، ولم يقل: إنهم يخلدون في النار. فهذا أصل عظيم ينبغي مراعاته، فإن كثيراً من المنتسبين إلى السنَّة فيهم بدعة من جنس بدع الرافضة والخوارج. وأصحاب الرسول ﷺ علي بن أبي طالب وغيره لم يكفروا الخوارج الذين قاتلوهم»[1].

وقال: «فمن كفّر من الثنتين والسبعين فرقة كلهم فقد خالف الكتاب والسنَّة وإجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان، مع أن حديث الثنتين والسبعين فرقة ليس في الصحيحين، وقد ضعفه ابن حزم وغيره، لكن حسنه غيره أو صححه، كما صححه الحاكم وغيره، وقد رواه أهل السنن، وروي من طرق، وليس قوله: (**اثنتان وسبعين في النار وواحدة في الجنة**) بأعظم من قوله ــ تعالى ــ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [سورة النساء، الآية: ١٠]. وقوله: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [سورة النساء، الآية: ٣٠]. وأمثال ذلك من النصوص الصريحة بدخول من فعل ذلك النار»[2].

تحديد الفرق الثنتين والسبعين الهالكة وتسميتها غير ممكن:

لقد حاول بعض العلماء ومؤلفو كتب المقالات تسمية الفرق الثنتين والسبعين وتحديدها عدديّاً، وتوزيع ذلك على أصول الفرق الكبرى، وممن

(١) منهاج السنّة ٥/ ٢٤١.
(٢) منهاج السنّة ٥/ ٢٤٨، ٢٤٩.

فعل ذلك الإمام عبد الله بن المبارك[1]، ويوسف بن أسباط، وأبو حاتم الرازي[2]، والملطي في التنبيه[3]، والبغدادي في الفرق بين الفِرَق[4]، وابن الجوزي في تلبيس إبليس[5]، والشهرستاني في الملل والنحل[6]، والسكسكي في البرهان[7]، والعراقي في الفرق المفترقة «الفرق وأصناف الكفرة»[8]، وفخر الدين الرازي في اعتقادات فرق المسلمين والمشركين[9]، والمقريزي في خططه[10]، والجيلاني في الغنية[11]. وكل ذلك اجتهاد من هؤلاء لا يسنده دليل، لا سيما أن المسألة غيبية، فإن النبي ﷺ، حينما أخبر لم يتجاوز ذلك العدد، وقد أطلق المكان والزمان، فيبقى احتمال خروج الفرق إلى قيام الساعة، وعلى هذا فلا يستطيع أحد أن يحدد هذه الفرق على سبيل الجزم؛ لأن الأمر غيبي، والله أعلم.

دعوى كل فرقة أنها الناجية مردودة بالنصوص:

أما ما تتنازعه الفرق من أن كل واحدة تدّعي أنها الناجية، فإنه محسوم برده إلى كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، أما الكتاب فمثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٣١].

---

(١) انظر الإبانة ١/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠.
(٢) المصدر السابق ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٨٠ ـ ٣٨٦.
(٣) ص ١٨.
(٤) ص ٣٥.
(٥) ص ١٤٥.
(٦) ص ٢٢.
(٧) ص ٢١.
(٨) ص ٢٢ رسالة ماجستير تحقيق عبد الله بن سليمان العمر.
(٩) ص ١١٧.
(١٠) ص ٢٤٥.
(١١) ١/ ٣٨٦.

فاتباع الرسول ﷺ، هو الميزان، أما دعوى أهل الأهواء أنهم متبعون للرسول ﷺ، فهي مردودة بعرض أصولهم على السنّة ومنهج السلف، فمن كان على سبيل السلف ونهجهم فهو الحق، ومن خالف السنّة وهدي السلف ونهجهم فهو صاحب هوى، ولا تسلَّم له دعواه، بل تُرد.

وقوله ــ تعالى ــ : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٥٣].

وقوله ــ تعالى ــ : ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٧]. ومعلوم أن السلف لم يخوضوا في المتشابه ونحو ذلك، ولم يسلكوا التأويل ونَهَوا عن ذلك، فهم الناجون، أما أهل الأهواء فقد خاضوا، واتبعوا المتشابه، وأوّلوا، فهم أهل الزيغ والفتنة والضلال والأهواء والخصومات.

وقال ــ تعالى ــ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٥٩]. ومعلوم أن السلف ما فرقوا دينهم، بل كانوا على قول واحد، إنما الذين فرقوا دينهم: أهل الأهواء، وهم الفرق المفترقة.

أما السنّة فالميزان قوله ﷺ، عن الفرقة الناجية والجماعة: **(من كان على ما أنا عليه وأصحابي)**[(١)]، ومعلوم أن الذين كانوا هم السلف أهل السنّة والجماعة.

وقد حاول الشاطبي ردّ دعوى أهل الأهواء بأنهم الناجون فقال: «فإذا كان كذلك، فكل فرقة تنازع صاحبتها في فرقة النجاة. ألا ترى أن المبتدع آخذ أبداً في تحسين حالته شرعاً وتقبيح حالة غيره؟ فالظاهر يدعي أنه المتبع للسنّة.

---

(١) انظر تخريجه ص ٦٠.

والغاش (؟)[1] يدعي أنه الذي فهم الشريعة، وصاحب نفي الصفات يدعي أنه الموحد.

والقائل باستقلال العبد يدعي أنه صاحب العدل، وكذلك سمى المعتزلة أنفسهم: أهل العدل والتوحيد. والمشبه يدعي: أنه المثبت لذات الباري وصفاته؛ لأن نفي التشبيه عنده نفي محض، وهو العدم. وكذلك كل طائفة من الطوائف التي ثبت لها اتباع الشريعة أو لم يثبت لها.

وإذا رجعنا إلى **الاستدلالات** القرآنية أو السنّية على الخصوص، فكل طائفة تتعلق بذلك أيضاً: فالخوارج تحتج بقوله ﷺ: (**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله**)[2]. وفي رواية: (**لا يضرهم خلاف من خالفهم**). (**ومن قتل منهم دون ماله فهو شهيد**)[3]. والقاعد يحتج بقوله: (**عليكم بالجماعة، فإن يد الله مع الجماعة، ومن فارق الجماعة قيد شبر، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه**)[4]. وقوله: (**كن عبد الله المقتول، ولا تكن عبد الله القاتل**)[5]»[6].

قال: «والمرجئُ يحتج بقوله: (**من قال لا إله إلاَّ الله مخلصاً من قلبه فهو في الجنة وإن زنى وإن سرق**)[7]، والمخالف له محتج بقوله: (**لا يزني**

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) انظر تخريجه ص ٦٤ هامش (١).

(٣) مسند أحمد ١/ ٧٩، عن علي و ١/ ١٧٨، عن سعيد بن زيد و ٢/ ٢٦٣ عن ابن عمرو، والحاكم في المستدرك ٣/ ٦٣٩، والسيوطي في الجامع الصغير وحسَّنه ٢/ ٦٣١.

(٤) سبق تخريجه ص ٥٨.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/ ١١٠.

(٦) الاعتصام ٢/ ٢٥٣.

(٧) مسند أحمد ٦/ ٤٤٢، وانظر الفتح الرباني ١٤/ ٢١٦.

الزاني حين يزني وهو مؤمن)[1].

والقدريُّ يحتج بقوله ـ تعالى ـ : ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ﴾، وبحديث: (كل مولود يولد على الفطرة) الحديث[2].

والمفوض[3] يحتج بقوله ـ تعالى ـ : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾. وفي الحديث: (اعملوا فكلٌّ ميسَّر لما خُلِقَ له)[4].

والرافضة تحتج بقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : (ليردن الحوض أقوام، ثم ليتخلفن دوني، فأقول: يا رب أصحابـي! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)، ثم (؟)[5] (لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم)[6].

ويحتجون في تقديم عليّ ـ رضي الله عنه ـ : بـ (أنت مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبـي بعدي)[7]، و (من كنت مولاه فعليٌّ مولاه)[8].

ومخالفوهم يحتجون في تقديم أبـي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ بقوله: (اقتدوا باللذين من بعدي: أبـي بكر، وعمر)[9]. (ويأبـى الله

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في الحدود، باب (٦)؛ فتح الباري ١٢/ ٨١.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في الجنائز، باب (٧٩)؛ فتح الباري ٣/ ٢١٩.
(٣) المفوض أي في أن القدر بمعنى الجبر.
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في القدر باب (١) الحديث رقم (٢٦٤٨) ٤/ ٢٠٤١، ولفظه (اعملوا فكل ميسر)، وفي لفظ آخر (كل ميسر لما خلق له) الحديث (٢٦٤٩) ٤/ ٢٠٤١.
(٥) كذا في المطبوعة.
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه في الرقاق، باب (٥٣)؛ الفتح ١١/ ٤٦٤.
(٧) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة، باب (٩)؛ الفتح ٧/ ٧٠، ولفظه: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى).
(٨) مسند أحمد ١/ ٣٣١، وحسنه السيوطي في الجامع الصغير ١/ ٦٤٢.
(٩) مسند أحمد ٥/ ٣٨٢، وصححه السيوطي في الجامع الصغير ١/ ١٥٧.

والمسلمون إلاَّ أبا بكر)[1]، وإلى أشباه ذلك، مما يرجع إلى معناه.

والجميع محومون ـ في زعمهم ـ على الانتظام في سلك الفرقة الناجية، وإذا كان كذلك أشكل على المبتدع في النظر ما كان عليه النبي ﷺ، وأصحابه، ولا يمكن أن يكون مذهبهم مقتضى هذه الظواهر، فإنها متدافعة متناقضة. وإنما يمكن الجمع فيها إذا جُعِلَ بعضها أصلاً. فيردُّ البعض الآخر إلى ذلك الأصل بالتأويل»[2].

الطعن في حديث الافتراق أو التشكيك فيه وجوابه:

كثر في الآونة الأخيرة الطعن في حديث الافتراق، أو التشكيك فيه بناء على ضعف أكثر أسانيده، وغالب الذين يشككون في حديث الافتراق، قصدهم وصف الأمة كلها بالسلامة والنجاة والاستقامة، وإزالة الفوارق العقدية والمذهبية، مع العلم أن الإخبار القاطع عن وقوع الافتراق في الأمة ليس مقصوراً على حديث الافتراق الذي ذكر فيه عدد الفرق الثلاث والسبعين رغم شهرته وصحته بمجموع طرقه وتلقيه بالقبول من الأمة. وهذا الإنكار أو الشك ناتج عن عدة أسباب ترجع إلى حال القائل بهذا القول.

فالغالب ممن يذهبون هذا المذهب أنه ناتج عن الجهل: الجهل بسنن الله تعالى، والجهل بالشرع (نصوص القرآن والسنّة) أو الجهل بالواقع، والجهل بآثار السلف.

أما سنّة الله ــ تعالى ــ فهي: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [سورة هود، الآيتان: ١١٨، ١١٩]. ومن رحم ربك هم أهل السنّة.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب (١)، الحديث (٢٣٨٧) ص (١٨٥٧).

(٢) الاعتصام ٢/ ٢٥٤، ٢٥٥.

وأما الجهل بالشرع: فإن النصوص متواترة في الإخبار عن وقوع الافتراق في الأمة، في القرآن والسنّة، وقد ذكر طائفة منها، وإجماع السلف.

أما الجهل بالواقع: فإن من تأمل حال الأمة اليوم يجد أنها شِيع، وأحزاب، وطوائف مشتتة بين الفرق القديمة والاتجاهات الجديدة، وكل يغني على ليلاه، فمن لم يدرك هذا الواقع، أو من يتجاهله فهو جاهل. وإن كان قصده جمع شمل الأمة على كلمة سواء وحسن الظن بها، فإن هذا حق لكنه مشروط باتباع الحق وسبيل المؤمنين. لا مجرد دعوى الإسلام.

أما الجهل بآثار السلف: فإن السلف مجمعون على أن في الأمة طوائف فارقت السنّة والجماعة: كالخوارج، والرافضة، والقدرية، وأهل الكلام، وغيرهم.

وقد يكون منكر حديث الافتراق (مرجئاً) يرى أن من صدق فهو مؤمن، وأظن هذا الصنف ليس بقليل خاصة بين المفكرين والأساتذة والمشايخ الذين ينتمون للفرق الكلامية، وهم أكثرية في العالم الإسلامي اليوم.

وقد يكون من طائفة (الطلقاء) من بعض أصحاب الفكر الإسلامي الحديث، الذين لا يلتزمون العقيدة، ويعتمدون على مجرد العواطف، أو بعض الأدباء الذين يحلمون بجمع الأمة تحت أي شعار.

أو من طائفة (الزنادقة) كالحداثيين والفلاسفة وغلاة الصوفية والدجاجلة.

وطائفة منهم لا يستهان بعددها، عرفناهم من الرافضة والباطنية وأتباع الفرق الأخرى، فإنهم من أكثر الناس ترويجاً لدعوى إلغاء الفوارق العقدية،

وضرورة التقريب والتقارب بين الفرق، ولا أعرف أحداً يدعو إلى الحق والاجتماع على السنّة إلاَّ أهل السنّة، وهذا من أبرز سماتهم اليوم، وقبل اليوم، ودائماً بحمد الله. فهم يدعون إلى اجتماع الكلمة على الحق، ووحدة الصف تحت راية التوحيد، وجمع الشمل حول السنّة، والاعتصام بحبل الله، لا الشعارات والأهواء.

أما الآخرون فيقولون: نجتمع على ما نحن عليه، ونتقارب ونلغي الفوارق العقدية، وكل على ما هو عليه! وأحسنهم من يقول: «نجتمع ونتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه»، وهذا حق ومن أعظم غايات الدين، إذا قصد به الأحكام والاجتهادات، ولعل هذا مقصود أول من أطلقها في العصر الحديث[1]، لكنها أريد بها الباطل حينما صارت شعاراً للتجميع العقدي دون تمييز بين الحق والباطل، ولا السنّة والبدعة، ولا التوحيد والشرك، بل أرادوا منها التفاف الناس جميعاً تحت شعارات ورايات تقوم على الخلط ومداهنة أهل الأهواء والافتراق، والتنازل عن (السنّة والجماعة) و (السلف) لئلا نجرح شعور الآخرين! إن هذا هو التفريط في الحق، والإفراط في الإرجاء، ومصانعة أهل الأهواء، وقد نهانا الله عن ذلك: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [سورة هود، الآية: ١١٣].

هؤلاء وأولئك فيهم المشككة أو الطاعنون في حديث الافتراق، فافهم رعاك الله.

(١) هو حسن البنا رحمه الله.

أنموذج من الطاعنين في حديث الافتراق:

ويتمثل الطعن في حديث الافتراق في مثل اعتراض الدكتور عبد الرحمن بدوي، فما رأيت أجهل ولا أحمق من اعتراضاته على الحديث، ولا أبعد عن العلمية والموضوعية، فضلاً عن الإسلام والتسليم بخبر الرسول ﷺ، فأسلوبه في الطعن في الحديث من التهافت بحيث لا يحتاج إلى تكلف في الرد، وقد لخَّص هذه المطاعن فيما يلي:

قال: «**أولاً**: أن ذكر هذه الأعداد المحدد المتوالية: **٧١، ٧٢، ٧٣** أمر مفتعل لا يمكن تصديقه، فضلاً عن أن يصدر مثله عن النبي»[١]. هكذا! بلا برهان ولا سبب.

«**ثانياً**: أنه ليس في وسع النبي أن يتنبأ مقدماً بعدد الفرق التي سيفترق إليها المسلمون»[٢]. ولست أدري لماذا وسع النبي ﷺ، أن يتنبأ بما أطلعه الله عليه من أمور الغيب التي لا تكاد تحصى (وإنما سمي النبي نبيّاً لأن الله تعالى يوحي إليه من أنباء الغيب)، فقد أخبر ﷺ بأشراط الساعة، والبعث، واليوم الآخر، وكثير من حوادث التاريخ الماضية والمستقبلة، أفلا يكون بوسعه ﷺ، أن يتنبأ بعدد الفرق الذي أطلعه الله عليه؛ فهو ﷺ لا ينطق عن الهوى.

ثم قال البدوي: «**ثالثاً**: لا نجد لهذا الحديث ذكراً فيما ورد إلينا من مؤلفات في القرن الثاني، بل ولا الثالث، ولو كان صحيحاً لورد في عهد متقدم»[٣].

---

(١) مذاهب الإسلاميين ١/ ٣٤.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.

وهذا جهل مركب من هذا الرجل وأمثاله، فإن السنّة لم تدون تدويناً شاملاً إلاَّ في القرن الثالث وبعده. وأمر آخر وهو أن دعواه ساقطة، فإن الذين رووا هذا الحديث هم مصنفوا السنن والمسانيد في القرن الثالث الهجري، منهم:

١ ــ ابن أبي شيبة (ت ٢٣٥).

٢ ــ الإمام أحمد (ت ٢٤١).

٣ ــ الدارمي (ت ٢٥٥).

٤ ــ ابن ماجه (ت ٢٧٣).

٥ ــ أبو داود (ت ٢٧٥).

٦ ــ الترمذي (ت ٢٧٩).

٧ ــ ابن وضاح (ت ٢٨٦).

٨ ــ ابن أبي عاصم (ت ٢٨٧).

فالحديث مروي في عصر التدوين للسنَّة (القرن الثالث)، قال شيخ الإسلام في حديث الافتراق: «الحديث مشهور في السنن والمسانيد»[(١)].

علماً بأن كون الحديث لم يدون إلاَّ متأخراً لا يعد مطعناً، وليس هذا من مقاييس أهل العلم، إنما اخترعه من جعبته.

وقال: «**رابعاً**: أعطت كل فرقة لختام الحديث الرواية التي تناسبها، فأهل السنّة جعلوا الفرقة الناجية هم أهل السنّة!، والمعتزلة جعلوه فرقة المعتزلة»[(٢)]، وهكذا جعل أهل السنّة كالمعتزلة، يضعون بأهوائهم ما يؤيد فرقتهم.. وهذا المبدأ ينسف كل السنّة؛ لأن أهل السنّة هم رواة الحديث

---

(١) الفتاوى ٣/ ٣٤٥.

(٢) مذاهب الإسلاميين ١/ ٣٤.

العدول الثقات، فإذا ورد افتراض تصنيفهم وضاعاً كأهل الأهواء كانت القاضية، لكن عزاؤنا أن هذا كلام ساقط لم يصدر ممن يعتد به في الدين، ولم يستند إلى ما يستحق الوقوف عنده، وهكذا نرى في موقف هذا الرجل أكثر سمات أهل الأهواء: من الجهل، والتعالم، والغرور، وتحكيم العقل في الشرع، وعدم التسليم لله تعالى ولرسوله ﷺ، وقلة احترام الأئمة، وعدم الاعتداد بأقوالهم ومناهجهم، وضعف الحجة.. إلخ، فتأمل حفظك الله، وحسبنا الله ونعم الوكيل.



المقدمة الخامسة

قواعد عامة في الأهواء والافتراق



قواعد عامة في الأهواء والافتراق

(١)
الرسول ﷺ وأصحابه هم القدوة في الدين

الرسول ﷺ هو القدوة في الدين، ثم أصحابه ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ لأن الله ـ تعالى ـ زكَّاهم، ولأن الرسول ﷺ رباهم، وتوفي وهو عنهم راضٍ، ولم تظهر فيهم الأهواء والبدع والمحدثات في الدين. فإن الحق والهدى يدوران معهم حيث داروا، ولم يجمعوا إلاَّ على حق. بخلاف غيرهم من الطوائف، والمنتسبين للأشخاص والشعارات والفرق فإنهم قد يُجمعون على ضلالة.

والسلف الصالح من: التابعين، وتابعيهم، وأئمة الهدى في القرون الثلاثة الفاضلة، كانوا على منهاج النبوة وسبيل الصحابة، لم يغيروا، ولم يبدلوا.

وعلى هذا المنهج سار أئمة الدين وأهل السنّة إلى يومنا، وإلى أن تقوم الساعة، ملتزمون بما جاء في الكتاب والسنَّة، ومقتفون لأثر النبي ﷺ والسلف الصالح، والحمد لله.

قال شيخ الإسلام: «والواجب على كل مسلم يشهد: أن لا إله إلاَّ الله وأن محمداً رسول الله. أن يكون أصل قصده توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له، وطاعة رسوله يدور على ذلك، ويتبعه أين وجده، ويعلم أن

أفضل الخلق بعد الأنبياء هم الصحابة، فلا ينتصر لشخص انتصاراً مطلقاً عامّاً إلاَّ لرسول الله ﷺ ولا لطائفة انتصاراً مطلقاً عامة إلاَّ للصحابة ــ رضي الله عنهم أجمعين ــ فإن الهدى يدور مع الرسول حيث دار، ويدور مع أصحابه دون أصحاب غيره حيث داروا، فإذا أجمعوا لم يجمعوا على خطأ قط، بخلاف أصحاب عالم من العلماء، فإنهم قد يجمعون على خطأ»[1].

وقد توعد الله ــ تعالى ــ من يحيد عن هذه الطريق، قال ــ تعالى ــ: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [سورة النساء، الآية: ١١٥].



(١) منهاج السنّة ٥/ ٢٦١، ٢٦٢.

(٢)
مصادر تلقي العقيدة

ـ **مصادر تلقي العقيدة الحق**، هي: الكتاب، والسنَّة، وإجماع السلف. وهذه هي مصادر الدين.

ـ **وإذا اختلفت فهوم الناس لنصوص الدين**، فإن فهم السلف هو الحجة، وهو القول الفصل في مسائل الاعتقاد.

ـ **ومنهج السلف في تقرير العقيدة هو الأعلم والأسلم والأحكم**. ويتمثل ذلك بآثارهم المبثوثة في مصنفاتهم، وفي كتب السنَّة والآثار.

ـ **والعقيدة توقيفية** لا يجوز تلقيها من غير الوحي.

ـ **والعقيدة غيبية في تفصيلاتها**، فلا تدركها العقول استقلالاً، ولا تحيط بها الأوهام.

ـ **وكل من حاول تقرير العقيدة من غير مصادرها الشرعية** فقد افترى على الله كذباً، وقال على الله بغير علم.

ـ **كما أن العقيدة مبناها على التسليم والاتباع:**

التسليم لله ـ تعالى ـ .

والاتباع لرسوله ﷺ.

قال الزهري: «من الله ـ عز وجل ـ الرسالة، وعلى الرسول ﷺ

البلاغ، وعلينا التسليم»[1].

ـ والصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وأئمة التابعين وتابعيهم وأعلام السنَّة كانوا على هدي رسول الله ﷺ، وسبيلهم هو سبيل المؤمنين، وآثارهم هي السنّة والطريق المستقيم، قال الأوزاعي: «عليك بآثار من سلف، وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوه لك بالقول، فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم»[2].

وبهذا يتبين الفارق بين أهل السنّة وأهل الأهواء.

ـ **فأهل السنّة** يذعنون ويسلمون للوحي، وأهل الأهواء ينازعون في ذلك.

ـ **وأهل السنّة** يتبعون السلف، وأهل الأهواء يجانبون آثار السلف.

ـ **وأهل السنّة** يعتقدون أن مبنى الدين على التصديق والإذعان والتسليم والطاعة لله ـ تعالى ـ ولرسوله ﷺ ولسبيل المؤمنين، وأهل الأهواء يعتمدون على عقولهم وعلمهم ومعرفتهم وأهوائهم.

فلذلك تعددت مصادر الدين عند أهل الأهواء، من الرأي، والعقل، والأوهام، والظنون، والذوق، وإيحاء الشياطين، وآراء الرجال، والفلسفات، والروايات الضعيفة والمكذوبة، وما لا أصل له كدعوى الكشف والعلم المدني، والتلقي عن مصادر وهمية ومجهولة، والتلقي عن الأمم الضالة والفرق الهالكة.

تنبيه:

إياك أخي الكريم أن تعتمد في فهم عقيدة السلف الصالح ومناهجهم

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب التوحيد، باب (٤٦)؛ والفتح ١٣/٥٠٨.
(٢) تاريخ الإسلام للذهبي (١٤١ ـ ١٦٠) / ٤٩٠.

في الدين على كتب المقالات والتاريخ والأدب والتفسير ونحوها، فإن أكثرها مما كتبه خصومهم (إلاَّ القليل).

فغالب كتب المقالات والنحل من تصنيف المعتزلة، أو الشيعة أو أهل الكلام الذين ينقلون عن هذه الطوائف، والذين يخالفون عقيدة السلف ومناهجهم.

وأفضل من صنف في عقائد الفرق من أهل المقالات (غير أئمة الحديث) أبو الحسن الأشعري، ومع ذلك فهو ينقل كثيراً من كتب المعتزلة وعباراتهم[1].

فلا تعتمد في نقل عقيدة السلف وفهمها والحكم عليها على أمثال:

النوبختي (شيعي) والبغدادي (متكلم)
والقمي (شيعي) والإسفراييني (متكلم)
والكلبي وابنه (شيعيان) والشهرستاني (متكلم)
المسعودي (شيعي معتزلي) والعراقي (متكلم)
والقاضي عبد الجبار (معتزلي) والغزالي (متكلم صوفي)
والرازي (متكلم).

ونحوهم.

إنما تتلقى عقيدة السلف من مصادرهم الخالصة وهي بعد كتاب الله ـ تعالى ـ :

١ ـ **كتب السنّة والحديث** المعتمدة عند السلف.

٢ ـ **مصنفات أئمة الحديث في العقيدة** والرد على الخصوم، وكتب الآثار لهم، أمثال: الإمام أحمد، ومالك، والشافعي، والبخاري، والدارمي

(١) انظر: الفتاوى ٨/ ١١٥.

عثمان بن سعيد، والدارمي صاحب السنن، وابن قتيبة، والطبري، والبرِبهاري، وابن خزيمة، وابن بطة، واللالكائي، والملطي، والصابوني، والآجري، والطحاوي، والهروي[1]، وابن عبد البر، وابن تيمية، وابن القيم، وابن رجب، والذهبي، ونحوهم ممن سار على نهجهم.

٣ ــ **المصنفات الشاملة في العقيدة** والرد على خصومها لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهما.

٤ ــ **كتب الرجال** التي صنفها أئمة السنّة والحديث، كالإمام أحمد والبخاري وابن حجر والذهبي والخطيب البغدادي.. ومن سار على نهجهم.



(١) شيخ الإسلام الأنصاري الهروي من أنصار التصوف، وله فيه هفوات، لكنه نصر عقيدة السلف وقارع أهل الكلام وكشف عوارهم.

(٣)

السلف أهل السنّة والجماعة
لا يختلفون في أصل من الأصول

من سمات أهل السنّة والجماعة، السلف الصالح، أنهم لا يختلفون ولم يختلفوا في أصل من أصول الدين، وقواعد الاعتقاد، فقولهم في مسائل الاعتقاد قول واحد بحمد الله، كما قال ابن قتيبة: «إن أهل السنّة لم يختلفوا في شيء من أقوالهم إلاَّ في مسألة اللفظ»[١] يعني بذلك اللفظ بالقرآن هل هو مخلوق، أو غير مخلوق؟ ومع ذلك فإن خلافهم في هذا ــ كما عند البخاري والإمام أحمد ــ خلاف لفظي حيث يجمعون على الأصل وهو أن القرآن كلام الله ــ تعالى ــ غير مخلوق.

بخلاف أهل البدع، فإنهم لا يوافقون أهل السنّة في الأصول أو بعضها، كما أنهم لا يتفقون على أصولهم، بل كل حزب بما لديهم فرحون، بل إن الفرقة الواحدة منهم لا يتفق أفرادها على أصل كل الاتفاق.

أما عند أهل السنّة (بحمد الله): فهم يتفقون جملةً وتفصيلاً أئمتهم وعامتهم على أصول العقيدة.

فقول أهل السنّة في صفات الله ــ تعالى ــ وأسمائه وأفعاله واحد.

وقولهم في الكلام والاستواء والعلو لا يختلف.

---

(١) درء التعارض ١/ ٢٦٣.

وقولهم في الرؤية وسائر السمعيات لا يختلف.

وقولهم في الإيمان وتعريفه ومسائله واحد. وكذلك أصول الإيمان.

وقولهم في القدر واحد.

وقولهم في الأسماء والأحكام لا يختلف.

واختلاف أهل السنّة إنما كان في الاجتهاديات من أمور الأحكام، أو فرعيات المسائل الملحقة بالعقيدة مما لم يقطع به بنص قاطع، وذلك:

كمسألة اللفظ بالقرآن، ومسألة رؤية النبي ﷺ لربه في المعراج هل كانت يقظة أم مناماً، ومسألة رؤية الله ــ تعالى ــ في المنام، ومسألة ابن صياد هل هو الدجال الذي يخرج في آخر الزمان أو غيره، ونحو ذلك.

وهذه الأمور ونحوها ليست من أصول الاعتقاد، والخلاف فيها دائر مع النصوص، لم يقل فيها السلف برأيهم. والله أعلم.

ومرد ذلك ــ أي اتفاق السلف ــ إلى أمور كثيرة منها:

١ ــ **اعتصامهم بحبل الله جميعاً**.

٢ ــ **أن مصدرهم واحد** هو كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ بخلاف أهل الأهواء، فإنهم تعددت مصادرهم من القول بالرأي فيما لا تدركه الآراء، والتعويل على العقليات فيما لا طاقة للعقول به، والأخذ عن الفلاسفة والأمم الهالكة وقد نهوا عن ذلك.

٣ ــ **أن اعتقادهم ابتداءً** يقوم على التسليم لله ــ تعالى ــ وتصديق رسوله ﷺ بخلاف أهل الأهواء فإنهم لم يسلموا ولم يذعنوا، وإن ادعى بعضهم ذلك، لأن مقتضى التسليم التزام ألفاظ الشرع.

٤ ــ **أنهم انتهوا عما نهى الله عنه**، فلم يخوضوا في الغيبيات، ولم يقولوا على الله بغير علم، ولم يجادلوا ولم يماروا، ولم يؤولوا.. بخلاف أهل الأهواء فقد ارتكبوا جميع هذه المنهيات.

٥ ـ **أنهم تلقوا الدين بالاهتداء والاقتداء والاتباع على بصيرة**. فقد أخذوا الدين عن العدول الثقات بدليله.

فالصحابة أخذوا عن رسول الله ﷺ، والتابعون أخذوا عن الصحابة، وهكذا حمل هذا الدين من كل خلف عدوله، ومن كل جيل ثقاته، ومن كل عصر علماؤه.

بخلاف أهل البدع والأهواء فقد تعددت مناهجهم في تلقي الدين، وخلطوا في وسائلهم وأساليبهم حتى تقطعت بهم السبل، نسأل الله العافية.



(٤)

اختلاف الصحابة لم يصل إلى التنازع والافتراق

اختلف الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ بعد رسول الله ﷺ في مسائل مهمة وأمور خطيرة، لكن اختلافهم كان ينتهي إما بالإجماع، أو العمل على ما يترجح، أو يَفصل في الأمور الخليفةُ أو أهل الحل والعقد، أو يبقى الخلاف سائغاً، وفي ذلك كله لم يصل الأمر عندهم إلى حد التنازع في الدين، ولا الافتراق والخروج على الجماعة، ولم يبغ بعضهم على بعض.

ــ **فقد اختلفوا في موت الرسول ﷺ** وانحسم النزاع بموقف أبـي بكر وقوله: «من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت»، وتلا قوله ــ تعالى ــ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٤٤].

وبهذا انتهى النزاع[١]، وسلم الجميع لقضاء الله سبحانه وتعالى.

ــ **ثم حدثت قصة السقيفة وتنازع الصحابة فيمن يخلف رسول الله ﷺ** في إمامة المسلمين، وانتهى النزاع واجتمعت الكلمة على أبـي بكر ــ رضي الله عنه ــ[٢].

ــ **ثم اختلفوا في جيش أسامة هل يسيّرونه أو لا؟** وانتهى النزاع بعزم

(١) انظر: منهاج السنّة ٦/ ٣٢٣.

(٢) انظر: منهاج السنّة ٦/ ٣٢٥؛ والبداية والنهاية ٦/ ٢٤٥ ــ ٢٥٠.

أبـي بكر ـ أمير المؤمنين ـ على إنفاذه[1].

ـ **ثم تنازعوا في مانعي الزكاة** من أهل الردة، وحسم النزاع بعزمة أبـي بكر على قتالهم[2].

ثم إن الغالبية العظمى من أصحاب رسول الله ﷺ لم يشاركوا في صفين والجمل. فإن الفتنة لما حدثت بعد مقتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ اعتزلها أكثر الصحابة وما حضرها منهم إلاّ القليل، وماكانوا يريدون القتال، إنما قَصْدُهم الإصلاح، بخلاف من دونهم من أهل الأهواء: السبئية ـ الخوارج والشيعة ـ فإنما هم أصحاب أهواء وفتنة.

قال عبد الله بن الإمام أحمد: «حدثنا أبـي، حدثنا إسماعيل يعني ابن علية، حدثنا أيوب السختياني، عن محمد بن سيرين، قال: هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرة آلاف، فما حضرها منهم مائة، بل لم يبلغوا ثلاثين»[3].

قـال شيـخ الأسـلام: «وهـذا الإسنـاد مـن أصح إسنـاد علـى وجـه الأرض»[4].

وقد جمع الله شمل الأمة بعد الفتنة بتنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية ـ رضي الله عنهما ـ عام الجماعة (٤١ هـ).

وأخرجه الخلال في السنّة بالسند السابق قال: «قرىء على عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبـي قال: ثنا إسماعيل قال: ثنا أيوب عن محمد بن

---

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٦/ ٣٠٤، ٣٠٥.
(٢) انظر: البداية والنهاية ٦/ ٣١١.
(٣) منهاج السنّة ٦/ ٢٣٦؛ والسنّة للخلال ١/ ٤٤٦.
(٤) منهاج السنّة ٦/ ٢٣٦، ٢٣٧.

سيرين قال: هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرة آلاف فما حضر فيها مائة، بل لم يبلغوا ثلاثين»[1].

وقال: «قرىء على عبد الله بن أحمد قال: حدثني أبـي قال: ثنا سفيان قال: ثنا منصور بن عبد الرحمن قال: قال الشعبـي: لم يشهد الجمل من أصحاب النبـي ــ عليه السلام ــ غير علي، وعمار، وطلحة، والزبير. فإن جاوزوا بخامس فأنا كذاب»[2].

وقال شيخ الإسلام: «ولهذا لم تحدث في خلافة عثمان بدعة ظاهرة، فلما قُتل وتفرَّق الناس حدثت بدعتان متقابلتان: بدعة الخوارج المكفِّرين لعلي، وبدعة الرافضة المدّعين لإمامته وعصمته، أو نبوته أو إلآهيته.

ثم لما كان في آخر عصر الصحابة، في إمارة ابن الزبير وعبد الملك، حدثت بدعة المرجئة والقدرية. ثم لما كان في أول عصر التابعين في أواخر الخلافة الأموية حدثت بدعة الجهمية المعطلة والمشبّهة الممثلة. ولم يكن على عهد الصحابة شيء من ذلك»[3].

والذين بقوا من الصحابة بعد ظهور الفرق لم يقع من أحد منهم افتراق ولا بدع مخرجة عن السنّة، بل كانوا إلباً على الأهواء والبدع.



---

(١) السنّة للخلال ٢/ ٤٦٦، وقال المحقق: «إسناده صحيح».
(٢) السنّة للخلال ٢/ ٤٦٦، وقال المحقق: «إسناده صحيح».
(٣) منهاج السنّة ٦/ ٢٣١.

(٥)

وكذلك بدع التأويل للصفات
لم تحدث في عهد الصحابة ولا منهم

فإن جميع ما في القرآن والسنّة من نصوص الصفات لم يحدث عن الصحابة تأويل لها على نحو ما فعل أهل الكلام، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنه طالع التفاسير المنقولة عن الصحابة وما رووه من الحديث في أكثر من مائة تفسير، ولم يجد عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئاً من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف، بل ثبت عنهم ما يخالف كلام المتأولين ما لا يحصيه إلاَّ الله[١].

ويقول ابن القيم: «وقد تنازع الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ في كثير من مسائل الأحكام، وهم سادات المؤمنين، وأكمل الناس إيماناً، ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال»[٢].

وكل المسائل التي تنازع فيها الصحابة كانت من قبيل الاجتهادات والأحكام، ولم تؤد إلى الفرقة ولا المنازعة بينهم.

ومع أن الفرق الأولى (الشيعة والخوارج ثم القدرية) نشأت في عهد

---

(١) انظر: الفتاوى ٦/ ٣٩٤.

(٢) أعلام الموقعين ١/ ٧١.

الصحابة إلاَّ أنهم كانوا خصومها كلهم، ولم يكن أحد منهم يتهم بشيء من الأهواء (حاشاهم) ومن زعم شيئاً من ذلك فقد افترى.

فالصحابة لم يحدث منهم افتراق ولا بدع، فلم يحدث من أحد منهم أن قال ببدعة أو فارق الجماعة، ولم يكن أحد منهم من أهل البدع المشهورة: كالخوارج والروافض والقدرية والمرجئة، فضلاً عن الجهمية والمعتزلة وأهل الكلام وقد حدثوا من بعدهم[1].

أما ما تزعمه بعض الفرق من أن بعض الصحابة كانوا على مذهبها فهو محض باطل وبهتان.

كما زعمت الرافضة أن عليّاً والحسن والحسين وسلمان والمقداد على مذهبها وهو محض افتراء.

وكما زعمت المعتزلة أن ابن عمر والصحابة الذين اعتزلوا الفتنة منهم وهو كذب.

وكما زعمت الصوفية أن أهل الصفة كانوا على مذاهبها وأحوالها وأنها امتداد لهم، وهذا بهتان عظيم.

وكذلك مزاعم بعض أصحاب الاتجاهات المعاصرة أن بعض الصحابة على مذهبهم كزعم الاشتراكيين أن أبا ذر كان اشتراكيّاً، ونحو ذلك.. كل ذلك محض كذب وافتراء.

كما أن الصحابة لم يكفّر أحد منهم الآخر، بل كانوا يعذر بعضهم بعضاً فيما اختلفوا فيه، ولما حدثت الفتنة وانحاز بعض الصحابة إلى علي ــ رضي الله عنه ــ وآخرون إلى معاوية ــ رضي الله عنه ــ لم يوجب ذلك عداوة بينهم ولم يكفّر بعضهم بعضاً، ولم يكفّر أحد منهم مخالفيه لا من الصحابة ولا غيرهم.

---

(١) انظر: الفتاوى ٢٧/ ٣٨٩، ٣٩٠.

قال شيخ الإسلام: «قال محمد بن عبيد: حدثنا الحسن ـ وهو ابن الحكم النخعي ـ عن رباح بن الحارث قال: إنا لبوادٍ، وإن ركبتي لتكاد تمس ركبة عمار بن ياسر إذ أقبل رجل فقال: كفر والله أهل الشام. فقال عمار: لا تقل ذلك، فقبلتنا واحدة، ونبينا واحد، ولكنهم قوم مفتونون، فحق علينا قتالهم حتى يرجعوا إلى الحق.

وبه قال ابن يحيى: حدثنا قبيصة، حدثنا عمار بن سفيان، عن الحسن بن الحكم، عن رباح بن الحارث، عن عمار بن ياسر قال: ديننا واحد، وقبلتنا واحدة، ودعوتنا واحدة، ولكنهم قوم بغوا علينا فقاتلناهم.

قال ابن يحيى: حدثنا يعلى، حدثنا مسعر عن عبد الله بن رباح، عن رباح بن الحارث قال: قال عمار بن ياسر: لا تقولوا: كفر أهل الشام، قولوا: فسقوا، قولوا: ظلموا»[1].

أما الذين يذادون عن الحوض فهم أهل الأهواء:

قال الشاطبي في حديث الذين يذادون عن الحوض: «حملهُ جماعة من العلماء على أنهم **أهل البدع**، وحمله آخرون على **المرتدين عن الإسلام**، والذي يدل على الأول ما خرَّجه خيثمة بن سليمان عن يزيد الرقاشي قال: سألت أنس بن مالك فقلت: إن ها هنا قوماً يشهدون علينا بالكفر والشرك، ويكذِّبون بالحوض والشفاعة، فهل سمعت من رسول الله ﷺ في ذلك شيئاً؟ قال: نعم! سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**بين العبد والكفر أو الشرك ترك الصلاة، فإذا تركها فقد أشرك، وحوضي كما بين أيلة إلى مكة، أباريقه كنجوم السماء، أو قال: كعدد نجوم السماء، له ميزابان من الجنة، كلما نضب أمداه، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، وسيرده أقوام ذابلة**

(١) منهاج السنّة ٥/٢٤٦.

شفاههم، فلا يطعمون منه قطرة واحدة. من كذب به اليوم لم يُصِب منه الشرب يومئذٍ)[1].

فهذا الحديث على أنهم من أهل القبلة، فنسبتهم أهل الإسلام إلى الكفر من أوصاف الخوارج. والتكذيب بالحوض من أوصاف أهل الاعتزال وغيرهم»[2].

لم تظهر معارضة النصوص بالقواعد العقلية والفلسفية إلاَّ في القرن الثاني:

وفي عصر الصحابة وكبار التابعين إلى نهاية القرن الأول الهجري لم تظهر بدعة معارضة النصوص بالمقاييس والقواعد العقلية والفلسفية حتى بدأت أصول الجهمية التي أظهرها الجعد بن درهم المقتول سنة (١٢٤هـ).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومعلوم أن عصر الصحابة وكبار التابعين لم يكن فيه من يُعارض النصوص بالعقليات، فإن الخوارج والشيعة حدثوا في آخر خلافة عليٍّ، والمرجئة والقدرية حدثوا في أواخر عصر الصحابة، وهؤلاء كانوا ينتحلون النصوص، ويستدلون بها على قولهم، لا يدعون أنهم عندهم عقليات تعارض النصوص.

ولكن لمَّا حدثت الجهمية في أواخر عصر التابعين، كانوا هم المعارضين للنصوص برأيهم، ومع هذا فكانوا قليلين مقموعين في الأمة.

وأولهم الجعد بن درهم، ضحى به خالد بن عبد الله القسري»[3].

---

(١) أشار إليه ابن حجر في فتح الباري، وعزاه للبيهقي في (البعث)، وقال: «ويزيد ضعيف ولكن يقويه ما مضى، ويشبه أن يكون الكلام الأخير من قول أنس»، فتح الباري ١١/٤٦٨.

(٢) الاعتصام ١/ ٧٢.

(٣) درء التعارض ٥/ ٢٤٤.

(٦)
تأريخ ظهور مصطلح (أهل السنّة) مقابل أهل الأهواء والافتراق

لمَّا كثرت الأهواء والفرق في أول القرن الثاني ظهر مصطلح أهل السنّة، لأن الناس قبل ذلك كانوا كلهم على السنّة، وبعده برزت الأهواء وأهلها فكان لا بد من التمييز بين أهل البدعة وبين أهل السنّة، لحفظ الدين والرواية وعقيدة الأمة. قال ابن سيرين ـ رحمه الله ـ (ت ١١٠هـ): «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنّة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»[١].

وهذا من حيث الظهور والاشتهار، أما من حيث الأصل الشرعي: فإن السنّة والجماعة مما أمر به الرسول ﷺ، فقال: (**عليكم بسنتي**...)[٢] الحديث، وقال: (**وعليكم بالجماعة**...)[٣] الحديث.



(١) أخرجه مسلم في صحيحه (المقدمة) ١/ ١٥.
(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنن ١/ ٢٩ وصححه الألباني.
(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنّة ١/ ٤٢، ٤٣ وصححه الألباني.

(٧)

أول أصل افترقت به الفرق الأولى

أول مقولة فرقت بين الأمة ودخلت في أصول سائر الفرق الأولى: الخوارج، والقدرية، والجهمية، والجبرية، والمعتزلة، ومتأخري الشيعة، والزيدية، والمرجئة، هي مسألة مرتكب الكبيرة أو الفاسق الملِّي[١].

ـ **فالخوارج** كفروا بالذنوب (مرتكب الكبيرة) في الدنيا، وقالوا: إنه مخلد في النار إذا مات على كبيرة، وتفرع عن هذا الأصل عندهم أصول خطيرة، منها خروجهم على جماعة المسلمين وإمامهم، وتكفير بعض الصحابة، واستحلال الدماء، والأموال، وإنكار الشفاعة، وغير ذلك.

ـ **والمعتزلة قالوا**: إن مرتكب الكبيرة في الدنيا في المنزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر، وفي الآخرة مخلد في النار، وترتب على هذا الأصل الفاسد أصول أخرى مثل: إنكار الشفاعة في الآخرة، وإنكار أحاديثها، وتفسيق بعض الصحابة، واستحلال الخروج على الأئمة، ويسمونه (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، وإنكار القدر، والقول بأن الإنسان خالق أفعاله، والقول بما يسمونه (العدل) وغير ذلك.

ـ **والقدرية قالت**: بإنكار العلم السابق، وأن الأمر أنف: أي مستأنف وليس بقدر سابق، وأن الله لم يقدر المعاصي.

---

(١) انظر: الاستقامة ١/ ١٣١.

ـ **والجهمية قالت**: إن العاصي مجبور على أفعاله، فهو غير محاسب ولا مؤاخذ، إنما يكفيه من الإيمان مجرد المعرفة، وهو قول الجبرية وغلاة المرجئة.

ـ **والشيعة المتأخرون والزيدية ذهبت إلى قول المعتزلة**، وهكذا كما سيأتي بيانه في المذاهب الكلامية.

ـ **وكل هؤلاء قالوا**: بعدم جواز إمامة الفاسق، ولا الصلاة خلفه، ولا الجهاد معه، وأجازوا الخروج عليه.



(٨)

البدع الاعتقادية والقولية أسبق من البدع العملية

فالبدع الاعتقادية والقولية، كبدع الخوارج، والرافضة، والقدرية، والجهمية والمعتزلة، كانت أسبق في الظهور من البدع العملية[١]، كبدع العباد والزهاد، وجهلة العامة. هذا من حيث تأريخ الحدوث، والانتشار.

لكن لما كثرت البدع العملية، وانتشرت الطرق الصوفية، وظهرت دويلات الباطنية والرافضة ـ بعد القرن الثالث ـ التي نشرت بدع المشاهد والقبور والموالد[٢] ونحوها، صارت البدع العملية أكثر انتشاراً من البدع الاعتقادية، وأتباعها والمتلبسون بها أكثر عدداً، لأنها ابتلي بها كثير من الدهماء والعوام. حتى من بعض المنتسبين للسنّة فضلاً عن أن عامة أهل الأهواء والفرق مصابون بهذا الداء أصلاً، وهم يكثرون مع فساد الزمان، ولأن البدع الاعتقادية إنما يقول بها أصحاب الفكر وهم في الناس قليل، بخلاف البدع العملية، فإنها تستهوي الجهلة من العامة والغوغاء والدهماء، وتتعلق بها نفوسهم، لا سيما إذا صار بينهم أئمة مضلون، أئمة السوء.

قال شيخ الإسلام: «فالبدع الكثيرة التي حصلت في المتأخرين من

(١) انظر: الفتاوى ١٩/ ٢٧٤ ـ ٢٧٦.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٠٦؛ والفتاوى ٢٧/ ١٦٧.

العباد والزهاد والفقراء[1] والصوفية، ولم يكن عامتها في زمن التابعين وتابعيهم، بخلاف أقوال أهل البدع القولية، فإنها ظهرت في عصر الصحابة والتابعين، فعلم أن الشبهة فيها أقوى وأهلها أعقل، وأما بدع هؤلاء فأهلها أجهل، وهم أبعد عن متابعة الرسول ﷺ.

ولهذا يوجد في هؤلاء من يدّعي الإلٰهية والحلول والاتحاد، ومن يدّعي أنه أفضل من الرسول ﷺ، وأنه مستغن عن الرسول ﷺ، وأن لهم إلى الله طريقاً غير طريق الرسول ﷺ، وهذا ليس من جنس بدع المسلمين، بل من جنس بدع الملاحدة من المتفلسفة ونحوهم، وأولئك قد عرف الناس أنهم ليسوا مسلمين، وهؤلاء يدعون أنهم أولياء الله مع هذه الأقوال التي لا يقولها إلاَّ من هو أكفر من اليهود والنصارى، وكثير منهم أو أكثرهم لا يعرف أن ذلك مخالفة للرسول، بل عند طائفة منهم أن أهل الصفة قاتلوا والرسول أقرهم على ذلك! وعند آخرين أن الرسول أُمر أن يذهب ليسلم عليهم، ويطلب الدعاء منهم، وأنهم لم يأذنوا له، وقالوا: اذهب إلى من أرسلت إليهم، وأنه رجع إلى ربه، فأمره أن يتواضع، ويقول: خويدمكم جاء ليسلم عليكم! فجبروا قلبه وأذنوا له بالدخول»[2]، الله أكبر ما أعظم حلم الله.

وقال مبيناً أن البدع العملية أكثر انتشاراً من البدع الاعتقادية في الأمة:

«ولا ريب أن البدع كثرت في باب العبادة والإرادة أعظم مما كثرت في باب الاعتقاد والقول، لأن الإرادة يشترك الناس فيها أكثر مما يشتركون في القول، فإن القول لا يكون إلاَّ بعقل، والنطق من خصائص الإنسان، وأما

---

(١) الفقراء: لقب من ألقاب الزهاد والنساك (الصوفية) لأنهم يتعمدون التظاهر بالفقر وهي أسبق من كلمة الصوفية.

(٢) الفتاوى ١٩/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

جنس الإرادة فهو مما يتصف به كل الحيوان، فما من حيوان إلاَّ وله إرادة، وهؤلاء اشتركوا في إرادة التأله، لكن افترقوا في المعبود وفي عبادته، ولهذا وصف في القرآن رهبانية النصارى بأنهم ابتدعوا، وذم المشركين في القرآن على ما ابتدعوه من العبادات والتحريمات، وذلك أكثر مما ابتدعوه من الاعتقادات، فإن الاعتقادات كانوا فيها جهالاً في الغالب فكانت بدعهم فيها أقل، ولهذا كلما قرب الناس من الرسول ﷺ، كانت بدعهم أخف فكانت في الأقوال، ولم يكن في التابعين وتابعيهم من تعبد بالرقص والسماع كما كان فيهم خوارج ومعتزلة وشيعة، وكان فيهم من يكذب بالقدر ولم يكن فيهم من يحتج بالقدر»[1].

وحاصل ذلك: أن البدع الاعتقادية كانت أسبق ظهوراً وانتشاراً من البدع العملية كالموالد والمقابرية، لكن لما انتشرت الأخيرة عمت بها البلوى، وافتتن بها الجهال، وانتفع بها طوائف من المضلين وأهل البدع ورؤوس الضلالة، فاستعرت استعار النار في الهشيم، والتبس أمرها على كثير من الناس، نسأل الله العافية.



(١) الفتاوى ١٩/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥.

(٩)
احـذر مـن ثـلاث

الأولى: احذر زلة العالم ولا تغمطه قدره:

ليس معصوماً إلاَّ الرسول ﷺ، أما غيره فإنه معرَّض للخطأ والسهو والزلل والهوى والضعف والتقصير والقصور.

وإن من أخطر ما تتعرض له الأمة في دينها زلة العالم، لأن العالم قدوة ومحل ثقة الناس، فإذا زل فقد يتبعه الناس في زلته دون بصيرة.

فلذلك يجب على أهل العلم وطلابه بيان الزلة إذا حدثت من عالم دون الغض من قدره، ولا الحط من شأنه، بل يجب الاعتذار له، وغمر زلته في بحر حسناته ومناقبه.

فإنه لم يسلم من الخطأ أحد من العلماء، وكثير من مجتهدي السلف وقع من أفرادهم ما يخالف السنّة، ولم يقدح ذلك في إمامتهم.

وأهل السنّة إنما يتبعون الدليل، ويدورون معه حيث دار، ويقتدون بأئمة الهدى، ويجلونهم، ويعذرون المخطىء، ولا يتبعونه فيما أخطأ فيه.

قال شيخ الإسلام: «وكثير من مجتهدي السلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة ولم يعلموا أنه بدعة، إما لأحاديث ضعيفة ظنوها صحيحة، وإما لآيات فهموا منها ما لم يرد منها، وإما لرأي رأوه وفي

المسألة نصوص لم تبلغهم»[1].

وقد حدثت زلات عظام من أئمة أعلام، ولم يتابعهم السلف على زلاتهم، ولم يسكتوا عنها، ولم يغمطوهم حقهم، وعلمهم وقدرهم.

فقد قال ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ بالمتعة، ثم رجع[2]، وكان له قدره قبل وبعد، وفسر مجاهد المقام المحمود بجلوس النبي ﷺ مع الله سبحانه على العرش[3]. وأنكر أكثر السلف هذا التفسير، ولم يقدح ذلك في إمامة مجاهد وقدره عندهم، وتشيَّع عبد الرزاق بن همَّام[4]، ولم ينكر السلف له علمه وقدره، وقال أبو حنيفة بالإرجاء[5]، ولم يوافقه السلف على ذلك، ولم يقدح ذلك بفضله وقدره عند أكثرهم، وهو من هو في إمامته وجلالة قدره، فانغمرت زلته في بحار حسناته. وأسهم سعيد بن جبير في الخروج مع ابن الأشعث على الولاة الظالمين[6] ولم يقره كثير من السلف على فعله، لكنهم عذروه وعرفوا له قدره.

واعلم أنه لا يتبع زلات العلماء ويتصيد عثراتهم إلاَّ أحد ثلاثة:

١ ــ **إما جاهل متعالم مغرور**: يريد أن يظهر من خلال نقد الآخرين.

٢ ــ **وإما صاحب هوى**: يسعى لانتقاص أئمة الهدى وأهل العلم والفضل، ويريد أن يحول بين الأمة وبين الاقتداء بعلمائها، فيلمزهم ويشوه سمعتهم.

---

(١) الفتاوى ١٩/ ١٩١.

(٢) انظر: المغني لابن قدامة ١٠/ ٤٨.

(٣) انظر: تفسير الطبري ١٥/ ١٤٥؛ والتمهيد لابن عبد البر ٧/ ١٥٧، ١٥٨؛ وعقيدة ابن عبد البر للدكتور سليمان الغصن ٥٦، ٥٧.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء ٩/ ٥٦٣.

(٥) انظر: الفقه الأكبر بشرح الملا علي القاري ١٢٤ ــ ١٢٩.

(٦) انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٢١ وما بعدها؛ والبداية والنهاية ٩/ ٩٨، ٩٩؛ ومنهاج السنّة ٤/ ٥٢٧، ٥٣٠.

٣ ــ أو مبتدع: يتلمس أدلته وبراهينه على بدعته من أخطاء الأئمة والعلماء وزلاتهم، كمن يستدل على جواز التشيع بفعل عبد الرزاق، وعلى جواز الإرجاء بفعل أبي حنيفة، وعلى جواز الكلام بفعل المحاسبي أو الأشعري، وعلى جواز التأويل بفعل البيهقي والنووي، وعلى جواز المتعة بقول ابن عباس، وعلى جواز الخروج بفعل سعيد بن جبير.

الثانية: اتق هفوة العابد ولا تعاديه:

كثير من بدع الصوفية وشطحاتها وضلالاتها، بدأت من هفوات بعض العبَّاد والنسَّاك الأوائل، من غير سوء قصد منهم، وهكذا البدع أول ما تنشأ من تجاوزات، وهفوات، وزلات، وغفلات يُتساهل فيها حتى تستاغ، ثم تنمو وتتطور حتى تكون بدعاً وأصولاً ومناهج في سبيل الضلالة والغواية.

وقد حذر النبي ﷺ أصحابه من بعده من هذا، حينما أرشد أولئك النفر من الصحابة، وحذر الأمة كلها مما هموا به حين هموا بأن يتعمقوا في العبادة، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ يقول: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبِروا، كأنهم تقالّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ، قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال الآخر: أما أنا فأصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ، فقال: **(أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)**»[(١)].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، الحديث (٥٠٦٣) من فتح الباري ٩/ ١٠٤.

وهذا بيان عظيم من الرسول ﷺ، لأمته لئلا تقع فيما وقع فيه رهبان النصارى وعبَّاد الأمم الهالكة، وما وقع فيه طوائف من هذه الأمة من التعبد بما لم يشرع الله. ثم بعد النبي ﷺ، سار أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ والتابعون على نهجه في التحذير من البدع والقضاء على نزعاتها في مهدها، ومنها بدع العبَّاد، كما فعل ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في حصب الذين تحلقوا في المسجد للتسبيح بالحصى، والذكر الجماعي[1].

وكما فعل عبد الله بن الزبير، وأسماء بنت أبي بكر، وابن سيرين، في الإنكار على الذين يُصعقون ويُغشون عند سماع القرآن[2].

وفي القرن الثاني وما بعده زادت البدع في العبادات وغيرها لدى طائفة من العبَّاد والنسَّاك والجهلة، وأنكر عليهم السلف ذلك.

فقد بنى بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد أول دويرة للصوفية، وأنكر عليهم السلف، ثم نزع بعض العبَّاد إلى لبس الصوف واتخاذه شعاراً، فأنكر ذلك ابن سيرين[3] وغيره.

ثم اتسع نطاق البدع عند جهلة العبَّاد، والسلف ما فتئوا يحذِّرون من هذه البدع وأهلها.

فظهر بين بعض هؤلاء العباد والنساك العزوف عن طلب العلم الشرعي[4] والحديث، كما فعل بشر الحافي وأبو سليمان الداراني[5].

---

(١) الفتاوى ١١/٧.

(٢) الفتاوى ١١/٦.

(٣) المصدر السابق ١١/٦.

(٤) انظر: تلبيس إبليس ١٦٣.

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٧٢؛ وتلبيس إبليس ٣٩٥.

وترك الزواج كما فعل مالك بن دينار (ت ١٣١هـ)[١].

والعزلة ومصاحبة الكلاب كما فعل مالك بن دينار كذلك[٢].

وتغليب جانب الخوف في العبادة كما فعل عطاء السليمي (ت ١٤٠هـ)[٣].

وتكلم عبد الواحد بن زيد بمصطلحات وأحوال لم يعرفها السلف، فبالغ في الكلام في المحبة والشوق والأنس[٤] على نحو لم ترد به السنّة، واتكأت عليه الصوفية المنحرفة فيما بعد.

وتكلمت رابعة العدوية (ت ١٨٠هـ) بما يشبه الحلول[٥].

ثم ظهرت المبالغة في ترك الحديث وطلب العلم والعزوف عن الزواج وترك طلب المعاش من أمثال أبي سليمان الداراني (ت ٢٠٥هـ)[٦]، وبشر الحافي (ت ٢٢٨هـ)[٧].

وخاض **المحاسبي** (ت ٢٤٣هـ) في علم الكلام وقد أخذه عن ابن كلاب[٨].

وتكلم **السَّري السَّقطي** (ت ٢٥٣هـ) في مسألة (الحقائق والإشارات)[٩].

---

(١) انظر: حلية الأولياء ٦/ ٢٦٩ ـ ٢٨٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق ٦/ ٢١٥ ـ ٢٢٣.

(٤) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي ١٤١ ـ ١٦٠/ ٥١٢.

(٥) انظر: تاريخ الإسلام ١٧١ ـ ١٨٠/ ١١٩.

(٦) انظر: تلبيس إبليس ٢٩٥.

(٧) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١٠/ ٤٧١، ٤٧٢.

(٨) انظر: سير أعلام النبلاء ١١/ ١٧٤.

(٩) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١٢/ ١٨٧.

وكثرت **شطحات أبـي يزيد البسطامي** (ت ٢٦١هـ) فعزف عن العلم[١] واستهان بالجنة[٢] وتلفظ بألفاظ شنيعة تقدح في التوحيد[٣].

وتكلم **أبو الحسن النوري** (ت ٢٩٥هـ) بعبارات مبتدعة تعلقت بها الصوفية كالكلام في الفناء والبقاء ونحوها من الألفاظ المبتدعة[٤]، ومال إلى الرهبانية والسياحة[٥].

وجاء **الجنيد** وهو أول من لقب بشيخ الطريقة في تاريخ التصوف[٦] (ت ٢٩٧هـ) وكان قليل الرواية للحديث، وطلب العلم أولاً ثم تركه، وأقبل على التأله والتعبد[٧]، وظهر على لسانه شيء من التفسير الصوفي الإشاري[٨].

كما ظهرت على لسانه المصطلحات الكلامية مثل قوله عن التَّصوُّف: «إفراد القديم عند المحدث»[٩]، وكلمة القديم والمحدث من ألفاظ أهل الكلام، ولم تكن معهودة على ألسنة من سبقوه من العبَّاد والمتصوفة، إلاَّ ما كان من شيخه المحاسبـي كما أسلفت.

والخـلاصـة:

أن ما سبق يمثل هفوات وزلات وشطحات من أناس صالحين في الجملة، لكنهم وقعوا فيها، إما عن جهل، أو تقليد، أو غفلة، أو اجتهاد

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ١٣/ ٨٦.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ١٣/ ٨٧.

(٣) راجع: سير أعلام النبلاء ١٣/ ٨٨، وميزان الاعتدال ٢/ ٣٤٦.

(٤) راجع: سير أعلام النبلاء ١٤/ ٧٠ ـ ٧٢؛ والحلية ١٠/ ٢٥٣.

(٥) المرجع السابق ١٤/ ٧١.

(٦) انظر: سير أعلام النبلاء ١٤/ ٦٦.

(٧) انظر: المصدر السابق.

(٨) انظر: حلية الأولياء ١٠/ ٢٧٠.

(٩) سير أعلام النبلاء ١٤/ ٦٩.

غير صائب ـ يغفر الله لنا ولهم ـ لكنا يجب أن نحذر هفواتهم هذه، ونحذر منها لأنها مبتدعة ومخالفة لسنّة الرسول ﷺ وأصحابه وسلف الأمة، وقد أنكرها السلف وحذروا منها.

كما أن الصوفية المنحرفة الضالة التي ظهرت بعد القرن الثالث اتكأت على هذه الهفوات والزلات والشطحات، واتخذتها ذريعة لبدعها وضلالاتها وطرقها الفاسدة، زاعمة أن لها في ذلك قدوة من الصالحين، وهذا من تلبيس الشيطان وأتباعه.

كما أن هذه الأخطاء وغيرها بعضها مكذوب على أولئك الصالحين، وعلى أي الأحوال فكل ما خالف الكتاب والسنّة وهدي السلف الصالح فهو باطل مهما كان مصدره وفاعله. وإذا كان مَنْ فعل ذلك من الصالحين فعلينا أن نلتمس له في ذلك العذر، ولا نحكم عليه، وقد قدم إلى ربه، لكنا لا نتبعه فيما أخطأ فيه لمجرد صلاحه، أما صلاحه وصوابه فيحمد عليه، ويؤخذ عنه، ويُقتدى به فيه، ما لم يكن ممن شهد عليه الأئمة بأنه من رؤوس الضلالة.

الثالثة: تنبه لغفلة الرجل الصالح ولا تلمزه:

خلق الله البشر متفاوتين في الخصال والمواهب والقدرات، فمنهم الذكي الفطن، ومنهم الغافل، ومنهم المغفَّل.

وقد يتصف بالغفلة بعض الرجال الصالحين، من أهل العلم والفضل والاستقامة، فيحدث منهم ما لا يوافق السنّة، فيأخذ الناس عنهم ذلك لمجرد صلاحهم مما يكون فتنة لهم.

فبعض الصالحين قد تدركه غفلة، فيروي ما لا يصح، فيتبعه بعض الناس، ومنهم من يُستغفل فينتزع منه أهل الأهواء والشبهات والشهوات ما

يخالف الشرع، من حكم أو فتوى أو رأي، أو تجريح أو تعديل أو نحوه، فينتج من ذلك من المفاسد ما لا يعلمه إلاَّ الله.

وهذا وإن كان قليلاً بحمد الله، فإنه يجب أن يتنبه له طلاب العلم، ويبصِّروا الناس به، وكثيراً ما يقال: فلان أدركته غفلة الصالحين، أي وقع في خطأ بسبب غفلته رغم صلاحه.

واعلم أن أئمة الهدى وعلماء الإسلام المقتدى بهم في الدين قديماً وحديثاً كلهم من أهل العلم والفضل والذكاء، وليس فيهم من أهل الغفلة إلاَّ النادر الذي لا حكم له، وإنما أهل الغفلة دون ذلك، فأكثر أهل الغفلة من الصالحين من العبَّاد والنساك والمتصوفة والقصاص (الوعاظ) الذين هم أقل فقهاً في الدين، وأبعد عن مجالس العلماء، فتنبه رعاك الله، فإن أكثر أهل البدع والفسق والفجور يرمون العلماء وأعلام الأمة وأهل الحديث بالغفلة، يلمزونهم بذلك بهتاناً ومكراً وطعناً في الدين، **وحسبنا الله ونعم الوكيل**.



(١٠)
الفرق الكبرى أو (أمهات الفرق)

بدأ ظهو الفرق في القرن الأول الهجري، وكانت إلى نهايته لا تزيد عن أربع وما يتفرع منها، وهي:

(١) الخوارج بفرقها.

(٢) الشيعة بفرقها.

(٣) القدرية.

(٤) المرجئة.

وفي القرن الثاني زادت:

(٥) المعتزلة.

(٦) الجهمية.

(٧) المشبِّهة.

وكان السلف لا يفرقون بين الجهمية والمعتزلة، فيطلقون على جميعهم: (جهمية)، وبعض السلف يخرجون الجهمية من فرق المسلمين، وقد حصر الإمام عبد الله بن المبارك المتوفى سنة (١٨١هـ) أصول الفرق بأربع، هي: (الشيعة، والخوارج، والمرجئة، والقدرية). ولما قيل له: والجهمية؟ ذكر أنها ليست من فرق المسلمين[١].

(١) الإبانة لابن بطة ١/ ٣٧٩، ٣٨٠.

وفي **القرن الثالث** تشعّبت هذه الفرق، وقد حصر أمهات الفرق الكبرى أبو الحسن الأشعري في المقالات في عشر بما فيها أهل السنّة، فقال:

«اختلف المسلمون عشرة أصناف: (١) الشيع، و (٢) الخوارج، و (٣) المرجئة، و (٤) المعتزلة، و (٥) الجهمية، و (٦) الضرارية، و (٧) الحسينية، و (٨) البكرية، و (٩) العامة وأصحاب الحديث، و (١٠) الكلابية»[1].

ويقصد بأهل الحديث والعامة: السلف أهل السنّة والجماعة، فيخرجون من عداد أهل الافتراق والأهواء.

كما أن الضرارية والحسينية والبكرية من فرق المعتزلة والجهمية، وعلى هذا تنتهي أصول الفرق الكبرى التي ذكرها الأشعري إلى ست، وهي:

(١) الشيعة.

(٢) الخوارج.

(٣) المرجئة.

(٤) المعتزلة.

(٥) الجهمية.

(٦) الكلابية.

والخلاصة:

(١) **الخوارج**، وأشهرهم في ذلك الوقت إلى عصرنا (الأباضية وفرقها).

(٢) **الشيعة والروافض**، (وهم فرق كثيرة).

(٣) **القدرية**، وأكثرهم من المعتزلة.

---

(١) مقالات الإسلاميين ١/ ٦٥.

(٤) **الجهمية.**

(٥) **المعتزلة.**

(٦) **المرجئة**، والغلاة منهم جهمية، وغير الغلاة أكثرهم من الأحناف الماتريدية والأشاعرة.

(٧) **الجبرية**، ومنهم جهمية، ومنهم أهل كلام ومتصوفة وغيرهم.

(٨) **الباطنية والزنادقة**، ومنهم شيعة ورافضة، ومنهم ملاحدة، ومنهم صوفية، ومنهم فلاسفة. وقد ظهرت الباطنية في زمن الأشعري لكنه لم يذكرها، إما لأنه يرى أنها ليست من فرق المسلمين، أو لم تتبين له حقيقتها آنذاك، أو أنه يلحقها بالشيعة. والأول أظهر، **والله أعلم**.

(٩) **الكلابية.**

وفي القرن الرابع وما بعده ظهرت فرق جديدة، انضمت إلى ركب الأهواء، وهي:

(١٠) **الصوفية**، وقد تميزت في القرن الرابع وما بعده بأصول ومناهج بدعية، وبدأت فيها الطرق، وصارت في سبيل الأهواء والافتراق، أما قبل ذلك، فإنها لم تبيِّن أمرها، ولم تُظْهِر مخالفة السنّة علناً.

(١١) **الفلاسفة**، وإن كانت الفلاسفة بدأت جذورها وأصولها في القرن الثالث، إلا أنها لم تتميز وتشتهر إلا في القرن الرابع على يد ابن سينا الإسماعيلي الباطني، وذويه من العبيدية والقرامطة ونحوهم.

(١٢) **أهل الكلام** (الأشاعرة والماتريدية)، وهم امتداد للكلابية، لكنهم مع الزمن تجارت بهم الأهواء الكلامية، حتى أخذوا ببعض أصول التجهّم.

والأشاعرة هم: المنتسبون لأبي الحسن الأشعري (ت ٣٢٤)، إلا

أنهم في النهاية توغلوا في الكلاميات والفلسفات والتصوف والتأويل بما لم يكن عليه الأشعري، بل كان يمقته، لا سيما بعد الجويني ـ أبي المعالي ـ وابن الخطيب الرازي، حيث أدخلا بعض أصول الجهمية في المذهب، كما سيأتي تفصيله.

والماتريدية هم: أتباع أبي منصور الماتريدي (ت ٣٣٣)، وهم فرقة كلامية كالأشاعرة في الأصول والمناهج في الجملة، وإن خالفوهم في بعض التفصيلات.

الفرق والمذاهب والاتجاهات المعاصرة:

أما الفرق التي ظهرت بعد ذلك فهي في الجملة إما مغمورة، وإما لا تخرج عن أصول الفرق الكبرى التي ذكرتها، أو تتكون من خليط منها.

وأغلب الأسماء التي ظهرت حديثاً إنما هي مجرد شعارات تحمل في طياتها أصول الفرق القديمة وأهدافها، أو ترجع إلى الجاهليات القديمة قبل الإسلام. مثل القوميات التي رفعت شعاراتها في القرون الثلاثة الأخيرة، فهي ترجع إلى الجاهلية الأولى العربية أو الفرعونية أو الآشورية، ونحوها كالقومية، أو إلى فرق الباطنية كالقاديانية والبهائية والحداثة ونحوها، أو إلى الخوارج أو الشيعة.

وبعضها معتزلة وجهمية كالتحريريين وأكثر الاتجاهات العصرانية في الحركات الإسلامية المعاصرة.

ومنها ما يجمع بين كل الاتجاهات المنحرفة في سبيل الصد عن الإسلام كالحداثة والعلمانية.

والطرق الصوفية المعاصرة منها أوعية لكل بدعة واتجاه، ولا ترد يد لامس إذا التزم طقوسها وقدّس شيوخها، وتبرأ من التوحيد وأهله.

(١١)

فَرْقُ ما بين أهل السنّة وأهل البدعة

من أبين الفوارق بين أهل السنّة والجماعة، وبين أهل البدعة والفرقة، حقيقة الاسم والانتساب، فأهل السنّة ينتمون للسنّة والجماعة، وأهل الأهواء والبدع كل طائفة منهم تنتسب إما إلى شخص من أهل البدع ورؤوس الضلالة كالجهمية، أو إلى شخص خالف السلف في بعض الأصول كالكلابية والأشعرية والماتريدية، وإما إلى أصل من أصول الضلالة كالقدرية والجبرية والمرجئة. وإما إلى وصف يدل على حقيقتهم وشعارهم كالرافضة والصوفية والفلاسفة والباطنية والمعتزلة والمشبهة.

ولهذه القاعدة استثناءات، فقد ينتسب بعض أهل السنّة إلى إمام من أئمتها كالإمام أحمد، وهذا أمر ارتضاه السلف، بل الأمة جميعها، اشتهر عندها هذا، حتى أهل البدع متفقون على أن الانتساب للإمام أحمد يعني الانتساب للسنّة. وكذلك يشذ عن هذه القاعدة انتساب بعض أهل البدع لأشخاص من أئمة السنّة، وهي من الدعاوى الكاذبة. كانتساب المعتزلة للصحابة الذين اعتزلوا الفتنة، وهذا من التلبيس. وكانتساب الصوفية إلى أهل الصُّفة، وهذا من التلبيس أيضاً. وكانتساب بعض الطرق الصوفية إلى رجال صالحين ليسوا على نهجها. وكانتساب العلويين الباطنيين إلى علي ــ رضي الله عنه ــ وهو منهم بريء. وكانتساب الإمامية إلى أئمة آل البيت.

ومع **ذلك** فإن الانتساب لأئمة السنّة لا يعني إلاَّ الانتساب إلى السنّة نفسها، لأنهم قدوة مهتدون، أما الانتساب لأهل البدعة وأئمتها فإنما يعني الانتساب لأشخاصهم وعقائدهم الخاصة المبتدعة.

«**وأئمة السنّة** ليسوا مثل أئمة البدعة، فإن أئمة السنّة تضاف السنّة إليهم لأنهم مظاهر بهم ظهرت، وأئمة البدعة تضاف إليهم لأنهم مصادر عنهم صدرت. ولهذا كان جُمَل الاعتقاد الذي يذكره أهل المقالات عن أهل السنّة والجماعة هو قول أحمد وأمثاله من أئمة السنّة»[1].



(١) درء التعارض ٥/ ٥، ٦.

(١٢)
خصائص الفرق وسماتها[١]

المتأمل لحال الفرق يدرك أن كل فرقة تميزت واختصت بأصل من أصول الضلالة والبدعة تختلف فيه عن غيرها.

وقبل أن أعرض ما قاله أهل العلم، وما يمكن استقراؤه من خصائص الفرق، تحسن الإشارة إلى أن الطائفة الوسط المعتدلة هي: أهل الحديث والسنّة والجماعة. فهم في الجملة: العدول الثقات الصادقون، السائرون على طريق الاستقامة والدين، أهل التوحيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، المتبعون المهتدون المقتدون.

وهم أهل الحق والصراط المستقيم، وهم الطائفة المنصورة والفرقة الناجية. أما الفرق المفارقة لسبيل السنّة والجماعة، فإنما فارقت في اتباع الهوى والابتداع، والضلال عن الصراط المستقيم، وسلكت سبل الهلكة.

وكل طائفة أو فرقة تشارك فرق الضلالة الأخرى في أمور، وتفارقها في أمور، لذلك تميزت أكثر الفرق عن غيرها في قادح أو أكثر[٢]، **وبيان ذلك:**

---

(١) سيأتي الحديث عن سمات أهل الأهواء والافتراق ومناهجهم مفصلاً في فصل مستقل إن شاء الله.

(٢) انظر منهاج السنّة ٣/ ٤٦٢.

١ ــ **الخوارج**: تميزت في تكفير علي ــ رضي الله عنه ــ وبعض الصحابة، وتكفير مرتكب الكبيرة، وأن كل كبيرة كفر.

٢ ــ **والرافضة**: تميزت بالكذب، وتكفير سائر الصحابة إلا بضعة منهم، وبالقول بالرجعة، والتّقيّة والعصمة والكيد للمسلمين.

٣ ــ **والمعتزلة**: تميزت بالقول بالمنزلة بين المنزلتين في أحكام أهل الكبائر، وتعطيل الصفات وتقديم العقل على الشرع.

٤ ــ **والجهمية**: تميزت بالتعطيل، أي نفي أسماء الله وصفاته والسمعيات، وبالجبر والإرجاء.

٥ ــ **والمرجئة**: تميزت بتأخير العمل عن الإيمان، وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

٦ ــ **والأشاعرة والماتريدية**: تميزت بتأويل الصفات، والقول بالكسب، وتقرير العقيدة بالكلاميات.

٧ ــ **والكلابية**: تميزت بنفي الصفات الفعلية لله ــ تعالى ــ، وبالقول إن القرآن وكلام الله ــ تعالى ــ معنى، أو معاني تقوم بذات المتكلم.

٨ ــ **وتميزت الكرامية**: بالقول بأن الإيمان هو قول اللسان فقط.

٩ ــ **وتميزت الباطنية**: بقلب الحقائق والغيلة والغدر والكيد والزندقة.

١٠ ــ **وتميزت الصوفية**: بالسماع وبالبدعيات والمقابرية، والتميع في الدين.

١١ ــ **وتميزت الفلاسفة**: بالإلحاد وعداوة الأنبياء وشرائعهم، والتعالي على المؤمنين.

١٢ ــ **وتميز الأدباء**: برقة الدين والانحلال غالباً.

١٣ ــ **وتميز السلاطين**: بالفجور والظلم والأثرة غالباً.

١٤ ـ **وتميزت المذاهب المعاصرة**: بالعلمنة والإعراض عن الدين ورفض شرع الله والصد عن سبيله.

هذا كله على جهة التغليب والاشتهار، ومع ذلك فإن سائر الفرق تشترك في أكثر هذه الخصائص.

ومما يجدر التنبه له أن الفرق بعد القرن الثالث اختلطت أصولها وتلاقحت، فأصبحت بقايا الخوارج أقرب للمعتزلة مع التزام أصولها الأولى، والرافضة سلكت سبيل المعتزلة والجهمية في الكلاميات مع التزام أصولها الأولى، والأشاعرة والماتريدية أخذت بكثير من أصول الجهمية والمعتزلة، والتجهم والاعتزال اندمج في أصول المتكلمين الأشاعرة. والتصوف اختلط بالفلسفة والاتجاهات الباطنية، وهكذا.

أما من حيث السمات، فإن المتأمل لأحوال الفرق يجد:

١ ـ **أن الرافضة** اتسمت بالكذب والجهل والحمق.

٢ ـ **والخوارج** اتسمت بالتشدد والبغي وقتال المسلمين.

٣ ـ **والجهمية** والمعتزلة وأهل الكلام اتسموا بالكلام والمراء والجدل في الله وأسمائه وصفاته وسائر الغيبيات بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

٤ ـ **والصوفية** اتسمت بالغناء والرقص وكثرة البدع، والتعبد بذلك.

٥ ـ **والباطنية** اتسمت بالحقد والغدر والتلون.

٦ ـ **والمرجئة** اتسمت بضعف الولاء والبراء.

٧ ـ **وأهل الرأي** من المنتسبين لأهل العلم، اتسموا بالحيل.

٨ ـ **والفلاسفة** والأدباء اتسموا برقة الدين والانحلال.

قال شيخ الإسلام في وصف الفرق والموازنة بينها: «حتى قال الإمام

عبد الله بن المبارك: (الدين لأهل الحديث، والكذب للرافضة، والكلام للمعتزلة، والحيل لأهل الرأي أصحاب فلان، وسوء التدبير لآل أبي فلان). وهو كما قال؛ فإن الدين هو ما بعث الله به محمداً ﷺ، وأعلم الناس به أعلمهم بحديثه وسنته. وأما الكلام فأشهر الطوائف به هم المعتزلة، ولهذا كانوا أشهر الطوائف بالبدع[1] عند الخاصة.

وأما الرافضة: فهم المعروفون بالبدعة عند الخاصة والعامة، حتى أن أكثر العامة لا تعرف في مقابلة السني إلا الرافضي، لظهور مناقضتهم لما جاء به الرسول ــ عليه السلام ــ عند الخاصة والعامة، فهم عين على ما جاء به، حتى الطوائف الذين ليس لهم من الخبرة بدين الرسول ﷺ ما لغيرهم، إذا قالت لهم الرافضة: (نحن مسلمون) يقولون: أنتم جنس آخر»[2].

وقال: «وهذا علم عظيم من أعظم علوم الإسلام، ولا ريب أن الرافضة أقل معرفة بهذا الباب، وليس في أهل الأهواء والبدع أجهل منهم به، فإن سائر أهل الأهواء: كالمعتزلة والخوارج مقصّرون في معرفة هذا، ولكن المعتزلة أعلم بكثير من الخوارج، والخوارج أعلم بكثير من الرافضة، والخوارج أصدق من الرافضة وأدين وأورع، بل الخوارج لا نعرف عنهم أنهم يتعمدون الكذب، بل هم من أصدق الناس.

والمعتزلة: مثل سائر الطوائف، فيهم من يكذب، وفيهم من يصدق، لكن ليس لهم من العناية بالحديث ومعرفته ما لأهل الحديث والسنّة، فإن هؤلاء يتدينون به فيحتاجون إلى أن يعرفوا ما هو الصدق»[3].



---

(١) أي البدع الاعتقادية.

(٢) منهاج السنّة ٧/ ٤١٣، ٤١٤.

(٣) منهاج السنّة ٧/ ٣٦.

(١٣)

جماع أصول الفرق ومناهجها

تجتمع أصول الأهواء والافتراق والبدع على مختلف مشاربها، وما بينها من اختلاف في عشرة أصول، أجملها الإمام أحمد بقوله[١]:

١ ـ **«عقدوا ألوية البدع»**، فالابتداع قاسم مشترك بين جميع الأهواء والافتراق.

٢ ـ **«وأطلقوا عقال الفتنة»**، وأعظمها الفتنة في الدين، ومفارقة السنّة.

٣ ـ **«فهم مختلفون في الكتاب»**، يعني كتاب الله ـ تعالى ـ وما جاء به رسول الهدى ﷺ.

٤ ـ **«مخالفون للكتاب»**، أي للقرآن والسنّة.

٥ ـ **«مجمعون على مفارقة الكتاب»**، أي مخالفة القرآن والسنّة ومعارضتهما، والتلقي عن غيرهما.

٦ ـ **«يقولون على الله»**، بغير علم.

٧ ـ **«وفي الله»**، أي يتكلمون في أسماء الله ـ تعالى ـ وصفاته وأفعاله بغير علم.

٨ ـ **«وفي كتاب الله بغير علم»**، لأنهم جانبوا مناهج أهل العلم، أئمة الهدى.

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة، للإمام أحمد ص ٨٥، تحقيق عميرة.

٩ ــ **«يتكلمون بالمتشابه من الكلام»**، في الصفات والقدر، والغيبيات.

١٠ ــ **«ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم»**، فيلبسون الحق بالباطل.

وهذه الأصول العشرة: سمات عامة لأهل الأهواء، تجتمع في سائر الفرق ومناهجها.

وكلام الإمام أحمد كلام الخبير بأهل الأهواء والافتراق، فتأمله، واعتبر، نفعني الله وإياك بالعلم النافع، وجنّبني وإياك سبل الغواية.



(١٤)

أهل الأهواء والافتراق بين الإفراط والتفريط

كما تميز أهل السنة بالوسطية والاعتدال، تميزت كل الفرق بالإفراط أو التفريط، بالغلو أو التقصير، وبالتباين والتناقض فيما بينها. فإن أصول الفرق متعاكسة تماماً، **وإليك بيان ذلك**:

١ ـ **التكفير** (ويقابله الإرجاء)، ومنه نتجت: مذاهب الخوارج قديماً وحديثاً.

٢ ـ **التشيع** (ويقابله النصب)، ومنه نتجت: مذاهب الرافضة، والزيدية، والباطنية.

٣ ـ **القدر** (ويقابله الجبر)، ومنه نتجت: القدرية، والمعتزلة.

٤ ـ **الإرجاء** (ويقابله التكفير)، ومنه نتجت: مرجئة الجهمية، ومرجئة الفقهاء، ومرجئة الأشاعرة، والماتريدية.

٥ ـ **الجبر** (ويقابله القدر)، ومنه نتجت: جبرية الجهمية، وجبرية الأشاعرة، والماتريدية.

٦ ـ **النصب** (ويقابله التشيّع)، ومنه نتجت: النواصب المبغضون لعلي كالخوارج.

٧ ـ **التعطيل** (ويقابله التشبيه)، ومنه نتجت: الجهمية، والمعتزلة، وطوائف من أهل الكلام.

٨ ــ **التشبيه** (ويقابله التعطيل)، ومنه نتجت: المشبهة الرافضة الأولى، ثم الكرامية.

٩ ــ **التأويل** (ويقابله التفويض)، ومنه نتجت: الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة، والماتريدية.

١٠ ــ **التفويض** (ويقابله التأويل)، ومنه نتجت: المفوضة[١]، والواقفة.

١١ ــ **التصوف** (ويقابله الجفاء)، ومنه نتجت: الطرق الصوفية وبدعها.

١٢ ــ **الابتداع** (ويقابله الإعراض عن الشرع)، ومنه نتجت: البدع في العبادت، وغيرها كالمشاهد، والمزارات، والمقابرية، والتبرك البدعي.

١٣ ــ **الإعراض عن الشرع** (ويقابله الابتداع في الدين)، ومنه نتجت: الزندقة، والإلحاد والعلمنة، والحداثة، والشعارات، والحزبيات، والقوميات، والقوانين الوضعية.



(١) كثيرون من أهل الكلام (الأشاعرة والماتريدية) إذا عدلوا عن علم الكلام ينتهي بهم الأمر إلى التفويض، لذلك يزعم بعضهم أن هذا هو مذهب السلف، ويحكي بعضهم مذهب السلف على أنه هو التفويض.

(١٥)
الأصول الكبرى التي خالف فيها أهل الأهواء السنّة

مقالات أهل الأهواء والبدع والافتراق كثيرة، وتفصيلاتها لا تتسع لها المجلدات، لكن يمكن بالاستقراء أن يحصر الباحث أصولهم الكبرى، التي خالفوا فيها عقيدة السلف على وجه التقريب.

وفي **هذه العجالة** سأحاول ذكر ما يحضرني في أصول الأهواء التي خالفوا فيها أهل السنّة والجماعة على النحو التالي:

١ ــ **إنكار ذات الله ــ تعالى ــ وعلوه ــ سبحانه ــ على خلقه**، وفوقيته، واستوائه على عرشه، أو تأويل ذلك.

٢ ــ **إنكار أسماء الله ــ تعالى ــ**، أو بعضها، أو تأويلها، والزيادة فيها والنقص.

٣ ــ **إنكار صفات الله ــ تعالى ــ**، أو بعضها، أو تأويلها، والزيادة فيها والنقص.

٤ ــ **إنكار أفعال الله ــ تعالى ــ**، (كالمجيء والنزول) أو تأويلها.

٥ ــ **إنكار الرؤية**، أو بعضها، أو تأويلها.

٦ ــ **تشبيه الله بخلقه**، أو تشبيه الخلق بالله ــ تعالى ــ. ومنه قياس أحوال الخالق بأحوال المخلوق، والعكس كما يفعل أهل الكلام والممثلة.

٧ ـ **إنكار الشفاعة** الواردة في النصوص الثابتة أو بعضها، أو إثبات شفاعات لم تثبت بالشرع.

٨ ـ **إنكار السمعيات، أو بعضها، أو تأويلها**: كالصراط، والميزان، والحوض، وعذاب القبر ونعيمه، والملائكة، وأشراط الساعة، ونحو ذلك.

٩ ـ **إنكار كلام الله ـ تعالى ـ أو تأويله.**

١٠ ـ **القول بأن القرآن مخلوق**، وما يتفرع عن ذلك.

١١ ـ **تعريف الإيمان** بالتصديق أو قول اللسان فقط.

١٢ ـ **إنكار دخول الأعمال** في مسمى الإيمان.

١٣ ـ **إنكار أن الإيمان يزيد وينقص.**

١٤ ـ **إنكار الاستثناء في الإيمان.**

١٥ ـ **الخوض في القدر**، وعدم التسليم به، بالإنكار أو التشكيك، أو الجدال والمراء فيه وفي نصوصه، ومنه القول بالجبر، وإنكار العلم السابق والكتابة، أو أن الإنسان خالق أفعاله أو بعضها، ومنه إنكار الحكمة والتعليل في أفعال الله ـ تعالى ـ.

١٦ ـ **الإخلال بالتوحيد أو بعضه**، كصرف نوع أو أكثر من أنواع العبادة لغير الله ـ تعالى ـ كالدعاء، والذبح، والطواف، والسجود.

١٧ ـ **القول على الله بغير علم**، والكذب على الله ـ تعالى ـ وعلى رسوله ﷺ.

١٨ ـ **المراء في القرآن**، والكلام فيه بغير علم، واتباع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وضرب آيات الله بعضها ببعض، ومثله أحاديث رسول الله ﷺ.

١٩ ـ **إنكار السنّة أو بعضها**، أو ردها، أو رد بعضها، أو إنكار حجيتها، أو دلالاتها أو بعضها التي اتفق السلف عليها.

٢٠ ـ **تفسير نصوص الشرع على غير أصولها الشرعية**، وعلى غير مقتضيات اللغة وفهم السلف.

٢١ ـ **التشدد في الدين والغلو فيه**، ومنه التكفير، والحكم على القلوب، واتهام النيات، والحكم بالظن، وتصنيف الناس بغير بينات.

٢٢ ـ **الغلو في الأشخاص**، وتقديسهم، والقول بعصمتهم، أو علمهم الغيب، ونحو ذلك.

٢٣ ـ **تقديس الأشياء**، والموروثات، والآثار، والأحجار، ونحوها.

٢٤ ـ **الابتداع في الدين**، في العبادت والأعياد، والتعبد بالعوائد، ونحو ذلك كالتوسل البدعي، والتبرك البدعي، والاحتفالات البدعية.

٢٥ ـ **التلقي عن غير الكتاب والسنّة وفهم السلف الصالح**.

٢٦ ـ **سب الصحابة أو بعضهم**، ولمزهم، والتنقص منهم، أو التعريض بذلك.

٢٧ ـ **سب السلف** (أهل الحديث والسنة) ولمزهم، أو بعضهم، أو تنقص طريقتهم، وتفضيل مناهج غيرهم بأي وجه من الوجوه على طريقتهم ومناهجهم.

٢٨ ـ **لمز المتمسكين بالسنّة من المؤمنين**، واحتقارهم لذلك.

٢٩ ـ **الاعتراض على دين الله وشرعه**، أو بعضه، أو تبديله أو بعضه، أو الاستغناء عنه أو شيء منه أو تفضيله عليه.

٣٠ ـ **رفع شعار**، أو راية، أو حزب، أو جماعة، أو دعوة غير الإسلام والسنّة، أو الانتماء إليه، والتعصب له.

٣١ ــ **الانحياز إلى الكافرين وأهل الأهواء، بأي وجه من الوجوه.**

٣٢ ــ **الخلل في عقيدة الولاء والبراء.**

٣٣ ــ **الخروج على الأئمة وترك مناصحتهم، وعدم الدعاء لهم، وعدم الصبر على الظلم والجوْر والأثرة.**

٣٤ ــ **الخلل في فهم نصوص الوعد، ونصوص الوعيد، وتطبيقاتها وأحكامها.**

٣٥ ــ **تغليب الهوى على الشرع، والدليل، والحق.**

❏ ❏ ❏

(١٦)

الأصل في مناهج أهل الأهواء الباطل وإن وجد عندهم شيء من الحق

مناهج أهل الأهواء قامت على الباطل، وقد يكون عندهم شيء من الحق على تفاوت بينهم، لكن الحق الذي عندهم قليل وملتبس بالباطل، ولا ينفردون به عن أهل السنّة، بل يكون عند أهل السنّة مثله وأفضل منه، ولا لبس فيه.

كما أنه قد يوجد من بعض من ينتسبون إلى السنّة شيء من الباطل أو الظلم والجهل ومخالفة الحق، لكن هذا قليل، وهو شذوذ عن الأصل لا يضر به؛ فأهل السنّة الأصل فيهم: الحق، والخير، والاستقامة. وإن وجد بين أفرادهم بعض الانحراف ابتلاء، ولكنه يكون مذموماً فيهم، ولا يعد قدوة بينهم.

والأصل في أهل البدع والافتراق والأهواء: الباطل والشر والابتداع، وإن وجد بين أفرادهم من هو على الاستقامة، لكنه قليل ولا يعد قدوة فيهم.

وكل من سوى أهل السنّة فلا ينفرد عنهم بحق ولا قول صحيح، فكل حق أو قول صحيح، هم ـ أي أهل السنّة ـ فيه أفضل وأسبق.

قال شيخ الإسلام: «وكل من سوى أهل السنّة والحديث من الفرق فلا ينفرد عن أئمة الحديث بقول صحيح، بل لا بد أن يكون معه من دين الإسلام ما هو حق، وبسبب ذلك وقعت الشبهة، وإلاَّ فالباطل المحض لا يشتبه على أحد، ولهذا سمي أهل البدع أهل الشبهات، وقيل فيهم: إنهم يلبسون الحق بالباطل»[1].



(١) منهاج السنّة ٥/ ١٦٧.

(١٧)
فرق الأهواء والبدع كلها فيها شبه بالأمم الكافرة

ما من فرقة من الأهواء إلاَّ نجد فيها شبهاً من ملة أو أكثر من ملل الكافرين، ذلك أن أصول ضلال الأمم وانحرافها واحدة، وهي: طاعة الشيطان، والإعراض عما جاء به المرسلون، واتباع الهوى، والظن، والشهوات، والشبهات، قلَّ ذلك أو كَثُر.

وقد أخبر النبي ﷺ، بأن فرق هذه الأمة ستتبع سنن من سبقها من الأمم الهالكة فقال: (**لتتبعن سنن من كان قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ تبعتموهم**). قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: (**فمن؟**)[١].

والناظر في أحوال الفرق في هذه الأمة يدرك مصداق قول الرسول ﷺ بيِّناً، فما من فرقة من الفرق المشهورة إلاَّ فيها شبه بأمة أو ديانة أو نحلة أو أكثر من الأمم السابق.

فالرافضة: أشبه فرق الأمة بالمجوس الفرس، ثم اليهود، ثم النصارى.

وأهل الكلام: (الجهمية والمعتزلة ومن تفرع عنهما) أشبه فرق الأمة بالفلاسفة ثم المجوس والنصارى.

---

(١) البخاري، الاعتصام باب (١٤)؛ فتح الباري ١٣/ ٣٠٠.

والقدرية: تشبه المجوس ثم النصارى ثم المشركين.

والمرجئة: فيها شبه بالنصارى.

والجبرية: فيها شبه من المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾.

والصوفية: أشبه فرق الأمة بالنصارى ثم الديانات الهندية.

والباطنية: فيها شبه باليهود والمنافقين.



(١٨)

أسرع الناس إلى الفتنة أصناف ستة

المتأمل في تاريخ الفتن الأولى: الفتنة على عثمان، ثم فتنة الجمل وصفين، وفتن الخوارج، ثم فتنة ابن الأشعث، وفتنة المختار بن أبي عبيد، والفتن التي صاحبت خروج طائفة من آل البيت: كالحسين بن علي، وزيد بن علي بن الحسين، وابنه يحيى، وغيرهم. ونحوها من الفتن التي ظهرت في القرن الأول وأول القرن الثاني **يجد أن مادتها ستة أصناف**:

١ ـ الشيعة.

٢ ـ الأعاجم.

٣ ـ الأعراب.

٤ ـ جهلة القراء.

٥ ـ المنافقون.

٦ ـ أهل الأهواء عموماً.

وقد يسهم فيها أفراد من أهل العلم والفضل عن اجتهاد وحسن نية، وغيرة على الدين، أو عن تأول واجتهاد خاطىء، وهذا قليل، وخلاف الرأي الراجح عند السلف.

فالصنف الأول (الشيعة):

والشيعة: كالخوارج، وليدة الفتنة الأولى على عثمان، فكان أوائلهم من الرعاع والأعراب والأعاجم، ثم انحاز أغلب الأعراب إلى الخوارج، وانحازت غالبية الرعاع والموتورين والأعاجم وأهل المطامع والأهواء إلى التشيّع، فصارت الشيعة أكثر الناس مسارعة إلى الفتن لأسباب منها:

١ ــ كثرة أهل المطامع بينهم وطمعهم فيهم.

٢ ــ جهلهم وقلة فقههم في الدين.

٣ ــ مفاصلتهم للصحابة وللعلماء وأئمة الهدى لاعتقادهم الفاسد فيهم.

٤ ــ كثرة الأعاجم الموتورين بينهم خاصة (الفرس) من مجوس وغيرهم.

٥ ــ اعتقادهم عدم صحة الولاية للخلفاء والأئمة من أهل السنّة: كبني أمية، وغيرهم، سوى آل البيت، فيستجيبون لكل ناعق بالخروج والسيف على الأمة. وقد استقر الأمر في القرن الثالث وما بعده عند الرافضة أنهم لا يخرجون حتى يرجع مهديهم الموهوم، لكنهم بدا لهم أن يعدلوا عن هذه العقيدة حينما صاح بهم الخميني في هذا الزمان.

٦ ــ كثرة تحريضهم لآل البيت على الخروج رغم خذلانهم لهم في كل مرة.

٧ ــ حقدهم على المسلمين (أهل السنّة) فيسارعون إلى كل فتنة فيهم.

٨ ــ إضمارهم لعقائد وغايات تغاير ما عليه سائر المسلمين وعامتهم، مما جعلهم يشعرون بالعزلة ويلجأون للتلون والتّقيّة، وبالتالي تنامي الحقد والمفاصلة في نفوسهم لسائر المسلمين.

والصنف الثاني (الأعاجم):

ذلكم أن غالب الأعاجم من الأمم الموتورة، والشعوب المقهورة، فتكثر مسارعتهم للفتن لأسباب كثيرة منها:

١ ــ جهلهم، وحداثة عهد أكثرهم بالكفر، والمُلْكُ والعز الذي كانوا عليه، ثم سُلِبوه.

٢ ــ قلة فقههم في الدين، بسبب العجمة وغيرها.

٣ ــ العصبية، وكراهية العرب.

٤ ــ أن طوائف منهم دخلت الإسلام ظاهراً خوفاً من السيف أو الجزية، وأضمروا للإسلام والمسلمين الشر والكيد، فيسارعون إلى كل فتنة.

٥ ــ طمع أهل الأهواء فيهم للأسباب المذكورة، وتحريضهم لهم.

والصنف الثالث (الأعراب):

وهم الجفاة من أهل البادية، ومسارعتهم للفتن، لها أسباب منها:

١ ــ قلة فقههم في الدين.

٢ ــ سرعة اغترار الواحد منهم بما يتعلمه من القرآن، فيظن أنه صار عالماً بقليل من العلم.

٣ ــ جفاؤهم للعلماء، وترك التلقي عنهم، والاقتداء بهم.

٤ ــ تمكن العصبية القبلية من نفوسهم.

٥ ــ تغرير أهل المطامع بهم، واستغلال سذاجتهم وجهلهم.

٦ ــ حدة طباعهم ونفورهم من المدينة والخلطة، وإساءة الظن بالآخرين ممن لا يعرفونهم، وهذه من طباع الأعراب في كل زمان ومكان.

٧ ــ تشددهم في الدين، وتنطعهم بلا علم.

لذلك صار غالب الخوارج من هذا الصنف.

والصنف الرابع (القراء الجهلة):

القرّاء في الأصل: هم العلماء وطلبة العلم، وهم أزكى الأمة وعمادها، وأهل القدوة والحل والعقد فيها، لكن قد ينتسب إليهم من ليس بأهل، من أهل الجهل وقلة الفقه.

والقراء الجهلة المقصود بهم هنا: طائفة من قراء القرآن، والمنتسبين لطلب العلم الذين يقل علمهم وفقههم في الدين (حاشا العلماء). وتتجلى ظاهرة مسارعة القراء إلى الفتنة في الفتن الأولى: الفتنة على عثمان، ثم ما أعقبها في صفين والجمل، وفتن الخوارج، ثم فتنة ابن الأشعث، فقد كان بعض القراء من مادة هذه الفتن، ولذلك أسباب منها:

١ ــ الشدة في نزعة التدين عندهم مع قلة الفقه في الدين، مما يورث غيرة على الدين بغير علم ولا بصيرة، فتجرفهم الأهواء والعواطف باسم الغيرة على الدين، دون نظر في العواقب، ولا فقه لقواعد الشرع: كدرء المفاسد، وجلب المصالح.

٢ ــ الاغترار بما يحصله الواحد منهم من الآيات والأحاديث دون فقه ولا بصيرة، فيتوهم أنه صار من أهل العلم، الذين يحلّون ويعقدون في مصالح المسلمين.

٣ ــ تعاليهم على العلماء والأئمة، وظنهم أنهم وصلوا درجة الاستغناء عنهم وعن فقههم وعلمهم، تحت شعار (هم رجال، ونحن رجال!)[١] وقد قال علي ــ رضي الله عنه ــ في هذا الصنف: «يا أشباه الرجال ولا رجال»[٢].

---

(١) هذه من مقولات الخوارج قديماً، وهي تمثل منهجاً لكل من سلك سبيلهم في كل زمان.

(٢) نهج البلاغة ٧٠؛ والعقد الفريد ٣/ ٧٤.

٤ ــ اتخاذهم رؤساء جهالاً من بينهم دون العلماء والأئمة.

٥ ــ ولأن أهل الأهواء ورؤوس البدع والفتن ــ وغالبهم من الدهاة ــ يفزعون إلى القراء، فيغوونهم، ويستدرجونهم، ويستغلون نزعة التدين فيهم، ويستثيرون غيرتهم بلا بصيرة.

٦ ــ جهلهم بقواعد الاستدلال وأحكام الفتن.

وهذا الصنف من جهلة القراء الأوائل بين (الشيعة والخوارج). مع العلم أن القراء أهل الاستقامة وهم الأكثرون في الصدر الأول، هم خيار الأمة وعدولها، وتخرَّج منهم أئمة الهدى أعلام السنّة، والفقه في الدين. وكذلك هم في كل العصور، فإنما تسعد الأمة بقرائها، وتشقى بجهالها، فتأمل رحمك الله.

وجهلة قراء البصرة والكوفة كانوا أسرع إلى الفتن:

ويتميز جهلة قراء الكوفة بأنهم أسرع من غيرهم إلى الفتن؛ لأن فيهم تشيع، والمتشيع يشعر بأنه موتور، وأنه مضطهد، ومبادىء الشيعة عاطفية، لا تستند إلى نص صحيح، ولا إلى عقل سليم، ولا علم مأثور.

ويليهم جهلة قراء البصرة، لكنهم أقل تشيعاً، فلذلك نجدهم أعقل وأقرب للسنّة، وقد خرج من هؤلاء القراء ــ خاصة قراء الكوفة ــ أصناف من أهل الأهواء والبدع، فمنهم نبغت الخوارج، والشيعة، والتوابون (بعد مقتل الحسين حيث ندموا على خذلانه)، وهم أصول التصوف البدعي من الشيعة.

ومنهم العبَّاد المتصوفة (الفقراء والبكاؤون)، وهم أصول التصوف البدعي من المنتسبين للسنّة. وخرج منهم القُصَّاص الذين منعهم علي بن أبي طالب وغيره ــ رضي الله عنه ــ لنشرهم الحكايات والأحاديث التي لا تفهمها العامة، والإسرائيليات، والكذب أحياناً.

كما أن هذا الصنف من جهلة القراء: هم من الذين تمخضت عنهم السبئية، وليسوا من جنس القراء في عهد عمر ـ رضي الله عنه ـ فإن أولئك علماء الصحابة، وأهل الفقه، وأهل الرأي والمشورة.

قال البخاري في صحيحه: «وكان القراء أصحاب مشورة عمر كهولاً كانوا أو شباباً، وكان وقَّافاً عند كتاب الله ـ عز وجل ـ »[1].

والصنف الخامس (المنافقون):

والنفاق وصف شامل لكل من أظهر الإسلام وأبطن غيره: من ديانة، أو مذهب، أو عقيدة، أو ولاء لغير الإسلام وأهله.

ومن أظهر السنّة، وأبطن غيرها تحت أي شعار فهو منافق، أو فيه شعبة من النفاق بحسب حاله وما يبطنه، مثل كثير من أهل الأهواء والافتراق.

والمنافقون يتربصون بالإسلام وأهله الدوائر، كما أخبر الله عنهم، ويسارعون إلى كل فتنة تضر بالإسلام وتوهن المسلمين.

والصنف السادس (أهل الأهواء عموماً):

وبعد ظهور الفرق زادت أصناف أهل الفتن، فكما أن الخوارج والشيعة كانوا أهل الفتنة الأولى وما أعقبها في القرن الأول، وكذلك القدرية الأولى، فقد ظهرت في القرن الثاني فرق أخرى: كالجهمية، والمعتزلة، وغيرهما. أذكت الفتنة بين المؤمنين، وفرَّقت أهل الإسلام من جانبين:

الجانب الأول:

الفتنة في الدين، بإثارة الإشكالات والشكوك والبدع الاعتقادية، وما

---

(١) فتح الباري ١٣/ ٢٣٩.

يستتبع ذلك من: المراء، والجدال، والخوض في أمور الغيب، وفي أسماء الله وصفاته، والقدر، والإيمان مما فتق عقائد السوء، ومقالات الضلالة، والأهواء، والخصومات في الدين على المسلمين.

والجانب الثاني:

أن أتباع الفرق ورؤوسها كانوا أسرع الناس إلى السيف والخروج على الأئمة، وتحريض الناس على الفتنة والخروج والبغي على المسلمين وأئمتهم.



(١٩)

مراحل ظهور الأهواء والبدع وتطورها

مرت الأهواء والبدع والافتراق في نشأتها وتطورها وأصولها بمراحل، ويمكن تقسيم هذه المراحل إلى أزمنة تقريبية من خلال الاستقراء:

المرحلة الأولى (النصف الأول من القرن الأول):

وهي: مرحلة نشأة البذور الأولى للافتراق، وتتميز هذه المرحلة بما يلي:

١ ـ أن نزعات الأهواء كانت فردية ساذجة في الغالب، أو من أناس ليسوا من الأمة: كالنصارى واليهود أو المنافقين، وليست جماعية، وليس لها أتباع ورؤوس، عدا الفتنة (السبئية) على عثمان فإنها كانت مبيتة فيما يظهر، ولها زعماء وجمهور من الرعاع والغوغائية، وتمخضت عنها أول الفرق (الشيعة والخوارج).

٢ ـ كما بدأت في وقت مبكر نزعات الابتداع: كالتعلق بالآثار وتقديسها، وبدع الأذكار: كالتكبير الجماعي، والكلام في المتشابهات، وفي القدر. لكنها لم تستقر ولم تنتشر، بل كانت يقضى عليها في مهدها.

٣ ـ أن الصحابة والتابعين وقفوا لهذه الأمور بحزم وعلم، فلم تفلت، بل قمعوها، وظلت مغمورة في عهدهم.

٤ ــ لذلك لم تنتشر، ولم تؤثر أثراً بالغاً إلاَّ بعد حين، بعد القرون الفاضلة حين كثرت الأهواء وكثر الجهل.

٥ ــ أن جماعة المسلمين واحدة، وإمامهم واحد، وكلهم وسوادهم الأعظم على السنّة.

٦ ــ ظهرت فيها أول الفرق بعد الفتنة على عثمان، وهي: (الشيعة، والخوارج).

٧ ــ لم تظهر في هذه المرحلة الفلسفات، والقواعد الكلامية، والجدلية المتعمقة، ولم يتكلم أصحابها في: أسماء الله، وصفاته، والقدر، والسمعيات على نحو ما حدث فيما بعد.

المرحلة الثانية (النصف الثاني من القرن الأول):

وفي هذه المرحلة:

١ ــ تطورت الفرق الأولى: (الشيعة، والخوارج) وتوسعت عقائدها، وتشعبت فرقها.

٢ ــ كما نشأت فرق جديدة وهي: القدرية الأولى، والمرجئة الأولى: كالغيلانية.

٣ ــ وبرز للأهواء زعماء ورؤوس اشتهروا بذلك مثل: معبد الجهني، وغيلان الدمشقي، والمختار بن أبـي عبيد، يعرفون بها وتعرف بهم.

٤ ــ كما أحدثت بعض البدع: كالبناء على الصخرة في بيت المقدس لغرض سلطاني، ومع ذلك لم يكن الناس يرتادونها للتبرك والتقديس.

٥ ــ اشتد نكير السلف لهذه البدع المحدثات، وبدَّعوا أهلها، وحذَّروا من التلقي عنهم ومن مجالستهم ومخالطتهم، فكان الواحد منهم كالأجرب، لا يجالسه إلاَّ أمثاله.

المرحلة الثالثة (القرن الثاني):

وفي هذه المرحلة:

١ ـ **تطورت الفرق الأولى وزادت فرقها**، وتوسعت مقالاتها وكثر أتباعها.

٢ ـ **ظهرت فرق جديدة**، وتأصلت قواعد الفرق الكبرى: كالمعتزلة، والجهمية، والمرجئة الثانية (الجهمية) ومرجئة الفقهاء، وقد بدأت بذورها في الفترة السابقة، والجبرية، والقدرية الثانية (قدرية المعتزلة)، وتميزت الرافضة عن الزيدية (الشيعة) وظهرت المشبهة.

٣ ـ **برزت المؤثرات الأجنبية في عقائد أهل الافتراق والأهواء**: اليهودية، والنصرانية، والصابئة، والمجوسية الفارسية، والهندية، واليونانية، والفلاسفة.

٤ ـ **تأصلت الضلالة والافتراق مثل:**

(١) التعطيل.

(٢) والتأويل.

(٣) والاعتماد على العقليات والفلسفات في تقرير العقائد.

(٤) والتشبيه.

(٥) والغلو في الدين.

(٦) والغلو في الأشخاص.

(٧) وقَضْبُ السلف (أي سب الصحابة وأئمة الهدى) على يد الرافضة.

(٨) ونزعات الباطنية من خلال فرق الرافضة.

٥ ـ **ظهرت قواعد الجدل والخصومات** والمراء في الدين، التي نهى الله عنها، ونهى عنها رسوله ﷺ.

٦ ـ **بدأت بذور الصوفية المنحرفة**، وبدأت طلائعها قبل ظهور الطرق. ويتمثل ذلك في ظهور الرهبانية، والتشدد في العبادة، ومخالفة السنّة في بعض الأمور

٧ ـ **تميز موقف السلف** أمام هذا الزحف بالقوة والصلابة، والتصدي للأهواء وأهلها، حتى قتل من رؤوس البدع والضلالة عدد كبير.

المرحلة الرابعة (القرن الثالث):

وفي هذه المرحلة:

١ ـ **تطورت الفرق، وتشعبت، وتوسعت مقالاتها**، وكثر أتباعها، وتمكنت، واختلطت.

٢ ـ **ظهرت فرق جديدة** تتمثل بالفرق الكلامية التي قامت متأثرة ببعض أصول الجهمية والمعتزلة وهي (الكُلَّابية). لكنها مع ذلك كانت أقرب للسنّة والسلف بكثير من الفرق الكلامية التالية.

٣ ـ **كما ظهرت فرق الباطنية** وطلائعها الأولى الخبيثة، وتمكنت من بعض البلاد الإسلامية: كالخرمية، والقرامطة، والعبيدية، والإسماعيلية، وصارت لها دويلات أشاعت البدع والكفريات، ونشرت القبوريات والشركيات، وقُمِعَتْ السنّة في البلاد التي سيطر عليها هؤلاء الطغام.

٤ ـ **بدأت في هذه المرحلة طلائع الصوفية الضالة الطرقية**، والحلولية (كالحلاجية)، وعظمت الشطحات الصوفية وأحوالها البدعية مثل: الوجد، والذوق، والكشف، والسماع، والتفريق بين الحقيقة والشريعة، ودعاوى العلم اللدني، والتلقي عن غير الشرع، والفناء، والحلول والاتحاد، واختلاط التصوف بالفلسفة.

٥ ـ **تمكنت الفرق والأهواء من الدولة والسلطان** في عهد المأمون والمعتصم والواثق، وفرضت عقائد الجهمية والمعتزلة بالقوة وأحياناً بالسيف.

٦ ـ **تصدى أئمة السنّة لهذا الزحف الخبيث**، وعلى رأسهم الإمام أحمد، وحدثت أحداث جسام، انتهت بنصر السنّة تحت راية الإمام أحمد.

٧ ـ **برزت أول ظاهرة في المعتزلة**، وهي انقلاب أحد رؤوسهم عليهم، وهو أبو الحسن الأشعري، حتى تصدّى لهم وكشف عوارهم، وأبطل حججهم وكسرهم، فكان موقفه عاضداً لموقف السلف وموقف الإمام أحمد.

٨ ـ **اشتد موقف السلف ضد الأهواء والبدع**، وعظم بلاؤهم في ذلك، وتصاعدت المواجهة، وحشدت جحافل الحق ضد أهل الأهواء من الجهمية والمعتزلة والرافضة، حتى استبان الحق، وقامت الحجة، واستبصرت الأمة، ولم يبق على طريق الضلالة إلاَّ معاند مصر على بدعته. وتوج عمل السلف بموقف الإمام أحمد في المحنة، حتى انبلج الحق لكل ذي بصيرة، كما كثرت في هذه المرحلة المصنفات والردود من أئمة السلف ضد رؤوس البدع والأهواء، وارتسمت مناهج السلف في تقرير العقيدة وحمايتها والرد على أهل الخصومات. واستبان طريق السنّة للقاصي والداني؛ ولم تبق لمعاند حجة، لكن قدر الله ـ تعالى ـ كائن، وسنته نافذة، في وقوع الافتراق والاختلاف بعد قيام الحجة وبيان المحجة ولا يزال الناس مختلفين ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [سورة هود، الآية: ١١٩].

المرحلة الخامسة (في القرن الرابع وما بعده):

وفي هذه المرحلة:

١ ـ **تطورت الفرق الأولى**، واتسعت مقالاتها، وكثرت فرقها.

٢ ـ **انحسرت الجهمية والمعتزلة**، وتفرقت تركتها، وامتزجت أصولها وعقائدها ومقالاتها في الفرق الأخرى: كالرافضة، والخوارج، والباطنية، والفلاسفة، وأهل الكلام.

٣ ـ **ظهرت الفرق الكلامية التي لفَّقت** بين بعض مناهج السلف ومناهج أهل الكلام، وهي: (الأشاعرة، والماتريدية) وتعد امتداداً للكلابية.
وكانت ـ خاصة الأشاعرة ـ في نشأتها أقرب إلى السنّة وأصول السلف، لكنها مع الزمن مالت إلى أصول الجهمية، والفلاسفة، والصوفية.

٤ ـ **وفي هذه المرحلة نشأت الصوفية الطرقية الضالة**، كما ظهرت من خلال التصوف المذاهب الإلحادية والحلولية، والاتحادية، وأصحاب وحدة الوجود.

٥ ـ **وظهرت مذاهب الفلاسفة الإلحادية**، والمذاهب المتفرعة عنها من أمثال ابن سينا، وابن سبعين، وابن عربي، والسهروردي المقتول، وابن الفارض وذويهم.

٦ ـ **وفي هذه المرحلة امتزجت** مذاهب المتكلمين الأشاعرة ومن سلك سبيلهم بمذاهب: الفلاسفة، والجهمية، والمتصوفة، والمقابرية.

٧ ـ **في هذ المرحلة** زاد تمكن الباطنية وظهورها، وانتشرت عقائدها وبدعها الخبيثة في أقطار كثيرة، فقد تمكنت في مصر والمغرب، وفي البحرين وأجزاء كبيرة من العراق، ووصلت إلى الشام، وتمكنت في

اليمن، وعاثت في الأرض فساداً، أكثر من قرنين من الزمن، وهي التـي نشـرت بـدع القبـور والبنـاء عليهـا، والمـزارات والمشـاهـد، والموالد، والأعياد والاحتفالات البدعية، وتقديس الأشخاص والآثار والأشجار والأحجار وغير ذلك مما يتدين به الصوفية والمقابرية والخرافيون إلى اليوم، الذين يزعمون أنهم على السنّة، وهم في الحقيقة على سنن الباطنية.

أما أهل السنّة: الرسول ﷺ، وصحابته، والتابعون، وأئمة الهدى، فهم بريئون مما يصنع المبتدعون، وهذا كتاب الله ناطق بالحق، وسنَّة رسوله ﷺ، كالبيضاء إن كانوا صادقين.



(٢٠)

ما من بدعة تظهر
إلا يقيض الله من يتصدى لها

ما من بدعة ظهرت إلا يقيض الله لها من يردّها، ويكشف عوارها، وينصر السنّة. وما من رأس من رؤوس الضلالة والبدع والأهواء إلا يقيض الله له من أعلام السنّة وأئمة الهدى من يتصدّى له، ويفضحه، ويبين أمره، ويرد عليه بدعته، وينشر السنّة، ويقيم الحجة.

وهذا تحقيق ما تكفّل الله به ووعد، من حفظ الدين، وبقاء السنّة، وظهور طائفة على الحق إلى قيام الساعة.

ومن نماذج ذلك:

١ ـ **لما حدثت الردّة بعد موت رسول الله ﷺ**، قيض الله لها أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ فوقف وقفته الحازمة المشهورة، التي كسر الله بها موجة الردة، وأعز الله بها الدين.

٢ ـ **لما ظهرت نزعات الابتداع الأولى في عهد عمر** ـ رضي الله عنه ـ : كالكلام في القدر، والاحتجاج على المعاصي، ومتشابه الآيات، قيض الله لها عمر ـ رضي الله عنه ـ فأقام معوجها بدرته المشهورة، فأدّب صبيغاً لخوضه في الآيات المتشابهات[١]، وأدّب الأمة كلها بقطع شجرة

(١) انظر: سنن الدارمي ١/ ٥٥، ٥٦؛ والشريعة للآجري ٧٣.

الحديبية لقطع دابر البدع[1]، ونهى الذين كانوا يرتادون مواطن محددة للتعبد عندها مما لم يرد به الشرع[2].

ونَهَرَ كعب الأحبار، وقال له: «لقد ضاهيت اليهودية» حينما أشار كعب أن يصلي عمر إلى الصخرة في بيت المقدس[3]. . وهكذا.

٣ ــ **وحسم عثمان** ــ رضي الله عنه ــ **دابر الاختلاف** حول القرآن بجمعه وتدوينه.

٤ ــ **وأدّب عليّ** ــ رضي الله عنه ــ **الشيعة الغلاة** وحرقهم في النار حينما علم أنهم يقدّسونه[4]، وأمر بجلد المغتربة من الشيعة الذين فضَّلوه على أبي بكر وعمر[5]، ومنع القصَّاص (الوعاظ) حينما أخذوا يحدثون بالحكايات وما لا أصل له، وما لا تدركه العامة[6]، خوف الفتنة والقول على الله بغير علم.

٥ ــ **ولما ظهرت الخوارج** قيض الله لها سائر الصحابة وعلى رأسهم عليّ ــ رضي الله عنه ــ وابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ فأقاموا عليهم الحجة، وبينوا لهم المحجة حتى رجع منهم من كان يريد الحق، وأصر أهل الأهواء على بدعتهم. فقاتلهم الصحابة احتساباً وامتثالاً لأمر رسول الله ﷺ، وقمعاً لبدعتهم.

٦ــ **ولما ظهرت القدرية** في النصف الثاني من القرن الأول تصدى لها

---

(١) انظر: البدع والنهي عنها ص ٤٢.
(٢) انظر: البدع والنهي عنها ص ٤٢.
(٣) انظر: مسند أحمد ١/ ٣٨؛ والبداية والنهاية ٧/ ٥٨.
(٤) انظر: منهاج السنة ١/ ١١.
(٥) انظر: منهاج السنة ١/ ١١.
(٦) انظر: تحذير الخواص للسيوطي ٢١٣.

متأخرو الصحابة: كعبد الله بن عمر، وابن عباس، وجابر بن عبد الله، وواثلة بن الأسقع ــ رضي الله عنهم ــ وكان من أشدهم على القدرية ابن عمر، الذي حذر منها، وأنذر، وكشف عوارها، وحذر من معبد الجهني رأس القدرية وأصحابه، ونهى عن مجالستهم ومخالطتهم والتلقي عنهم، وكذلك ابن عباس، وكذلك لمَّا أعلن غيلان الدمشقي بدعة القول بالقدر، تصدى لها التابعون وعلى رأسهم مجاهد، والخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز، وريحانة الشام الأوزاعي، لكنه أصر على بدعته حتى قتله هشام بن عبد الملك.

٧ ــ **ثم ظهر رأس الجهمية** (الجعد بن درهم) وداعية الضلالة، وأعلن بدعه، فقيض الله لها جماعة من أئمة التابعين وتابعيهم، أمثال: الأوزاعي، والزهري، وخالد بن عبد الله القسري (قصَّاب الزنادقة) الذي ضُحيَ به يوم عيد الأضحى.

٨ ــ **ثم اعتزلت المعتزلة الأولى** وعلى رأسهم واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، فقيض الله لهم أئمة السنّة أمثال: الحسن البصري، وأيوب السختياني، وابن عون، وثابت البناني، وابن سيرين، وحماد بن زيد، ومالك بن أنس، وأبـي حنيفة، وابن المبارك، وهكذا كلما كثرت حشود البدعة تصدت لها جحافل السنّة.

٩ ــ **ولما كثرت الرافضة** قيض الله لها أمثال: الشعبـي، والشافعي وعبد الله بن إدريس الأودي أبو محمد.

١٠ ــ **ولمَّا برز رأس الجهمية** الجهم بن صفوان، تصدى له سائر أئمة السلف، كالزهري، ومالك، وأبـي حنيفة، ثم عبد الله بن المبارك، وأمثالهم.

١١ ــ **ثم نبغ بشر المريسي رأس الجهمية في زمانه،** فقيض الله له أمثال عثمان بن سعيد الدارمي، والشافعي، والكناني.

١٢ ــ **ولمَّا احتشدت حشود الأهواء** زمن المأمون، وبعدها من الجهمية والمعتزلة، ومن سار على نهجهم، وعلى رأسهم ابن أبـي دؤاد، قيض الله لهم إمام السنّة وقامع البدعة الإمام أحمد بن حنبل، فكسرهم كسرة لم ينهضوا بعدها إلا متعثرين بحمد الله.

١٣ ــ **ولما تجمعت فلول الجهمية المعتزلة** في آخر القرن الثالث، وصالت صولتها، قيض الله لها أبا الحسن الأشعري، وكان الخبير بعوارها، لأنه كان معتزلياً، فهداه الله للسنّة، فحشر المعتزلة في قمع السمسمة ــ كما قيل ــ وكسرهم، فانهزموا هزيمة منكرة.

١٤ ــ **ولما نبغت نابغة الكلام وريثة الجهمية والمعتزلة،** وبدأ أهل الكلام يخوضون في صفات الله تعالى والإيمان والقدر، تصدى لهم أئمة السلف في القرن الرابع والخامس، كالبربهاري، وابن خزيمة، وابن بطة، والهروي، واللالكائي، وابن منده، والملطي، والصابوني، والآجري، وابن وضاح، والبغوي، وابن عبد البر، وأمثالهم.

١٥ ــ **وفي القرون السادس والسابع والثامن:** عمت البلوى بالبدع والأهواء والافتراق، وهيمنت الفرق في سائر البلاد الإسلامية، واستحكمت الصوفية ببدعها، وساد الكلام والفلسفة والباطنية والدجل، وتسلط الكفار على كثير من بلاد المسلمين في الشام وغيرها.

فقيض الله أمثال: الشاطبـي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلاميذه، فتصدى لجحافل البدع وعساكر الضلالة، وجاهد في كل ميدان بلسانه وقلمه ويده، فقد تصدى لأهل الكلام، والفلاسفة، والباطنية، والصوفية، والرافضة، واليهود، والنصارى، والصابئة.

كما كان مجاهداً بعلمه ولسانه وسيفه للكفار التتار، والنصارى الصليبيين والبغاة، وكان يشجع المسلمين على الجهاد في كل ميدان، وله في ذلك إسهامات مشهورة مشهودة.

وكان ناصحاً لولاة المسلمين وأئمتهم، يذكرهم، ويعظهم، ويحثهم على الجهاد، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر بحكمة وقوة، كما كان ناصحاً لعامة المسلمين وعلمائهم، وكان آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، هو وأتباعه يصدع بذلك، ولا يخاف في الله لومة لائم، حتى أبان الله به السنّة، ونصر الله به راية السلف، وكشف الله به أهل البدع وعقائدهم ومناهجهم، وحتى أقام الحجة، وأبان المحجة، ونصر الملة، ولا تزال آثاره ومؤلفاته مرجعاً لكل صاحب سنة، وقذىً في عين كل صاحب بدعة، وفيها فرقان بين الحق وأهله، وبين الباطل وأهله ــ رحمه الله ــ وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

وأرى أنه من المفيد أن نستعرض حال المسلمين في وقته، ومدى استحكام البدع والأهواء والفرق، وتسلط الأعداء في الداخل والخارج، وما أشبه الليلة بالبارحة.

أحوال الأمة في عهد شيخ الإسلام ابن تيمية (في القرن السابع والثامن):

قال مبيناً أن بلاد الشام ومصر في عهده كانت أسلم بلاد المسلمين:

«فهذا وغيره مما يبين أن هذه العصابة التي بالشام ومصر في هذا الوقت: هم كتيبة الإسلام، وعزهم عز الإسلام، وذلهم ذلّ الإسلام، فلو استولى عليهم التتار لم يبق للإسلام عز، ولا كلمة عالية، ولا طائفة ظاهرة عالية، يخافها أهل الأرض تقاتل عنه»[1].

---

(١) الفتاوى ٢٨/ ٥٣٤.

وقد ذكر أحوال الأمة في عهده في سائر بلاد المسلمين على النحو التالي:

(أ) أحوال الأمة في (اليمن):

قال: «وذلك أن سكان اليمن في هذا الوقت ضعاف عاجزون عن الجهاد، أو مضيعون له، وهم مطيعون لمن ملك هذه البلاد حتى ذكروا أنهم أرسلوا بالسمع والطاعة لهؤلاء، وملك المشركين لما جاء إلى حلب جرى بها من القتل ما جرى»[1].

(ب) أحوال الأمة في (الحجاز):

قال: «وأما سكان الحجاز فأكثرهم أو كثير منهم خارجون عن الشريعة، وفيهم من البدع والفجور والضلال ما لا يعلمه إلا الله، وأهل الإيمان والدين فيهم مستضعفون عاجزون، وإنما تكون القوة والعزة في هذا الوقت لغير أهل الإسلام بهذه البلاد، فلو ذلت هذه الطائفة ـ والعياذ بالله تعالى ـ لكان المؤمنون بالحجاز من أذل الناس لا سيما وقد غلب فيهم الرفض»[2].

(ج) أحوال الأمة في (أفريقية):

وقال: «وأما بلاد أفريقية، فأعرابها غالبون عليها، وهم من شر الخلق، بل هم مستحقون للجهاد والغزو، وأما المغرب الأقصى مع استيلاء الإفرنج على أكثر بلادهم، لا يقومون بجهاد النصارى هناك، بل في عسكرهم من النصارى الذين يحملون الصلبان خلق عظيم، لو استولى التتار على هذه البلاد لكان أهل المغرب معهم من أذل الناس»[3].

---

(١) الفتاوى ٢٨/ ٥٣٣.

(٢) الفتاوى ٢٨/ ٥٣٤.

(٣) الفتاوى ٢٨/ ٥٣٣.

(د) أحوال الأمة في (الشام ومصر):

كانت بلاد الشام ومصر ـ رغم كثرة البدع وانتشار الرفض والباطنية ـ من أسلم البلاد، وكان أهل السنّة فيها ظاهرون. قال شيخ الإسلام: «ومن يتدبر أحوال العالم في هذا الوقت، يعلم أن هذه الطائفة هي أقوم الطوائف بدين الإسلام: علماً، وعملاً، وجهاداً عن شرق الأرض وغربها، فإنهم هم الذين يقاتلون أهل الشوكة العظيمة من المشركين وأهل الكتاب، ومغازيهم مع النصارى ومع المشركين من الترك، ومع الزنادقة المنافقين من الداخلين في الرافضة وغيرهم، كالإسماعيلية ونحوهم، والقرامطة معروفة معلومة قديماً وحديثاً. والعز الذي كان للمسلمين بمشارق الأرض ومغاربها هو بعزهم، ولهذا لما هُزموا سنة تسع وتسعين وستمائة دخل على أهل الإسلام من الذل والمصيبة بمشارق الأرض ومغاربها ما لا يعلمه إلا الله، والحكايات في ذلك كثيرة، ليس هذا موضعها»[1].

١٦ ـ **وفي العصور المتأخرة**: استحكمت البدع والشركيات، وانتشرت الطرق الصوفية والمقابرية، والعادات الجاهلية ـ خاصة في جزيرة العرب ـ ، فقيض الله لها ناصر السنّة وقامع البدعة: الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب وأتباعه، فطهَّر الله بدعوته المباركة أرض جزيرة العرب ـ خاصة الحجاز ونجد وما حولها ـ من البدع والشركيات والمقابرية والصوفية الضالة، كما نفع الله بدعوته سائر أقطار المسلمين، حيث اعتزت بها السنّة وأنصارها، وانتصرت السلفية، واحتمت، وآوت إلى ركن شديد.

ولا نزال ـ بحمد الله ـ نرى ثمار هذه الدعوة في كل مكان، رغم تكالب جحافل البدعة، وما أجلبوه عليها بخيلهم ورجلهم: بالسب،

(١) الفتاوى ٢٨/ ٥٣٢، ٥٣٣.

والهمز، واللمز، وإعلان العداوة، وصد الناس بشتى الوسائل، والله غالب على أمره.

١٧ ــ **ولما نبغت نابغة (قصب السلف)** في القرن الماضي (الرابع عشر الهجري)، على لسان الكوثرية، معلنة انتقاص بعض أئمة السلف، ورفعت راية الكلام والتجهم، واتهام السلف وأتباعهم، ورميهم بالألقاب المشينة والألفاظ المقذعة مثل: الحشوية، والمشبهة، والحمقى، والجهلة، والأوباش، والرعاع، قيض الله لهم أمثال: المعلمي، والألباني، وبكر أبو زيد، وسائر مشايخنا حفظهم الله.

١٨ ــ **ولما أخرجت البدع أعناقها في البلاد الطاهرة** على يد أحد المنتسبين للعلوية وأتباعهم، قيض الله لها طائفة من المشايخ وطلاب العلم وفقنا الله وإياهم، ولا يزال مشايخنا لهم جهود مشكورة في هذا المضمار، وفقهم الله، وسدد خطاهم.

وهكذا ما من بدعة إلا يقيض الله عندها للسنّة ناصراً، يبين للناس الحق، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيي عن بينة، ولله عاقبة الأمور.

اختلاط الفرق وأهل الأهواء:

المتأمل لحال أهل الأهواء والافتراق منذ نشأة الفرق إلى أن تكاثرت، وانتشرت، واستقرت في القرن الثالث وما بعده، يتوصل للنتائج التالية:

١ ــ **أن كل فرقة** تبدأ ضلالاتها بأمور معدودات، ثم تتطور حتى تشمل سائر أصول الاعتقاد، ودقائق الأمور وتوافهها.

٢ ــ **أن كل فرقة** يوجد فيها القول وما يناقضه.

٣ ـ **أنها تفترق إلى فرق** متعادية، ومتناحرة، ومتباينة.

٤ ـ **أن سائرهم يكفر بعضهم بعضاً**، بل الفرقة الواحدة يكفر بعضها بعضاً في الغالب.

٥ ـ **أن الفرقة الواحدة تتحول من قول إلى قول**، وقد تقول وتذهب إلى مذهب خصومها.

٦ ـ **أنهم كثيراً** ما يتحولون من مذهب إلى نقيضه؛ إلا أنهم لا يوفقون للسنّة، ولا يهتدون لها، ولا يتحولون إليها (عدا أفراد قليل)، فلا يعرف في التاريخ أن فرقة تركت بدعها إلى السنّة، بل تتحول إلى ما هو أسوأ كما أخبر النبي ﷺ عنهم: (**تتجارى بهم الأهواء، كما يتجارى الكلب بصاحبه**)[1].

فقد تطورت الخوارج إلى أن زادت على أصولها الباطلة، حتى قالت بأقوال الجهمية والمعتزلة، وتطورت الشيعة إلى القول بالتشبيه ثم الاعتزال والتجهم، ثم الباطنية، والخروج من أصول الإسلام أصلاً أصلاً، وتجريم السلف الصالح بما فيهم الصحابة والقول بردتهم.

وتطورت الصوفية من مجرد مخالفات وشطحات في العبادة والسلوك إلى مناهج ومذاهب إلحادية وباطنية وفلسفية وبدعية ضالة، وتحولت القدرية إلى معتزلة.. وهكذا... **وإليك بيان شيء من ذلك**:

١ ـ الخـــوارج:

كانت الخوارج في أول أمرها لم تتجاوز أصولها مسائل معدودات، تدور حول تكفير مرتكب الكبيرة وإنكار الشفاعة، وتكفير بعض الصحابة وغيرهم: كأهل التحكيم، ومن رضي به، واستحلال الدماء، ونحو ذلك.

---

(١) أخرجه أبو داود رقم (٤٥٩٧)، كتاب السنّة؛ وأحمد ٤/ ١٠٢.

ولم يكن لهم كثير كلام في الصفات، والقدر، والسمعيات، والمسائل الكلامية.

لكن مع الزمن تجارت بهم الأهواء، وتفرقت بهم السبل، حتى أصبحت الخوارج من الفرق الكلامية، فقالت في القرآن والرؤية بقول الجهمية، وفي الصفات بقول المعتزلة، وخاضت في القدر والسمعيات، وقالت بعدم حجية خبر الآحاد في العقائد، كما زعمت المعتزلة ومتأخرو الأشاعرة والماتريدية. وتكلم الخوارج في دقائق المسائل الكلامية كما فعل أهل الكلام.

٢ ـ الشيعة:

كان لفظ الشيعة في أول الأمر يطلق ـ غالباً ـ على المفضلة لعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ على سائر الصحابة، أو على الشيخين، أو الثلاثة. وكانت الشيعة التي تقول بإلاهية عليّ، أو تقول بالرجعة والوصية، والعصمة، وتسمى (السبئية) أو (الغالية).

ومع الزمن، وفي القرن الثاني تحولت الشيعة إلى أصناف متباينة، يجمعها الغلو في آل البيت، وتفرقت بها السبل، وتجارت بها الأهواء، فتحولت أولاً إلى: رافضة باطنية، وزيدية معتزلة، ثم ظهر فيها التشبيه والتجسيم، ثم التجهم والاعتزال.

ثم كثر فيها الخوض في مسائل الاعتقاد، فقالت بأكثر مقولات الجهمية والمعتزلة، وظهرت فيها الحركات الباطنية الخالصة في القرن الثالث، كالإسماعيلية، والقرامطة، والعبيدية، والخرمية، والدرزية.

وظهرت منها كذلك بدع الصوفية، فأول مظاهر الانحراف إلى التصوف البدعي بدأت في عبّاد الشيعة الأوائل. وعنها انبثقت المقابرية

المشركية والبدعية، وبدع المشاهد، والمزارات، والقبور، وتقديس الأشخاص، والأشجار، والأحجار، والغيران، وسائر مظاهر الوثنية.

٣ ــ القدرية الأولى: (قدرية معبد وغيلان):

كانت أول أمرها في القرن الأول لا تتجاوز الكلام في القدر إلا في القليل، ومن غير تأصيل بيِّن، لكنها مع الزمن وفي أول القرن الثاني تحولت إلى: المعتزلة، والجهمية، وانصهرت فيها، وخاضت في سائر أصول العقيدة.

٤ ــ المعتزلة:

والمعتزلة في أول أمرها لم تتجاوز أصولها مسائل معدودات تدور حول الفاسق الملّي وحكمه في الدنيا (المنزلة بين المنزلتين) والآخرة، والشفاعة، ثم قالت بالقدر حيث أنكرت التقدير والعلم السابق والكتابة، ثم قالت بأن الإنسان هو خالق أفعاله على نحو قول المجوس.

ثم أنكرت المعتزلة سائر الصفات وأوّلت بعض الصفات، وقالت في القرآن والرؤية بقول الجهمية.. وهكذا تجارت بها الأهواء تدريجياً حتى صارت: جهمية، قدرية، كلامية، فلسفية، عقلانية، لها أقوال منكرة في سائر أصول الاعتقاد: في الأسماء، والصفات، والقدر، والإيمان، والسمعيات؛ بل وأحدثت من المقولات الباطلة والمسائل المتكلفة، ما كانت به قدوة سوء لكل من جاء بعدها من أهل الكلام والزيغ.

ومن ناحية أخرى كان قدماء المعتزلة يميلون إلى الخوارج، ومتأخروهم في القرن الثالث صاروا يميلون إلى التشيّع والزيدية[1].

---

(١) انظر: منهاج السنة ٨/ ٢٢٤.

كما أن أصول المعتزلة ومناهجهم انصهرت بقوالب أخرى في أصول أهل الكلام ومناهجهم، وتوزعتها فرق الرافضة، والخوارج، ومتكلمة الأشاعرة، ونحوهم.

٥ ـ الجهمية:

كانت مسائل الجهمية الأولى تدور حول نفي الأسماء والصفات (لله تعالى) وإنكار بعض السمعيات أو تأويلها، وإنكار الكلام، والخلة، والتكليم، والرؤية. ثم تجارت بها الأهواء حتى صارت: كالمعتزلة، واندمجت الفرقتان في القرن الثالث وما بعدها.

ولذلك كان كثير من السلف لا يفرقون بين الفرقتين، ويطلقون على كل من قال بأصولهما في الصفات والرؤية والكلام والقرآن والإيمان: جهميّاً، وانصهرت أصول الجهمية: كالمعتزلة في أصول الكلام ومناهجهم، وأخذ بها كبارهم: كالجويني، والرازي، واحتضنها الفلاسفة، والباطنية، والمتصوفة. فكثر فيهم التجهم. وظهرت ثمار الجهمية النكدة في عقائدهم وأعمالهم.

٦ ـ الصوفية:

كانت الصوفية في أول عهدها على سمة السلف في العقائد والأصول، وكانت مخالفاتها محصورة في بعض مظاهر التعبد والسلوك، وأغلب ذلك منشأه الجهل.

لكن مع الزمن تجارت الأهواء بالعبَّاد والصوفية حتى دخلتهم الرهبانية المبتدعة، وسلكوا مسالك الأمم الغابرة الهالكة، وتشبهوا بعباد النصارى والهنود وغيرهم. وتعبدوا بالمحرمات: كالسماع، والنظر الحرام، وبدأت فيهم الطرقية، وابتدعوا طقوس المشايخ والمربين، وظهرت فيهم الشطحات

والكلمات والعبارات المريبة المخلة بالتوحيد والقدر، وكان هذا واضحاً خلال القرن الثالث.

ثم تطورت بدع الصوفية في نهاية القرن الثالث وما بعده، حتى صارت مأوى لكل مبطل وزنديق، وأوعية لكل مذهب ونحلة، ومستقر لكل فرقة وضلالة. فظهرت في بعض فصائل الصوفية وطرقها عقائد: اليهود، والنصارى، والمجوس، والهنود، والفرس، والصابئة، والملاحدة، والفلاسفة، والدهرية، والمشركين، والباطنية، والقدرية، والمرجئة، والجبرية، والتشيع.

فأصبحت الصوفية مشاعة بين جميع أهل الأهواء والبدع، حتى اشتهر فيهم الإلحاد والزندقة، وأعلن بعضهم الحلول والاتحاد ووحدة الوجود.

ولقد ابتُلي بها كثيرون من المنتسبين للسنّة، فانتسب بعضهم للطرقية المبتدعة.

٧ ــ المرجئة والجبرية:

وكانت المرجئة الأولى لا تتجاوز الكلام في الإيمان، وأنه التصديق فقط، وأن الأعمال لا تدخل فيه، وأنه لا يزيد ولا ينقص، وأنه لا يجوز الاستثناء في الإيمان، وذلك في القرن الثاني.

ثم تجارت بهم الأهواء في القرن الثالث والقرن الرابع وما بعده، إلى أن تحولت المرجئة إلى الفرق الكلامية: الماتريدية الأحناف، والأشاعرة، ومن سلك سبيلهم، ولا يزال الإرجاء فيهم إلى يومنا.

وكذلك الجبر كان في الجهمية، وهي الجبرية الخالصة الغالية، ثم صار الجبر في الصوفية وأهل الكلام.

٨ ـ أهـل الكـلام:

كانت الفرق الكلامية الأولى (الكلاَّبيَّة، ثم الأشاعرة، والماتريدية) أقرب إلى سمت السلف، وكانت مخالفتها لأئمة السنّة والجماعة لا تتجاوز مسائل معدودة في الصفات الاختيارية، وكلام الله ـ تعالى ـ وبعض مسائل القدر (في الكسب والاستطاعة)، أما سائر الأصول فهم على نهج السلف، وكان ذلك في أول القرن الرابع.

لكن مع الزمن تحولت الأشاعرة والماتريدية (أهل الكلام) إلى فرق كلامية خالصة، وورثت مناهج خصومها (وخصوم السلف) الجهمية والمعتزلة في تقرير العقائد.

ثم تجارت بها الأهواء حتى بعدت عن نهج السلف واقتربت من مناهج المخالفين وأخذت بها أحياناً. فخالفت في الصفات (سوى سبع صفات أو ثمان أو أربع عشرة أو عشرين) على اختلاف بينهم.

وخالفت في مفهوم التوحيد وتقريره، وخالفت كذلك في مناهج تلقي الدين ومصادره، حيث اعتمدت على العقليات والقواعد الفلسفية في تقرير العقيدة. وقالت بعدم حجية الآحاد إلا في الأحكام. وخالفت في الإيمان ومسائله، حيث أنكرت دخول الأعمال في مسمى الإيمان، وأنكرت زيادة الإيمان ونقصانه، والاستثناء في الإيمان، ودخلها التصوف، وظهر فيها (قَصْبُ السلف) وسبهم، ولمزهم بالحشو والتجسيم والتشبيه.

وانتهى المطاف بالأشاعرة والماتريدية إلى أن أصبحت (في الغالب): فرقاً كلامية، فلسفية، صوفية، مقابرية[١].

---

(١) هذا الوصف ينطبق على المناهج والمؤلفات والأكابر، أما عامتهم وأشباه العامة فهم في الغالب أسلم، بل منهم من يكون على السنّة إنما ينسب لشيوخ منهم بالوراثة أو التقليد وحكم البيئة.

لكنها أقرب الفرق الكلامية إلى سمت أهل السنة والسلف في العموم.

٩ ــ المشبهة:

أما المشبهة، وهي من فرق الرافضة الأولى: كالهشامية، والبيانية، والمغيرية، والجواربية، فقد انقرضت وكذلك الكرامية.

وفي نهاية المطاف:

من القرن الخامس وما بعده تلاشت الفروق بين الفرق، واندمج كثير من أصول بعضها في أصول البعض الآخر، وصارت أعلام الفرق وراياتها تندرج تحت شعارات: الصوفية، والفلاسفة، والباطنية، والرافضة، وأهل الكلام.

ثم ظهرت الشعارات الحديثة كالقوميات، والحزبيات، والطائفية، والشعوبية، والعلمنة، والحداثة، والاتجاهات الفكرية، والأدبية والثقافية والسياسية، والفنية.. وكلها تدور في فلك أصول الأهواء القديمة، وتزيد عليها ضلالات المناهج الغربية الحديثة وانحرافاتها وكفرياتها. كفى الله المسلمين شرها وشر كل كائد.



(٢١)
أصناف الناس تجاه السنّة وأهلها

كان الناس في عهد رسول الله ﷺ، وعهد أبـي بكر وعمر وعثمان، كلهم أهل السنّة، وليس فيهم من يتجرأ أن يظهر غير السنّة.

وكانت جماعتهم واحدة، وإمامهم واحداً، وعقيدتهم واحدة، وهديهم واحداً. وبعد مقتل عثمان وفي عهد علي ـ رضي الله عنهما ـ خرجت الخوارج، وتميزت الشيعة ببدعتها عن السنّة، ثم القدرية في آخر القرن الأولى ظهرت ببدعتها، وخرجت بها عن السنّة، ثم المرجئة وهي أخفها بدعة.

وفي القرن الثاني كثرت الفرق التي خرجت عن السنّة، وفي نهاية القرن الثالث استوت جميع أصول الفرق الكبرى، وكثر أتباعها، ونابذت السنّة. وانعكست الحال، فأصبح أهل السنّة يشعرون بالغربة في خضم الأهواء والبدع والفرق، **وأصبحت أصناف الناس في القرن الرابع وما بعده تجاه السنّة على النحو التالي:**

١ ـ **أهل الحديث وهم السلف الصالح**، وأهل السنّة، وهم أكثر الناس استقامة في العقيدة والعمل، ولم يشذ منهم عنهم إلاَّ النادر.

٢ ـ **الفقهاء والقضاة** وكثير من أهل السنّة، ويكثر فيهم أهل الكلام.

٣ ـ **الأصوليون** وأكثرهم أهل كلام، وفيهم أهل سنّة.

٤ ـ **المتكلمون** ونهجهم مخالف لنهج السلف في مصادر الدين وتقريره وأصوله، ومنهم أصحاب سنّة من أهل الحديث وغيرهم، لكنهم قليل.

٥ ـ **الصوفية** وأكثرهم مخلط في العقيدة، وأغلبهم أهل بدع ومقابرية. مع العلم أن الصوفية الأوائل كانوا على السنّة في العقيدة، وكانت أكثر بدعهم في العبادات والسلوك، لكنهم تجارت بهم الأهواء، حتى صار أكثرهم في سبل الغواية والبدع، وقد يوجد ممن ينتسب للصوفية من هو على هدي أهل السنّة.

٦ ـ **الأدباء** وتغلب عليهم رقة الدين، والانحراف في السلوك والعقيدة إلاَّ القليل.

٧ ـ **الفلاسفة** وهم تالفون لا دنيا ولا دين.

٨ ـ **الباطنية** وهم: أهل الزندقة، والنفاق، والغدر، والإلحاد.

٩ ـ **والفرق الأولى المجانبة للسنّة ـ أصلاً ـ** وسبق الكلام عنها: كالخوارج، والشيعة، والمعتزلة، والجهمية، والقدرية، والمشبهة، ونحوهم.



(٢٢)

المواطن الأولى للأهواء والفرق والبدع

إن المستعرض لتأريخ الأهواء والبدع يجد أن لكل بدعة أو فرقة موطناً بدأت منه أو استوطنته، وقد تنتشر تلك البدعة أو الفرقة إلى مواطن أخرى، وقد لا تنتشر. فلذلك نجد لكل مصر من الأمصار سمة اشتهر بها أو تميز بها عن سائر الأمصار، خاصة في ابتداء البدع والأهواء والفرق ونشأتها الأولى:

فأسلم البلاد في القرون الأولى من البدع والفرق والأهواء (المدينة) ثم مكة وسائر الحجاز وما حوله، ثم الشام، ومصر واليمن.

وإن منشأ البدع والأهواء الأولى: الكوفة، والبصرة، وخراسان، وما جاورها، ثم توسعت البدع والأهواء[١].

١ ـ **فالكوفة**: خرج منها: التشيع (الشيعة والرافضة) والكذب في الحديث، والإرجاء.

٢ ـ **والبصرة**: القدر والاعتزال (القدرية والمعتزلة) والتصوف.

٣ ـ **وخراسان**: التجهم، والتعطيل، والتشبيه (الجهمية المعطلة، والمشبهة) والتنجيم. وكل هذه الأمصار يشملها اسم (المشرق) وهي التي أخبر النبي ﷺ، أنها منبع الفتن، وقرن الشيطان.

---

(١) انظر: شرح السنّة للبربهاري ٥٢؛ والفتاوى ٢٠/ ٣٠٠، ٣٠١، ٢٨/ ٢٠٦، ٢٠٧.

٤ ــ والشام اشتهر بالنصب: وهو عداء آل البيت، وهذا قليل، ثم القدر.

٥ ــ ومصر خرجت منها ومن الكوفة الفتنة على عثمان ــ رضي الله عنه ــ.

فالمواطن التي بدأت منها الأهواء كالتالي:

(١) الفتنة على عثمان ــ رضي الله عنه ــ بدأت منَ (الكوفة) ومصر والبصرة.

(٢) الخوارج من (الكوفة والبصرة).

(٣) الشيعة من (الكوفة).

(٤) القدرية من (البصرة).

(٥) الإرجاء من (الكوفة).

(٦) الجهمية من (خراسان والكوفة).

(٧) المعتزلة من (البصرة وبغداد بعد تأسيسها).

(٨) الناصبة من (الشام والعراق).

(٩) التصوف من (البصرة والكوفة).

(١٠) المشبهة من (خراسان والكوفة).

قال الهروي في ذم الكلام: «فمما ظهر في المسلمين من زيغ الدين الكلام في التوحيد تكلفاً، وهي الزندقة الأولى. وهي ثلاث قواعد نجم بعضها على إثر بعض: الأولى منها القول بالقدر وهي فتنة البصرة، ثم قصب السلف وهي فتنة الكوفة، ثم إنكار الكلام لله وهي فتنة المشرق»[١].

وقصب السلف يعني به: سبهم وشتمهم من قبل الرافضة.

---

(١) ذم الكلام (مخطوط) ٤٣٤، وانظر: بيان تلبيس الجهمية ١/ ٢٤٠، ٢٤١ القسم الذي حققه (رشيد).

وإنكار الكلام يعني به: إنكار كلام الله ـ تعالى ـ ، يشير بذلك إلى التعطيل من قبل الجهمية، وهو إنكار أسماء الله وصفاته وأفعاله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فأما الأعصار الثلاثة المفضلة فلم يكن فيها بالمدينة النبوية بدعة ظاهرة ألبتة، ولا خرج منها بدعة في أصول الدين ألبتة كما خرج من سائر الأمصار. فإن الأمصار الكبار التي سكنها أصحاب رسول الله ﷺ، وخرج منها العلم والإيمان خمسة: الحرمان، والعراقان، والشام، منها خرج القرآن والحديث والفقه والعبادة وما يتبع ذلك من أمور الإسلام. وخرج من هذه الأمصار بدع أصولية غير المدينة النبوية، كالكوفة خرج منها التشيع والإرجاء، وانتشر بعد ذلك في غيرها. والبصرة خرج منها القدر والاعتزال والنسك الفاسد، وانتشر بعد ذلك في غيرها. والشام كان بها النصب والقدر. وأما التجهم فإنما ظهر من ناحية خراسان وهو شر البدع»[1].

وقال في معرض حديثه عن الهجر: «وجواب الأئمة كأحمد وغيره في هذا الباب مبني على هذا الأصل، ولهذا كان يفرق بين الأماكن التي كثرت فيها البدع، كما كثر القدر في البصرة، والتنجيم بخراسان، والتشيع بالكوفة، وبين ما ليس كذلك. ويفرق بين الأئمة المطاعين وغيرهم»[2].

وقال عبد الله بن المبارك: «لا تأخذوا عن أهل الكوفة في الرفض شيئاً، ولا عن أهل الشام في السيف شيئاً، ولا عن أهل خراسان في الإرجاء شيئاً، ولا عن أهل مكة في الصرف، ولا عن أهل المدينة في الغناء. لا تأخذوا عنهم في هذه الأشياء شيئاً»[3].

---

(١) الفتاوى ٢٠/ ٣٠٠، ٣٠١.

(٢) الفتاوى ٢٨/٢٠٦، ٢٠٧.

(٣) شرح السنّة للبربهاري ٥٢.

تـنـبـيـه:

خروج الأهواء والفرق من هذه الأقاليم واشتهارها بها لا يعني أن كل أهلها كذلك، ولا أنها لم يكن فيها من أهل العلم والفضل في الدين.

بل كانت كذلك مواطن للعلم والجهاد، وتخرَّج فيها أئمة وعلماء وفضلاء. وكل مدينة وإقليم وجد فيها من حارب أهل البدع وحذر منهم وتكلم فيهم وأقام الحجة ونصر.

وسائرها: علماؤها وعامتها وولاتها هم أهل السنّة والجماعة طيلة القرون الثلاثة. وكان أهل البدع والأهواء أهل شذوذ وفرقة منبوذين.

وفي آخر القرن الثالث (قبل نهايته) وبعده، تمكنت بعض دويلات الرافضة الباطنية في البحرين وبعض العراق ومصر وأجزاء من بلاد المغرب ومن شرق العراق: كالقرامطة، والعبيدية، والبويهية فانقلب الحال إلى ظهور البدع وعزة أهلها، وغربة أهل السنّة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.



(٢٣)

أهل البدع والأهواء والافتراق قد ينتسبون للسنّة

قد ينتسب بعض أهل الأهواء لأهل السنّة والجماعة، أفراداً أو فريقاً، لأن السنّة هي الأصل وهي هدي الرسول ﷺ وأصحابه وتابعيهم، وكل منتمٍ للإسلام يتشرف بالانتساب للسنّة، لكن الدعوى تبقى معلقة على اتباع الكتاب والسنّة وهدي الرسول ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وسبيل المؤمنين.

وبالمقابل ليس من أهل السنّة من ينتسب لغير السنّة إلاَّ نادراً في حالات يلتبس فيها الأمر، كما حدث في انتساب بعض أهل الحديث للأشاعرة بعد تحولهم إلى التأويل والكلاميات. وغالباً تجد هذا الصنف من المضطربين بين منهج أهل الكلام ومنهج السلف، كما حصل من البيهقي والنووي وابن حجر وابن الجوزي وابن عقيل وأمثالهم، على تفاوت بينهم أيضاً.

وقد يكون الانتساب للسنّة من قبل أهل الكلام والبدع مقابل الشيعة، إذا اعتبرنا أن المسلمين انقسموا عند ظهور التشيع إلى شيعة وسنّة (غير شيعة) وهم الذين على الأصل والسنّة.

وهذا التقسيم لا يصح إلاَّ من هذا الوجه، وفي ذلك الزمان قبل ظهور الفرق وكثرتها. فلما كثر الافتراق لم يعد الناس شيعة وسنّة فحسب بل صارت كل الفرق قسيمة لأهل السنّة.

فيقال: أهل السنّة قسم، وأهل الأهواء بأصنافهم قسم آخر، وفرق مفترقة، يجمعها الهوى والافتراق والهلاك. أعاذنا الله من ذلك.

(٢٤)

قاعدة في التمييز بين أهل السنة وأهل الأهواء

تتلخص أصول الأهواء والافتراق في:

(١) الخوارج.

(٢) الشيعة.

(٣) القدرية.

(٤) المرجئة.

(٥) أهل الكلام[١].

(٦) الباطنية.

(٧) الصوفية.

(٨) أهل البدع.

(٩) الفلاسفة.

ولكل طائفة شعار وأصل جامع يخالفون به أهل السنّة (السلف).

فالفرقة الأولى في القرن الأول يجمعها أربعة أصول هي:

(١) التكفير.

---

(١) يدخل في عموم أهل الكلام: المعتزلة، والجهمية، والكلابية، والمشبهة، والأشعرية، والماتريدية، والمرجئة، والجبرية وهي صنفان: الغالية وهم جهمية، وغير غالية وهم أهل الكلام من الأشاعرة والماتريدية والمتصوفة ونحوهم.

(٢) التشيع.

(٣) القدر.

(٤) الإرجاء.

قال عبد الله بن المبارك: «أصل اثنين وسبعين هوى أربعة أهواء، فمن هذه الأربعة تشعبت الاثنتان وسبعون هوى: القدرية، والمرجئة، والشيعة، والخوارج، فمن قدم أبا بكر وعمر وعثمان وعليّاً على أصحاب رسول الله ﷺ، ولم يتكلم في الباقين إلاَّ بخير ودعا لهم، فقد برىء من التشيع أوله وآخره.

ومن قال: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فقد خرج من الإرجاء أوله وآخره.

ومن قال: الصلاة خلف كل بر وفاجر، والجهاد مع كل خليفة ولم ير الخروج على السلطان بالسيف، ودعا لهم بالصلاح، فقد خرج من قول الخوارج أوله وآخره.

ومن قال: المقادير كلها من الله ـ عز وجل ـ خيرها وشرها، يضل من يشاء ويهدي من يشاء، فقد خرج من قول القدرية أوله وآخره، وهو صاحب سنّة»(١).

قلت: ومن أثبت لله ـ تعالى ـ ما أثبته لنفسه في كتابه وما أثبته له رسوله ﷺ، من غير تعطيل ولا تأويل ولا تمثيل، وسلّم بما جاءت به الأخبار الصحيحة وأنها حق على حقيقتها على مراد الله ـ تعالى ـ ، فقد برىء من الكلام أوله وآخره.

---

(١) شرح السنّة للبربهاري ٥٨.

ومن سلَّم بالنصوص الشرعية، ولم يزعم بأن لها باطناً يخالف ظاهرها ــ اعتقاداً وعملاً ــ فقد بريء من الباطنية أولها وآخرها.

ومن عبد الله تعالى على ما شرعه وسنّه رسوله ﷺ، من غير زيادة ولا نقصان، والتزم نهج السلف في الاعتقاد، والقول، والعمل، فقد سلم من البدع أولها وآخرها.

وفي القرن الثاني أو بعده حدثت أصول أخرى للبدع هي بالإضافة إلى الأربعة الأولى:

(٥) التعطيل والتأويل.

(٦) الجبر.

(٧) التشبيه.

(٨) التصوف البدعي.

(٩) الباطنية.

(١٠) الفلسفة المحضة.

والخلاصة:

أن أهل الأهواء: هم كل من ابتدع بدعة ــ اعتقادية أو عملية ــ يخرج بها عن السنّة والجماعة ويصر عليها.

وسواء كان ذلك من اختراعه ونظره، كرؤوس البدع من أمثال: ابن السوداء، ومعبد الجهني، وغيلان الدمشقي، والجعد بن درهم، والجهم بن صفوان، وواصل بن عطاء، أو عمرو بن عبيد. أو من تقليده لغيره: كالعامة، والدهماء، وأشباههم الذين يتبعون الرؤوس ودعاة الضلالة.

رأى الشاطبي أن أهل الأهواء إنما هم الذين ابتدعوها حقيقة:

يقول: «إن لفظ «أهل الأهواء» وعبارة «أهل البدع» إنما تطلق حقيقة على الذين ابتدعوها، وقدموا فيها شريعة الهوى بالاستنباط والنصر لها،

والاستدلال على صحتها في زعمهم، حتى عد خلافهم خلافاً، وشبههم منظوراً فيها ومحتاجاً إلى ردها والجواب عنها. كما نقول في ألقاب الفرق من المعتزلة والقدرية والمرجئة والخوارج والباطنية ومن أشبههم بأنها ألقاب لمن قام بتلك النحل ما بين مستنبط لها وناصر لها، وذاب عنها. كلفظ «أهل السنّة» إنما يطلق على ناصريها، وعلى من استنبط على وفقها، والحامين لذمارها. ويرشح ذلك أن قول الله ــ تعالى ــ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾، يُشعر بإطلاق اللفظ على من جعل ذلك الفعل الذي هو التفريق، وليس إلاّ المخترع أو من قام مقامه. وكذلك قوله ــ تعالى ــ : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ﴾، وقوله ــ تعالى ــ : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ﴾، فإن اتباع المتشابه مختص بمن انتصب منصب المجتهد لا بغيره.. وكذلك قول النبي ﷺ: (**حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا، فأفتوا بغير علم**)[1]، لأنهم أقاموا أنفسهم مقام المستنبط للأحكام الشرعية المقتدى به فيها. بخلاف العوام، فإنهم متبعون لما تقرر عند علمائهم؛ لأنه فرضهم، فليسوا بمتبعين للمتشابه حقيقة، ولا هم متبعون للهوى. وإنما يتبعون ما يقال لهم كائناً ما كان، فلا يطلق على العوام لفظ «أهل الأهواء» حتى يخوضوا بأنظارهم فيها، ويحسِّنوا بنظرهم، ويقبِّحوا، وعند ذلك يتعين للفظ أهل الأهواء وأهل البدع مدلول واحد، وهو أن من انتصب للابتداع ولترجيحه على غيره. وأما أهل الغفلة عن ذلك والسالكون سبل رؤسائهم بمجرد التقليد من غير نظر فلا»[2].

ويقول أيضاً بهذا الصدد مبيِّناً مفهوم المبتدع: «فحقيقة المسألة أنها تحتوي على قسمين: مبتدع، ومقتد به. فالمقتدي به كأنه لم يدخل في

---

(١) من حديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب (٣٤)؛ وفتح الباري ١/ ١٩٤.
(٢) الاعتصام ١/ ١٦٢، ١٦٣.

العبارة بمجرد الاقتداء؛ لأنه في حكم المتبع، والمبتدع هو المخترع أو المستدل على صحة ذلك الاختراع. وسواء علينا أكان ذلك الاستدلال من قبيل الخاص بالنظر في العلم، أو كان من قبيل الاستدلال العامي. فإن الله ــ سبحانه ــ ذم أقواماً قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾، فكأنهم استدلوا إلى دليل جُمْلِيّ، وهو الآباء إذ كانوا عندهم من أهل العقل، وقد كانوا على هذا الدين، وليس إلاَّ لأنه صواب، فنحن عليه، لأنه لو كان خطأ لما ذهبوا إليه. وهو نظير من يستدل على صحة البدعة بعمل الشيوخ، ومن يشار إليه بالصلاح، ولا ينظر إلى كونه من أهل الاجتهاد في الشريعة أو من أهل التقليد، ولا إلى كونه يعمل بعلم أو بجهل، ولكن مثل هذا يعد استدلالاً في الجملة من حيث جعل عمدة في اتباع الهوى واطّراح ما سواه، فمن أخذ به فهو آخذ بالبدعة بدليل مثله، ودخل في مسمى أهل الابتداع، إذ كان من حق من كان هذا سبيله أن ينظر في الحق إن جاءه، ويبحث ويتأنى ويسأل حتى يتبين له فيتبعه، أو الباطل فيجتنبه. ولذلك قال ــ تعالى ــ ردّاً على المحتجين بما تقدم: ﴿ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾؟ وفي الآية الأخرى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾. فقال ــ تعالى ــ : ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾؟ وفي الآية الأخرى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ وأمثال ذلك كثير»[1].

ويظهر أن الشاطبي إنما يلحق أتباع أهل الأهواء بهم إن كانوا من أهل النظر وإلاَّ فلا، وهذا من حيث التسمية، أما من حيث الحكم فقد ألحقهم بهم، وهذا في النهاية يرجع إلى القول بأن المقلدين لأهل الأهواء إنما هم تبع لهم؛ فكأنه تحصيل حاصل، لأن كل عاقل عنده من النظر ما تقوم به

(١) الاعتصام ١/ ١٦٤، ١٦٥.

الحجة عليه، وغير العاقل لا حساب عليه، والله ــ سبحانه وتعالى ــ حينما ذكر اتباع الآباء بغير برهان ذمه مطلقاً، وحينما ذكر اتباع الكبراء كذلك، فالصحيح أن أهل الأهواء تشمل الرؤوس المخترعين والمنظِّرين وأتباعهم على حد سواء، لكن رؤوسهم (الذين اتُّبعوا) أشد جرماً وأعظم إثماً من الذين اتبعوهم، قال ــ تعالى ــ : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ [سورة البقرة، الآيتان: ١٦٧، ١٦٨].

وقال ــ تعالى ــ : ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾ [سورة إبراهيم، الآيتان: ٢٠، ٢١].

وقال ــ تعالى ــ : ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة غافر، الآيتان: ٤٧، ٤٨].

فأنت ترى أن هذه الآيات صريحة: أن مصير الأتباع هو مصير المتبوعين، ولا حجة لهم. وهذا حكم الله، وقد اعترفوا بحكم الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة غافر، الآية: ٤٨]. ولا معقب لحكمه ــ سبحانه وتعالى ــ .

إذن فالعامي المقلد لصاحب الهوى يعد مثله في الاسم والحكم، ولا وجه للتفريق بينهما؛ إلاَّ أن من كان رأساً في البدعة أو منظِّراً لها، أو مخترعاً أو داعية لها يعدّ أعظم جرماً من المقلد فيها. والله أعلم.

خلاصة الفصل الأول

من خلال المقدمات التي مرت نستخلص النتائج التالية:

١ ـ **أن معاني الافتراق والبدع والأهواء مترادفة، وأهلها كلهم في سبيل الهلكة والشذوذ، ومجانبة السنّة وأهلها، وهم الفرق المفترقة على تفاوت بينهم.**

٢ ـ **أن الاختلاف السائغ شرعاً لا يدخل في طريق الأهواء والبدع والافتراق، وليس مذموماً إلّا إذا أدى إلى المنازعة والخصومات المذمومة.**

٣ ـ **أن الكتاب والسنّة وإجماع السلف قاطع بحتمية وقوع الافتراق في هذه الأمة كالأمم السابقة، ولا ينجو من هذا إلّا فرقة واحدة تبقى على السنّة.**

٤ ـ **أن الله ـ تعالى ـ تكفل بحفظ الدين ومصدره (الوحي).**

٥ ـ **أن الرسول ﷺ أخبر ببقاء طائفة من الأمة على الحق ظاهرة وهم (السنّة والجماعة) الذين على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه.**

٦ ـ **أن الرسول ﷺ حذر أمته من البدع والأهواء والافتراق.**

٧ ـ **أن السلف قاوموا الأهواء والبدع، وحذروا منها ومن أهلها.**

٨ ــ **أنه صح في الحديث عن النبي ﷺ أن عدد الفرق ٧٣**، الناجية منها واحدة، والباقية هالكة، ومتوعدة بالنار.

٩ ــ **أن أول فتنة وقعت في هذه الأمة**: الخروج على إمام المسلمين عثمان ــ رضي الله عنه ــ وقتله.

١٠ ــ **وأول افتراق ظهر من خلال الفتنة الأولى** كان من الخوارج والشيعة.

١١ ــ **أنه لم يحدث من الصحابة** ــ رضي الله عنهم ــ ولا فيهم افتراق.

١٢ ــ **أن الأمة كلها في عهد الخلفاء الراشدين الثلاثة** كانت على السنّة والجماعة حتى فارقت الخوارج والشيعة في عهد علي ــ رضي الله عنه ــ.

١٣ ــ **أن أول المقالات التي فارقت بها الفرق الأولى في القرن الأول هي**:

(أ) مسألة التكفير بالمعاصي (الخوارج).

(ب) التشيع (الشيعة).

(ج) القول بالقدر (القدرية).

(د) الإرجاء (الغيلانية وغيرها).

وفي القرن الثاني ظهر الكلام والفلسفات والعقلانيات، وفي القرن الثالث ظهرت الباطنية والتصوف البدعي.

١٤ ــ **أن الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ قاوموا البدع الأولى**، فناظروا الخوارج وقاتلوهم، وقتل علي ــ رضي الله عنه ــ غالية الشيعة، وأمر بجلد المفترية منهم، ثم لما ظهرت القدرية في عهد متأخري الصحابة بينوا حقيقتها وحذروا منها ومن دعاتها. وصار ذلك منهجاً للسلف في سائر العصور.

١٥ ــ أن البدع الاعتقادية كانت أسبق في الظهور من البدع العملية (في العبادات ونحوها)، حيث لم تشتهر الأخيرة إلاَّ بعد القرن الثالث.

١٦ ــ أن أصحاب الأهواء في القرن الأول لم يجرؤوا على معارضة النصوص وردها بالقواعد الفلسفية والعقلية إنما حصل ذلك في القرن الثاني من المعتزلة والجهمية ونحوهم.

١٧ ــ أن أهل السنّة والجماعة بعد ظهور الأهواء تميزوا بهذا الوصف، وتميزت مناهجهم، وسماتهم، وخصائصهم عن أهل الأهواء. فأهل الأهواء انحرفوا عن الجادة والسبيل، وفارقوا الجماعة في المناهج والسمات، على تفاوت بينهم.

١٨ ــ أن السنّة لا يمكن أن تلتبس على أحد، إلاَّ من أعمى الله بصيرته، لأن السنّة ما كان عليه الرسول ﷺ، وأصحابه، وسلف الأمة، وذلك معروف محفوظ مسطور منقول بالعلم والعمل، والاهتداء والاقتداء.

١٩ ــ أن فرق الضلالة كلها فيها شبه بالأمم والديانات والنِّحل من الأمم الماضية الكافرة، على تفاوت بينها في ذلك.

٢٠ ــ أن أهل الأهواء هم أهل الفتن، وهم أسرع الناس إليها، لأنهم كلهم يرون الخروج على أئمة المسلمين وجماعتهم أو يجيزونه.

٢١ ــ أن الأهواء والافتراق والبدع مرت بمراحل في كل مرحلة تزيد في مقالاتها وضلالاتها وانحرافاتها، وتختلط وتتلاقح، وتتجارى بها الأهواء.

والفرق في نهاية القرن الثالث وأول الرابع استقرت على الأصول التالية:

(١) **الجهمية**: ومنها الجبرية الغالية والمرجئة الغالية.

(٢) **المعتزلة**: ومنها القدرية والزيدية، وخالطتها الرافضة والخوارج.

(٣) **الخوارج**: ومالت متأخرة إلى المعتزلة، مع بقاء أصولها الأولى، وأشهرها الأباضية.

(٤) **أهل الكلام**، وهم: الكلابية، والأشاعرة، والماتريدية.
وقد مالت الأشاعرة والماتريدية إلى أصول التجهم والاعتزال والفلسفة، وخالطها التصوف.
وكان الإرجاء (إرجاء الفقهاء) من أصولها.
وكذلك الجبر الخفيف الذي يعبرون عنه (بالكسب).

(٥) **الرافضة والشيعة**، ومنها: الزيدية أو الإمامية، والإسماعيلية، وقد دخلها الاعتزال والتجهم، وانتحلها الباطنية.

(٦) **الباطنية**: وهم: الزنادقة وبعض الرافضة كالإسماعيلية والعبيدية.

(٧) **الفلاسفة**: وهم: خليط من سائر أهل الأهواء وغالبهم باطنية.

(٨) **الصوفية**: وقد تحولت في القرن الرابع وما بعده إلى الطرق وكثر فيها الإلحاد والزندقة والبدع، وظهر فيها التجهم، والاعتزال والتشيع والرفض وسائر الأهواء.

٢٢ ـ **أن الفرق القديمة لا تزال قائمة، إما بأسمائها وأصولها**: كالشيعة، والخوارج، والصوفية، وأهل الكلام. أو بالأصول مع تغير الأسماء والشعارات: فأصول كل من: الخوارج، والشيعة، والجهمية، والمعتزلة، والمرجئة، والقدرية، والباطنية كلها موجودة في فرق واتجاهات، ومدارس فكرية وأدبية، وأحزاب وأفراد.

٢٣ ـ **أنه قد ظهرت فرق جديدة تجمع بين أصول الأهواء القديمة وبين** أصـول الاتجـاهـات الحـديثـة فـي الغـرب وغيـره: كـالقـوميـة، والشيوعية، والوجودية، والحداثة، ونحوها.

٢٤ ـ **أنه يجب على أهل العلم،** أن يحذِّروا الأمة من الأهواء والبدع وأن يسعوا إلى تصحيح عقائد الناس، وينشروا العلم والسنّة، وأن يفيدوا من الوسائل والإمكانات المتاحة لخدمة الإسلام والمسلمين، وبذل النصيحة لله ـ تعالى ـ ولكتابه ولرسوله ﷺ، ولأئمة المسلمين وعامتهم، ويُبصِّروا أولئك الذين انحرفوا عن سبيل الحق.





الفصل الثاني

الأهواء والفرق والبدع عبر تاريخ الإسلام

النشأة والأسباب

توطئة

موضوع هذا الفصل: الأهواء والفرق والبدع ـ النشأة والأسباب، وهو عرض لمسيرة (ركب الشيطان) عبر تاريخ المسلمين، لا لمجرد العلم، فحسبك من الشر سماعه، إنما للتحذير من سبيل الهالكين، وتلبيس المضلين.

وقد حرصت على استقراء أوائل الأهواء والمقالات، ومن قال بها من أهل الأهواء، مع بيان الأسباب التي أدت إلى ظهورها في الأمة، والوقوف على مواطن العبرة فيها، والتحذير من بواعث البدع، والافتراق، وتحليل ذلك من خلال العرض، وذكر مواقف السلف وأقوالهم في مواطنها من البحث، مع الحرص على الإيجاز، والاستغناء عن التفصيلات، والاقتصار على الأصول والمهمات قدر الإمكان، وذلك نصحاً للأمة، وتحذيراً من الوقوع فيما وقع به أهل البدع الأولون، وتنبيهاً على مواطن الزلل، ومسالك الضلال والأهواء لئلا يقع فيها المسلمون الذين ينشدون الحق والسنة، ويلتمسون طريق الاستقامة، لا سيما ونحن نرى ـ بحمد الله ـ بوادر صحوة عامة في المسلمين، تتلمس الحق وتحرص على السنة، ونهج سبيل المؤمنين، وأمامها ركام وتراث ثقيل، من البدع الموروثة والأهواء المستحكمة، والفرق المضلّلة، والطرق المهلكة، والمؤلفات والكتب الضالة، أو المشوبة؛ فاقتضى الأمر ضرورة التنبيه عليها والتحذير من

غوائلها، ليعود المسلمون إلى مصادرهم النقية، ومشاربهم الصافية: كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وهدي السلف الصالح، وأئمة الهدى، وليعرف القارىء الكريم، أن الأهواء والبدع والفرق إنما نبتت في منابت السوء، وسلكت سبل الغواية، وانحدرت من جذور الجاهليات والفلسفات القديمة، والملل والنحل الضالة والأهواء المردية، وافتاتت على الإسلام والأمة، ولبّست على فئام من المسلمين انخدعوا بزيف دعاواها وفُتنوا بها، رغم تحذير المشفقين ونصح الناصحين وحزم الولاة.

والتاريخ يعيد نفسه، فقد رأينا ــ في هذا العصر ــ الفرق والأهواء تنشط من جديد، بالأسباب والأساليب والوسائل الأولى، وتزيد عليها المستحدثات الحديثة وتكالب الأمم، مما ضاعف المسؤولية في ضرورة النصح والتحذير من الأهواء وأهلها، فإن الرائد لا يكذب أهله.



القسم الأول

في

نشأة الأهواء والافتراق والبدع



توطئة في:

نوازع الأهواء وبذورها الأولى قبل الإسلام[1]

١ ـ أول معارضة لأمر الله وشرعه:

إنما حدثت من إبليس لعنه الله، لما أمره الله بالسجود لآدم اعترض على أمر الله، كما قال تعالى عنه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة البقرة، الآية: ٣٤].

وكانت حجته: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾ [سورة ص، الآية: ٧٦].

فقد عارض الشرع بالعقل، وصارت هذه الحجة الفاسدة قاعدة لأهل الأهواء من خصوم الأنبياء.

وهي أول حجة عقلية ظهرت في الإسلام من القدرية وأهل الكلام والخصومات.

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «إن معارضة الوحي بالعقل ميراث الشيخ أبـي مرة[2]، فهو أول من عارض السمع بالعقل وقدمه عليه، فإن الله سبحانه لما أمره بالسجود لآدم عارض أمره بقياس عقلي مركب من مقدمتين حمليتين:

---

(١) جعلت مفردات الأهواء والمقالات ذات أرقام متسلسلة من أول هذا الفصل إلى آخره، بصرف النظر عن تعدد العناوين وتداخلها.

(٢) أبو مُرة هو إبليس لعنة الله عليه. انظر: لسان العرب، مادة (مرر) ٦/ ٤١٧٧.

إحداهما: قوله: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾، فهذه هي الصغرى، والكبرى محذوفة، تقديرها: (الفاضل لا يسجد للمفضول)، وذكر مستند المقدمة الأولى، وهو أيضاً قياس حملي[1] حذف إحدى مقدمتيه فقال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾»[2].

وقال: «وأما رؤوس النفاة والمعطلين: ففرعون، إذ يقول: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [سورة غافر، الآيتان: ٣٦، ٣٧]،

وجنوده كلهم.

ونمرود بن كنعان.

هذا خصم إبراهيم الخليل وذاك خصم موسى الكليم.

وأرسطاليس وبقراطيس وأضرابهما، وطمطم، وتنكلوسا، وابن وحشية وأضرابهم.

وابن سينا والفارابي وكل فيلسوف لا يؤمن بالله ولا ملائكته ولا كتبه ولا رسله ولا لقائه.

وأما عوامهم فاعتبر عوام والإسماعيلية والدرزية والحاكمية، والطرقية والعرباء، والباطنية بفرقها.

وعبادهم البخشية والطوسية، وعلماؤهم السحرة، وعساكرهم المشركون، والقرامطة الذين هم أعظم الأمم إفساداً للدنيا والدين، فليعتبر العاقل خواص هؤلاء وهؤلاء وعوام هؤلاء وهؤلاء، وليقابل بين الطائفتين، وحينئذٍ يتبين له أنه ما كان ولا يكون ولي لله إلاَّ من أهل الإثبات، وما كان

---

(١) القياس الحملي هو الذي يتكون من مقدمتين ونتيجة. انظر: هامش الصواعق المرسلة بتحقيق د. علي الدخيل الله ٣/ ٩٧٨.

(٢) الصواعق ٣/ ٩٩٨ ـ ٩٩٩، وراجع ما بعده.

ولا يكون ولي للشيطان إلاَّ من أهل النفي والتعطيل»[1].

وصارت مخاصمة الأنبياء ورد الحق الذي جاءوا به من عند الله منهجاً لأهل الأهواء، كما فعل قوم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وهود وصالح ـ عليهم السلام ـ ، وكما فعل المشركون مع نبينا محمد ﷺ، وكما فعل أهل الكتاب والمنافقون.

ثم أهل الأهواء الذين خرجوا عن السنّة والجماعة من الخوارج والشيعة والقدرية والجهمية والمعتزلة وأهل الكلام، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [سورة الأنعام، الآيتان: ١١٢، ١١٣].

قال أبو الحسين الملطي: «قال جماعة من التابعين ـ رحمهم الله ـ : إن أول من قاس إبليس، يريدون أنه قاس ليدفع بقياسه ما أُمر به نصّاً؛ لأن الله ـ عز وجل ـ أمره بالسجود لآدم فقال: ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [سورة ص، الآية: ٧٦]، يريد أن قوة النار على الطين دليل على أن الأضعف حكمه أن يخضع للأقوى، وأن آدم أولى بالسجود، فوضع إبليس القياس في غير موضعه؛ لأن ذلك القياس من إبليس إنما يستعمل مثله إذا لم يقع أمر ولا نص، فلما استعمل إبليس هذا مع وجود النص والأمر اللازم كان مخطئاً في قياسه. فصار قياسه[2] الفاسد كافراً ملعوناً، وكان قبل من خيار الملائكة، فنعوذ بالله من مكره وسوء ما سبق من الكتاب الأول»[3].

---

(١) الصواعق ٣/ ١١٢٠ ـ ١١٢١.
(٢) كذا في المطبوعة. وأظنها: بقياسه.
(٣) التنبيه والردّ ٨١، ٨٢.

ثم قال أبو الحسين (الملطي): وأهل البدع وافقوا إبليس في مجال القياس وتركوا النص من التنزيل وتأولوا تأويلاً فاسداً، فعدلوا عن نص الخبر إلى القياس الفاسد»[1].

٢ ــ أول شرك ظهر في البشرية:

أول شرك ظهر في البشرية هو شرك قوم نوح، حينما عبدوا ودّاً، وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً. وهي أسماء رجال صالحين، تعلق بهم قومهم، وتدرج بهم إبليس في حبهم وتقديسهم حتى عبدوهم من دون الله تعالى[2]، وهذا مما يؤكد فساد النظريات الغربية.

٣ ــ أول شرك حدث في أرض مكة بعد إبراهيم الخليل ــ عليه السلام ــ:

يقال: إنه أول ما ظهر الشرك في أرض مكة بعد إبراهيم الخليل من جهة (عمرو بن لحي الخزاعي) الذي رآه النبـي ﷺ يجر أمعاءه في النار، وهو أول من سيب السوائب، وغير دين إبراهيم، فقد جاء من حديث أبـي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال النبـي ﷺ: **(رأيت عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي يجر قصبه في النار وكان أول من سيب السوائب)**[3].

قالوا: «إنه ورد الشام، فوجد فيها أصناماً بالبلقاء يعبدها القوم، يزعمون أنهم ينتفعون بها في جلب منافعهم ودفع مضارهم، فنقلها إلى مكة وسن للعرب الشرك وعبادة الأصنام»[4].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٤/ ٣٧٢، ٣٧٣.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب (٩)، الحديث (٣٥٢١)؛ وفتح الباري ٦/ ٥٤٧؛ ومسلم ٤/ ٢١٩١، ٢١٩٢، وانظر: كتاب الأوائل لابن أبـي عاصم ٧٢، رقم (٤٤).

(٤) انظر: الفتاوى ٢٧/ ٩٠.

نوازع الأهواء والافتراق والبدع
وبذورها الأولى في تاريخ الإسلام

(١)
نـزعـات الأهـواء
وبذورها في عهد النبـي ﷺ

٤ ــ في عهد النبـي ﷺ تمثلت بذور الأهواء في المنافقين وأهل الكتاب:

ــ بخاصة اليهود ــ فكانوا ينازعون الرسول ﷺ وما جاء به من الحق والهدى، بالتكذيب، والاستهزاء، والتشكيك، والإعراض، وكانوا يتحينون كل فرصة للطعن في الدين والرسول ﷺ والمؤمنين، وهذه الأمور هي أصول الأهواء وبذورها الأولى ومن ذلك:

٥ ــ قصة ذي الخويصرة:

ومن أظهر نزعات الأهواء وأصولها وبذورها في عهد النبـي ﷺ قصة ذي الخويصرة، الذي اعترض على قسمة النبـي ﷺ، وأخبر النبـي ﷺ أنه أصل الخوارج.

فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما: **عن أبـي سعيد قال**: بينما النبـي ﷺ يقسم، جاء عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي فقال: اعدل

يا رسول الله! فقال: (ويلك من يعدل إذا لم أعدل)؟ قال عمر بن الخطاب: دعني أضرب عنقه، فقال: **(دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاته، وصيامه مع صيامه، يمرقون من الدين كما يمرق السَّهم من الرمية. . .)** إلى قوله: **(آيتهم رجل إحدى يديه ــ أو قال ثدييه ــ مثل ثدي المرأة، أو قال مثل البضعة تدردر، يخرجون على حين فرقة من الناس)**.

قال أبو سعيد: أشهد أني سمعت هذا من النبي ﷺ، وأشهد أن علياً قتلهم وأنا معه، جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي ﷺ، قال فنزلت فيه: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾، وهذا لفظ البخاري[1]. فكان هذا هو سلف الخوارج، حيث كانوا على نهجه في الموقف من نصوص الشرع، ومن أئمة الدين.

ظهور دعاوى النبوة:

٦ ــ وفي آخر عهد النبي ﷺ، وبُعيد وفاته، ظهر المتنبئون الكذابون، وهم:

(١) مسيلمة الحنفي في اليمامة في ديار بني حنيفة وسط جزيرة العرب[٢].

(٢) وطليحة الأسدي في شمال جزيرة العرب[٣].

(٣) وسجاح التغلبية في شرق جزيرة العرب[٤].

---

(١) صحيح البخاري، الحديث (٦٩٣٣)؛ والفتح ١٢/ ٢٩٠؛ وصحيح مسلم (مع اختلاف يسير) ٢/ ٧٤٤.

(٢) انظر: الطبري ٢/ ٢٢٥، ٢٧٥؛ والكامل ٢/ ٢٠٣ ــ ٢٠٥، ٢٤٣ ــ ٢٤٧.

(٣) انظر: الطبري ٢/ ٢٢٥، ٢٦٠؛ والكامل ٢/ ٢٣١ ــ ٢٣٥.

(٤) انظر: الطبري ٢/ ٢٦٨؛ والكامل ٢/ ٢٣٨، ٢٤١.

(٤) والأسود العنسي في جنوب جزيرة العرب، وقد قتل بأمر النبي ﷺ، قبل وفاته ﷺ بأيام[١].

(٥) ولقيط بن مالك الأزدي في جنوب شرق جزيرة العرب (عمان)[٢]، وقد هزمته جيوش الصديق ـ رضي الله عنه ـ .

وقد تبع هؤلاء خلق كثير من قبائلهم، وكانوا هم مادة الردة وطلائعها، وقاتلتهم جيوش الصديق ـ رضي الله عنه ـ ومعه الصحابة كلهم، وهزموا مع سائر المرتدين، أما طليحة فقد أسلم، ويقال بأن سجاح أسلمت كذلك.

وبذلك قطع الله دابرهم ولم ينشأ عن حركاتهم افتراق ولم يبق لهم أثر في عقيدة الأمة، ولا منازعة للأئمة. وبقيت الأمة على السنّة ومنهاج النبوة، والخلافة الراشدة إلى أن ظهرت الفتنة على عثمان ـ رضي الله عنه ـ وما أعقبها من أحداث تمخضت عن افتراق أهل الأهواء كما سيأتي بيانه.



(١) انظر: الطبري ٢/ ٢٢٤، ٢٤٧؛ والكامل ٢/ ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٥٣ ـ ٢٥٦.

(٢) انظر: الطبري ٢/ ٢٩١؛ والكامل ٢/ ٢٥٢.

(٢)
نزعات الأهواء وبذورها الأولى
في عهد الخلفاء الراشدين

٧ ــ وفي عهد أبي بكر ــ رضي الله عنه ــ كانت الردة:

وكان المرتدون بين عائد إلى الكفر والشرك، أو متبع لأحد المتنبئين الكذابين، أو مانع للزكاة، أو جاهل يظن الإسلام مرتبطاً بشخص النبي ﷺ، وأنه بموته انتهى أمر الإسلام، وبين دهماء تتبع كل ناعق أو تسوقها عصبية القبيلة أو الزعيم أو نحو ذلك.

وقد تصدى أبو بكر ــ رضي الله عنه ــ وسائر الصحابة ــ رضي الله عنهم أجمعين ــ لهذه الردة حتى هيمن الإسلام على جميع جزيرة العرب.

ولم تورث هذه الأحداث افتراقاً ولا فرقاً وبقيت جماعة المسلمين واحدة وعلى عقيدة واحدة وإمام واحد كلها على السنّة ومنهاج النبوة.

وفي عهد عمر ــ رضي الله عنه ــ كانت الأمة كما هي في عهد الصديق كأعز ما تكون وأجمعه للشمل كلها على السنّة والجماعة.

وكان عمر ــ رضي الله عنه ــ حازماً في حماية الدين وسد أبواب الابتداع والأهواء وكذا بقية الصحابة في جميع الأقطار، رغم توسع البلاد الإسلامية وتناميها بسرعة مذهلة، ورغم دخول أمم وملل ونحل كثيرة ضمن

الأمة؛ إما أهل ذمة، أو ممن أسلموا وهم حديثو عهد بكفر وأديان ومذاهب شتى، فكان عمر والصحابة ــ رضي الله عنهم ــ يذودون عن الدين ويحمون جناب العقيدة والتوحيد. ورغم ذلك فقد ظهرت نزعات الابتداع الفردية ومن ذلك:

٨ ــ قصة صبيغ بن عسل التميمي:

«عن نافع مولى عبد الله بن عمر أن صبيغاً العراقي جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين حتى قدم مصر، فبعث به عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب، فلما أتاه الرسول بالكتاب فقرأه، فقال: أين الرجل؟ فقال: في الرحل، فقال عمر: أبصر أن يكون ذهب فتصيبك مني به العقوبة الموجعة، فأتاه به فقال عمر: تسأل محدثة.. فأرسل عمر إلى رطائب من جريد فضربه بها حتى ترك ظهره وبرة، ثم تركه حتى برأ، ثم عاد له ثم تركه حتى برأ، فدعا به ليعود له، قال: فقال صبيغ: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً، وإن كنت تريد أن تداويني فقد والله برئت، فأذن له إلى أرضه وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن لا يجالسه أحد من المسلمين، فاشتد ذلك على الرجل فكتب أبو موسى إلى عمر أن قد حسنت توبته فكتب عمر أن يأذن للناس بمجالسته»[1].

وكان موقف المسلمين كلهم مع عمر قويّاً وحازماً ضد البدع وأهلها، فلذلك هجروا صبيغاً امتثالاً لأمر أمير المؤمنين، وإدراكاً لخطورة الأهواء وأهلها، حتى قال عثمان النهدي لما كتب لهم عمر في عدم مجالسته: «ولو جاء ونحن مائة لتفرقنا عنه ولربما قال لما جالسناه»[2].

---

(١) سنن الدارمي ١/ ٥٥، ٥٦. والبدع والنهي عنها، ٥٦، ٥٧. والإبانة ١/ ٤١٤، ٤١٥.

(٢) ذم الكلام للهروي (٢٥٧) مخطوط. والإبانة ١/ ٤١٤.

٩ ــ تعلق بعض الناس بالآثار:

وفي عهد عمر ــ أيضاً ــ حدث تعلق بعض الناس بالآثار والبقاع والمساجد التي لم يرد الشرع بفضلها، فكان عمر ــ رضي الله عنه ــ والصحابة يمنعون من ذلك ويحذرون منه.

فقد روى ابن وضّاح ــ وغيره ــ بسنده: «عن المعرور بن سويد قال: خرجنا حجاجاً مع عمر بن الخطاب فعرض لنا في بعض الطريق مسجد فابتدره الناس يصلون فيه، فقال عمر: ما شأنهم؟ فقالوا هذا مسجد صلّى فيه رسول الله ﷺ، فقال عمر: أيها الناس إنما هلك من كان قبلكم باتباعهم مثل هذا حتى أحدثوها بيعاً، فمن عرضت له فيه صلاة فليصل، ومن لم تعرض له فيه صلاة فليمض»[1].

وفي رواية أخرى قال عمر: «أين يذهب هؤلاء؟ قيل: يا أمير المؤمنين مسجد صلّى فيه رسول الله ﷺ، هم يأتون يصلون فيه. فقال: إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا يتبعون آثار أنبيائهم فيتخذونها كنائس وبيعاً، من أدركته الصلاة في هذه المساجد فليصل، ومن لا فليمض ولا يتعمدها»[2].

قطع عمر لشجرة الحديبية:

وروى ابن وضاح ــ أيضاً ــ بسنده: «أمر عمر بن الخطاب بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ فقطعها لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها، فخاف عليهم الفتنة»[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكان عمر بن الخطاب إذا رآهم يتناوبون مكاناً يصلون فيه لكونه موضع نبي، ينهاهم عن ذلك ويقول: إنما هلك من

---

(١) البدع والنهي عنها ٤٢؛ والاعتصام ١/٣٤٦.
(٢) البدع والنهي عنها ٤١؛ والاعتصام ١/٣٤٦.
(٣) البدع والنهي عنها ٤٢؛ والاعتصام ١/٣٤٦.

كان قبلكم باتخاذ آثار أنبيائهم مساجد، من أدركته الصلاة فيه فليصل وإلاَّ فليذهب»[1].

١٠ ـ قصة النبطي الذي أنكر القدر بالشام:

ومن ذلك قصة النبطي (قسطنطين الجاثليق بطريك الشام):

وهو الذي اعترض على عمر ـ رضي الله عنه ـ وهو يخطب بالشام حينما قال عمر: «ومن يضلل [الله] فلا هادي له[2]»، فاعترض النبطي منكراً للقدر؛ قائلاً: إن الله لا يضل أحداً! فهدده عمر بالقتل إن أظهر مقولته القدرية مرة أخرى[3].

قلت: هذه المقولة هي أصلٌ في بدعة القدرية التي ظهرت في آخر القرن الأول الهجري على يد معبد الجهني وغيلان الدمشقي ثم المعتزلة بعد ذلك. أي أنها تقوم على نفي أن يكون الإضلال داخلاً في تقدير الله تعالى وعلمه السابق.

١١ ـ قصة الصخرة:

وحدثت في عهد عمر قصة الصخرة حينما استشار عمر ـ رضي الله عنه ـ (وهو في بيت المقدس) كعب الأحبار أين يصلي، فقال كعب: «إن أخذت عني صليت خلف الصخرة فكانت القدس كلها بين يديك» فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: «ضاهيت اليهودية. لا، ولكن أصلي حيث صلى رسول الله ﷺ، فتقدم إلى القبلة فصلى»[4]، وقوله: ضاهيت اليهودية أي

---

(١) منهاج السنّة ١/ ٤٨١.

(٢) جزء من خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يفعلها.

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنّة ٢/ ٤٣٣؛ وانظر: القصة في الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية ٢/ ٢٧٤ رسالة ماجستير تحقيق محمد الحلواني.

(٤) انظر: مسند أحمد ١/ ٣٨؛ واقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٣٣٥؛ والبداية والنهاية =

تشبهت باليهود المغضوب عليهم في تقديس الأحجار والآثار ونحوها، ولأن الصخرة يقدسها اليهود ويعتقدونها قبلة.

قلت: وهذه النزعة أي نزعة تقديس الأشياء والأشخاص صارت في أهل البدع والمقابرية فيما بعد، أول من أظهرها ونشرها الرافضة ثم أصحاب الطرق الصوفية. ثم ما لبثت أن صارت سمة من سمات أهل الأهواء غالباً.

١٢ ــ بدعة الذكر الجماعي:

في عهد عمر ـ كذلك ـ حدثت النزعة إلى (بدعة الذكر الجماعي والدعاء الجماعي): فأنكرها عمر وغيره من الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ كابن مسعود وأبـي موسى الأشعري.

فقد روى ابن وضّاح بسنده: «عن أبـي عثمان النهدي قال: كتب عامل لعمر بن الخطاب إليه أن ههنا قوماً يجتمعون فيدعون للمسلمين وللأمير، فكتب إليه عمر: أقبل بهم معك فأقبل. وقال عمر للبواب أعد سوطاً. فلما دخلوا على عمر علا أميرهم ضرباً بالسوط. فقلت: يا أمير المؤمنين لسنا أولئك الذين يعني أولئك قوم يأتون من قبل المشرق»[١].

ثم حدثت هذه البدعة بعد ذلك في البلاد الجديدة المفتوحة في العراق. كما سيأتي.

١٣ ــ نزعة الخصومات في الدين:

وكذلك ظهرت نزعات الخصومات في الدين والنظر فيما لا تحيط به العقول، وإثارة المسائل التي نهي عنها والتي ليس وراءها عمل.

= ٧/٥٨، وقال ابن كثير: «هذا إسناد جيد»، وذكر أن الحافظ المقدسي اختاره في المستخرج؛ والمنار المنيف ٨٨، ٨٩.

(١) البدع والنهي عنها ١٩. ويقصد ما ذكره النبـي ﷺ من أن الفتن تخرج من المشرق.

ويتمثل هذا في قصة صبيغ بن عسل وقد سبق الحديث عنها، ثم تسلسلت الخصومات وتطورت وكان منها:

- خصومات الثوار على عثمان ــ رضي الله عنه ــ.
- ثم خصومات الخوارج في عهد علي ــ رضي الله عنه ــ وكذلك الشيعة.
- ثم خصومات القدرية والمرجئة في النصف الثاني من القرن الأول.
- ثم خصومات الجهمية والمعتزلة في أول القرن الثاني.. وهكذا حيث صارت الخصومات في الدين من مناهج أهل الأهواء وأصولهم.
- ثم خصومات أهل الكلام في القرن الثالث وما بعده.
- ثم خصومات الفلاسفة وأهل البدع في القرن الرابع وما بعده. وهكذا.
- **ومن أول أمثلة ذلك:** قصة الشاب الذي حيرت الخصومة عقله.

فقد أخرج ابن بطة عن أبـي اليقظان: أن رجلاً من المسلمين أتى عبد الله بن العباس ــ رضي الله عنه ــ بابن له فقال: لقد حيرت الخصومة عقله، وأذهبت المنازعة قلبه، وذهبت به الكلفة عن ربه، فقال عبد الله: أمدد بصرك يا بن أخي ما السواد الذي ترى؟ قال: فلان، قال: صدقت، قال: فما الخيال المسرف من خلفه[1]، قال: لا أدري، قال عبد الله: يا بن أخي فكما جعل الله لأبصار العيون حدّاً محدوداً من دونها حجاباً مستوراً

---

(١) يظهر ــ والله أعلم ــ أنه أراد بهذا ضرب المثل للتفكير فيما لا أصل له من الخيالات والأوهام. فقوله: (فما الخيال المسرف) يفهم منه أنه ليس بشيء إنما يفترضه لبيان أنه وهم لا تتعلق به العقائد ولا ينبغي التفكير فيه.

فكذلك جعل لأبصار القلوب غاية لا يجاوزها وحدوداً لا يتعداها، قال: فرد الله عليه غارب عقله، وانتهى عن المسألة عما لا يعنيه والنظر فيما لا ينفعه والتفكير فيما يحيره»[1].

قلت: وهذا مثل عظيم وموعظة سديدة، لكل خائض فيما لا يعلم، وكل متكلم بالغيب، فإن كل ما أخبرنا الله به من مسائل الصفات والقدر والسمعيات ونحوه مما خاض فيه أهل الأهواء غيب، والكلام فيه رجم بالغيب، فافهم رعاك الله.

١٤ ــ أول فتنة وقعت في الأمة وفرقتها، وقد أخبر النبي ﷺ بها:

أول فتنة وقعت في هذه الأمة وفرقتها هي الفتنة على عثمان ــ رضي الله عنه ــ وقتله، وقد أخبرنا بها النبي ﷺ.

فقد جاء في حديث حذيفة ــ رضي الله عنه ــ قال: «كنا جلوساً عند عمر ــ رضي الله عنه ــ فقال: أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ، في الفتنة؟ قلت: أنا. كما قاله. قال: إنك عليه ــ أو عليها ــ لجريء، قلت: فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر والنهي، قال: ليس هذا أريد، ولكن الفتنة التي تموج كما يموج البحر. قال: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها باباً مغلقاً. قال: أيكسر أم يفتح؟ قال: يكسر. قال: إذن لا يغلق أبداً. قلنا: أكان عمر يعلم الباب؟ قال: نعم. كما أن دون الغد الليلة. إني حدثته بحديث ليس بالأغاليط. فهبنا أن نسأل حذيفة فأمرنا مسروقاً فسأله، فقال: الباب عمر» أخرجاه في الصحيحين[2].

---

(١) الإبانة ١/ ٤٢٢.

(٢) صحيح البخاري ــ كتاب مواقيت الصلاة باب (٤)، فتح الباري ٢/ ٨؛ وانظر: صحيح مسلم ١/ ١٢٨، ١٢٩، كتاب الإيمان باب ٦٥.

فمن هذه الفتنة نشأت أصول كثير من الأهواء والفرق منها:

١ ـ ظهور الخوارج والتكفير والنزاع في حكم الفاسق الملّي وكثير من أصول الخوارج.

٢ ـ ظهور الشيعة والغلو في علي وآل البيت وأكثر أصول الرفض والباطنية.

٣ ـ منازعة إمام المسلمين واستحلال قتاله وقتله والتدين بذلك. وصار ذلك أصلاً من أصول الخوارج وغيرهم وسمة من سمات أهل الأهواء.

٤ ـ الخروج على المسلمين وجماعتهم وقتالهم واستباحة دمائهم وأموالهم.

وبعد هذه الفتنة وقع الافتراق والفرقة في هذه الأمة إلى يوم القيامة كما هو ظاهر الحديث والله أعلم.

يقول البربهاري: «وكان قتله (يعني عثمان) أول الفرقة وأول الاختلاف فتحاربت الأمة وافترقت واتبعت الطمع والهوى والميل إلى الدنيا»[1].

وهذه هي أول فتنة أدت إلى المنازعة والخروج على إمام المسلمين وقتله.

ومن خلال الفتنة على عثمان ـ رضي الله عنه ـ بدأت علامات الأهواء تظهر، لا سيما مع اتساع الفتوح، وكثرة الأموال وبسط الدنيا التي خشي النبي ﷺ، على أمته منها، حيث قال: (**أبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما**

(١) شرح السنّة للبربهاري ٤٦.

بسطت على الذين من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم»[1].

مراحل الفتنة على عثمان وأطوارها:

وقد مرت الفتنة على عثمان ــ رضي الله عنه ــ بمراحل وأطوار انتهت بقتله ظلماً. على النحو التالي:

(أ) بدأت بذور الأهواء والفتنة همساً:

وبدأت بذور الفتنة في أحاديث هامسة تقدح في أمير المؤمنين ــ رضي الله عنه ــ وتؤلب عليه، وقد وجدت آذاناً صاغية من طوائف من الدهماء والرعاع والأعراب والشبان الأحداث الذين لم يتربوا على العلم والفقه في الدين، وغذَّاها طوائف من الموتورين من سبايا الأمم وبقايا الملل والنحل والديانات والمذاهب التي هيمن على بلادها الإسلام. ومع ذلك فإن هذه الأحاديث الهامسة لم تؤثر على الصحابة ولم تفرق جماعتهم بل قاوموا ما ظهر منها، وما بطن فأمره إلى الله، والله غالب على أمره.

قال إسحاق النيسابوري: «قرأت على أبي عبد الله: بشر بن شعيب، قال: حدثني أبي عن الزهري قال: أخبرني سالم بن عبد الله: أن عبد الله بن عمر قال: جاءني رجل من الأنصار في خلافة عثمان فكلمني، فإذا هو يأمرني في كلامه بأن أعيب على عثمان، فتكلم كلاماً طويلاً ــ وهو امرؤ في لسانه ثقل ــ فلم يكد يقضي كلامه في سريح[2]، فلما قضى كلامه قلت: إنا كنا نقول ورسول الله ﷺ حي: أفضل أمة رسول الله ﷺ بعده: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، وإنا والله ما نعلم عثمان قتل نفساً بغير حق، ولا جاء من الكبائر

---

(١) أخرجه البخاري ــ فتح الباري الحديث (٣١٥٨) ٦/٢٥٨ ورقم (٤٠١٥) ٧/٣١٩، ٣٢٠؛ ومسلم الحديث رقم (٢٩٦١) ٤/٢٢٧٣.

(٢) يعني أنه بطيء في كلامه لثقل لسانه.

شيئاً، ولكن هو هذا المال فإن أعطاكموه رضيتم وإن أعطاه أولي قرابته سخطتم، إنما تريدون أن تكونوا كفارس والروم لا يتركون أميراً إلاَّ قتلوه. قال ففاضت عيناه بأربع من الدمع، ثم قال: اللهم لا نريد ذلك»[1].

فافهم هذا الفقه العظيم من سالم بن عبد الله واعتبر به ــ رعاك الله ــ فقد تحتاجه اليوم.

(ب) ثم خرجت الفتنة من طور الهمس إلى الإعلان سنة (٣٥هـ):

وفي آخر عهد عثمان ــ رضي الله عنه ــ خرج الكلام فيه من طور الهمس إلى طور الإعلان، وتداعى أهل الأهواء من العراق ومصر وقدموا المدينة، وانبرى لهم من كان في المدينة من الصحابة، وعزموا على صدّهم، لكن عثمان ــ رضي الله عنه ــ منعهم، وحاورهم حتى أزال ما في نفوسهم، أو قطع حجتهم، لكن بينهم من يريد الفتنة، وحدثت أحداث الله أعلم بمن وراءها جعلتهم يعودون إلى الفتنة، وحاصروا بيت الخليفة، واستأذنه طائفة من الصحابة بأن يقاتلوا دونه، فعزم عليهم أن يكفوا.

(ج) ثم قتل عثمان مظلوماً:

فقتل مظلوماً ــ رضي الله عنه وأرضاه ــ عام (٣٥هـ)، وبقتله تتابعت الفتن وأخرجت الأهواء أعناقها، لكن لم يحدث بذلك افتراق ولا خروج عن الجماعة أول الأمر، إنما أدى هذا الاختلاف فيما بعد إلى المنازعة وخروج الخوارج وافتراق الشيعة عن الجماعة.

(د) ثم أدى الاختلاف إلى المنازعة:

وبعد مقتل عثمان حدث في الأمة أول اختلاف أدى إلى المنازعة.

---

(١) مسائل الإمام أحمد للنيسابوري ٢/ ١٧١، وهذا الإسناد رجاله ثقات.

قال الأشعري في المقالات: «ولم يحدث خلاف في حياة أبـي بكر ــ رضوان الله عليه ــ وأيام عمر إلى أن ولي عثمان بن عفان ــ رضوان الله عليه ــ وأنكر قوم عليه في آخر أيامه أفعالاً كانوا فيما نقموا عليه من ذلك مخطئين، وعن سنن المحجة خارجين، فصار ما أنكروه عليه خلافاً إلى اليوم، ثم قتل رضوان الله عليه، وكانوا في قتله مختلفين، فأما أهل السنّة والاستقامة فإنهم قالوا كان ــ رضوان الله عليه ــ مصيباً في أفعاله، قتله قاتلوه ظلماً وعدواناً، وقال قائلون بخلاف ذلك، وهذا اختلاف بين الناس إلى اليوم»[1].

قال: «ثم بويع علي بن أبـي طالب ــ رضوان الله عليه ــ فاختلف الناس في أمره، فمن بين منكر لإمامته، ومن بين قاعد عنه، ومن بين قائل بإمامته معتقد لخلافته، وهذا اختلاف بين الناس إلى اليوم»[2].

ويقول الآجري عن أصحاب الفتنة: «ثم إنهم خرجوا بعد ذلك من بلدان شتى واجتمعوا وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[3]، حتى قدموا المدينة، فقتلوا عثمان بن عفان ــ رضي الله تعالى عنه ــ ، وقد اجتهد أصحاب رسول الله ﷺ، ممن كان في المدينة في أن لا يقتل عثمان، فما أطاقوا ذلك، ثم خرجوا بعد ذلك على أمير المؤمنين علي بن أبـي طالب ــ رضي الله عنه ــ ، ولم يرضوا بحكمه وأظهروا قولهم وقالوا لا حكم إلاَّ لله، فقال علي ــ رضي الله عنه ــ (كلمة حق أرادوا بها الباطل) فقاتلهم علي ــ رضي الله عنه ــ فأكرمه الله ــ عز وجل ــ بقتلهم وأخبر عن النبـي ﷺ، بفضل من قتلهم أو قتلوه وقاتل معه الصحابة ــ رضوان الله

---

(١) المقالات ١/ ٤٧، ٤٩.

(٢) مقالات الإسلاميين ١/ ٥٤، ٥٥.

(٣) تأمل حفظك الله فإن غالب أهل الأهواء يرفعون شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكن بمفهوم منحرف عن أصول السلف ومناهجهم.

تعالى عليهم ـ فصار سيف علي بن أبي طالب في الخوارج سيف حق إلى أن تقوم الساعة»[1].

وليعلم أنه لم يحدث من الصحابة أنفسهم ولا بينهم افتراق ولا فِرَق، إنما حدثت المنازعة والمفارقة والأهواء من غيرهم كما بينت في الفصل الأول.

١٥ ـ ظهور أول البدع في العبادات (بدعة الذكر الجماعي):

وفي عهد إقامة عبد الله بن مسعود في الكوفة في العراق ظهرت بدعة التسبيح الجماعي بالحصى ونحوه. ومن ذلك ما رواه الدارمي في سننه قال:

«أخبرنا الحكم بن المبارك أنَّ عمر بن يحيى قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه قال: كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال: أخرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعاً فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته ولم أر والحمد لله إلاَّ خيراً، قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قوماً حلقاً جلوساً ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصىً فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة، فيهللون مائة، ويقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة، قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك أو انتظار أمرك. قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم، ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصىً نعد به التكبير

---

(١) الشريعة ٢٢.

والتهليل والتسبيح، قال: فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد أو مفتتحو باب ضلالة. قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلاَّ الخير، قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله ﷺ، حدثنا أن قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم ثم تولى عنهم. فقال عمرو بن سلمة رأينا عامة أولئك الخلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج»[١].

قلت: سبحان الله وكما سارعوا إلى البدعة، سارعوا إلى الفتنة، فكانت من هؤلاء الذين أحدثوا هذه البدعة (بدعة التكبير والتهليل الجماعي) طلائع الخوارج؛ لأن ابن مسعود ــ رضي الله عنه ــ إنما توفي سنة (٣٢) أو (٣٣هـ) قبل الفتنة على عثمان وقبل ظهور الخوارج، فلما رأى منهم ذلك عرف فيهم سمات أهل الأهواء وأنهم سيحدث منهم شيء، فكان الأمر على ما قال ــ رضي الله عنه ــ .

وأول من ابتدع التكبير الجماعي:

معضد بن يزيد العجلي وأصحابه في الكوفة فنهاهم ابن مسعود ــ رضي الله عنه ــ وحصبهم بالحصى[٢]، وذلك قبل وفاة ابن مسعود سنة (٣٣هـ). وقد انتهوا عن فعل ذلك. حتى أظهرتها الصوفية والرافضة في عهد المأمون وما بعده، وكان فيه تشيع، وهو الذي ابتدع التكبير الجماعي بعد الصلوات في المساجد[٣].

---

(١) سنن الدارمي ٦٨، ٦٩.

(٢) انظر: الفتاوى ٣٥/ ٤١.

(٣) انظر: البداية والنهاية ١٠/ ٢٧٠.

١٦ ــ كما حدثت في عهد ابن مسعود ــ رضي الله عنه ــ أيضاً بدعة أخرى مشابهة :

قال ابن وضّاح : «عن أسد عن الربيع بن صبيح ، عن عبد الواحد بن صبرة قال : بلغ ابن مسعود أن عمرو بن عتبة في أصحاب له بنوا مسجداً بظهر الكوفة ، فأمر عبد الله بذلك المسجد فهدم ، ثم بلغه أنهم يجتمعون في ناحية من مسجد الكوفة يسبحون تسبيحاً معلوماً ويهللون ويكبرون . قال : فلبس برنساً ثم انطلق فجلس إليهم ، فلما عرف ما يقولون رفع البرنس عن رأسه ثم قال : أنا أبو عبد الرحمن ، ثم قال : لقد فضلتم أصحاب محمد ﷺ علماً ، أو لقد جئتم ببدعة ظلماً . قال : فقال عمرو بن عتبة : نستغفر الله ثلاث مرات ، ثم قال رجل من بني تميم : والله ما فضلنا أصحاب محمد علماً ولا جئنا ببدعة ظلماً ولكنا قوم نذكر ربنا ، فقال : بلى والذي نفس ابن مسعود بيده ، لقد فضلتم أصحاب محمد علماً أو جئتم ببدعة ظلماً ، والذي نفس ابن مسعود بيده لئن أخذتم آثار القوم لسبقتم سبقاً بعيداً ، ولئن حرتم يميناً وشمالاً لتضلن ضلالاً بعيداً»[١] .

١٧ ــ ابتداع صلاة غير مشروعة :

وفي عهد ابن مسعود ــ رضي الله عنه ــ في الكوفة كذلك سارع جهلة الناس إلى صلاة لم تشرع . وما أحرص الجهال إلى المسارعة إلى التعبد الذي لم يشرع ، كما روى ابن وضّاح عن حارثة بن مضرب :

«أن الناس نودي فيهم بعد نومة أنه من صلى في المسجد الأعظم دخل الجنة ، فانطلق النساء والرجال حتى امتلأ المسجد قياماً يصلون . قال أبو إسحاق : إن أمي وجدتي فيهم . فأتي ابن مسعود فقيل له أدرك الناس ،

---

(١) البدع والنهي عنها ٨ ــ ١٠ .

فقال ما لهم؟ قيل: نودي فيهم بعد نومة أنه من صلَّى في المسجد الأعظم دخل الجنة، فخرج ابن مسعود يشير بثوبه ويلكم اخرجوا لا تعذبوا إنما هي نفخة من الشيطان، إنه لم ينزل كتاب بعد نبيكم ولا ينزل بعد نبيكم، فخرجوا، وجلسنا إلى عبد الله فقال: إن الشيطان إذا أراد أن يوقع الكذب انطلق فتمثل رجلاً فيلقى آخر فيقول له: أما بلغك الخبر؟ فيقول الرجل: وما ذاك؟ فيقول كان من الأمر كذا وكذا فانطلق فحدث أصحابك، قال: فينطلق الآخر فيقول: لقد لقينا رجلاً أني لأتوهمه أعرف وجهه زعم أنه كان من الأمر كذا وكذا وما هو إلاَّ الشيطان»[1].

وهكذا نجد هذا الصحابي الجليل ـ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ـ يقف صامداً ضد البدع ويردها، ويردع أصحابها بقوة وحزم فللّه دره.

١٨ ـ ثم تعود بدعة (التكبير الجماعي) مرة أخرى:

فقد روى ابن وضّاح: «عن عبد الله بن أبي الهذيل العنبري قال: كنا جلوساً مع عبد الله بن خباب بن الأرت (ت ٣٧هـ) وهو يقول: سبحوا كذا وكذا، واحمدوا كذا وكذا، وكبروا كذا وكذا، قال فمر خباب فنظر إليه ثم أرسل إليه فدعاه فأخذ السوط فجعل يضرب رأسه به وهو يقول يا أبتاه فيم تضربني؟ فقال مع العمالقة؟[2] هذا قرن الشيطان قد طلع أو قد بزغ»[3].

وهذه القصة حدثت بعد وفاة ابن مسعود، فهي امتداد لما حدث في عهده، فانظر يا أخي عزمة خباب وقوته في إنكار هذه البدعة، ولا يغرنك تلبيسات المبتدعة الذين يزعمون مشروعية بدعهم، وقف حيث وقف أصحاب رسول الله ﷺ، والتابعون، حمانا الله وإياك من الأهواء والبدع.

---

(١) البدع والنهي عنها ٨.

(٢) يعني أنك ارتكبت أمراً عظيماً في الدين، ارتقيت به مرتقى صعباً مهلكاً.

(٣) البدع والنهي عنها ٢١.

ظهور بدعة التكبير عند قراءة القرآن:

فقد روى ابن وضّاح: «عن عبد الرحمن بن أبـي بكرة قال: كنت جالساً عند الأسود بن سريع وكان مجلسه في مؤخرة المسجد الجامع، فافتتح سورة بني إسرائيل حتى بلغ ﴿ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ۝١١١ ﴾ فرفع أصواتهم الذين كانوا جلوساً حوله، فجاء مجالد بن مسعود (ت ٤٠هـ) يتوكأ على عصاه فلما رآه القوم قالوا مرحباً مرحباً اجلس، قال ما كنت لأجلس إليكم وإن كان مجلسكم حسناً ولكنكم صنعتم قبل شيئاً أنكره المسلمون فإياكم وما أنكر المسلمون»[(١)].

يقصد المسلمين في ذلك الوقت حيث كان سائرهم على السنّة وكانت البدع مغمورة وأهلها مقموعون. أما إذا كثر الخبث وانتشرت البدع وسادت الأهواء كما هو حال المسلمين في غالب البلاد الإسلامية بعد القرون الفاضلة فليس العبرة بما عليه الأكثرية ما دامت على غير السنّة إنما العبرة بما في كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، وما عليه الصحابة والتابعون وسلف الأمة وأهل السنّة والحديث. فافهم وفقني الله وإياك.

١٩ ــ اتخاذ الجبانات (دوراً للتعبد)[(٢)] غير المساجد:

وفي عهد إقامة ابن مسعود في الكوفة كذلك، حدثت من بعض المتعبدة والنسّاك بدعة اتخاذ الدور الخاصة للعبادة والتنسك، سوى المساجد.

أول من فعل ذلك عباد البصرة وذلك قبل سنة (٣٣هـ) لأن بعض أصحاب ابن مسعود ــ رضي الله عنه ــ لما اتخذوها في الكوفة وفيهم (معضد بن يزيد العجلي) نهاهم ابن مسعود عن ذلك وهدم دارهم وأمرهم

---

(١) البدع والنهي عنها ١٦ ــ ١٧.
(٢) انظر: الفتاوى ٣٥/ ٤١.

بالتفرق والعودة لبيوتهم، وابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ توفي سنة (٣٣هـ) على أكثر تقدير كما أسلفت.

٢٠ ـ ظهور أول الفرق في الإسلام:

وفي عهد علي ـ رضي الله عنه ـ : ظهرت الخوارج والشيعة ونشأت علناً مقولاتهما وبدعها الأولى، وقد أعلنت الخوارج مفارقتها سنة ٣٧هـ، أما الشيعة فقد فارقت في هذا الوقت وبعده لكنها لم تجرؤ على إعلان الخروج المسلح كما فعل الخوارج، **وتتلخص بدعهما الأولى في**:

١ ـ التكفير بالمعصية (الكبيرة). وتكفير علي ومعاوية والحكمين ومن رضي بالتحكيم (الخوارج).

٢ ـ الخروج على إمام المسلمين وجماعتهم واستحلال قتالهم (الخوارج)، وكلها كانت نتيجة النزاعات الأولى في الفتنة على عثمان.

٢١ ـ بدع التشيع الأولى:

٣ ـ التشيع لعلي ـ رضي الله عنه ـ والغلو فيه (الشيعة ـ السبئية الأولى).

٤ ـ الطعن في عثمان ـ رضي الله عنه ـ ومن ناصره (الشيعة والخوارج معاً) السبئية الأولى.

وكانت أصول هذه البدع موجودة في عهد عثمان، فروجها السبئية همساً لكن لم يعلن بها أصحابها المفارقة، وإنما كانت أحاديث هامسة. فلما حدثت الفتنة تجرأ أصحابها ـ وعلى رأسهم ابن سبأ ـ في إظهارها.

ومع التشيع لعلي ـ رضي الله عنه ـ برزت بعيد ذلك بدع تعد هي أصول الرفض، وأول من ابتدعها ابن السوداء (ابن سبأ) اليهودي الذي ادعى

الإسلام أيام عثمان[1]، وهي:

١ ــ **القول بإمامة علي نصّاً.**

٢ ــ **وبدعة القول** بعصمة علي وأئمة آل البيت.

٣ ــ **وبدعة القول** برجعة علي ــ رضي الله عنه ــ .

٤ ــ **وبدعة القول** بأن علياً ــ رضي الله عنه ــ لديه علوم وأسرار في الدين لا يعلمها غيره، وأنه يعلم شيئاً من الغيب.

٥ ــ **وبدعة القول** بألوهية علي ــ رضي الله عنه ــ ، ولما أعلنها طائفة من أتباع ابن سبأ، حرقهم علي ــ رضي الله عنه ــ بالنار حين أصروا على هذه المقولة الشنيعة.

٦ ــ **وبدعة القول** بتفضيله على الشيخين (أبـي بكر وعمر) وهي بدعة (المفترية). وقد أمر علي بن أبـي طالب بجلد من قال ذلك (٨٠) جلدة (حد المفتري).

٧ ــ **وبدعة سب الصحابة**، أو بعضهم كعثمان ــ رضي الله عنه ــ ، وكانت هذه البدعة في الخوارج والشيعة معاً، وكانت بين الشيعة الأولى خفية، وخفيفة، لكنها مع الزمن ازدادت حتى قالت الرافضة في القرن الثاني بسبّ سائر الصحابة وادعت ردتهم إلاَّ نفراً قليلاً.

٢٢ ــ النزاع في الإمامة:

وحدث النزاع في الإمامة في عهد علي ــ رضي الله عنه ــ بعد مقتل عثمان ــ رضي الله عنه ــ .

قال شيخ الإسلام، في رده على من زعم أن النزاع في الإمامة حدث في

---

(١) انظر: الفتاوى ٤/ ١٨.

عهد أبي بكر: «وذلك أن النزاع في الإمامة لم يظهر إلاَّ في خلافة علي ـ رضي الله عنه ـ »[1].

فقد نازعت طائفة من المسلمين علياً ـ رضي الله عنه ـ في الإمامة، وخرجت عليه الخوارج وبايعت أميراً لها.

أما الثوار على عثمان ـ رضي الله عنه ـ قبل ذلك فلم يظهروا أنهم ينازعون في الإمامة أو يريدونها لأنفسهم، إنما كانوا يظهرون النقمة على عثمان ـ رضي الله عنه ـ، ويزعمون أنهم يريدون تنحيته حتى يولي المسلمون من يرتضون. لكن لما قتل ـ رضي الله عنه ـ أظهرت طائفة منهم المنازعة في الأمر. والله أعلم.

٢٣ ـ أول مقولة فرقت بين الأمة (بعد السبئية) مقولة الخوارج ثم القدرية:

علمنا أن أول المقولات التي سببت الافتراق وظهور الفرق، مقولات السبئية المتمثلة باعتراضات الثوار على عثمان ـ رضي الله عنه ـ. ثم نشأت عنها مقالة الخوارج، ومقالات الشيعة. ثم أعقبها قول القدرية الأولى بعد منتصف القرن الأول.

قال شيخ الإسلام: «فأول مسألة فرقت بين الأمة مسألة الفاسق الملّي، فأدرجته الخوارج في نصوص الوعيد وخلوده في النار، وحكموا بكفره، ووافقتهم المعتزلة على دخوله في نصوص الوعيد وخلوده في النار، لكن لم يحكموا بكفره، فلو كان الشيء خيراً محضاً لم يوجب فرقة، ولو كان شرّاً محضاً لم يخف أمره، لكن لاجتماع الأمرين فيه أوجب الفتنة.

---

(١) انظر: منهاج السنّة ١/ ١١٩.

وكذلك **مسألة القدر**، التي هي من جملة فروع هذا الأصل، فإنه اجتمع في الأفعال الواقعة التي نهى الله عنها أنها مرادة له لكونها من الموجودات، وأنها غير محبوبة له، ولا مرضية، بل ممقوتة مبغوضة لكونها من المنهيات.

فقال طوائف من أهل الكلام: الإرادة والمحبة والرضا واحدة، أو متلازمة. ثم قالت القدرية: والله لم يحب هذه الأفعال ولم يرضها، فلم يردها، فأثبتوا وجود الكائنات بدون مشيئة»[1]، وهكذا صار القول بالقدر أصلاً من أصول أكثر الفرق بعد ذلك.

٢٤ ــ ظهور بدعة القصص:

وحدثت بدعة القُصَّاص في عهد علي ــ رضي الله عنه ــ فأنكرها الصحابة والتابعون، فقد أخرج محمد بن وضّاح عن موسى بن معاوية قال نا ابن مهدي عن سفيان: «عن عبيد الله بن نافع قال: لم يقص على عهد النبي ﷺ، ولا أبي بكر ولا عمر ولا عثمان. وأول ما كان القصص حين كانت الفتنة»[2].

والقصاص هم: «الوعاظ الذين يعقدون مجالس للوعظ تضاهي مجالس العلم، يعظون الناس فيها بالحكايات والإسرائيليات ونحوها. مما لا أصل له أو موضوع، أو مما لا تدركه عقول العامة.

وقد منعهم علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ[3] لأنهم أخذوا يحدثون الناس بالغرائب والمتشابهات، وما لا تدركه عقولهم وما لا يعرفون.

---

(١) الاستقامة ١/ ٤٣١.

(٢) البدع والنهي عنها ٢٠.

(٣) انظر: تحذير الخواص للسيوطي ٢١٣؛ والبدع والنهي عنها ١٦.

وكان ابن عمر يأمر الشرطة بإخراج القصاص من المساجد[1]، وكان عمر بن عبد العزيز يسجن القصاص ومن يجلس إليهم[2].

ولا يعني ذلك منع الوعظ، فقد كان النبي ﷺ يتخول الصحابة بالموعظة، وكان أصحابه كذلك، وبعدهم السلف الصالح، إنما منعوا الوعظ بالحكايات التي لا أصل لها، والتحديث بالغرائب والأمور المعضلة والمشتبهة، وما لا تدركه مدارك عامة الناس من مسائل الغيب والقدر ومحارات العقول، ومنعوا الوعاظ الجهلة المهرجين. والله أعلم.

٢٥ ــ وظهرت الخصومات في الله تعالى:

من ذلك سؤال نجدة الخارجي لابن عباس ــ رضي الله عنه ــ حين سأله عن معرفته بربه، فإن مثل هذا السؤال إنما هو سؤال مخاصمة وتعنت، أو ريب واضطراب، وذلك من سمات أهل الأهواء والخصومات.

فقد أخرج الهروي «عن عكرمة أن نجدة قال لابن عباس: كيف معرفتك بربك لأن من قبلنا اختلفوا علينا؟ فقال: من ينصب دينه للقياس لا يزال الدهر في التباس، مائلاً عن المنهاج طاعناً في الاعوجاج، أعرفه بما عرف به نفسه من غير[3] رؤية، وأصفه بما وصف به نفسه»[4].

وهذا من نوع الخصومة والجدال في الله تعالى، وهو بذور الكلام والخوض في أسماء الله وصفاته وأفعاله.

---

(١) انظر: البدع والنهي عنها ٢٠.

(٢) انظر: السابق ١٩.

(٣) (غير) ساقطة من المخطوط وأثبتها من صون المنطق ٥٠.

(٤) رواه الهروي في ذم الكلام ٢١١ (مخطوط)، وانظر: صون المنطق ٥٠.

٢٦ ــ وظهر التكلف والمراء في القرآن وفي الدين وفي ما لا فائدة فيه:

وكان أول ما حدث ذلك من الخوارج، فكان الخوارج يسألون الصحابة عن المتشابه من معاني القرآن، وعن مسائل لا ينبني عليها عمل، إنما كانت أسئلتهم للتعنت والتحدي والمراء. والخوض في آيات الله ومتشابه القرآن ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، كما فعل ابن الكواء (من رؤوس الخوارج الحرورية) فقد سأل علياً ــ رضي الله عنه ــ عن ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢﴾، فقال له علي: «ويلك اسأل تفقُّهاً ولا تسأل تعنُّتاً»، ثم أجابه.

ولم يقف ابن الكواء عند هذا الحد، فقد سأله على سبيل التعنت والتعجيز، قال: «أفرأيت السواد الذي في القمر؟ فقال علي: أعمى سأل عن عمياء، ثم أجابه»[(١)].

واستمر ابن الكواء في أسئلته في أمور لا طائل تحتها. وهذه من سمات أهل الأهواء، فإنهم يعرضون عما أمر الله به، ويبحثون عما نهى الله عنه من مسائل الصفات والقدر.



(١) انظر: الإبانة ١/ ٤١٨؛ وانظر: الموافقات ١/ ٥٠.

(٣)

نزعات الأهواء والبدع
بعد الخلافة الراشدة

وفي آخر عهد الصحابة بعد الخلافة الراشدة بدأت تظهر بعض البدع من طائفة من العبّاد والزهّاد الذين قلّ فقههم في الدين ومن ذلك:

٢٧ ــ الصعق والغشي عند سماع القرآن:

فقد ذكر الشاطبي طرفاً من ذلك في الاعتصام، قال: «وخرج سعيد بن منصور في تفسيره عن عبد الله بن عروة بن الزبير. قال: قلت لجدتي أسماء: كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا قرأوا القرآن؟ قالت: كانوا كما نعتهم الله، تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم. قلت: إن ناساً ها هنا إذا سمعوا ذلك تأخذهم عليه غشية. فقالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم[١].

وقال: وخرج أبو عبيد من أحاديث أبي حازم قال: مر ابن عمر برجل من أهل العراق ساقط والناس حوله، فقال: ما هذا؟ فقالوا: إذا قرىء عليه القرآن أو سمع الله يذكر خر من خشية الله. قال ابن عمر: والله إنا لنخشى الله ولا نسقط[٢].

قال الشاطبي: «وهذا إنكار»، قال: «وقيل لعائشة ــ رضي الله

---

(١) الاعتصام ١/ ٢٧٥، ٢٧٦.

(٢) الاعتصام ١/ ٢٧٥، ٢٧٦.

عنها ــ : إن قوماً إذا سمعوا القرآن يغشى عليهم. فقالت: إن القرآن أكرم من أن تنزف عنه عقول الرجال، ولكنه ــ كما قال الله تعالى ــ : ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [سورة الزمر، الآية: ٢٣]، وعن أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ أنه سُئل عن القوم يقرأ عليهم القرآن فيصعقون فقال: ذلك فعل الخوارج»(١).

وخرج أبو نعيم عن عامر(٢) بن عبد الله بن الزبير ــ رضي الله تعالى عنه ــ قال: جئت أبي، فقال: أين كنت؟ فقلت: وجدت أقواماً ما رأيت خيراً منهم يذكرون الله فيرعد أحدهم حتى يغشى عليه من خشية الله فقعدت معهم، فقال: لا تقعد بعدها. فرآني كأنه لم يأخذ ذلك فيَّ، فقال: رأيت رسول الله ﷺ يتلو القرآن، ورأيت أبا بكر وعمر يتلوان القرآن، فلا يصيبهم هذا. أفتراهم أخشع لله من أبي بكر وعمر؟ فرأيت ذلك كذلك فتركتهم»(٣). قال الشاطبي بعد أن أورد القصة: «وهذا بأن ذلك كله تعمُّل وتكلف لا يرضى به أهل الدين»(٤).

وفي رواية أخرى أن ابن الزبير قال لابنه: «يا عامر لأعرفن ما صحبت الذين يصعقون عند القرآن لأوسعك جلداً»(٥).

وأخرج ابن الجوزي عن أبي حازم قال: «مر ابن عمر ــ رضي الله عنه ــ برجل ساقط من العراق، فقال: ما شأنه؟ فقالوا: إذا قرىء القرآن

---

(١) الاعتصام ١/ ٢٧٥، ٢٧٦؛ وتلبيس إبليس ٢٥٣ ــ ٢٥٥.
(٢) كذا في الحلية (عامر)، وفي الاعتصام (جابر). والأرجح أنه (عامر). انظر: تقريب التهذيب ١/ ٣٨٨، ترجمة (٥٣).
(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم ٣/ ١٦٧، ١٦٨؛ والاعتصام للشاطبي ١/ ٢٧٦.
(٤) الاعتصام ١/ ٢٧٦.
(٥) تلبيس إبليس ٢٥٤.

يصيبه هذا، فقال: إنا لنخشى الله ـ عزَّ وجلّ ـ وما نسقط»[1].

وأخرج عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: أنه ذكر الخوارج وما يلقون عند تلاوة القرآن، فقال: إنهم ليسوا بأشد اجتهاداً من اليهود والنصارى وهم مضلون»[2].

وأخرج ابن الجوزي أيضاً عن عمرو بن مالك البكري قال: «قرأ قارىء عند أبي الجوزاء (ت ٨٣هـ)، فصاح رجل من أخريات القوم أو قال من القوم، فقام إليه أبو الجوزاء، فقيل له: يا أبا الجوزاء إنه رجل به شيء» إلى أن قال: «فلو كان منهم لوضعت رجلي على عنقه»، وفي رواية: «لأمرت به فأخرج من المسجد»[3]. أي ممن يتكلفون هذا الصياح والصعق.

وكذلك روي عن ابن سيرين والحسن البصري إنكار ذلك[4].

ظهور الاحتفالات السنوية البدعية:

٢٨ ـ ثم حدثت بدع الرافضة:

كبدعة الاحتفال بيوم عاشوراء التي أحدثتها الرافضة بعد مقتل الحسين سنة (٦١هـ)، وفيها كانوا يقيمون المآتم والنياحة الجاهلية كل عام إلى يومنا هذا.

لكنهم في أول الأمر في القرون الفاضلة ما كانوا يجرؤون على إشاعتها والجهر بها إلا قليلاً، حتى قامت دويلات الباطنية في آخر القرن الثالث وما بعده، فشاعت بدعة الموالد في بعض البلاد التي يحكمونها، ثم

---

(١) تلبيس إبليس ٢٥٣.
(٢) تلبيس إبليس ٢٥٣.
(٣) تلبيس إبليس ٢٥٤.
(٤) انظر: تلبيس إبليس ٢٥٢ ـ ٢٥٥.

صارت الموالد في غير الرافضة، حين انتشرت بدعهم بين الصوفية والمقابرية وغيرهم، واستقرت بدعة الموالد سمة من سمات أهل البدع.

٢٩ ــ ظهور مقالات القدرية المجوسية الأولى:

وظهرت مقولات القدرية الأولى بعد منتصف القرن الأول، وأول من اشتهر عنه إنكار القدر من المسلمين معبد الجهني، المقتول سنة (٨٠هـ)، ثم توسع فيها غيلان الدمشقي، المقتول سنة (١٠٥هـ)، وقيل (١٠٣هـ).

وسيأتي الكلام عنها تفصيلاً، عند الكلام عن القدرية إن شاء الله.

٣٠ ــ دعوى النبوة ونزول الوحي وتنزل الملائكة (بعد الردة):

وأول دعوى للنبوة بعد حروب الردة ــ حيث تنبأ في آخر عهد النبي ﷺ، وبعيد حياته كل من مسيلمة، وسجاح، والأسود العنسي، ولقيط الأزدي، وطليحة الأسدي ــ كانت من المختار بن أبي عبيد الثقفي، قتل سنة (٦٧هـ)، وقد زعم أنه يوحى إليه، وتنزل إليه الملائكة، وكان ناصبياً متعصباً، ثم تحول إلى شيعي غال، وزعم أنه ينتصر لآل البيت، فاستحوذت عليه الشيعة كما استحوذ عليه الشيطان[1]، لأن هذا المدعي وأمثاله إذا تمادى في الضلال تمكنت منه الشياطين، وتمثلت له بأشخاص أو مخلوقات أخرى.

وقيل إنه لم يدع النبوة صراحة، لكنه زعم أنه يوحىٰ إليه[2]، والله أعلم.

---

(١) انظر: البداية والنهاية ٨/ ٢٨٧ ــ ٢٩١؛ وتاريخ الطبري ٣/ ٤٧٦ ــ ٤٩٦؛ والكامل لابن الأثير ٣/ ٣٧٨ ــ ٣٨٦.

(٢) أخرج مسلم عن أسماء بنت أبي بكر، أن رسول الله ﷺ حدثهم: **(أن في ثقيف كذاباً ومبيراً)** صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب (٥٨)، الحديث (٢٥٤٥) ٣/ ١٩٧١، ١٩٧٢.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهؤلاء تأتيهم أرواح تخاطبهم وتتمثل لهم، وهي جن وشياطين فيظنونها ملائكة، كالأرواح التي تخاطب من يعبد الكواكب والأصنام، وكان أول من ظهر من هؤلاء في الإسلام: المختار بن أبـي عبيد الذي أخبر به النبـي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه عن النبـي ﷺ أنه قال: «سيكون في ثقيف كذاب ومبير»[1].

وكان الكذاب: المختار بن أبـي عبيد، والمبير: الحجاج بن يوسف، فقيل لابن عمر وابن عباس: إن المختار يزعم أنه ينزل إليه! فقالا: صدق؛ قال الله ـ تعالى ـ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [سورة الشعراء، الآيتان: ٢٢١، ٢٢٢]؛ وقال الآخر: وقيل له إن المختار يزعم أنه يوحى إليه، فقال: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٢١].

وقال: «أول من ظهر عنه دعوى النبوة من المنتسبين إلى الإسلام المختار بن أبـي عبيد، وكان من الشيعة، فعلم أن أعظم الناس ردة هم في الشيعة أكثر منهم في سائر الطوائف[2].

ثم كثرت دعاوى النبوة في أول القرن الثاني، وأغلبها في الشيعة.

ولعل من أهم أسباب ذلك كثرة الجهل فيهم وفساد عقائدهم، وتقديسهم لبعض البشر وزعمهم أنهم يعلمون الغيب، أو يرثون العلم اللدني، ونحو ذلك من عقائدهم الفاسدة التي تهيء للدجل والكذب والمخرفة.

وعامل آخر مهم في كثرة ظهور الكذابين والدجاجلة فيهم، وهو أن

(١) الفتاوى ١١/٢٣٨، ٢٣٩.
(٢) منهاج السنّة ٣/٤٥٩.

الشيعة لا عقول لهم، ودهماءهم تتبع كل من رفع لواء الانتصار لآل البيت دون وعي ولا بصيرة. ويعتقدون العصمة فيمن يسلمون له القياد، ولا يفرقون بين الأبرار والفجار، ويروج عندهم الكذب.

٣١ ـ ظهور الكذب على رسول الله ﷺ واشتهاره:

ثم ظهر الكذب على رسول الله ﷺ قبيل سنة (٦٧هـ)، وأول ما اشتهر الكذب ووضع الحديث زمن ظهور المختار بن أبي عبيد (ت ٦٧هـ)، وكان ذلك من قبل الرافضة وغيرهم.

لذا قال إبراهيم النخعي: «إنما سئل عن الإسناد أيام المختار فاتهموا الناس»[١]. أي إسناد الأحاديث والآثار، وذلك حين كثرت الأهواء والكذب. وكان المختار نفسه يأمر بعض أهل الحديث بوضع الأحاديث، فقال لرجل من أصحاب الحديث: «ضع لي حديثاً عن النبي ﷺ أني كائن بعده خليفة» فأبى عليه[٢].

وأمر محمد بن عمار بن ياسر أن يحدث عن أبيه بكذب، فأبى فقتله[٣].

٣٢ ـ بدعة القول بالبداء:

أول من قال بالبداء على الله ـ تعالى ـ : (الرافضة)[٤]، وقولهم فيها يشبه قول اليهود، وقد اشتهرت هذه المقولة قبيل قتل المختار سنة (٦٧هـ)، وكان المختار ـ أيضاً ـ يقول بالبداء الذي هو من أصول الرافضة الأولى،

---

(١) الجامع للخطيب ١/ ١٣٠.

(٢) انظر: الجامع للخطيب ١/ ١٣١.

(٣) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة، د. عبد الرحمن المحمود ١/ ٣٣.

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين ١/ ١١٣.

فإن المختار كان قد تكهن بنصر أصحابه، فلما انهزموا زعم أن الله بدا له[١]، والعجيب أن المختار هذا كان ناصبياً شديد التعصب في بغض علي ــ رضي الله عنه ــ ثم تحول إلى رافضي متعصب[٢]، وهكذا صاحب الهوى يتردى من حال إلى مثلها أو أسوأ منها، نسأل الله السلامة.

٣٣ ــ ظهور بدعة الإرجاء:

أول ما ظهرت بدعة الإرجاء بعد فتنة ابن الأشعث سنة (٨٣)[٣]، وهو إرجاء العمل عن الإيمان ويسمى (إرجاء الفقهاء)، وأول من قال به هو: ذر بن عبد الله المرهبي الهمداني، (مات قبل المائة)[٤]. ثم ظهور القول بأن الإيمان قول: وأول من قال ذلك حماد بن أبي سليمان[٥] (ت ١٢٠هـ) شيخ أبي حنيفة. واستقر إرجاء الفقهاء على ثلاثة أسس كلها مخالفة لقول السلف، وهي:

١ ــ زعمهم أن العمل لا يدخل في مسمى الإيمان، وأن الإيمان هو (التصديق).

٢ ــ زعمهم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

٣ ــ زعمهم أنه لا يجوز الاستثناء في الإيمان.

٣٤ ــ ظهور بدعة بناء القباب:

أول قبة بُنيت في الإسلام كانت على الصخرة في بيت المقدس،

---

(١) انظر: الفَرق بين الفِرَق ٥٥، ٥٦.

(٢) انظر: البداية والنهاية ٨/ ٢٩٠.

(٣) انظر: السنّة لعبد الله ١/ ٣١٩؛ والبداية والنهاية لابن كثير ٩/ ٤٧.

(٤) السنّة لعبد الله ١/ ٣٢٩.

(٥) الفتاوى ٧/ ٢٩٧، ٣١١. وراجع المرجئة (رسالة ماجستير) للدكتور محمد بن عبد العزيز اللاحم ص ٨٩ ــ ١٠٣.

وكانت لغرض سياسي. حيث بناها عبد الملك بن مروان ليصرف الناس إلى بيت المقدس عن ابن الزبير في مكة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما الصخرة، فلم يصلِّ عندها عمر ـ رضي الله عنه ـ، ولا الصحابة، ولا كان على عهد الخلفاء الراشدين عليها قبة، بل كانت مكشوفة في خلافة عمر وعثمان وعلي ومعاوية ويزيد ومروان؛ ولكن لما تولى ابنه عبد الملك الشام (ت ٨٦هـ)[1]، ووقع بينه وبين ابن الزبير الفتنة، كان الناس يحجون فيجتمعون بابن الزبير، فأراد عبد الملك أن يصرف الناس عن ابن الزبير، فبنى القبة على الصخرة وكساها في الشتاء والصيف، ليرغب الناس في زيارة بيت المقدس، ويشتغلوا بذلك عن اجتماعهم بابن الزبير، وأما أهل العلم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فلم يكونوا يعظمون الصخرة، فإنها قبلة منسوخة»[2].

وقال في موضع آخر: «قصة بناء القبة على الصخرة من قبل عبد الملك، قيل ليكثر قصد الناس لبيت المقدس لينصرفوا عن ابن الزبير خصم عبد الملك»[3].

وعلى هذا يكون بناء القبة في وقت مبكر قبل سنة (٨٦هـ)، لكن لم يكن ذلك على جهة التعبد، ولم تكن على قبر، إنما كانت لأغراض سياسية. **والله أعلم**.

٣٥ ـ إدخال قبر النبي ﷺ في ناحية المسجد وزخرفته:

ومن الأعمال التي مهدت للبدع حول القبور ـ من البناء عليها،

---

(١) تقريب التهذيب ١/ ٥٢٣.

(٢) الفتاوى ٢٧/ ١٢.

(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٨١٩.

والصلاة إليها، ودعاء الأموات ـ إدخال حجرة النبي ﷺ في ناحية المسجد في خلافة الوليد بن عبد الملك عام (٨٨هـ)، وزخرفته وتزيينه بالفسيفساء[١]، ثم تدرج الحال إلى إدخال جميع الحجرة في المسجد، ثم البناء عليها، وبناء القبة، ثم اتخاذها مصلى، واتخاذها ذريعة للبناء على القبور واتخاذها مساجد، والوقوع فيما حذر منه الرسول ﷺ في قوله: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، يحذِّر مما صنعوا[٢].

وقال ﷺ: «**ألا، لا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك**»[٣]، وذكر ابن كثير أنه حكى أن سعيد بن المسيب أنكر إدخال الحجرة في المسجد خوفاً من أن يتخذ القبر مسجداً، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك[٤].

٣٦ ـ ظهور بدع غيلان في القدر والتعطيل بذور الجهمية والمعتزلة:

ثم ظهرت بدع غيلان الدمشقي، المقتول سنة (١٠٥هـ) تقريباً، وهي:

إنكار القدر كما فعل معبد الجهني. وهذا ثابت عن غيلان، وقد أشهره.

ونسب إليه كذلك: القول بأن الإيمان هو المعرفة، وأن الأعمال لا تدخل في مسمى الإيمان، والقول بخلق القرآن.

---

(١) قاعدة عظيمة ٨٨؛ وتاريخ الطبري ٣/ ٦٧٦، ٦٧٧؛ والبداية والنهاية ٩/ ٧٤، ٧٥.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عباس وعائشة؛ فتح الباري، الحديث (٤٣٥، ٤٣٦)؛ ومسلم، الحديث (٥٣١).

(٣) مسلم، الحديث (٥٣٢).

(٤) البداية والنهاية ٩/ ٧٥.

ونفي بعض الصفات، كالاستواء[1].

وهي أصول الجعد بن درهم بعده، ثم أصول الجهمية والمعتزلة. حيث وضعوا لهـا القـواعـد والأصول، وناظروا فيها وتوسعوا في هذه البدع.

٣٧ ــ أول من أنكر الاستواء بذور الجهمية والمعتزلة:

يقال إن أول من أنكر استواء الله على عرشه وأوله بالاستيلاء. غيلان الدمشقي (قتل ١٠٥هـ)، أو الجعد بن درهم (قتل ١٢٤هـ)، وقيل الجهم بن صفوان (قتل ١٢٨هـ).

وإنكار الاستواء ينسجم مـع قاعدة الجعد الخبيثة فـي التعطيل التي أنكر بها الكلام والخلة، والأرجح أن أول من حفظ عنه أنه قال بأن الله ــ تعالى ــ ليس على العرش حقيقة: الجعد، ثم أخذها عنه الجهم وأظهرها[2].

وإنكار الاستواء وتأويله هو الشرارة الأولى لأهل الأهواء، والتي فيها خاضوا في صفات الله ــ تعالى ــ نفياً وتعطيلاً وتأويلاً.

ذلك أن الاستواء مرتبط بالعلو والفوقية، فالرؤية، ثم صفات الله الفعلية، ومنها تجرؤوا على بقية الصفات الخبرية كاليد والعين والوجه وهلم جرا.

* * *

(١) انظر الفتاوى ٣/ ٢٤٠؛ والاستقامة ١/ ٤٣٢؛ ومقالات الإسلاميين ١/ ١١٧؛ والملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٤٧؛ وتاريخ الفرق الإسلامية للغرابي ٣٣ ــ ٤٠.

(٢) انظر: الفتاوى ٥/ ٢٠.

وقفة تأمل حول مسيرة الأهواء
في القرن الأول، وموقف السلف منها

وإذا تأملنا هذه الحوادث نجدها حصلت في عهد الصحابة وكبار التابعين في القرن الأول، وأغلبها في العراق. وأن الصحابة والتابعين أنكروها، وحذروا منها ومن أصحابها بقوة وحزم. وقد نفع الله بجهود أئمة السلف تجاه الأهواء وأهلها، وأنكروها، فاختفى بعضها لا سيما البدع العملية، كالذكر الجماعي، والصلاة غير المشروعة، إلى أن أظهرته الرافضة والطرق الصوفية بعد القرن الثالث، وبعضها الآخر بقي سمة من سمات الخوارج أو بعض العبَّاد ونحوهم، كالصعق والغشي عند قراءة القرآن أو سماعه، لكن السلف كانوا ينكرونها وينهون عنها، فبقيت مغمورة، وهي أخف من سائر البدع، لأنها أحوال مخالفة للسنة ولا تؤثر في الاعتقاد أصل العمل، تأثيراً كبيراً.

وهذه الظواهر البدعية ــ أعني بدع العباد ــ لم توجب عند أصحابها المفارقة ولا الخروج على الجماعة، ولم تنشأ عنها فرق، بل أكثرها يندثر أو ينغمر حتى نهاية القرن الثالث، حين صارت من سمات الرافضة والطرق الصوفية، ثم عمت وطمت.

أما ما يتعلق بأصول البدع الكبرى، لا سيما الاعتقادية، فإنها رغم إنكار الصحابة والتابعين لها بقوة وحزم، فقد بقيت في طوائف من أهل الأهواء تتدرج من الضعف إلى القوة، ومن السرية إلى العلن، إلى أن ظهرت وتوسعت، وهي:

١ ــ **أصول الخوارج.**

٢ ــ **وأصول الرافضة والزيدية والغالية (الشيعة).**

٣ ــ **وأصول القدرية.**

٤ ــ **وأصول المرجئة.**

وهذه هي أصول الفرق في القرن الأول الهجري. وبذور المعتزلة والجهمية بدأت في هذا القرن عند غيلان الدمشقي وأمثاله، لكنها لم تنشأ عنها الفرق إلا في القرن الثاني كما سيأتي.

* * *

الخلاصة في الأهواء والافتراق والبدع في القرن الأول

وهذه الأمور التي ذكرتها تعد أبرز وأخطر ما ظهر في القرن الأول الهجري من الأهواء والبدع والفرق، وهي أصناف:

الأول ــ الفرق، وهي: الخوارج، والشيعة، والقدرية، والمرجئة.

الثاني ــ البدع العملية والقولية، وهي:

١ ــ **بناء القباب.**

٢ ــ **زخرفة المساجد.**

٣ ــ **إدخال قبر النبي ﷺ** في ناحية المسجد النبوي.

٤ ــ **الذكر الجماعي** (انتهت ولم يعد لها وجود إلى ما بعد القرن الثالث لإنكار الصحابة لها).

٥ ــ **التسبيح بالحصى** (انتهت ولم يعد لها وجود إلى ما بعد القرن الثالث لإنكار الصحابة لها).

٦ ــ **بدع العبّاد:** كشدة الخوف، والصعق، والغشي.

٧ ــ **تتبع آثار النبي ﷺ** المكانية (غير مناسك الحج المشروعة)، وقد انتهت بإنكار عمر والصحابة لها إلى ما بعد القرن الثالث تقريباً.

٨ ــ **الكذب على رسول الله ﷺ.**

الثالث ــ البدع الاعتقادية: أشهر البدع الاعتقادية التي ظهرت في القرن الأول هي:

١ ــ التكفير بالمعاصي (الكبائر) / (الخوارج)

٢ ــ القول بالعصمة لغير الرسول ﷺ / (الشيعة)

٣ ــ القول بألوهية بعض البشر / (الشيعة)

٤ ــ القول بالرجعة / (الشيعة)

٥ ــ القول بالقدر / (القدرية)

٦ ــ القول بالبداء / (الشيعة)

٧ ــ القول بالرأي والخصومات في الدين من قبل سائر الفرق / (الخوارج والشيعة والقدرية والمرجئة)

٨ ــ سب بعض الصحابة أو أكثرهم ودعوى ردتهم / (الخوارج والشيعة)

٩ ــ القول بالعلم الخاص لبعض البشر وأن منهم من يعلم الغيب أو بعضه / (الشيعة)

١٠ ــ الخروج أو القول بالخروج على إمام المسلمين وجماعتهم / (الخوارج والشيعة)

١١ ــ القول بأن الإيمان هو التصديق، أو المعرفة / (المرجئة)

١٢ ــ وأن الأعمال لا تدخل في مسمىٰ الإيمان / (المرجئة)

وقد بذل الصحابة والتابعون وسائر أئمة السلف قصارى جهدهم في مقاومة الأهواء وأهلها، وتحذير الأمة من غوائلها وحماية العقيدة من بدعها، واستخدموا لذلك كل وسيلة شرعية يستطيعونها، وكان لجهودهم في ذلك أثر في تعويق مسيرة تلك الأهواء وقمع بعضها.

❑ ❑ ❑

(٤)

تتابع الأهواء والافتراق والبدع في القرن الثاني والثالث وما بعدهما

في مطلع القرن الثاني الهجري تنامت مسيرة الأهواء والافتراق على النحو التالي:

١ ـ **كثرت فرق الخوارج** وامتدت رقعتهم في العراق والساحل الشرقي من جزيرة العرب، وفارس وخراسان وشمال إفريقية، وتشعبت مقولاتهم وتطورت.

٢ ـ **كثرت فرق الشيعة** واتسعت وتشعبت، وتطورت مقولاتها، وظهرت أصول الرافضة وأعلنت شتم الصحابة وأصولها الأخرى بعد مفارقتهم لزيد بن علي سنة (١٢١)، وظهر فيها التجسيم في القرن الثاني، ثم الاعتزال في القرن الثالث. وكذلك ظهرت الباطنية من بين الرافضة.

٣ ـ **تطورت بدع القدرية** وتشعبت واندمج كثير من أصولها في المعتزلة والفرق الكلامية بعدها.

٤ ـ **في أول القرن الثاني نشأت فرق المعتزلة والجهمية**، والجبرية، والمرجئة الغالية، والرافضة، والزيدية، والمشبهة (وهي من الرافضة). كما أن مرجئة الفقهاء التي بدأت طلائعها في القرن الأول انتشرت وكثر أتباعها في أول القرن الثاني.

في القرن الثالث بدأت طلائع الباطنية الخبيثة، كالقرامطة، والإسماعيلية، والعبيدية، وكذلك طلائع الطرقية الصوفية، والحلولية.

وفي القرن الثالث وأول القرن الرابع نشأت كذلك الفرق الكلامية: كالكلاَّبيّة، والكرَّامية، والأشعرية، والماتريدية. فكانت الكرامية أميل للتمثيل، والباقية أميل للتأويل والتعطيل. (أعني في الصفات).

وهذه نماذج من ذلك:

٣٨ ـ القول بالطاعة المطلقة للحكام (في عهد يزيد بن عبدالملك (ت ١٠٥هـ)):

وظهر مقابل التشيع لعلي، الغلو في طاعة الولاة مطلقاً والقول بأن الإمام (خليفة المسلمين) يتجاوز الله عنه السيئات، قال شيخ الإسلام:

«وكثير من الناس فيهم من الغلو في شيوخهم من جنس ما في الشيعة من الغلو في الأئمة.

وأيضاً فالإسماعيلية يعتقدون عصمة أئمتهم، وهم غير الاثني عشر. وأيضاً فكثير من أتباع بني أمية ـ أو أكثرهم ـ كانوا يعتقدون أن الإمام لا حساب عليه ولا عذاب، وأن الله لا يؤاخذهم على ما يطيعون فيه الإمام، بل تجب عليهم طاعة الإمام في كل شيء، والله أمرهم بذلك. وكلامهم في ذلك معروف كثير.

وقد أراد يزيد بن عبد الملك أن يسير بسيرة عمر بن عبد العزيز، فجاء إليه جماعة من شيوخهم، فحلفوا بالله الذي لا إلّه إلاّ هو، أنه إذا ولّى الله على الناس إماماً تقبل الله منه الحسنات وتجاوز عنه السيئات.

ولهذا نجد في كلام كثير من كبارهم الأمر بطاعة ولي الأمر مطلقاً،

وأن من أطاعه فقد أطاع الله. ولهذا كان يُضرب بهم المثل، يقال: «طاعة شامية».

وحينئذ فهؤلاء يقولون: إن إمامهم لا يأمرهم إلاَّ بما أمرهم الله به، وليس فيهم شيعة، بل كثير منهم يبغض علياً ويسبه»[1].

٣٩ ــ أول من قال بالمنزلة بين المنزلتين ونشأة المعتزلة:

وفي أول القرن الثاني ظهرت مقولة المعتزلة: المنزلة بين المنزلتين.

وأول من أعلن القول بالمنزلة بين المنزلتين واصل بن عطاء (ت ١٣١هـ) وعمرو بن عبيد (ت ١٤١هـ)، وذلك حين ظهرت مقولة الخوارج بتكفير مرتكب الكبيرة والقول بتخليده في النار إذا مات مصراً على كبيرته، ثم كثر لغط أهل الأهواء في هذه المسألة.

فأعلن واصل بن عطاء مقولة المعتزلة بأن الفاسق الملّي بالمنزلة بين المنزلتين في الدنيا، أي لا مؤمن ولا كافر، وزعم أنه في الآخرة مخلد في النار كما يقول الخوارج، ثم تبعه على ذلك عمرو بن عبيد، ثم صار ذلك أصلاً من أصول المعتزلة[2]. وهذا أول أصل فارقت به المعتزلة السنّة والجماعة، وبعده تجارت بهم الأهواء إلى القول بالقدر ثم سائر أصولهم الأخرى.

وقد اشتهرت مقالة المعتزلة هذه في أول القرن الثاني قبل سنة (١١٠هـ) وهي سنة وفاة الحسن البصري، لأنها حدثت في مجلسه (حلقته) وسموا معتزلة حين اعتزلوا هذا المجلس (مجلس الحسن).

---

(١) منهاج السنّة ٦/ ٤٣٠، ٤٣١.

(٢) انظر: الفتاوى ٣/ ١٨٢، ١٨٣. و ٧/ ٤٨٤ و ٨/ ٢٢٨ و ١٠/ ٣٥٨.

٤٠ ــ ظهور التجسيم (الممثلة):

أول من قال بالتجسيم في صفات الله ــ تعالى ــ وأعلن الحلول: طوائف من الشيعة الغالية، كالبيانية والمغيرية.

إذ أن أول من أظهر التشبيه والقول بالحلول والتناسخ **بيان بن سمعان الشيعي المقتول سنة (١١٩هـ) تقريباً**، فقد زعم أن ربه على صورة إنسان وأن جزءاً إلَهياً حل في علي وغيره من بعده، تعالى الله عما يقول علواً كبيراً. **وقد قتله (قَصَّابُ الزنادقة) خالد بن عبد الله القسري**[١].

وكذلك قال بالتشبيه المغيرة بن سعيد العجلي (وهو شيعي أيضاً) وقد قتله كذلك خالد القسري مع بيان[٢].

أما أول من أطلق الجسمية وزعم أن الله ــ تعالى ــ جسم فهو هشام بن الحكم (الرافضي) توفي سنة (١٩٩هـ)، قال شيخ الإسلام: «وأول من عرف عنه في الإسلام أنه قال: إن الله ــ تعالى ــ جسم هو هشام بن الحكم»[٣].

٤١ ــ ظهور بدعة تعطيل الأسماء والصفات (نفي الخلة والتكليم) ونشأة الجهمية:

أول من نفى الخلة والمحبة والتكليم (أي كلام الله ــ تعالى ــ) الجعد بن درهم[٤].

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين ٦٦، ٦٧ مع الهامش؛ والفرق بين الفرق ٢٣٦، ٢٣٧؛ والكامل لابن الأثير ٤/ ٢٣١.

(٢) انظر: الكامل ٤/ ٢٣٠، ١٣١؛ والطبري ٤/ ١٧٤، ١٧٥.

(٣) منهاج السنّة ١/ ٧٣.

(٤) انظر: ذم الكلام للهروي (٤٣٦) مخطوط؛ وبيان تلبيس الجهمية ١/ ٢٥٤، ٢٥٥ (رشيد)؛ والفتاوى ٢/ ٣٥٤ و ٥/ ٢٠ و ٦/ ٤٧٦ و ٨/ ٣٥٧؛ والصفدية ٢/ ٢٦٣.

فقد زعم الجعد بن درهم المقتول سنة (١٢٤هـ) تبعاً لبعض فلاسفة النصارى واليونان والصابئة وغيرهم أن الله ـ تعالى ـ لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، فلما أعلن بدعته قتله خالد بن عبد الله القسري (قصّاب الزنادقة) بعد أن حكم الأئمة بقتله خوفاً على الأمة من بدعته[١].

وقد صارت بدعته هذه من أعظم أصول الجهمية والمعتزلة ومتأخري أهل الكلام من الأشاعرة والماتريدية. إلاَّ أنهم ـ أي أهل الكلام ـ لا ينكرون الصفات ولا يردون نصوصها تكذيباً، إنما يتأولونها بما يقتضي التعطيل، ولا يقرون بما أقر به السلف. ولم يسكتوا عما أمر الله بالسكوت عنه، بل خاضوا مع الخائضين.

٤٢ ـ ظهور بدعة القول بخلق القرآن:

أول من أعلن بدعة القول بخلق القرآن الجعد ثم الجهم على الراجح. ويقال: إن أول من قال بخلق القرآن غيلان الدمشقي المقتول سنة (١٠٥هـ)، لكن لم تعلن هذه البدعة وتشتهر إلاَّ حين قال بها وأعلنها الجعد بن درهم والجهم بن صفوان المقتول (١٢٨هـ).

ولما بلغ علماء السلف هذا القول تعاظموه وأنكروه وأجمعوا على أن من تكلم به فقد تكلم بالكفر[٢]. وقالوا من قال: القرآن مخلوق فهو كافر، ووصفوه بأنه جهمي.

وبدعة القول بخلق القرآن أشنع بدعة كلامية، انبثقت عنها بدع كثيرة في التعطيل والتأويل في أسماء الله ـ تعالى ـ وصفاته وأفعاله.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر: اللالكائي ٣/ ٣٨٠، ٣٨٢.

٤٣ ـ أول من قال بالجبر (في القدر) الجهم بن صفوان المقتول سنة (١٢٨هـ) ونشأة الجبرية الغالية:

أول من قال بالجبر: الجهم بن صفوان وأتباعه فقالوا كما ذكر شيخ الإسلام: «إن العبد مجبور وأنه لا فعل له أصلاً، وليس بقادر أصلاً»[١].

٤٤ ـ أول من نفى أسماء الله وصفاته الجهمية:

أول من نفى أسماء الله وصفاته الجهم بن صفوان المقتول سنة (١٢٨هـ) وأعني بذلك النفي المطلق (التعطيل)، أما نفي بعض الصفات أو تأويلها فقد سبقه إليه كل من غيلان الدمشقي والجعد بن درهم الذي أنكر الخلة والتكليم.

٤٥ ـ أول من ابتدع الكلام في الجسم والعرض والجوهر:

أول من ابتدع إدخال الكلام في الجسم والعرض والجوهر في تقرير العقائد هم الجهمية والمعتزلة، وقصدوا بذلك نفي الصفات، حيث زعموا أن إثباتها كما ورد في الكتاب والسنّة وكما عليه السلف يقتضي التشبيه.

قال شيخ الإسلام: «وأما الخوض في الأعراض والأجسام كما خاض فيه المتكلمون، كقولهم ليس بجسم ولا عرض ونحو ذلك. فأول من ابتدعه في الإسلام الجهمية وأتباعهم من المعتزلة»[٢]، «وكذلك الاستدلال على حدوث العالم بطريق الجسم والعرض إنما ابتدعها في الإسلام هؤلاء. وهذا أصل علم الكلام الذي أطبق على ذمه أئمة الإسلام من الأولين والآخرين.

---

(١) الفتاوى ٨/ ٤٦٠.

(٢) بيان تلبيس الجهمية ٢/ ٥٥٨، ٥٥٩.

ولما ابتدع هؤلاء القول بأنه ليس بجسم ولا جوهر عارضهم الطائفة الأخرى من الشيعة وغيرهم فقالوا: بل هو جسم»[1].

وقال شيخ الإسلام أيضاً: «فالجهمية والمعتزلة أول من قال: إن الله ليس بجسم»[2].

٤٦ ــ أول من اتخذ السواد شعاراً للدولة أبو مسلم الخراساني (الشيعي):

يقال إن أول من سن لبس السواد أبو مسلم الخراساني الشيعي سنة (١٣٢هـ) تقريباً، ثم بعدها صار شعاراً للدولة العباسية، وكان ولا يزال شعاراً للشيعة.

قال الذهبي في لبس السواد: «أول من سنه للدولة أبو مسلم الخراساني»[3]. ومعلوم أن النبي ﷺ لبس السواد لكنه لم يتخذ ذلك شعاراً يلتزمه دائماً ولم يشرعه ولم يأمر به وجوباً، ولا بغيره من الألوان، بل التزام ذلك والإلزام به بدعة.

٤٧ ــ أول من ابتدع الوقيد البرامكة:

أول من ابتدع (الوقيد) وهو إيقاد النيران دائماً أو في مناسبات محددة البرامكة في آخر القرن الثاني إحياء لسنّة المجوس.

فقد ذكر السيوطي الوقيد ليلة النصف (إيقاد النيران) والسرج، والشموع، وذكر أن ذلك من سنن المجوس أحدثه متلاعب بالشريعة راغب في المجوس لأن النار معبودهم. قال: «وأول ما حدث ذلك زمن البرامكة»،

---

(١) المصدر السابق.

(٢) منهاج السنّة ٢/ ٢٢٠.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء ٦/ ٥١؛ والحلية ٧/ ٥١.

وقال: «ومقصودهم عبادة النيران»[1].

وزمن البرامكة في نهاية القرن الثاني للهجرة في ولاية الرشيد.

ويرى كثير من العلماء أن سبب نكبة البرامكة من قبل الرشيد ما ظهر له من سعيهم إلى بث المجوسية وعقائدها بين المسلمين، ومحاولتهم صبغ الدولة بالمراسم الفارسية المجوسية. والله أعلم.

قلت: ويدخل في هذه البدعة المجوسية: إيقاد الشموع عند أعياد الميلاد الخاصة والعامة، وفي الاحتفالات والمناسبات، والتي بدأت تغزو المسلمين مع سائر البدع الحديثة. فتأمل واحذر حفظك الله.

٤٨ ـ قصة ابتداع التثويب بالمدينة وإنكار مالك له (ت ١٧٩هـ):

قال ابن وضّاح: «ثوّب[2] المؤذن بالمدينة في زمان مالك فأرسل إليه مالك فجاءه، فقال له مالك: ما هذا الذي تفعل؟ قال: أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر فيقوموا. فقال له مالك: لا تفعل لا تحدث في بلدنا شيئاً لم يكن فيه، قد كان رسول الله ﷺ بهذا البلد عشر سنين، وأبو بكر وعمر وعثمان فلم يفعلوا هذا، فلا تحدث في بلدنا ما لم يكن فيه. فكف المؤذن عن ذلك وأقام زماناً، ثم أنه تنحنح في المنارة عند طلوع الفجر، فأرسل إليه مالك، فقال له: ما هذا الذي تفعل؟ قال: أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر، فقال: ألم أنهك ألا تحدث عندنا ما لم يكن؟ فقال: إنما نهيتني عن التثويب، فقال له مالك: لا تفعل. فكفّ أيضاً زماناً، ثم جعل يضرب الأبواب، فأرسل مالك إليه، فقال له: ما هذا الذي تفعل؟ فقال: أردت أن

---

(١) الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع للسيوطي ١٧٧، ١٧٨.

(٢) ثوب: من التثويب وهو كلام زائد على الأذان ينادي به المؤذن بعده كأن يقول: صلوا هداكم الله. أو يعيد بعض جمل الأذان مرة أخرىٰ، فهذا بدعة لأن فيما شرع الله من الأذان كفاية. انظر: لسان العرب (ثوب) ١/ ٢٤٧.

يعرف الناس طلوع الفجر، فقال له مالك: لا تفعل، لا تحدث في بلدنا ما لم يكن فيه ــ قال ابن وضّاح ــ وكان مالك يكره التثويب ــ قال ابن وضّاح ــ وإنما أُحْدِث هذا بالعراق، قلت لابن وضّاح: من أول من أحدثه؟ فقال: لا أدري، قلنا له: فهل يعمل به بمكة أو بالمدينة أو بمصر أو غيرها من الأمصار؟ فقال: ما سمعته إلاَّ عند بعض الكوفيين والأباضيين»[1].

٤٩ ــ أول من فتق الكلام في الإمامة هشام بن الحكم (ت بعد ١٩٩هـ) رافضي:

قال ابن النديم في ترجمة هشام بن الحكم: «هو من أصحاب جعفر الصادق، هذب المذهب، وفتق الكلام في الإمامة»[2] أي جعلها من أصول الدين وأركان العقيدة عند الرافضة ــ كالتوحيد والإيمان ــ واخترع لها أحكاماً لم ترد في السنّة.

ويقصد بالمذهب مذهب الرافضة. وجعفر الصادق توفي سنة (١٤٨هـ)، أما هشام فقد هلك بعد نكبة البرامكة[3] حيث توفي سنة (١٩٩هـ) كما أسلفت.

٥٠ ــ انتشار الأهواء والبدع والفلسفة والكلاميات في عهد المأمون:

أول من نشر الأهواء والفرق والفلسفة والكلام وأيدها بقوة الدولة المأمون، فالمأمون قد أثرت فيه الجهمية والمعتزلة، حتى مال إلى بعض أصولهم ومال إلى التشيع فأعلن بدعة القول بخلق القرآن وألزم بها بقوة

---

(١) البدع والنهي عنها ٤٠، ٤١.

(٢) الفهرست ٢٤٩؛ وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٤٤.

(٣) انظر: تاريخ الطبري ٤/ ٦٥٧.

السلطان، وروّج كتب الفلاسفة وعلم الكلام والرفض، وانتصر لأصحابها وأعلى شأنهم ومكنهم من مناصب الدولة، وأعلن شيئاً من التشيع.

قال الذهبي: «والدولة لهارون الرشيد والبرامكة، ثم بعدهم اضطربت الأمور وضعف أمر الدولة بخلافة الأمين ــ رحمه الله ــ فلما قتل واستخلف المأمون على رأس المائتين نجم التشيع وأبدى صفحته، وبزغ فجر الكلام، وعربت حكمة الأوائل ومنطق اليونان، وعمل رصد الكواكب، ونشأ للناس علم جديد مرد مهلك لا يلائم علم النبوة ولا يوافق توحيد المؤمنين، قد كانت الأمة منه في عافية، وقويت شوكة الرافضة والمعتزلة، وحمل المأمون المسلمين على القول بخلق القرآن، ودعاهم إليه، فامتحن العلماء فلا حول ولا قوة إلاَّ بالله، إن من البلاء أن تعرف ما كنت تنكر وتنكر ما كنت تعرف، وتقدم عقول الفلاسفة، ويعزل منقول أتباع الرسل، ويمارى في القرآن ويتبرم بالسنن والآثار، وتقع في الحيرة. فالفرار قبل حلول الدمار، وإياك ومضلات الأهواء ومحاراة العقول، ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم[1].

وقال الذهبي أيضاً عن المأمون: «قلت: وكان شيعيّاً»[2]، ثم قال: «وقال نفطويه: بعث المأمون منادياً ينادي في الناس ببراءة الذمة ممن ترحم على معاوية أو ذكره بخير»[3].

وقد نشطت الباطنية الخبيثة في زمن المأمون[4].

---

(١) تذكرة الحفاظ ١/٣٢٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٨١.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٨١.

(٤) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ٢٨٤، ٢٨٥.

٥١ ــ الدعوة إلى بدعة الجهمية (القول بخلق القرآن) بقوة السلطان:

المأمون أول من أعلن بدعة القول بخلق القرآن من السلاطين، ودعا إليها بقوة السلطان، **قال الذهبي**: «وكان كلامه في القرآن سنة اثنتي عشرة ومئتين، فأنكر الناس ذلك واضطربوا ولم ينل مقصوده ففتر إلى وقت»[١].

وقال الذهبي كذلك: «أما مسألة القرآن فما رجع عنها، وصمم على امتحان العلماء في سنة ثمان عشرة وشدد عليهم فأخذه الله»[٢]، ثم واصل المحنة بعده الواثق والمعتصم ورفعها المتوكل.

٥٢ ــ أول من ابتدع الأمر بالذكر الجماعي بعد الصلوات في المساجد المأمون سنة (٢١٦هـ) (ونشأة البدع العملية):

قال ابن كثير في حوادث سنة (٢١٦هـ): «وفيها كتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد يأمره أن يأمر الناس بالتكبير عقيب الصلوات الخمس، فكان أول ما بدىء بذلك في جامع بغداد والرصافة.. وذلك أنهم كانوا إذا قضوا الصلاة قام الناس قياماً فكبروا ثلاث تكبيرات، ثم استمروا على ذلك بقية الصلوات، وهذه بدعة أحدثها المأمون أيضاً بلا مستند ولا دليل ولا معتمد، فإن هذا لم يفعله قبله أحد»[٣].

٥٣ ــ أول من أطلق لفظ القديم في أسماء الله تعالى (المعتزلة):

أول من أطلق (القديم) على الله ــ تعالى ــ المعتزلة، وهو لفظ مبتدع يغني عنه قوله ــ تعالى ــ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ أي الذي ليس قبله شيء، لكن

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٨١.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٨٣؛ وفوات الوفيات ٢/ ٢٣٨.

(٣) البداية والنهاية ١٠/ ٢٧٠.

المعتزلة سايروا الفلاسفة، وأخذوا عنهم هذه المصطلحات المبتدعة، لأن الفلاسفة لا يدينون بالدين الحق، ولا يعرفون ما أنزل الله ــ تعالى ــ على رسله من أسمائه الحسنى وصفاته العلىٰ. فلما ترجمت كتب الفلاسفة في الإسلام واتصل أهل الأهواء بالفلاسفة وتلقوا عنهم وجادلوهم استمدوا منهم مثل هذه الألفاظ كلفظ (القديم).

٥٤ ــ أول من قال في كلام الله ــ تعالى ــ أنه المعنى فقط وأنه قديم ابن كلاب (ت ٢٤١هـ) (نشأة الفرق الكلامية):

فقد زعم أن الكلام هو المعنى الذي يقوم في القلب من معنى الأمر والنهي والخبر والاستخبار. وهذا كلام مبتدع، وخوض فيما نهى الله عن الخوض فيه، وينافي ما استقر عند السلف، وبهذه المقولة نشأت الكلابية أول الفرق الكلامية بعد الجهمية والمعتزلة.

يقول شيخ الإسلام في تقريره أن الكلام هو اللفظ والمعنى: «ولم يكن في مسمى الكلام نزاع بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وتابعيهم لا من أهل السنّة ولا من أهل البدعة، بل أول من عرف في الإسلام أنه جعل مسمى الكلام المعنى فقط هو عبد الله بن سعيد بن كلاَّب، وهو متأخر في زمن محنة أحمد بن حنبل، وقد أنكر عليه علماء السنّة، وعلماء البدعة»[1]. ثم ناقشه الشيخ.

وقال في موضع آخر في مسألة الكلام وأنه المعنى القائم في القلب أو بالنفس: «فلا خلاف بين الناس أن أول من أحدث هذا القول في الإسلام أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاَّب البصري، واتبعه على ذلك أبو الحسن الأشعري ومن نصر طريقتهما، وكانا يخالفان المعتزلة ويوافقان أهل السنّة

(١) الفتاوى ٧/ ١٣٤ (الإيمان).

في جمل أصول السنّة. ولكن لتقصيرهما في علم السنّة وتسليمهما للمعتزلة أصولاً فاسدة، صار في مواضع من قوليهما مواضع فيها من قول المعتزلة ما خالفا به السنّة، وإن كانا لم يوافقا المعتزلة مطلقاً، وهذه المسألة: مسألة حد الكلام، قد أنكرها عليهما جميع طوائف المسلمين حتى الفقهاء والأصوليون»[1]، وكذلك أول من أطلق القديم على القرآن وقال: هو قديم: ابن كلاَّب[2]. وقد بدَّع السلف هذه المقولة ومن قال بها.

٥٥ ــ أول من خاض في علم الكلام: من المنتسبين للسلف والسنّة ابن كلاب (ت ٢٤١هـ):

أول ما نشأ علم الكلام بين المنتسبين للسنّة والحديث في نهاية القرن الثالث، وأول القرن الرابع الهجري، وكان أول من باشر علم الكلام عبد الله بن سعيد بن كلاَّب (ت ٢٤١هـ)، وأبو العباس القلانسي (معاصر للأشعري)، والحارث المحاسبي (ت ٢٤٣هـ) بدعوى تأييد عقيدة السلف بحجج كلامية وبراهين أصولية، ثم انحاز إليهم الأشعري (ت ٣٢٤هـ) فانفتح باب التأويل واختلطت تلك المناهج بمناهج الجهمية والمعتزلة ثم الفلاسفة ثم الصوفية، حتى زعم متأخرو المتكلمين أن علم الكلام هو مذهب أهل السنّة والجماعة وجهَّلوا السلف ونسبوا إليهم الحشو والتجسيم[3]، ووقع ما حذر منه المصطفى ﷺ (تتجارى بهم الأهواء).

أما أهل السنّة فما فتئوا ولا يزالون يذمون الكلام وأهله، ويبدِّعون مسالكهم ويحذرون الأمة منها.

---

(١) الاستقامة ١/ ٢١٢.

(٢) انظر: منهاج السنّة ١/ ٣١٢ ــ ٣١٤ و ٣/ ٣٦٩. وانظر: درء التعارض ٤/ ٢٥ وهامش اللالكائي ١/ ٢٢٤.

(٣) انظر: الملل والنحل للشهرستاني ١/ ٩٣.

٥٦ ـ أول من تكلم بأحوال الصوفية ومقامات الولاية ذو النون المصري (الصوفي) (ت ٢٤٥هـ):

يقول ابن الجوزي: عن أبـي عبد الرحمن السلمي قال: «أول من تكلم في بلدته في ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية ذو النون المصري، فأنكر عليه ذلك عبد الله بن الحكم وكان رئيس مصر، وكان ذهب مذهب مالك، وهجره لذلك علماء مصر لما شاع خبره أنه أحدث علماً لم يتكلم فيه السلف حتى رموه بالزندقة»[(١)]. **والله أعلم**.

٥٧ ـ مقولة أن الأولياء أفضل من الأنبياء:

يقال: أول من قال أن الأولياء أفضل من الأنبياء أحمد بن أبـي الحواري (الصوفي) (ت ٢٤٦هـ)، **فقد ذكر ابن الجوزي أن**: أول من نسب إليه تفضيل الأولياء على الأنبياء أحمد بن أبـي الحواري، فشهد الناس عليه في ذلك فهرب من دمشق إلى مكة[(٢)]. والمقولة ظهرت آنذاك، لكن قد تكون نسبتها لابن أبـي الحواري غير صحيحة، أو أنه قال بها ثم رجع عنها. قال الذهبـي في السير: «قال أحمد السلمي في محن الصوفية: أحمد بن أبـي الحواري شهد عليه قوم أنه يفضل الأولياء على الأنبياء، وبذلوا الخطوط عليه، فهرب من دمشق إلى مكة، وجاور حتى كتب إليه السلطان يسأله أن يرجع فرجع.

(قال الذهبـي): قلت: إن صحت الحكاية فهذا من كذبهم على أحمد، هو كان أعلم بالله من أن يقول ذلك»[(٣)].

---

(١) تلبيس إبليس ١٧١، ١٧٢.

(٢) انظر: تلبيس إبليس ١٦٧.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٩٣.

٥٨ ــ دعوى أن من المتأخرين من هو أفضل من أبـي بكر وعمر:

أول من زعم أنه قد يكون من المتأخرين من هو أفضل من أبـي بكر وعمر: الحكيم الترمذي (صوفي) (ت ٢٤٥هـ):

فقد زعم في كتابه (ختم الولاية) أنه قد يكون في المتأخرين من درجته عند الله أعظم من درجة أبـي بكر وعمر وغيرهما.

لكن نقض كلامه هذا حين حكى عن بعض الناس أن الوالي يكون منفرداً عن الناس، فأبطل ذلك واحتج بأبـي بكر وعمر[١].

وقال شيخ الإسلام عن الحكيم الترمذي: «وذكر أنه يكون في آخر الأولياء من هو أفضل من الصحابة، وربما لوح بشيء من ذكر الأنبياء، قام عليه المسلمون وأنكروا عليه ذلك ونفوه من البلد بسبب ذلك»[٢].

٥٩ ــ أول من قال بأن ترك الأعمال الظاهرة أفضل في حق ذي الأعمال القلبية الحكيم الترمذي:

قال شيخ الإسلام حين ذكر أن في كلام الحكيم الترمذي من الخطأ ما يجب رده: «ومنها [أي من أخطائه] أنه ذكر في كتابه [ختم الولاية] ما يشعر أن ترك الأعمال الظاهرة، ولو أنها التطوعات المشروعة، أفضل في حق الكامل ذي الأعمال القلبية. وهذا أيضاً خطأ عند أئمة الطريق، فإن أكمل الخلق رسول الله ﷺ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وما زال محافظاً على ما يمكنه من الأوراد والتطوعات البدنية إلى مماته»[٣].

قلت: وهذه المقولة قد أدت بالصوفية الغالية أن تدعي أنه يسع

---

(١) انظر: الفتاوى ٢/ ٢٢٢.

(٢) رسالة في علم الباطن والظاهر ــ المنيرية ١/ ٢٥٠.

(٣) الفتاوى ١/ ٢٢٢.

الأولياء وشيوخ الصوفية، الاستغناء عن الشريعة وترك العمل بمقتضى الأوامر والنواهي. وأن هذه هي الحقيقة التي ينشدونها، ثم ظهر بسببها القول بالفناء والحلول والاتحاد ووحدة الوجود، والاستغناء بالأعمال القلبية عن اتباع الشرع، ولهذا علاقة بقول مرجئة الجهمية الجبرية بأن الإنسان إذا عرف الله وصدق بقلبه فقد آمن الإيمان الكامل، والعمل بعد ذلك لا ينفعه ولا يضره.

٦٠ ــ دعوى ختم الولاية كما ختمت النبوة:

أول من زعم أن الولاية تختم كالنبوة: الحكيم الترمذي أيضاً، كما زعم أن خاتم الأولياء مع الأولياء كخاتم الأنبياء مع الأنبياء، وهذه دعوى من مزاعم الصوفية لا أصل لها في الدين إنما هي من ترهات القوم ودواهيهم.

قال شيخ الإسلام في مناقشته لدعوى ابن عربي وذويه في خاتم الأولياء: «إن دعوى المدعي وجود خاتم الأولياء على ما ادعوه باطل، ولم يذكر هذا أحد من المعروفين قبل هؤلاء إلاَّ أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي الحكيم في كتاب (ختم الولاية)، وقد ذكر في هذا الكتاب ما هو خطأ وغلط، مخالف للكتاب والسنّة والإجماع»[(١)].

٦١ ــ ظهور قول الكرامية في الإيمان:

أول من قال: الإيمان: القول باللسان فقط ابن كَرَّام (ت ٢٥٥هـ)؛ حيث زعم أن الإيمان نطق اللسان بالتوحيد مجرداً عن عقد القلب وعمل الجوارح[(٢)]، وهذا قول منكر، أنكره السلف وبدَّعوا من قال به، فإن الإيمان اعتقاد وقول وعمل، أما القول فقط فهو عمل المنافقين.

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٢٢٢.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٢٣.

٦٢ ــ دعوى المعراج الصوفي:

يقال إن أبا يزيد البسطامي (الصوفي) (ت ٢٦١هـ) هو أول من قال: لي معراج كما كان للنبي ﷺ معراج فأخرجوه من بسطام[(١)].

وهذه داهية من دواهي القوم وخرافة من خرافاتهم التي رموا بها الإسلام، وسُلَّمٌ إلى كثير من العقائد الفاسدة التي يدعونها.

٦٣ ــ ظهور دعوى الحلول:

في آخر القرن الثالث ظهرت من خلال غالية الصوفية دعوى الحلول، وأول من أعلن دعوى أن الله حل فيه الحسين بن منصور الحلاَّج (قتل ٣٠١هـ) حين أصر على مقولته الخبيثة، ثم تتابعت دعاوى الحلول والفناء والفيض والاتحاد ووحدة الوجود في الفلاسفة وغلاة الصوفية والملاحدة والزنادقة.

٦٤ ــ نشأة فرق المتكلمين (الكلابية والأشاعرة والماتريدية):

نشأت الكلابية في منتصف القرن الثالث وهي أول الفرق الكلامية بعد الجهمية والمعتزلة.

وبعد انقضاء القرون الثلاثة الفاضلة، وفي أول القرن الرابع الهجري نشأت فرق أهل الكلام القائمة: الأشاعرة المنتسبون لأبي الحسن الأشعري المتوفى سنة (٣٢٤هـ)، والماتريدية: أتباع أبي منصور الماتريدي المتوفى سنة (٣٣٣هـ).

وقد تدرجت من القول ببعض المسائل الكلامية في الصفات والأفعال إلى أن تحولت إلى بعض أصول الجهمية والمعتزلة، والفلاسفة والصوفية كما سيأتي بيانه.

---

(١) انظر: تلبيس إبليس ١٦٧.

٦٥ ـ أول من أحدث تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز الجهمية والمعتزلة:

تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز على نحو ما عند المتكلمين تقسيم حادث لا أصل له في الدين. إنما تكلم به طوائف من الجهمية والمعتزلة، ثم أهل الكلام المتأخرون.

يقول شيخ الإسلام عن تقسيم اللغة إلى حقيقة ومجاز: «وبكل حال فهذا التقسيم هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة. لم يتكلم به أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ولا أحد من الأئمة المشهورين في العلم كمالك والثوري والأوزاعي وأبـي حنيفة والشافعي، بل ولا تكلم به أئمة اللغة والنحو كالخليل وسيبويه وأبـي عمرو بن العلاء ونحوهم.

وأول من عرف أنه تكلم بلفظ المجاز أبو عبيدة بن المثنى[(١)] في كتابه، ولكن لم يعن بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة، إنما عنى بمجاز الآية: ما يعبر به عن الآية»[(٢)].

وقال: «إلاَّ في كلام أحمد بن حنبل فإنه قال في كتاب الرد على الجهمية في قوله: إنا ونحن ونحو ذلك في القرآن: هذا من مجاز اللغة. . .» إلخ[(٣)]، ثم قال:

«فإن تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز إنما اشتهر في المائة الرابعة وظهرت أوائله في المائة الثالثة، وما علمته موجوداً في المائة الثانية اللهم إلاَّ أن يكون في أواخرها»[(٤)] وذكر كلاماً جيداً.

---

(١) النحوي صاحب التصانيف لا خبرة له بالكتاب والسنّة (ت ٢١٠هـ)، وكتابه (مجاز القرآن). انظر: سير أعلام النبلاء ٩/ ٢٤٧.

(٢) الفتاوى ٧/ ٨٨.

(٣) الفتاوى ٧/ ٨٩.

(٤) المصدر نفسه ٧/ ٨٩.

وذكر ابن القيم أن القول بأن الصفات مجاز في الخالق قد صار إليه الجهم بن صفوان، ودرج أصحابه على إثره[1]. ولعله يقصد أن ذلك من لوازم قولهم بالتعطيل. والله أعلم.

٦٦ ــ القول بالمجاز في صفات الله ــ تعالى ــ :

اشتهرت مقولة أن صفات الله ــ تعالى ــ مجاز وهي في الإنسان حقيقة في نهاية القرن الثالث، وأول القرن الرابع.

قال الأشعري: «وقال بعض أهل زماننا وهو رجل يعرف بابن الإيادي إن الباري عالم قادر حي سميع بصير في المجاز، والإنسان عالم قادر حي سميع بصير في الحقيقة وكذلك في سائر الصفات»[2]، وذكر ابن القيم أن أبا العباس الناشىء (ت ٢٩٣هـ)، قال: إن الصفات حقيقة في الخالق ومجازاً في المخلوق ووافقه جماعة على ذلك[3].

٦٧ ــ أول من نقل علم الكلام من خراسان إلى العراق:

أول من نقل الكلام من خراسان إلى العراق: أبو علي الثقفي الخراساني (ت ٣٢٨هـ):

قال الصِّبغي: «ما عرفنا الجدل والنظر حتى ورد أبو علي الثقفي من العراق»[4].

قال الذهبي: «ومع علمه وكماله خالف الإمام ابن خزيمة في مسائل التوفيق والخذلان ومسألة الإيمان ومسألة اللفظ، فألزم البيت ولم يخرج منه

---

(١) انظر: مختصر الصواعق ٢/ ٣٧.

(٢) المقالات ١/ ٢٦١.

(٣) انظر: مختصر الصواعق ٢/ ٣٧.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٨٢.

إلى أن مات وأصابه في ذلك محن»[1]. وعليه فإن علم الكلام كان نشأ على يد الجهمية في خراسان في نهاية الثلث الأول من القرن الثاني ثم انتقل إلى العراق ــ البصرة وبغداد ــ ثم إلى الحجاز ثم إلى بلاد المغرب وفي سائر العالم الإسلامي على يد الأشاعرة والماتريدية.

وفي جميع هذه المراحل وحتى يومنا هذا والسلف يحذرون الأمة من الكلام وأهله.

٦٨ ــ بدع المقابرية من عمل الرافضة الباطنية:

بدع المقابرية والمشاهد والمزارات ظهرت واشتهرت وانتشرت في القرن الرابع والخامس، فهي كلها حادثة بعد القرون الثلاثة، مثل:

بدعة البناء على القبور واتخاذها مساجد، والصلاة فيها وعندها، والدعاء عندها والنذر والذبح لها ولأهلها، ودعاء الأموات من دون الله، والطواف بها ونحو ذلك، كلها بدع حادثة لم تنتشر إلاَّ بعد القرون الثلاثة الفاضلة، وإن كانت وجدت بين الرافضة قبل ذلك لكنها كانت مغمورة.

وقد شاعت أولاً بين الرافضة، ثم لما صارت لهم دويلات ولأشياعهم الباطنية من العبيدية والبويهية، والقرامطة والإسماعيلية، نشروا بدع المشاهد والقبور والآثار والموالد والاحتفالات البدعية والشركيات.

ثم صارت الطرق الصوفية على سبيل الرافضة تنشر هذه البدع وتروجها حتى عمت بها البلوى في سائر البلاد الإسلامية إلاَّ القليل، وتحققت بذلك غربة السنّة وأهلها.

ففي القرون الثلاثة الفاضلة لا نجد الإشارة إلى بدع القبور ولا الحديث عنها عند أهل العلم خاصة البدع المغلظة، إنما حدث ذلك في المائة الرابعة

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٨٢.

لما تغيرت أحوال الإسلام[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وما أحفظ لا عن صاحب ولا عن تابع ولا عن إمام معروف أنه استحب قصد شيء من القبور للدعاء عنده، ولا روى أحد من ذلك شيئاً، لا عن النبي ﷺ، ولا عن الصحابة ولا عن أحد من الأئمة المعروفين».

ثم قال: «نعم صار من نحو المائة الثالثة يوجد متفرقاً من كلام بعض الناس: فلان ترجى الإجابة عند قبره، وفلان يدعى عند قبره، ونحو ذلك»[2].

وعليه فإن: أول من ابتدع تعظيم القبور وبناء المشاهد والمزارات الرافضة الباطنية ودويلاتهم، ثم الصوفية بطرقها واتجاهاتها ومدارسها الباطنية والفلسفية والمقابرية.

قال شيخ الإسلام: «وقد جاءت خلافة بني العباس، وظهر في أثنائها من المشاهد بالعراق وغير العراق ما كان كثير منها كذباً، وكانوا عند مقتل الحسين بكربلاء قد بنوا هناك مشهداً، وكان ينتابه أمراء عظماء، حتى أنكر ذلك عليهم الأئمة، وحتى إن المتوكل لما تقدموا له بأشياء يقال: إنه بالغ في إنكار ذلك وزاد على الواجب. دع خلافة بني العباس في أوائلها، وفي حال استقامتها، فإنهم حينئذ لم يكونوا يعظمون المشاهد، سواء منها ما كان صدقاً أو كذباً، كما حدث فيما بعد، لأن الإسلام كان حينئذ ما يزال في قوته وعنفوانه، ولم يكن على عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم من ذلك شيء في بلاد الإسلام، لا في الحجاز، ولا اليمن، ولا الشام، ولا العراق، ولا مصر، ولا خراسان، ولا المغرب. ولم يكن قد أُحْدِث مشهد، لا على قبر نبي، ولا صاحب، ولا أحد من أهل البيت، ولا صالح، أصلاً بل عامة

---

(١) انظر: قاعدة عظيمة ١٦٢.

(٢) اقتضاء الصراط ٢/٧٢٨.

هذه المشاهد محدثة بعد ذلك. وكان ظهورها وانتشارها حين ضعفت خلافة بني العباس، وتفرقت الأمة، وكثر فيهم الزنادقة الملبسون على المسلمين، وفشت فيهم كلمة أهل البدع، وذلك من دولة المقتدر في أواخر المائة الثالثة، فإنه إذ ذاك ظهرت القرامطة العبيدية القداحية بأرض المغرب، ثم جاءوا بعد ذلك إلى أرض مصر. ويقال: إنه حدث قريباً من ذلك: المكوس في الإسلام.

وقريباً من ذلك ظهر بنو بويه، وكان في كثير منهم زندقة وبدع قوية، وفي دولتهم قوي بنو عبيد القداح بأرض مصر، وفي دولتهم أظهر المشهد المنسوب إلى علي ـ رضي الله عنه ـ بناحية النجف، وإلاَّ فقبل ذلك لم يكن أحد يقول: إن قبر علي هناك، وإنما دفن علي ـ رضي الله عنه ـ بقصر الإمارة بالكوفة، وإنما ذكروا أن بعضهم حكى عن الرشيد أنه جاء إلى بقعة هناك وجعل يعتذر إلى المدفون فيها، فقالوا: إنه علي، وأنه اعتذر إليه مما فعل بولده فقالوا: هذا قبر علي، وقد قال قوم: إنه قبر المغيرة بن شعبة، والكلام عليه مبسوط في غير هذا الموضع. فإذا كان بنو بويه وبنو عبيد ـ مع ما كان في الطائفتين من الغلو في التشيع ـ حتى إنهم كانوا يظهرون في دولتهم ببغداد يوم عاشوراء من شعار الرافضة ما لم يظهر مثله، مثل تعليق المسوح على الأبواب، وإخراج النوائح بالأسواق، وكان الأمر يفضي في كثير من الأوقات إلى قتال تعجز الملوك عن دفعه؛ وبسبب ذلك خرج الخرقي ـ صاحب المختصر في الفقه ـ من بغداد، لما ظهر بها سبّ السلف. وبلغ من أمر القرامطة الذين كانوا بالمشرق في تلك الأوقات أنهم أخذوا الحجر الأسود، وبقي معهم مدة، وأنهم قتلوا الحُجاج وألقوهم ببئر زمزم»[1].

---

(١) الفتاوى ٢٧/ ٤٦٥ ـ ٥٦٧.

وقال: «ولم يكن في العصور المفضلة (مشاهد) على القبور، وإنما ظهر ذلك وكثر في دولة بني بويه؛ لما ظهرت القرامطة بأرض المشرق والمغرب وكان بها زنادقة كفار، مقصودهم تبديل دين الإسلام، وكان في بني بويه من الموافقة لهم على بعض ذلك، ومن بدع الجهمية، والمعتزلة، والرافضة، ما هو معروف لأهل العلم، فبنوا المشاهد المكذوبة (مشهد علي) ـ رضي الله عنه ـ، وأمثاله. وصنف أهل الفرية الأحاديث في زيارة المشاهد والصلاة عندها، والدعاء عندها، وما يشبه ذلك. فصار هؤلاء الزنادقة وأهل البدع المتبعون لهم يعظمون المشاهد ويهينون المساجد، وذلك ضد دين المسلمين ويستترون بالتشيع. ففي الأحاديث المتقدمة المتواترة عنه من تعظيم الصديق، ومن النهي عن اتخاذ القبور مساجد، ما فيه رد لهاتين البدعتين اللتين هما أصل الشرك وتبديل الإسلام»[1].

وقال الذهبي: «أول من دس على المسلمين بدع القبور العبيدية بمصر والقرامطة والشيعة»[2].

وقال الذهبي ـ أيضاً ـ لما ذكر بدع المقابرية بمصر وشركيات تحدث عند قبر نفيسة: «وكان ذلك من دسائس دعاة العبيدية»[3].

٦٩ ـ أول من نقل علم الكلام من المشرق إلى بلاد الحرم والمغرب:

بقيت بلاد الحرم والمغرب سالمة من علم الكلام مدة حتى نقله أبو ذر الهروي (ت ٤٣٤هـ) بعد القرن الرابع وأول القرن الخامس الهجري[4]

---

(١) الفتاوى ٢٧/ ١٦٧، ١٦٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٦.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٦.

(٤) انظر: درء التعارض ١/ ٢٧١؛ وصون المنطق ٧٩.

ويعني هذا أن علم الكلام علم مبتدع ولم تعم به البلوى إلاَّ في القرن الخامس وما بعده.

قال شيخ الإسلام: «وكان أبو ذر الهروي قد أخذ طريقة ابن الباقلاني وأدخلها إلى الحرم، ويقال إنه أول من أدخلها إلى الحرم، وعنه أخذ ذلك من أخذه من أهل المغرب، فإنهم كانوا يسمعون عليه البخاري ويأخذون ذلك عنه، كما أخذه أبو الوليد الباجي، ثم رحل الباجي إلى العراق، فأخذ طريقة الباقلاني عن أبي جعفر السمناني الحنفي قاضي الموصل صاحب ابن الباقلاني»[1].

وقال: «قال [يعني الهروي] وسمعت الحسن بن أبي أمامة المالكي يقول: سمعت أبي يقول: لعن الله أبا ذر الهروي، فإنه أول من حمل الكلام إلى الحرم، وأول من بثه في المغاربة.

قلت: «القائل هو شيخ الإسلام ابن تيمية».

أبو ذر فيه من العلم والدين والمعرفة بالحديث والسنّة وانتصابه لرواية البخاري عن شيوخه الثلاثة، وغير ذلك من المحاسن والفضائل مما هو معروف به، وكان قد قدم إلى بغداد من هراة فأخذ طريقة ابن الباقلاني وحملها إلى الحرم، فتكلم فيه وفي طريقته من تكلم، كأبي نصر السجزي، وأبي القاسم سعد بن علي الزنجاني وأمثالهما من أكابر أهل العلم والدين مما ليس هذا موضعه، وهو ممن يرجح طريقة الضبعي والثقفي على طريقة ابن خزيمة وأمثاله من أهل الحديث، وأهل المغرب كانوا يحجون، فيجتمعون به ويأخذون عنه الحديث وهذه الطريقة ويدلهم على أصلها، فيرحل منهم من يرحل إلى المشرق، كما رحل أبو الوليد الباجي فأخذ طريقة

(١) درء التعارض ١/ ١/ ٢٧١.

أبـي جعفر السمناني الحنفي. صاحب القاضي أبـي بكر، ورحل بعده القاضي أبو بكر بن العربـي فأخذ طريقة أبـي المعالي في (الإرشاد).

ثم إنه ما من هؤلاء إلاَّ من له في الإسلام مساعي مشكورة وحسنات مبرورة، وله في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع، والانتصار لكثير من أهل السنّة والدين، ما لا يخفى على من عرف أحوالهم وتكلم فيهم بعلم وصدق وعدل وإنصاف، لكن لما التبس عليهم هذا الأصل المأخوذ ابتداء عن المعتزلة ــ وهم فضلاء عقلاء ــ احتاجوا إلى طرده والتزام لوازمه، فلزمهم بسبب ذلك من الأقوال ما أنكره المسلمون من أهل العلم والدين، وصار الناس بسبب ذلك: منهم من يعظمهم لما لهم من المحاسن والفضائل، ومنهم من يذمهم لما وقع في كلامهم من البدع والباطل، وخيار الأمور أوسطها»(١).

٧٠ ــ ابتداع ما يسمى بمشهد علي (ــ رضي الله عنه ــ):

ومنه ابتداع ما يسمى (مشهد علي) ــ رضي الله عنه ــ بالنجف أيام بني بويه:

وقد صنع ذلك الرافضة ــ على عادتهم ــ في القرن الرابع، وأهل المعرفة متفقون أنه ليس بقبر علي ــ رضي الله عنه ــ بل قيل: هو قبر المغيرة بن شعبة!

قال شيخ الإسلام: «وأما المشهد الذي بالنجف فأهل المعرفة متفقون أنه ليس بقبر عليٍّ بل قيل: إنه قبر المغيرة بن شعبة، ولم يكن أحد يذكر أن هذا قبر علي ولا يقصده أحد أكثر من ثلاثمائة سنة، مع كثرة المسلمين من أهل البيت والشيعة وغيرهم وحكمهم بالكوفة.

---

(١) درء التعارض ٢/ ١٠١، ١٠٢.

إنما اتخذ ذلك مشهداً في ملك بني بويه ـ الأعاجم ـ بعد موت علي بأكثر من ثلاثمائة سنة»[1].

وقال: «وأما (مشهد علي) فعامة العلماء على أنه ليس قبره؛ بل قد قيل: إنه قبر المغيرة بن شعبة، وذلك أنه إنما أُظهر بعد نحو ثلاثمائة سنة من موت علي في إمارة بني بويه»[2].

٧١ ـ وضع الأحاديث المكذوبة في زيارة المشاهد والقبور:

أول من وضع الأحاديث في زيارة المشاهد والقبور الرافضة، والمتصوفة.

وذلك بعد المائة الثالثة، فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن أول من وضع الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد التي على القبور أهل البدع من الرافضة ونحوهم»[3].

وقال شيخ الإسلام: «والأحاديث الكثيرة المروية في زيارة قبره [يعني النبي ﷺ] ضعيفة بل موضوعة»[4].

وهذه الأحاديث والحكايات الموضوعة هي عمدة المقابريين والمتصوفة وأهل البدع الذين يشدون الرحال إلى المشاهد والآثار والغيران والقبور ويفعلون البدع عندها.

٧٢ ـ ابتداع ما يسمى بقبر الخليل وما يفعل عنده من البدع:

أول ما ابتدع ما يسمى بقبر الخليل ـ عليه السلام ـ في أول القرن الرابع.

---

(١) الفتاوى ٤/ ٥٠٢.

(٢) الفتاوى ٢٧/ ٤٤٦.

(٣) كتاب الزيارة لشيخ الإسلام ٢٥.

(٤) كتاب الزيارة لشيخ الإسلام ٣٨.

قال شيخ الإسلام، في معرض كلامه عن قبر إبراهيم الخليل ــ عليه السلام ــ : «وقد قيل: إنه أول ما أظهر في سنة بضع وثلاثمائة في خلافة المقتدر (قتل سنة ٣٢٠هـ)، لما حدث في الإسلام حوادث كبيرة واستطال الكفار والمنافقون على أهل الإسلام في ذلك الوقت»[١].

٧٣ ــ من البدع ما هو من عمل النصارى:

ومن بدع القبور والمشاهد ما كان من عمل النصارى لما استولوا على بعض بلاد المسلمين أول القرن الخامس، فقد عنوا بما يسمونه بمقدساتهم كحجرة الخليل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «اتخاذ حجرة الخليل ــ عليه السلام ــ معبداً من عمل النصارى في أواخر المائة الرابعة حين استولوا على سواحل الشام وفلسطين وبيت المقدس من يد الرافضة حكام مصر آنذاك، فقد نقبوا الحجرة وجعلوا لها باباً، فكان اتخاذ ذلك معبداً من عمل النصارى، ليس من عمل سلف الأمة وخيارها»[٢].

٧٤ ــ ابتداع ما يسمى بمشهد الحسين ــ رضي الله عنه ــ:

ومنه ابتداع ما يسمى (مشهد الحسين) ــ رضي الله عنه ــ بالقاهرة وبعسقلان، فهذا المشهد مبتدع حادث من وثنيات الباطنية العبيدية. ابتدع بعد (٤٩٠هـ).

قال شيخ الإسلام : «ومن هذا الباب نقل الناقل: إن هذا القبر الذي بالقاهرة (مشهد الحسين) ــ رضي الله عنه ــ ، بل وكذلك مشاهد غير هذا مضافة إلى قبر الحسين ــ رضي الله عنه ــ فإنه معلوم باتفاق الناس: أن هذا

---

(١) قاعدة عظيمة ٥٤؛ واقتضاء الصراط ٢/ ٨٢٤.

(٢) انظر: اقتضاء الصراط ٢/ ٨٢٤؛ وقاعدة عظيمة ٥٤.

المشهد بني عام بضع وأربعين وخمسمائة، وأنه نقل من مشهد بعسقلان، وأن ذلك المشهد بعسقلان كان قد أحدث بعد التسعين والأربعمائة. فأصل هذا المشهد القاهري: هو ذلك المشهد العسقلاني، وذلك العسقلاني محدث بعد مقتل الحسين بأكثر من أربعمائة وثلاثين سنة، وهذا القاهري محدث بعد مقتله بقريب من خمسمائة سنة. وهذا مما لم يتنازع فيه اثنان ممن تكلم في هذا الباب من أهل العلم، على اختلاف أصنافهم كأهل الحديث، ومصنفي أخبار القاهرة، ومصنفي التواريخ، وما نقله أهل العلم طبقة عن طبقة. فمثل هذا مستفيض عندهم، وهذا بينهم مشهور متواتر، سواء قيل: إن إضافته إلى الحسين صدق أو كذب، لم يتنازعوا أنه نقل من عسقلان في أواخر الدولة العبيدية[١].

٧٥ ــ ابتداع ما يسمى (صلاة الرغائب) سنة (٤٤٨هـ):

أول من ابتدع ما يسمى (صلاة الرغائب) ابن أبي الحمراء بالمسجد الأقصى، وهي صلاة يقيمها أهل البدع ليلة النصف من شعبان وفي شهر رجب.

قال الشاطبي: «ومثاله ما حكى الطرطوشي في أصل القيام ليلة النصف من شعبان عن أبي محمد المقدسي. قال: لم يكن عندنا ببيت المقدس صلاة الرغائب هذه التي تصلى في رجب وشعبان، وأول ما أحدثت عندنا في سنة ثمان وأربعين وأربعمائة: قدم علينا رجل في بيت المقدس يعرف بابن أبي الحمراء، وكان حسن التلاوة، فقام فصلى في المسجد الأقصى ليلة النصف من شعبان فأحرم خلفه رجل، ثم انضاف إليهما ثالث ورابع، فما ختمها إلاَّ وهو في جماعة كبيرة.

---

(١) الفتاوى ٢٧/ ٤٥٥، ٤٥٦.

ثم جاء في العام القابل فصلى معه خلق كثير، وشاعت في المسجد وانتشرت الصلاة في المسجد الأقصى وبيوت الناس ومنازلهم، ثم استمرت كأنها سنّة إلى يومنا هذا. فقلت له: فرأيتك تصليها في جماعة، قال: نعم! وأستغفر الله منها»[1].

قلت: سبحان الله هكذا تكون نتيجة التساهل بأمر المحدثات والبدع، وتركها في بدايتها دون نكير، فضلاً عن فعلها مجاراة للناس، فإن ذلك يؤدي إلى ما حدث في مثل هذه الصلاة التي أصبحت عند أهل البدع هي السنّة ومنكرها هو المبتدع بزعمهم.

٧٦ ــ وضع الأحاديث المكذوبة في صلاة الرغائب:

ومن عبث الشيطان بأهل الأهواء بعد أن فتنوا بصلاة الرَّغائب المبتدعة أن زُين لبعضهم الكذب، فوضعوا الأحاديث في هذه الصلاة.

قال السيوطي في كتابه (الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع): «قال الإمام الحافظ أبو الخطاب: أما صلاة الرغائب فالمتهم بوضعها علي بن عبد الله بن جهضم وضعها بحديث عن رجال مجهولين، ولم يوجدوا في جميع الكتب»[2].

وفي الباعث لأبي شامة أن صلاة الرغائب أحدثت سنة (٤٤٨هـ) وذكر القصة[3].

وذكر السيوطي عن ابن الصلاح أن الصلاة المعروفة في ليلة الرغائب بدعة وحديثها المروي موضوع وما حدثت إلَّا بعد سنة (٤٠٠هـ)[4]. وعليه،

---

(١) الاعتصام ١/١٦٨، ١٦٩.

(٢) الأمر بالاتباع ١٦٨.

(٣) الأمر بالاتباع ١٦٨، ١٦٩. وانظر: الباعث ٣٢، ٣٣.

(٤) انظر: الأمر بالاتباع ١٦٩، ١٧٠.

فإن المبتدعة الذين لا يزالون يصرون على هذه البدع لا حجة لهم إلاَّ الهوى وتزيين الشيطان، وتقليد الشيوخ بغير هدى ولا دليل.

٧٧ ــ أول من نفى الصفات الخبرية من الأشاعرة:

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية: أن أول من نفى الصفات الخبرية من الأشاعرة أبو المعالي الجويني[١] (ت ٤٧٨هـ):

أي أول من توسع في وضع القواعد الفلسفية والكلامية وقانون تأويل الصفات بعد الجهمية والمعتزلة أبو المعالي الجويني، ثم أتم هذا المنهاج الرازي. حيث توسع في ذلك، وبالغ في دفع نصوص الشرع في الصفات بالعقليات. كما في كتابه أساس التقديس، وقد رد عليه شيخ الإسلام وعلى أمثاله في كتابه (بيان تلبيس الجهمية)، وفي درء التعارض وغيرهما. والتأويل موجود في الأشاعرة في وقت مبكر لكن من غير قانون ولا ضابط فلسفي كما حصل على يد الرازي والجويني والغزالي والآمدي ونحوهم.

٧٨ ــ ابتداع الصلاة الرجبية:

ذكر السيوطي في كتاب (الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع) أن الصلاة المسماة بصلاة رجب لم تحدث إلاَّ بعد سنة (٤٨٠هـ)[٢]. وذكر أبو شامة أن الصلاة الرجبية ما حدثت إلاَّ بعد سنة (٤٠٠هـ)[٣].

٧٩ ــ ابتداع مشهد ما يسمى (رأس الحسين):

أول من ابتدع مشهد (رأس الحسين) ــ رضي الله عنه ــ الرافضة العبيدية الباطنية في عهد بلقاسم بن الظافر (ت ٥٥٥هـ)[٤] زعماً منهم أنهم

---

(١) انظر: درء التعارض ٢/ ١٨.
(٢) انظر: الأمر بالاتباع ١٦٨، ١٧٠.
(٣) انظر: الباعث ٣٢، ٣٣.
(٤) انظر: الفتاوى ٤/ ٥٠٨.

نقلوه من عسقلان. وهذا كذب فإن الذي يرجحه أهل العلم ما ذكر الزبير بن بكار في (أنساب قريش) وهو من أعلم الناس وأوثقهم في هذا الشأن: أن رأس الحسين ــ رضي الله عنه ــ لما قتل نقل إلى المدينة ودفن هناك[1].

٨٠ ــ أول من ابتدع القول بعدم القطع في اليقينيات:

وهو عدم القطع بالثابت اليقيني وهو نوع من الوسواس، كأن يقول هذا إنسان ــ إن شاء الله ــ «أو لا إلٓه إلاَّ الله إن شاء الله، أو محمد رسول الله إن شاء الله، أو الامتناع أن يقول محمد رسول الله قطعاً، وأن يقول هذه شجرة قطعاً. فهذه بدعة مخالفة للعقل والدين». وهذه المقولة قال بها طائفة من المنتسبين لأبـي عمرو بن مرزوق (ت ٥٦٤هـ)، إنما ابتدعها لهم أحد تلاميذه يقال له «حازم»[2].

قال شيخ الإسلام: «وأما الاستثناء في الماضي المعلوم المتيقن: مثل قوله: هذه شجرة إن شاء الله أو هذا إنسان إن شاء الله، أو السماء فوقنا إن شاء الله، أو لا إلـه إلاّ الله إن شـاء الله، أو محمـد رسـول الله إن شـاء الله، أو الامتناع من أن يقول محمد رسول الله قطعاً. وأن يقول: هذه شجرة قطعاً، فهذه بدعة مخالفة للعقل والدين.

ولم يبلغنا عن أحد من أهل «الإسلام» إلاَّ عن طائفة من المنتسبين إلى الشيخ أبـي عمرو بن مرزوق، ولم يكن الشيخ يقول بذلك ولا عقلاء أصحابه. ولكن حدثني بعض الخبيرين أنه بعد موته تنازع صاحبان له: حازم وعبد الملك فابتدع حازم هذه البدعة في الاستثناء في الأمور الماضية المقطوع بها. وترك القطع بذلك. وخالفه عبد الملك في ذلك موافقة لجماعة المسلمين وأئمة الدين.

---

(١) انظر: الفتاوى ٤/ ٥٠٩.

(٢) انظر: الفتاوى ٨/ ٤٢١؛ وطبقات الحنابلة ١/ ٣١٠، ٣١١.

وأما «الشيخ أبو عمرو» فكان أعقل من أن يدخل في مثل هذا الهذيان، فإنه كان له علم ودين[1].

٨١ ـــ أول من زعم أنه خاتم الأولياء:

أول من ادعى أنه خاتم الأولياء ابن عربي الطائي (ت ٦٣٦هـ)، وهذه الفكرة امتداد لمقولة الترمذي (الحكيم)[2].

٨٢ ـــ أول من زعم أن فرعون مؤمن:

أول من زعم أن فرعون موسى مؤمن ابن عربي الطائي (ت ٦٣٦هـ) ولم يسبق إلى ذلك من جميع الديانات والفرق[3].

وهذا تكذيب لكلام الله ـ تعالى ـ ورسوله ﷺ، وإبطال لرسالة موسى ـ عليه السلام ـ . ثم هو يكذب على الله ورسوله.

وهذا (أي تكذيب كلام الله ـ تعالى ـ والكذب عليه وإبطال الحق وتحقيق الباطل) منهج سلكه ابن عربي، فهو أول من زعم أن عباد العجل والأوثان إنما عبدوا الله وحققوا التوحيد. وهذا ضلال مبين، وقلب للحقائق، حيث جعل الشرك هو التوحيد، والتوحيد هو الشرك، لأنه حلولي وحدودي، وهذه الطريقة الخبيثة قد سلكها ابن عربي في كثير من تصانيفه وأشعاره، فكان يصور الحق باطلاً والباطل حقاً، والأبرار فجاراً، والفجار أبراراً، ويرمي الأنبياء والصالحين بالجهل والقصور والغفلة، ويرفع من شأن خصومهم الملاحدة والمشركين والزنادقة والفلاسفة[4].

---

(١) انظر: الفتاوى ٨/ ٤٢١، ٤٢٢.

(٢) انظر: فصوص الحكم مع شرح القاشاني ٢٠٢ ـ ٢٠٧. وانظر: ص (٢٧٠) من هذا الكتاب.

(٣) انظر: الفتاوى ٢/ ٢٧٩.

(٤) انظر على سبيل المثال: فصوص الحكم له ١/ ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٣، =

هذه أهم أصول الأهواء والافتراق والبدع إلى القرن السابع الهجري، وما بعدها امتداد لها أو فرع عنها. . إلى ما بعد القرن العاشر الهجري حيث استجدت على المسلمين أهواء جديدة وأصول بدع لم تكن من نوع ما سبق، أو أكثرها وارد من الكفار الغربيين بعد احتلالهم لأكثر بلاد المسلمين، وبعد أن وقع كثير من المسلمين بالتشبه بالكفار.

حيث ظهرت بدع طامات مثل تحكيم القوانين الوضعية، أو ظهور الانتماءات لغير الإسلام كالقوميات، والوطنيات، والمذاهب الهدامة، كالاشتراكية، والشيوعية، والرأسمالية، والوجودية، والعلمانية، والحداثة، والعقلانية ونحوها، وقد اختلط بعض أصولها بالاتجاهات الإسلامية المتخصصة، وهذا يحتاج إلى نوع آخر من البحث والدراسة.

أسأل الله أن يعين عليه وييسر من يتصدى له من طلاب العلم، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله.



= ٩٤، ١٩٢؛ والوصايا له ٣، ٤، ٩٩، ١٠٨، ١٣٦، ١٣٧، ١٧١، ١٩٢، ٢٠١. وانظر: جامع الرسائل لابن تيمية ١/ ١٦٤، ١٦٥ ــ ١٦٧؛ وبغية المرتاد ٣٩٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٨؛ والصفدية ١/ ٢٥١، ٢٦٦؛ ومنهاج السنّة ٥/ ٣٣٦، ٣٧٧.



القسم الثاني

في

أسباب الأهواء والافتراق والبدع



تـوطـئـة

حينما نستعرض تأريخ الأهواء والافتراق والبدع في الإسلام، ونستجلي أسبابها، نجد أنها ترجع إلى عوامل كثيرة ومتنوعة، حسب البيئات والأقاليم، وحسب الأشخاص والمجتمعات، أو حسب الأحوال التي تكون عليها الأمة من القوة أو الضعف، والغنى أو الفقر، والعلم أو الجهل، والاجتماع أو خلافه، ونحو ذلك من العوامل التي تؤثر في المسلمين سلباً أو إيجاباً.

وعليه فإن أسباب الأهواء والافتراق والبدع أصناف منها:

١ ـ الأسباب الخارجية:

كتأثير الأمم من الفرس والروم والهند واليونان ونحوهم، والديانات والنحل كاليهودية، والنصرانية، والصابئة، والمجوسية، والديانات الهندية، والفلاسفة، والمشركين ونحوهم.

٢ ـ الأسباب الداخلية:

كالقبليات، والشعوبية، وسائر العصبيات والاختلافات المذمومة، والهوىٰ، واتباع الشبهات والشهوات، والإعراض عن دين الله وشرعه، والجهل والغلو، والعجمة، والتنافس في الدنيا، والتشبه بغير المسلمين، وغير الصالحين، والخصومات والجدل والمراء في الدين، والفتن، والترجمة والنفاق والزندقة، والتأويل ونحو ذلك.

٣ ــ الأسبـاب المنهجيـة:

وهي الانحراف في المناهج ويدخل في ذلك: تلقي الدين من غير مصادره الشرعية، أو الخلط في ذلك، والكذب ووضع الأحاديث والآثار، والخلل في طريقة الاستدلال، والتلقي عن غير أهل الديانة والأمانة والاستقامة (السنّة).

وإحداث مناهج في تقرير الدين، والعمل بها، تخالف مناهج السلف الصالح، وتتبع غير سبيل المؤمنين.

وهذه الأصناف يدخل فيها أسباب كثيرة.

هذا، وقد حصرت أسباب الأهواء والافتراق والبدع التي توصلت إليها في أربعة عشر سبباً، جعلت كل سبب تحت عنوان رئيس، وبعض هذه الأسباب يتفرع عنه أسباب فرعية رمزت لها بالأرقام، وقد يندرج تحت الأرقام أيضاً تفصيلات رمزت لها بالحروف الأبجدية.

أما الأسباب الرئيسة التي عرضتها هنا فهي:

(١) أن الاختلاف من سنن الله ــ تعالى ــ التي قدرها على عباده.

(٢) الخلل في منهج التلقي.

(٣) الخلل في منهج الاستدلال.

(٤) الجدل والخصومات والمراء في الدين.

(٥) العجمة وضعف اللسان العربـي.

(٦) الجهل والظلم والإعراض عن دين الله.

(٧) التشبه بالكفار واتباع السنن.

(٨) اتباع الهوىٰ والظن.

(٩) مخالطة أهل الأهواء.

(١٠) الفتـن.

(١١) الكذب ووضع الأحاديث.

(١٢) استهواء العقليات والفلسفات (علم الكلام).

(١٣) الغلو والتعصب.

(١٤) ترجمة الكتب الأجنبية وجلبها وترويجها بين المسلمين.

❑ ❑ ❑

(١)

أن الاختلاف من سنّة الله تعالى التي قدّرها على عباده

لقد حكم الله ــ تعالى ــ بالاختلاف في الأمم قدراً، وكتب ذلك، فلا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، وذلك ابتلاءً للعباد، ولم يكن ذلك جبراً للعباد؛ لأن الله ــ تعالى ــ أرسل الرسل وأنزل الكتب، وأقام الحجة وبيّن المحجة، فمن آمن آمن عن بينة، ومن ضل وأعرض فعن بينة، وما ربك بظلام للعبيد، كما قال ــ تعالى ــ : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [سورة الإنسان، الآية: ٣].

وقال ــ تعالى ــ : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢١٣]، فقد أعذر الله ــ تعالى ــ من عباده حين جاءتهم البينات، فما بعد الحق إلاّ الضلال، وقال ــ تعالى ــ : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٩]، والاختلاف والافتراق في هذه الأمة وما سبقها من الأمم سنّة من سنن الله ــ تعالى ــ ،

قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [سورة هود، الآية: ١١٨].

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [سورة يونس، الآية: ١٩]،

فتلك سنّة الله ـ تعالى ـ ولن تجد لسنّة الله تبديلاً. وقد أخبر النبي ﷺ في الثابت عنه أن الأمة ـ يعني طوائف منها، ستتبع سنن الأمم السابقة، وأنها ستفترق، وقد سبق بيان ذلك تفصيلاً في الفصل الأول(١) فليراجع.

وللشاطبي في التقدير السابق وأن الله ـ تعالى ـ كتب الاختلاف قدراً على الأمم كلام جيد جاء فيه:

وقال الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ ﴾ فأخبر ـ سبحانه ـ أنهم لا يزالون مختلفين أبداً، مع أنه إنما خلقهم للاختلاف، وهو قول جماعة من المفسرين في الآية، وأن قوله: ﴿ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ ﴾ معناه: وللاختلاف خلقهم. وهو مروي عن مالك بن أنس قال: خلقهم ليكونوا فريقاً في الجنة وفريقاً في السعير. ونحوه عن الحسن، فالضمير في «خلقهم»، عائد على الناس، فلا يمكن أن يقع منهم إلاّ ما سبق في العلم، وليس المراد ها هنا الاختلاف في الصور كالحسن والقبيح والطويل والقصير، ولا في الألوان كالأحمر والأسود، ولا في أصل الخلقة كالتام الخلق والأعمى والبصير، والأصم والسميع، ولا في الخُلق كالشجاع والجبان، والجواد والبخيل، ولا فيما أشبه ذلك من الأوصاف التي هم مختلفون فيها.

---

(١) راجع الفصل الأول (مقدمات في الأهواء..)، ص ٤٧ ـ ٧٥.

وإنما المراد اختلاف آخر، وهو الاختلاف الذي بعث الله النبيين ليحكموا فيه بين المختلفين، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ . . . ﴾ الآية. وذلك الاختلاف في الآراء والنحل والأديان والمعتقدات المتعلقة بما يسعد به الإنسان أو يشقى في الآخرة والدنيا»[1].

والاختلاف واقع لا ينكر، وحقيقة لا محيد عنها، إنما الشأن فيمن يوفقه الله سلوك طريق النجاة، واجتناب سبل الضلال والغواية.



(1) الاعتصام ٢/ ١٦٥.

(٢)

الخلل في منهج التلقي

ويشمل:

١ ـ أخذ الدين عن غير الكتاب والسنّة.

٢ ـ كثرة السؤال والاختلاف على الأنبياء.

٣ ـ ترك تلقي العلم عن العلماء وترك مجالستهم.

٤ ـ التتلمذ على الأصاغر، وهم أهل الأهواء والأحداث، وضعاف الفقه في الدين.

٥ ـ تفقه الرعاع والسفلة من غير أهلية ولا جدارة ولا استعداد.

٦ ـ تلقي الدين على غير أصوله الشرعية، وبغير وسائله السليمة.

٧ ـ التلقي عن أهل الكتاب ونحوهم من الكفار والضلال.

٨ ـ اتباع زلة العالم.

المقصود بمنهج التلقي:

أقصد بمنهج التلقي هنا: الطريقة التي يستمد منها أهل الأهواء والافتراق الدين عموماً، والعقيدة على وجه الخصوص من حيث المصادر والأسلوب، ومنه: الطريقة التي يتم بها تلقي العلم.

منهج أهل السنّة في التلقي:

١ ــ المنهج الحق الذي عليه أهل السنّة، السلف الصالح، تلقي الدين من الكتاب والسنّة (أي ما ثبت عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، ولو كان بطريق الآحاد) والإجماع، والإجماع مبني على الكتاب والسنّة عندهم.

٢ ــ هذا من حيث المصدر؛ أما من حيث الأسلوب فإن أهل السنّة: يسلِّمون بما جاء عن الله ــ تعالى ــ وثبت عن رسوله ﷺ.

٣ ــ ولا يتعمقون فيما لم يرد فيه نص من مسائل الاعتقاد لا ببحث ولا سؤال.

٤ ــ ويتلقون العلم عن أئمتهم كما تلقاه الصحابة عن رسول الله ﷺ، وتلقاه السلف عن الصحابة، وتلقاه الأئمة عن الأئمة العدول، وكل أحد عندهم يؤخذ من قوله ويرد إلاَّ المعصوم ﷺ.

٥ ــ والميزان في ذلك الكتاب والسنّة.

٦ ــ والراسخون في العلم هم الذين يستنبطون دلائل الكتاب والسنّة ويحكمون بها فيما تنازعت فيه الأمة.

٧ ــ ويلتزمون قواعد الاستدلال الشرعية السليمة.

*** أما أهل الأهواء والبدع والافتراق فهم خلاف ذلك كله، فهم من حيث المصدر:**

١ ــ لا يكتفون بالكتاب والسنّة، وكل منهم له في ذلك طرائق: فمنهم من يعوِّل على الأوهام والفلسفة، ويسميها (العقليات) كالفرق الكلامية.

٢ ــ ومنهم من يعتمد الأحلام والرؤى والكشف والذوق كالصوفية.

٣ ـ ومنهم من يعتمد على الرجال، ويزعم لهم القداسة وعلم الغيب كالرافضة والصوفية.

٤ ـ ومنهم من يتلقى من مصادر شتى: من أهل الكتاب والمجوس والصابئة والفلاسفة وغيرهم، كالباطنية وكثير من فرق أهل الكلام والصوفية والرافضة.

٥ ـ ومن حيث الطريقة: فإنهم لا يستمدون دينهم من أهل العلم الثقات.

٦ ـ ولا يلتزمون منهم أئمة الهدى، ولا يدينون لهم بالسبق والعلم والفضل.

٧ ـ ويتتلمذون على الأصاغر أهل البدع والأحداث، أو على أنفسهم، فلا يقتدون ولا يهتدون بما عليه العلماء الراسخون، بل يقدحون فيهم ويلمزونهم، ويتعمقون في الدين، ويسألون ويبحثون فيما نهوا عنه من مسائل القدر والصفات والسمعيات وأمور الغيب.

٨ ـ ويتلقون عن أي مصدر يحلو لهم حسب مذاهبهم واتجاهاتهم.

٩ ـ ويقصِّرون في تلقي العلم الشرعي.

١٠ ـ وإن تلقوه فعلى غير أصول صحيحة، ولا قواعد شرعية سليمة.

هذا المنهج المختل عند أهل الأهواء كان من أسباب تماديهم في الضلالة والبدع والافتراق.

وسأفصل بعض هذه الأصول المنحرفة في منهج التلقي عند أهل الأهواء على النحو التالي:

١ ـ أخذ الدين عن غير الكتاب والسنّة وآثار السلف:

من أسباب الأهواء والافتراق تلقي العقائد والعبادات والأحكام والآراء عن غير الوحي، وذلك يشمل مصادر كثيرة:

- كالاعتماد على الرأي المجرد.
- وتقديم العقل على النص، وتحكيمه فيه.
- واتباع الهوى وما تشتهيه الأنفس.
- والاعتماد على آراء الرجال.
- أو ادعاء أن منهم معصوماً غير الرسول ﷺ.
- الاستدلال بالرؤى والأحلام والكشف والذوق، ولو خالفت الكتاب والسنّة.
- أو الاستمداد من كتب الأمم كأهل الكتاب والفلاسفة والصابئة والمجوس والهنود والفرس والروم وغيرهم.

والمتأمل لحال أهل الأهواء يجد من أعظم أسباب انحرافاتهم في التلقي:

(أ) اعتمادهم على الحكايات والرؤى:

من مصادر أهل الأهواء كذلك الحكايات التي لا أصل لها، أو الموضوعة، والإسرائيليَّات، يقول شيخ الإسلام في بيان مصادر الحق أنها: «الكتاب والسنّة والإجماع. وبإزائه لقوم آخرين المنامات، والإسرائيليَّات والحكايات»[1].

أقول: يدخل في الحكايات كل ما تكلم به المتكلمون والفرق المفترقة، وأصحاب الطرق مما لا أصل له شرعاً في مسائل العقيدة وأمور الغيب وسائر أمور الدين.

يقول الشاطبي: «وأضعف هؤلاء احتجاجاً قوم استندوا في أخذ الأعمال إلى المقامات، وأقبلوا وأعرضوا بسببها فيقولون: رأينا فلاناً الرجل

---

(١) الفتاوى ١٩/ ٥.

الصالح، فقال لنا: اتركوا كذا واعملوا كذا، ويتفق مثل هذا كثيراً للمترسمين برسم التصوف، وربما قال بعضهم: رأيت النبي ﷺ في النوم، فقال لي كذا وأمرني بكذا، فيعمل بها ويترك بها، معرضاً عن الحدود الموضوعة في الشريعة، وهو خطأ؛ لأن الرؤيا من غير الأنبياء لا يحكم بها شرعاً على حال إلاَّ أن تعرض على ما في أيدينا من الأحكام الشرعية، فإن سوغتها عمل بمقتضاها، وإلاَّ وجب تركها والإعراض عنها، وإنما فائدتها البشارة أو النذارة خاصة، وأما استفادة الأحكام فلا»[1].

(ب) اعتمادهم على العقليات أكثر من الشرعيات:

فالمتكلمون يجعلون الأدلة العقلية عمدتهم، ويكثرون من العقليات في الاستدلال ويتكلفون في ذلك حتى في البديهيات، بل جعلوا المسائل الكبار النظرية البدهية من العقليات المعقدة، مثل وجود الله ووحدانيته وربوبيته ـ سبحانه ـ مع أن الجانب العقلي ـ أعني البراهين والدلائل العقلية والفطرية ـ في هذه الأمور ونحوها قد جاء به الوحي بما لا مزيد عليه إلاَّ التكلف المؤدي إلى الحيرة والاضطراب والقول على الله بغير علم.

(ج) اعتمادهم على كتب الأدب والكلام والفلسفة ونحوها:

فتجد من سمات أهل الأهواء أنهم يعتمدون تقرير الدين والعقيدة على ما لا يصح مصدراً للدين مثل الأدب والتاريخ والسير، أو الفلسفة والكلام وما لا أصل له إلاَّ زبالات أوهام البشر وتخريفاتهم، أو أفكارهم التي لم تسترشد بالشرع.

قال شيخ الإسلام: «ولهذا تجد المعتزلة والمرجئة والرافضة وغيرهم من أهل البدع يفسرون القرآن برأيهم ومعقولهم وما تأولوه من اللغة، ولهذا تجدهم لا يعتمدون على أحاديث النبي ﷺ والصحابة والتابعين وأئمة

---

(١) الاعتصام ١/ ٢٦٠.

المسلمين، فلا يعتمدون على السنّة ولا على إجماع السلف وآثارهم، ونجدهم لا يعتمدون على كتب التفسير المأثورة والحديث وآثار السلف، وإنما يعتمدون على كتب الأدب، وكتب الكلام التي وضعتها رؤوسهم، وهذه طريقة الملاحدة أيضاً»[1].

(د) دعوى بعضهم ـ كغلاة الصوفية ـ أنه يستمد من الله مباشرة:

لما فتح أهل الأهواء باب الاستمداد من غير الكتاب والسنّة وسلف الأمة، لم يقف الأمر بهم عند حد، حتى زعم غلاتهم أنه يستمد من الله ـ تعالى ـ كما يستمد الأنبياء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهذا كما يدخل فيه من يحدث عن غيره، فالذي يقول: إنه يحدث عن قلبه عن ربه، أو أنه يأخذ عن الله بلا واسطة، وأنه يأخذ من حيث يأخذ الملك الذي يوحى به إلى الرسول، وأنه يحدث بمقتضى الأقيسة القطعية أولى، فإن هذا يدَّعي ما هو عنده أعلى وإن كان له نصيب من قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾.

وقد سأل بعضهم مالكاً عن بعض من كان بالعراق من هؤلاء المبطلين، فقال كلمة أو كلاماً فيه هؤلاء الدجاجلة، قال: ما سمعت جمع دجاجلة إلاّ من مالك.

وأصل الدجل: التغطية والتمويه والتلبيس. ومعلوم أن أتباع مسيلمة الكذاب والأسود العنسي، وطليحة الأسدي وسجاح، كانوا مرتدين، وقد قاتلهم أصحاب رسول الله ﷺ مع أن مسيلمة إنما ادعى المشاركة في النبوة لم يدع الألوهية، ولا أتى بقرآن يناقض التوحيد، بل جاء بكلام يتضمن ما

---

(١) الفتاوى ٧/ ١١٩.

ادعاه من الشركة في الرسالة، وأسجاع من الكلام الذي لا فائدة فيه، ولهذا قال أبو بكر لبعض بني حنيفة وقد استقرأهم شيئاً من قرآن مسيلمة فلما قرأوه قال: «ويحكم أين يذهب بعقولكم؟ إن هذا الكلام لم يخرج من إلٍّ»[1]، يعني لم يخرج من رب[2].

(هـ) ومن شر أهل الأهواء من يزعم العصمة لغير الرسول ﷺ ويتلقى عنهم:

فالرافضة وغلاة الصوفية والباطنية يعتقدون العصمة للأئمة والأولياء ويستمدون عنهم من دون الرسول ﷺ.

قال شيخ الإسلام: «وإنما يخالف في ذلك الغالية من الرافضة وأشباه الرافضة من الغالية في بعض المشايخ، ومن يعتقدون أنه من الأولياء، فالرافضة تزعم أن الاثني عشر معصومون من الخطأ والذنب، ويرون هذا من أصول دينهم، والغالية في المشايخ يقولون: إن الولي محفوظ والنبي معصوم، وكثير منهم إن لم يقل ذلك بلسانه؛ فحاله حال من يرى أن الشيخ والولي لا يخطىء ولا يذنب؟ وقد بلغ الغلو بالطائفتين إلى أن يجعلوا بعض من غلوا فيه بمنزلة النبي ﷺ وأفضل، وإن زاد الأمر جعلوا له نوعاً من الإلَهية، وكل هذا من الجاهلية المضاهية لضلالات النصرانية»[3].

(و) تلقيهم عن الديانات والفلسفات الأجنبية:

فأصول المتكلمين في التعطيل والتأويل وإنكار أفعال الله ــ تعالى ــ مستمدة من الديانات والفلسفات الضالة، فقد ذكر شيخ الإسلام أن أصل مقولتهم بنفي المحبة والخلة: «مأخوذ عن المشركين والصابئة من البراهمة

---

(١) بغية المرتاد ٤٨٥، ٤٨٦.

(٢) انظر: القاموس المحيط فصل الهمزة باب اللام ٣/ ٣٤٠.

(٣) الفتاوى ١١/ ٦٧.

والمتفلسفة ومبتدعة أهل الكتاب الذين يزعمون أن الرب ليس له صفة ثبوتية أصلاً، وهؤلاء أعداء الخليل إبراهيم ــ عليه السلام ــ . . . »[1]،

وقال أيضاً: «ودخل بعض أهل الكلام والجدل من المنتسبين إلى الإسلام من المعتزلة ونحوهم إلى بعض مقالة الصابئة والمشركين متابعة للجعد والجهم، وكان مبدأ ذلك أن الصابئة في الخلق على قولين: منهم من يقول: إن السماوات مخلوقة بعد أن لم تكن كما أخبرت بذلك الرسل وكتب الله ــ تعالى ــ ، ومنهم من ابتدع فقال: بل هي قديمة أزلية لم تزل موجودة بوجود الأول واجب الوجود بنفسه، ومنهم من قد ينكر الصانع بالكلية. ولهم مقالات كثيرة الاضطراب في الخلق والبعث والمبدأ والمعاد؛ لأنهم لم يكونوا معتصمين بحبل الله فيجمعهم، والظنون لا تجمع الناس في مثل هذه الأمور التي تعجز الآراء عن إدراك حقائقها إلاَّ بوحي من الله ــ تعالى ــ »[2].

اعتماد متأخري المعتزلة وأهل الكلام على الفلسفة:

الفلسفة مصدر أساس عند المعتزلة، كما يقول الشهرستاني بعد ذكره أن من أصول واصل بن عطاء القول بنفي الصفات: «وكانت هذه المقالة في بدئها غير نضيجة، وكان واصل بن عطاء فيها على قول ظاهر»، قال: «وإنما شرعت أصحابه فيها بعد مطالعة كتب الفلاسفة»[3].

وبلغ الاعتماد على الفلاسفة عند أهل الكلام إلى أن نقلوا عنهم واستمدوا منهم مقولاتهم في الله ــ تعالى ــ وصفاته وأفعاله، قال شيخ الإسلام: «فنقل أرباب المقالات الناقلون لاختلاف الفلاسفة في الباري ما هو؟

---

(١) الفتاوى ١٠/ ٦٧.

(٢) الفتاوى ١٢/ ٢٧.

(٣) الملل والنحل ١/ ٤٦.

قالوا: قال سقراط وأفلاطون وأرسطو: إن الباري لا يعبر عنه إلاَّ بِهُوَ فقط، وهو الهوية المحضة غير المتكثرة، وهي الحكمة المحضة والحق المَحض، وليست لله صورة مثل الصورة التي تكثرت في العنصر، وهو الأيس[1] الذي لا يحيط به الذهن ولا العقل، ولا يجوز عليه التغير ولا الصفة ولا العدد ولا الإفاضة ولا الوقت ولا المكان ولا الحدود، ولا يدرك بالحواس ولا بالعقول من جهة غاية الكُنْه، لكن بأنه واحد أزلي ليس باثنين، لأنا إن أوقعنا عليه العدد لزمته التثنية، وإن أوقعنا عليه الإضافة لزمه الزمان والمكان والقبلُ والبعدُ، وإن أوقعنا عليه المكان لزمه الحدود وجعلناه متناهياً إلى غيره»[2] إلخ، هذيانهم وخوضهم وتخرّصاتهم. وهكذا نرى هذه المقولات الفلسفية المبنية على التوهمات والظنون هي ما يقوله المعتزلة وأهل الكلام بعدهم من متكلمة الأشاعرة والماتريدية ومن سلك سبيلهم في نفيهم الصورة، والحدود والمكان[3] ونحو ذلك من الأمور المبتدعة ونفي الصفات من قبل المعتزلة، ونفي الأسماء والصفات من قبل الجهمية، والتعبير عنه بـ (هو) كما يفعل غلاة الصوفية.

وقال أبو الحسن الأشعري في المقالات، وهو الخبير بأهل الكلام ومصادرهم ومقالاتهم: «الحمد لله الذي بصرنا خطأ المخطئين، وعَمى العَمِينَ، وحيرة المتحيرين، الذين نَفَوْا صفات ربّ العالمين، وقالوا: إنَّ الله ــ جلَّ ثناؤه ــ وتقدَّست أسماؤه لا صفات له، وإنه لا عِلم له، ولا قدرة له،

---

(١) الأيس: الوجود. انظر: هامش درء التعارض ٢/ ١٦٠.

(٢) درء التعارض ٢/ ١٥٩ ــ ١٦٢.

(٣) الصورة وردت في النصوص في حق الله ــ تعالى ــ، أما الحدود والمكان فهي من الألفاظ المبتدعة، ومنهج السلف فيها التفصيل؛ فمعانيها التي توافق النصوص الشرعية الثابتة يقرونها ويردونها إلى ألفاظ الشرع كالعلو والفوقية والاستواء، وما خالف النصوص ردوه.

ولا حياة له، ولا سمع له، ولا بصر له، ولا عزّ له، ولا جلال له، ولا عظمة له، ولا كبرياء له، وكذلك قالوا في سائر صفات الله ـ عز وجل ـ التي يُوصف بها لنفسه، وهذا قول أخذوه عن إخوانهم من المتفلسفة الذين يزعمون أن للعالم صانعاً لم يزل، ليس بعالم ولا قدير ولا حيّ ولا سميع ولا بصير ولا قديم، وعبروا عنه بأن قالوا نقول: عينٌ لم يزل، ولم يزيدوا على ذلك، غير أن هؤلاء الذين وصفنا قولهم من المعتزلة في الصفات لم يستطيعوا أن يُظهروا من ذلك ما كانت الفلاسفة تظهره، فأظهروا مَعناه بنفيهم أن يكون للبارىء علم وقدرة وحياة وسمع وبصر، ولولا الخوف لأظهروا ما كانت الفلاسفة تُظهره من ذلك؛ ولأفصحوا به، غير أن خوف السيف يمنعهم من إظهار ذلك»[1].

ذلكم كما فعل (الرازي) في استدلاله بأقوال الفلاسفة في تقرير الإلّهيات، قال الرازي: «ونختم هذا الباب بما روي عن أرسطاطاليس أنه كتب في أول كتابه في الإلّهيات: من أراد أن يشرع في المعارف الإلّهية فليستحدث لنفسه فطرة أخرى»، قال الرازي: «وهذا كلام موافق للوحي والنبوة»[2]، وقد رد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية»[3].

(ز) من مناهج أهل الأهواء في التلقي الاعتماد على الكذب والموضوعات وما لا سند له:

من أسباب ضلال أهل الأهواء اعتمادهم في التلقي والاستدلال على ما لا أصل له من الموضوعات والمكذوبات والأسانيد التي لا تصح، فهم يكذبون، ويتلقفون المكذوب في سبيل تأييد أهوائهم، وبالمقابل يقل

---

(١) مقالات الإسلاميين ٢/ ١٧٦، ١٧٧.

(٢) أساس التقديس ١٣، ١٤.

(٣) انظر: بيان تلبيس الجهمية ٢/ ٤٥٢ (رشيد).

اعتمادهم على الصحيح الذي يرويه أهل الحديث الذين هم أعدل وأصدق، بل كثيراً ما يردون الصحيح إذا لم يوافق هواهم.

قال شيخ الإسلام: «والمصنفون من أهل الحديث في ذلك: كالبغوي، وابن أبي الدنيا، ونحوهما: كالمصنفين من أهل الحديث في سائر المنقولات: هم بذلك أعلم وأصدق بلا نزاع بين أهل العلم؛ لأنهم يسندون ما ينقلونه عن الثقات، أو يرسلونه عمن يكون مرسله يقارب الصحة، بخلاف الإخباريين، فإن كثيراً مما يسندونه عن كذاب أو مجهول. وأما ما يرسلونه فظلمات بعضها فوق بعض، وهؤلاء لعمري ممن ينقل عن غيره مسنداً أو مرسلاً.

وأما أهل الأهواء ونحوهم: فيعتمدون على نقل لا يعرف له قائل أصلاً، لا ثقة ولا معتمداً، وأهون شيء عندهم الكذب المختلق. وأعلم من فيهم لا يرجع فيما نقله إلى عمدة؛ بل إلى سماعات عن الجاهلين والكذابين، وروايات عن أهل الإفك المبين»[1].

(ح) من مناهجهم في التلقي الاعتماد على الظن وترك مصادر اليقين (القرآن والسنّة):

إن كلام الله ــ تعالى ــ وما صح عن رسوله ﷺ هو الحق الذي لا يأتيه الباطل، واليقين الذي لا يتطرق إليه الشك، وما عداه ــ في العقيدة والشرع ــ فهو ظنون البشر وتوهماتهم وأهواؤهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكل من خالف الرسول ﷺ لا يخرج عن الظن وما تهوى الأنفس، فإن كان ممن يعتقد ما قاله، وله فيه حجة يستدل بها، كان غايته الظن الذي لا يغني من الحق شيئاً، كاحتجاجهم بقياس فاسد أو نقل كاذب، أو خطاب ألقي إليهم اعتقدوا أنه من الله، وكان

---

(١) الفتاوى ٢٧/ ٤٧٩.

من إلقاء الشيطان. وهذه الثلاثة هي عمدة من يخالف السنّة بما يراه حجة ودليلاً، إما أن يحتج بأدلة عقلية ويظنها برهاناً وأدلة قطعية، وتكون شبهات فاسدة مركبة من ألفاظ مجملة، ومعان متشابهة لم يميز بين حقها وباطلها، كما يوجد مثل ذلك في جميع ما يحتج به من خالف الكتاب والسنّة، إنما يركب حججه من ألفاظ متشابهة، فإذا وقع الاستفسار والتفصيل تبين الحق من الباطل، وهذه هي الحجج العقلية، وإن تمسك المبطل بحجج سمعية، فإما أن يكـون كذباً على الرسول ﷺ، أو تكون غير دالة على ما احتج بها أهل الباطل، فالمنع إما في الإسناد، وإما في المتن، ودلالته على ما ذكر، وهذه الحجة السمعية هي حجة أهل العلم الظاهر. وأما حجة أهل الذوق والوجد والمكاشفة والمخاطبة[1]، فإن أهل الحق من هؤلاء لهم إلهامات صحيحة متطابقة كما في الصحيحين عن النبـي ﷺ، أنه قال: (**قد كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فعمر**)، وكان عمر يقول: «اقتربوا من أفواه المطيعين، واسمعوا منهم ما يقولون، فإنها تجلّى لهم أمور صادقة»[2].

٢ ـ كثرة السؤال والاختلاف على الأنبياء (وهو إخلال بمنهج التلقي):

من أعظم أسباب الافتراق كثرة السؤال والاختلاف على الرسل بمخالفتهم بترك ما جاءوا به أو مخالفته، فقد ثبت عن النبـي ﷺ فيما رواه أبو هريرة قال: «**دعوني ما تركتكم، فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم**

---

(١) الشيخ ـ رحمه الله ـ لا يقصد هذه المعاني بمصطلحات الصوفية ومفاهيمهم المنحرفة، إنما يقصد ما يوافقها من المعاني الشرعية التي تتحقق بالفراسة والإلهام، والتحديث لبعض المؤمنين والصالحين. وهذه المعاني لا تخالف الشرع بل تطابقه، وليست مصدراً للتشريع وتقرير العقائد. كما بيَّن الشيخ هنا.

(٢) الفتاوى ١٣/ ٦٧، ٦٨.

واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم»[1].

فالرسل ـ عليهم السلام ـ يتلقون من الله ـ تعالى ـ العليم الخبير، وقد نهى الله ـ تعالى ـ عن السؤال عن أشياء سكت عنها الشرع، فقال ـ تعالى ـ : ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة المائدة، الآية: ١٠٢].

ونهى الرسول ﷺ عما سكت عنه الشرع؛ لأن ما سكت عنه إنما كان تركه لحكمة ورحمة بالعباد، قال ﷺ فيما رواه أبو ثعلبة الخشني ـ رضي الله عنه ـ : (إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، وعفى عن أشياء رحمة لكم لا عن نسيان فلا تبحثوا عنها)[2].

ومنه السؤال عما لا يعني:

عن معاذ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تعجلوا بالبلية قبل نزولها، فإنكم إن لم تفعلوا لم ينفك المسلمون فيهم من إذا قال سدد أو وفق، وإنكم إن عجلتم تشتت بكم السبل ههنا وههنا»[3].

وقد حصل ما حذر منه النبي ﷺ، فإن أهل الأهواء تعمقوا وبحثوا أشياء لم ترد ولم تحدث، وتكلموا فيما لا قبل لهم به، فتشتت بهم السبل والفرق، ولم يسلم إلاّ أهل السنّة حيث وقفوا حيث أرشدهم رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (الفتح)، الحديث (٧٢٨٨) ١٣/ ٣٥١؛ ومسلم الحديث (١٣٣٧)؛ وانظر: اقتضاء الصراط ١/ ١٤٠.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ٢/ ١٣٦، وسبق تخريجه.

(٣) الإبانة ١/ ٣٩٥؛ وأخرجه الدارمي ١/ ٤٩ من حديث وهب بن عمرو الجمحي مرفوعاً، وأشار محقق الإبانة (رضا نعسان) إلى قول البوصيري: «رواه إسحاق بإسناد حسن». هامش الإبانة ١/ ٣٩٥.

وروي كذلك موقوفاً عن معاذ بن جبل أنه قال: «أيها الناس لا تسألوا عن البلاء قبل نزوله فيذهب بكم ههنا وههنا، وإنكم إن لم تسألوا لم تبتلوا، فإنه لا ينفك أن يكون في المسلمين من إذا قال وفق أو قال سدد»[1]. وهذه قاعدة عظيمة، فإن المسلمين كانوا في عافية قبل أن تخوض طائفة منهم فيما لا علم لها به، ولا يزال أهل الاستقامة في عافية بحمد الله حين كفوا عما لا يعلمون، ووقفوا حيث أمرهم الله ورسوله ﷺ.

وعن رفيع أبي كثير، قال: قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ يوماً: «سلوني عما شئتم، فقال ابن الكوا: والسواد الذي في القمر؟ قال: قاتلك الله، ألا سألت عما ينفعك في دينك وآخرتك ذاك محو الليل. وفيه زيادة من طريق أخرى قال: أخبرنا عن قوله: (**فالحاملات وقراً**) قال: ثكلتك أمك، سل تفقهاً ولا تسل تعنتاً، سل عما يعنيك ودع ما لا يعنيك وذكر الحديث»[2].

قال ابن بطة: «وهكذا كان العلماء والعقلاء إذا سئلوا عما لا ينفع السائل علمه ولا يضره جهله وربما كان الجواب أيضاً مما لا يضبطه السائل ولا يبلغه فهمه منعوه الجواب، وربما زجروه وعنفوه»[3].

وقال ابن بطة في الإبانة: «اعلموا إخواني أني فكرت في السبب الذي أخرج أقواماً من السنّة والجماعة، واضطرهم إلى البدعة والشناعة، وفتح باب البلية على أفئدتهم، وحجب نور الحق عن بصيرتهم، فوجدت ذلك من وجهين:

---

(١) الإبانة ١/ ١٩٥، ٦٩٦، وحسنه الحافظ ابن حجر في المطالب العالية ٣٠٠٨. انظر: هامش الإبانة ١/ ٣٩٥.

(٢) الإبانة ١/ ٤١٨.

(٣) الإبانة ١/ ٤١٨.

أحدهما: البحث والتنقير وكثرة السؤال عما لا يعني ولا يضر العاقل جهله، ولا ينفع المؤمن فهمه.

والآخر: مجالسة من لا تؤمن فتنته وتفسد القلوب صحبته»[1]، قلت: يا أخي هذه موعظة بليغة فانتصح بها حفظك الله.

٣ ـ ترك تلقي العلم الشرعي عن العلماء وترك مجالستهم:

من أعظم أسباب الخلل بمنهج تلقي الدين وتحصيل العلم الشرعي، الاستغناء في أخذ العلم عن القدوة (العلماء) وقلة مجالستهم، أو هجرهم وهجر مجالس العلم والعلماء، ونجد هذه السمة جلية في كثير من رؤوس البدع والأهواء كالجهم بن صفوان:

فقد روى اللالكائي أن خلف بن سليمان، قال: «كان جهم على معبر ترمذ، وكان رجلاً كوفي الأصل فصيح اللسان، لم يكن له علم ولا مجالسة لأهل العلم، كان تكلم كلام المتكلمين، وكلمه السمنية»[2]، وكذلك كان الخوارج، والرافضة، والجهمية والمعتزلة وأهل الكلام. لا يتلقون العلم عن أئمة الهدى، وإنما على بعضهم، أو لا يتفقهون أصلاً إلاَّ على أصولهم الفاسدة. وإذا حضر أحدهم مجالس العلماء كان متعالياً مغروراً، أو متفرجاً شامتاً.

٤ ـ التتلمذ على الأصاغر والتلقي عنهم:

الأصل في العلم الشرعي أن يتلقى عن (الأكابر) العلماء العاملين، أهل السنّة والاستقامة، ولا يجوز تلقيه على جهة التتلمذ والاقتداء عن أهل الأهواء والبدع، والأحداث الذين لم يكتمل فقههم، فقد أغنى الله

---

(١) الإبانة ١/ ٣٩٠.

(٢) اللالكائي ٣/ ٣٨٠، ٣٨١.

ـ تعالى ـ عن التلقي عن هؤلاء حيث حفظ لنا كتابه وسنّة رسوله ﷺ، وآثار سلفنا الصالح، وببقاء طائفة على الحق ظاهرة إلى قيام الساعة، وعلى رأسهم العلماء الأئمة العدول الثقات، وأن يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله.

والمتأمل لتاريخ الأهواء يجد أن من أعظم أسبابها وأسباب انتشارها التلقي عن أهل الأهواء والأخذ عنهم، أو التساهل في ذلك.

يقول الشاطبي: «وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: قد علمت [من][1] يهلك الناس، إذا جاء الفقه من قبل الصغير استعصى عليه الكبير، وإذا جاء الفقه من قبل الكبير تابعه الصغير، فاهتديا».

قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : «لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم من أكابرهم، فإذا أخذوه عن أصاغرهم وشرارهم هلكوا».

واختلف العلماء فيما أراد عمر بالصغار، فقال ابن المبارك: هم أهل البدع، وهو موافق؛ لأن أهل البدع أصاغر في العلم، ولأجل ذلك صاروا أهل بدع.

وقال الباجي: يحتمل أن يكون الأصاغر من لا علم عنده. «قال»: وقد كان عمر يستشير الصغار، وكان القراء أهل مشاورته كهولاً وشباناً. «قال»: ويحتمل أن يريد بالأصاغر من لا قدر له ولا حال، ولا يكون ذلك إلاَّ بنبذ الدين والمروءة. فأما من التزمهما فلا بد أن يسمو أمره، ويعظم قدره»[2].

٥ ـ تفقه العجم والرعاع والسفلة في الدين من غير أهلية:

ومن أسباب الوقوع في الأهواء والبدع والافتراق، تفقه من ليس بأهل في قدرته أو عقيدته: فيفهم الأمر على غير وجهه، أو يقصر فهمه، أو

---

(١) كذا في المطبوعة ولعلها (متى) كما رجح المحقق في الهامش، الاعتصام ٢/ ١٧٤.
(٢) الاعتصام ٢/ ١٧٤.

لا يحيط بنصوص الشرع وقواعد الاستدلال في المسألة كالعجم[1]، والرعاع، والسفلة، والهمج، وضعاف المدارك، والعوام، والأعراب ونحوهم.

قال الشاطبي: «وروي عن مكحول أنه قال: تفقه الرعاع فساد الدين والدنيا، وتفقه السفلة فساد الدين».

وقال الفريابي: كان سفيان الثوري إذا رأى هؤلاء النبط يكتبون العلم تغير وجهه، فقلت: يا أبا عبد الله! أراك إذا رأيت هؤلاء يكتبون العلم يشتد عليك. قال: كان العلم في العرب وفي سادات الناس، وإذا خرج عنهم وصار إلى هؤلاء النبط والسفلة غُيِّر الدين.

وهذه الآثار أيضاً إذا حملت على التأويل المتقدم اشتدت واستقامت؛ لأن ظواهرها مشكلة، ولعلك إذا استقريت أهل البدع من المتكلمين، أو أكثرهم وجدتهم من أبناء سبايا الأمم، ومن ليس له أصالة في اللسان العربي، فعما قريب يفهم كتاب الله على غير وجهه، كما أن من لم يتفقه في مقاصد الشريعة فهمها على غير وجهها»[2].

ومن ذلك في نظري ـ ما يحدث في عصرنا في الآونة الأخيرة من ـ توجه كل من هبَّ ودبَّ إلى الدراسات الشرعية، دون تمييز بين من لديه الأهلية ومن ليس لديه، والسبب طلب العلم للوظائف. وإن كان الإقبال على طلب العلم الشرعي بحد ذاته أمراً طيباً ومحموداً ويبشر بخير، لكن دخله ما ذكرته من تعلم الرعاع والسفلة أحياناً.

---

(١) ليس المقصود ذم العجم لذاتهم، فإن (أكرمكم عند الله أتقاكم)، إنما المقصود كونهم لا يفقهون العربية، فلا يفقهون نصوص الشرع، ولأنهم يرثون عن أسلافهم من العقائد والعوائد والسلوكيات والمفاهيم ما لا يوافق الشرع. أما من تفقه منهم وفهم العربية وتخلص من موروثات أسلافه التي تخالف الشرع فهو ممدوح بذلك.

(٢) الاعتصام ٢/ ١٧٥.

٦ ــ **تلقي الدين والعلم على غير أصوله الشرعية:**

ومن أسباب الوقوع في الأهواء الخلل في أسلوب أخذ العلم وطريقته، أعني بذلك التلقي الأول للمتعلم والناشىء، كمن يبدأ بعلوم الفلسفة أو الكلام أو الأهواء، أو التاريخ، أو الأدب، أو غرائب الحديث ونحوه، فإن ذلك ينطبع في ذهنه وقد لا يتخلص منه وهو لا يشعر أو يشعر.

لذا نجد كثيرين ممن رجعوا عن مذهب بدعي إلى مذهب السلف تبقى لديهم رواسب ما تلقوه أولاً كأبي حنيفة والأشعري وغيرهما.

هذا إن وفق صاحب هذا المسلك إلى التوبة والاهتداء للسنّة، وهذا قليل جدّاً، فإن أكثر الذين اجتالتهم الشياطين وسلكوا طرق الغواية من هذا الصنف الذي يبدأ في تحصيله العلم بالعلوم الفاسدة، أو التي لا تنفع، أو العلوم التي لا تبني العقيدة وأصول الإيمان والتوحيد فإنها مزلة.

ويشبه هذا مناهج بعض الدعوات الإسلامية المعاصرة التي تخالف نهج السلف، أو فيها ما يخالف السلف في العقيدة أو المناهج، فإنها يتربى عليها الشباب الناشىء فإذا كبر وأخذ العلم الشرعي وعرف الأدلة، طوّعها لمفاهيمه وقناعاته التي تربى عليها. حيث تربى بمعزل عن العلماء والمشايخ القدوة، فتأمل رعاك الله.

لذلك ينبغي على كل مسلم أن يحرص على أخذ العلوم الشرعية على أصولها، فيبدأ بالقرآن والسنّة والفقه والعربية، وعلى أهل العلم المعتبرين، ثم إذا تحصَّن فله أن يسلك ما يناسبه في التخصص، أو ما هو أشمل إن كانت لديه المقدرة.

كما ينبغي بناء مناهج التعليم في بلاد المسلمين على تنشئة الناشئين على البدء بتحصيل أوليات العلوم الشرعية، وبالتدرج كما أسلفت، نسأل الله أن يوفق المسلمين لسلوك طريق الرشاد.

٧ ــ التلقي عن أهل الكتاب ونحوهم:

من أسباب الأهواء والبدع ــ كذلك ــ الأخذ عن أهل الكتاب وأصحاب الملل الأخرى كالمجوس والصابئة والفلاسفة وغيرهم، سواء بقراءة كتبهم أو السماع عنهم أو نحو ذلك.

وقد حذر النبي ﷺ أمته من الوقوع في ذلك، ومنه ما رواه جابر أن عمر بن الخطاب أتى رسول الله ﷺ بنسخة من التوراة فقال: يا رسول الله، هذه نسخة من التوراة، فسكت، فجعل يقرأ ووجه رسول الله ﷺ يتغير، فقال أبو بكر: ثكلتك الثواكل، ما ترى بوجه رسول الله ﷺ؟ فنظر عمر إلى وجه رسول الله ﷺ، فقال: أعوذ بالله من غضب الله ومن غضب رسول الله، رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً، فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده، لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم عن سواء السبيل، ولو كان حياً وأدرك نبوتي لاتبعني**»(١).

٨ ــ اتباع زلة العالم والرجل القدوة:

قد يتعلق أصحاب الأهواء والبدع بزلة عالم، أو هفوة عابد، أو غفلة صالح، فيغويهم الشيطان بها، فيهلكون ويهلكونه، وقد حذر الصحابة والسلف الصالح من زلة العالم؛ لأنها تكون سبباً من أسباب وقوع الناس في الأهواء؛ لأن الناس يتلقون ما يصدر عن العالم والقدوة بالقبول والثقة، ويدينون بذلك؛ لأن الله ــ تعالى ــ أرشد إلى الاقتداء بأهل العلم وسؤالهم، فإذا حدثت الزلة من العالم ضل بها من يقتدي به، فتكون فتنة، لذلك جعل

---

(١) الدارمي ١/ ١١٥، ١١٦، وأحمد في المسند ٣/ ٤٧١، ٣٧٨، مع اختلاف في الألفاظ. وقال في الفتح الرباني: «قال في التنقيح رجال أحمد رجال الحسن». وذكر أن ابن حبان رواه بإسناد صحيح عن جابر، الفتح الرباني ١/ ١٧٥، وانظر: جامع بيان العلم لابن عبد البر ٢/ ٤٢.

الله الكتاب والسنّة هما الميزان، والذين لا يستطيعون الاستنباط عليهم أن يسألوا أهل العلم، وإذا خالف الواحد من أهل العلم غيره، وشذ عنهم، فالعبرة بما عليه عامة أهل العلم والأئمة، والعالم القدوة قد يشذّ في مسألة ما لأنه ليس معصوماً، وكل ذلك يحكم به العلماء، وهم بحمد الله لا تخلو منهم الأرض إلى أن تقوم الساعة.

إذن فالعالم قد تحدث منه الزلة، لكنها لا يمكن أن تخفى على أهل العلم، لذلك حذر السلف من زلة العالم.

عن زياد بن حدير قال: قال عمر ـ رضي الله عنه ـ : «هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلت: لا. قال: يهدمه: زلة العالم، وجدال المنافق في القرآن، وحكم الأئمة المضلين»[1].

والعالم الذي يزلّ إذا كان من العلماء الراسخين، وأهل العلم المعتبرين، فإنه لا يُتْرَكُ علمه كله، ولا يمنع ذلك من الاقتداء به، إلاَّ في زلته فإنه لا يُتَّبع ولا يقتدى به فيما زل فيه. لكنه يعذر لاجتهاده، فلا يجوز سبه ولا لمزه ولا تبديعه لمجرد زلة عارضة ليست عن هوى ولا بدعة يصر عليها.

«**قال عبد الله بن المبارك:** رب رجل في الإسلام له قدم حسن وآثار صالحة، كانت منه الهفوة والزلة، لا يُقتدى به في هفوته وزلته»[2].

فالتعلق بزلات العلماء فتنة وخلل في منهج التلقي عند أهل الأهواء والافتراق والبدع، لبس عليهم الشيطان واستزلهم بها، فصاروا يلبِّسون على الناس بذلك.

❑ ❑ ❑

---

(١) الدارمي ١/ ٧١.

(٢) الاستقامة ١/ ٢١٩.

(٣)

الخلل في منهج الاستدلال

والمقصود بمنهج الاستدلال: الطريقة، والأسلوب، والقواعد التي يسلكونها في الاستدلال على عقائدهم وأهوائهم ومقالاتهم وبدعهم وآرائهم.

ويشمل:

١ ـ تعويلهم على العقول في العقيدة والغيبيات.

٢ ـ تحريف الكلم عن مواضعه.

٣ ـ التأويل وما يلحق به.

٤ ـ اتباع المتشابه.

٥ ـ قياس الغائب على الشاهد.

٦ ـ التعلق بالشاذ من المقولات والآراء.

١ ـ الاعتماد على العقول والرأي في الاستدلال في مسائل الغيبيات:

فأهل الأهواء حين قَلَّت بضاعتهم من العلم الشرعي وفهم السنن، واستهانوا بنصوص الشرع، وعدلوا عن اتباع نهج السلف لجأوا إلى الاعتماد على الرأي.

لذلك حذر السلف عن هذا النهج من وقت مبكر، وحذروا من أصحاب الرأي في الدين.

عن عمر قال: «إياكم وأصحاب الرأي، فإنهم أعداء السنن، أعيتهم السنن أن يحفظوها، وتفلَّتت منهم أن يعوها، وسُئلوا فقالوا في الدين برأيهم»، فذكر أنهم أعداء السنن[1].

وعن ابن عمر قال: «إن القدرية حملوا ضعف رأيهم على مقدرة الله وقالوا: لم؟ ولا ينبغي أن يقال لله: لم؟ لأنه لا يسأل عما يفعل، وهم يسألون»[2]، وسيأتي تفصيل هذا الجانب الخطير في فصل مناهج أهل الأهواء وسماتهم، في فصل مستقل ـ إن شاء الله ـ .

٢ ـ تحريف الأدلة عن مواضعها (تحريف الكلم):

فأهل الأهواء يستدلون بالدليل في غير ما يدل عليه، ويبترون الأدلة حسبما يوافق هواهم، ويأخذون بالدليل ويتجاهلون ما يعارضه أو ما يخصصه أو يبينه أو يقيده، يقول الشاطبي:

«**ومنها**: تحريف الأدلة عن مواضعها. بأن يرد الدليل على مناط فيصرف عن ذلك المناط إلى أمر آخر موهماً بأن المناطين واحد، وهو من خفيات تحريف الكلم عن مواضعه والعياذ بالله. ويغلب على الظن أن من أقر بالإسلام، ويذم تحريف الكلم عن مواضعه لا يلجأ إليه صراحاً إلا مع اشتباه يعرض له، وجهل يصده عن الحق، مع هوى يعميه عن أخذ الدليل مأخذه، فيكون بذلك السبب مبتدعاً. وبيان ذلك أن الدليل الشرعي إذا اقتضى أمراً في الجملة مما يتعلق بالعبادات ـ مثلاً ـ فأتى به المكلف في الجملة أيضاً، كذكر الله والدعاء والنوافل والمستحبات وما أشبهها مما يعلم من الشارع فيها التوسعة. كان الدليل عاضداً لعلمه من جهتين: من جهة معناه، ومن جهة

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ٢/ ١٣٤، ١٣٥؛ وانظر: إعلام الموقعين ١/ ٦٥، ٤٦؛ ودرء التعارض ٥/ ٢١٩.

(٢) صون المنطق ٥١، ٥٢.

عمل السلف الصالح به، فإن أتى المكلف في ذلك الأمر بكيفية مخصوصة، أو زمان مخصوص، أو مكان مخصوص، أو مقارناً لعبادة مخصوصة، والتزم ذلك بحيث صار متخيلاً أن الكيفية أو الزمان أو المكان، مقصود شرعاً من غير أن يدل الدليل عليه، كان الدليل بمعزل عن ذلك المعنى المستدل عليه. فإذا ندب الشرع مثلاً إلى ذكر الله، فالتزم قوم الاجتماع عليه على لسان واحد وبصوت، أو في وقت معلوم مخصوص عن سائر الأوقات، لم يكن في ندب الشرع ما يدل على هذا التخصيص الملتزم، بل فيه ما يدل على خلافه؛ لأن التزام الأمور غير اللازمة شرعاً شأنها أن تفهم التشريع»[1]. ثم ذكر أن هذا بدعة محدثة بناء على هذه القاعدة[2].

وقد ذم الله تعالى هذه الطائفة؛ لأن ذلك من صفة اليهود، ولا شك أن هؤلاء الذين يحرفون الكلم من هذه الأمة ــ وهم أهل الأهواء ــ فيهم شبه من اليهود كما أخبر النبي ﷺ بقوله: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع»[3]. وفسرهم بأنهم اليهود والنصارى وفارس والروم، وقد ذم الله ــ تعالى ــ هذا الصنف، فقال ــ تعالى ــ: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾ [سورة النساء، الآية: ٤٦].

وقال ــ تعالى ــ: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة المائدة، الآية: ٤٣].

---

(١) الاعتصام ١/ ٢٤٩.

(٢) انظر: ١/ ٢٤٩، ٢٥٠.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم. سبق تخريجه: الفصل الأول، ص (٥٩).

ومن ذلك: أن أهل الأهواء والبدع يأخذون الدليل الذي لهم، ويتركون الذي عليهم، في عموم الأدلة، أو في الدليل الواحد، وكذلك في الاستدلال والاستنباط، كما قال عبد الرحمن بن مهدي: «أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم»[1].

٣ ـ التأويل:

التأويل أخطر سلاح استعمله أهل الأهواء في تقرير أصولهم الفاسدة، وأهم ما يعتمدون عليه في الاستدلال في مقولاتهم الفاسدة، وهو الأسلوب الذي يلجأون إليه في مصادمة النصوص وردها ردّاً صريحاً، أو رد دلالاتها وأحكامها ومعانيها.

والتأويل هو الباب الذي ولجت به جميع فرق الباطل لهدم أصول الإسلام.

فالمعطلة الجهمية أنكرت الأسماء والصفات تحت شعار التأويل.

والمعتزلة أنكرت الصفات تحت شعار التأويل.

وكلهم أنكروا الرؤية وكثيراً من السمعيات بالتأويل.

والمتكلمون من الأشاعرة والماتريدية عطلوا صفات الله ـ تعالى ـ وأفعاله بالتأويل.

والرافضة والباطنية وغلاة الصوفية والفلاسفة هدموا قواعد الدين وأركانه بالتأويل.

والتأويل بالمعنى الذي قصدوه خلاف ما عليه السلف، بل رده السلف ردّاً قويّاً وحرَّموه في العقيدة؛ لأن نصوص العقيدة توقيفية غيبية، مبناها على

---

(١) انظر منهاج السنّة ٧/ ٣٧.

التسليم لله ـ تعالى ـ ولرسوله ﷺ (للقرآن والسنّة)، ولا مجال للعقول فيها؛ لأن التأويل صرف لمعاني النصوص الغيبية عن حقائقها المفهومة لدى المخاطبين ـ مع نفي إدراك الكيفية ـ إلى معان متوهمة.

قال شيخ الإسلام: «وأما التأويل بالمعنى الثالث، وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، فهذا الاصطلاح لم يكن بعد عرف في عهد الصحابة، بل ولا التابعين، بل ولا الأئمة الأربعة، ولا كان المتكلم بهذا الاصطلاح معروفاً في القرون الثلاثة، بل ولا علمت أحداً منهم خص لفظ التأويل بهذا، ولكن لما صار تخصيص لفظ التأويل بهذا شائعاً في عرف كثير من المتأخرين، فظنوا أن التأويل في الآية هذا معناه، صاروا يعتقدون أن لمتشابه القرآن معاني تخالف ما يفهم منه، وفرقوا دينهم بعد ذلك وصاروا شيعاً، والمتشابه المذكور الذي كان سبب نزول الآية لا يدل ظاهره على معنى فاسد، وإنما الخطأ في فهم السامع»[1].

وقال: «وكان الإمام أحمد ينكر طريقة أهل البدع الذين يفسرون القرآن برأيهم وتأويلهم من غير استدلال بسنّة رسول الله ﷺ وأقوال الصحابة والتابعين الذين بلَّغَهُم الصحابة معاني القرآن كما بلغوهم ألفاظه، ونقلوا هذا كما نقلوا هذا، لكن أهل البدع يتأولون النصوص بتأويلات تخالف مراد الله ورسوله ﷺ، ويدعون أن هذا التأويل الذي يعلمه الراسخون، وهم مبطلون في ذلك، ولا سيما تأويلات القرامطة والباطنية والملاحدة، وكذلك أهل الكلام المحدث من الجهمية والقدرية وغيرهم»[2].

---

(١) الفتاوى ١٧/ ٤٠١.

(٢) الفتاوى ١٧/ ٤١٥.

٤ ـ الاستدلال بالمتشابه من القرآن والسنّة ولا يردونه للمحكم:

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾.

فكما أن مصادر التلقي عند أهل الأهواء اتباع المتشابه، فكذلك بالتبع يكون من منهجهم في الاستدلال الأخذ بالمتشابه والخوض فيه ولا يردونه إلى المحكم، ويتجلى ذلك في منهجهم بالاستدلال بآيات الصفات، وآيات كلها محكمة، إنما المتشابه كيفياتها، وهي غيبية لا يعلمها إلا الله ـ سبحانه ـ. ومثل آيات القدر.

فهم أولاً: جعلوا آيات الصفات من المتشابه.

وثانياً: خاضوا فيها بمجرد العقول والمقاييس العقلية، التي تقيس الغائب على الشاهد، وتمثل الله بخلقه.

وثالثاً: خاضوا في القدر، وهو سر الله في خلقه.

ورابعاً: لم يردوا ما تشابه عندهم إلى المحكم، فكان منهجهم في الاستدلال مركباً من أخطاء تراكمت حين جعلوا المحكم متشابهاً، وحكَّموا عقولهم في الغيب وخاضوا فيما نهى الله عنه، وقاسوا الغائب بالشاهد، ولم يردوا النصوص إلى بعضها؛ لذلك حذر الرسول ﷺ منهم.

عن عائشة قالت: تلا رسول الله ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٧].

فقال رسول الله ﷺ: **(فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم)**[١].

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير، باب (٤٠)؛ والفتح ٨/ ٢٠٩.

فهذا تحذير صريح منه ﷺ من أهل الأهواء، والذين في قلوبهم زيغ، وأهل التأويل وهم أهل الكلام؛ لأنهم الذين قال الله فيهم: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٧].

والمتشابه ليس نصوص الصفات بذاتها ولا حقائقها، إنما المتشابه الكيفيات والغيب وأسرار القدر وحكمه.

أخرج مسلم بسنده أن عبد الله بن مسعود قال: «ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»(١).

قال البغوي: قال عمر بن الخطاب: «إنه سيأتي أناس يأخذونكم بشبهات القرآن، فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله»(٢).

وقال الزهري: «لا تناظر بكتاب الله ولا بسنّة رسول الله ﷺ، أي لا تجعل شيئاً نظيراً لهما فتدعهما لقول قائل»(٣).

وعن حماد بن زيد قال: «سمعت أيوب يقول: ما أعلم أحداً من أهل الأهواء إلا يخاصم بالمتشابه»(٤).

وعن سعيد بن جبير في قول الله ــ عزَّ وجلّ ــ : ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ قال: «أما المتشابهات فهن آي في القرآن يتشابهن على الناس إذا قرؤوهن، من أجل ذلك يضل من ضل ممن ادعى هذه الكلمة، كل فرقة يقرؤون آيات من القرآن، ويزعمون أنها لهم أصابوا بها الهدى»(٥).

---

(١) صحيح مسلم ١/ ١١، تابع حديث (٥).
(٢) شرح السنة ١/ ٢٠٢.
(٣) شرح السنّة ١/ ٢٠٢.
(٤) الإبانة ٢/ ٦٠٨.
(٥) الشريعة للآجري ٢٧.

وقال الشاطبي في معرض كلامه عن مآخذ أهل البدع وطرائقهم في الاستدلال: « (ومنها) انحرافهم عن الأصول الواضحة إلى اتباع المتشابهات التي للعقول فيها مواقف وطلب الأخذ بها تأويلاً ــ كما أخبر تعالى في كتابه ــ إشارة إلى النصارى في قولهم بالثالوثي ــ بقوله: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾، وقد علم العلماء أن كل دليل فيه اشتباه وإشكال ليس بدليل في الحقيقة حتى يتبين معناه ويظهر المراد منه»(١).

ومن اتباع المتشابه عدم مراعاة قواعد الاستدلال وأصوله وترتيب الأدلة ونحو ذلك، كالنظر في المطلق والمقيد، والعام والخاص، والمجمل والمفصَّل، وكرد نصوص الوعيد إلى نصوص الوعد، ورد المتشابه إلى المحكم والتعارض بين الأدلة ووجوه الجمع، ونحو ذلك.

قال الشاطبي: «من اتباع المتشابهات الأخذ بالمطلقات قبل النظر في مقيداتها، وبالعمومات من غير تأمل ــ هل لها مخصصات أم لا؟ وكذلك العكس، بأن يكون النص مقيداً فيطلق، أو خاصّاً فيهم بالرأي من غير دليل سواه، فإن هذا المسلك رميٌ في عماية، واتباع للهوى في الدليل، وذلك أن المطلق المنصوص على تقييده مشتبه إذا لم يقيد. فإذا قيد صار واضحاً. كما أن إطلاق المقيد رأي في ذلك المقيد معارض للنص من غير دليل»(٢).

ومن أوضح أمثلة الإخلال بمنهج الاستدلال واتباع المتشابه استدلال النفاة والمؤولة للصفات بقوله ــ تعالى ــ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [سورة الشورى، الآية: ١١]، وإعراضهم عن قوله ــ تعالى ــ : ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [سورة الشورى، الآية: ١١]، وقوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ

---

(١) الاعتصام ١/ ٢٣٩.

(٢) الاعتصام ١/ ٢٤٥، ٢٤٦.

ٱسْتَوَىٰ ۝﴾ [سورة طه، الآية: ٥]، وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٦٤]. . . الآيات.

سبب خوضهم في المتشابه:

أما سبب خوضهم في المتشابه ـ خاصة في الصفات ـ فذلك أنهم عوَّلوا في اعتقاد أسماء الله وصفاته وقدره وسائر أمور الغيب على عقولهم، وعقولهم عاجزة عن إدراك تفصيلات صفات الله ـ تعالى ـ وعظمته، بل عقولهم عجزت عن إدراك حقيقة الغيبيات من المخلوقات. بل لم تحط بعالم الشهادة. فلما حكّموا عقولهم قصرت وعجزت فوقفوا عند نهاية مدارك العقول والأوهام والظنون والخيالات. . . الفاسدة وجعلوها عقائد لهم، وكل منهم له مستوى من التفكير والمعقول توهم أنه الحق والغاية. ولم يسلِّموا للوحي تسليم الإذعان والتصديق المطلق والرضا، فوقعوا في اتباع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، فأهل الأهواء يتبعون أهواءهم أولاً، ثم يطلبون المتشابه ثانياً، ويخوضون به ليجعلوه دليلاً شاهداً على عقائدهم الفاسدة ثالثاً. كما قال الشاطبي:

«وكذلك ذكر في أهل الزيغ أنهم يتبعون المتشابه ابتغاء الفتنة. فهم يطلبون به أهواءهم لحصول الفتنة. فليس في نظرهم إذاً في الدليل نظر المستبصر حتى يكون هواه تحت حكمه؛ بل نظر من حكم الهوى، ثم أتى بالدليل كالشاهد له، ولم يذكر مثل ذلك في الراسخين، فهم إذن بضد هؤلاء حيث وقفوا في المتشابه فلم يحكموا فيه ولا عليه سوى التسليم، وهذا المعنى خاص بمن طلب الحق من الأدلة، لا يدخل فيه من طلب في الأدلة ما يصحح هواه السابق»[1].

---

(١) الاعتصام ١/٢٢١.

ومنه احتجاج أهل الأهواء باختلاف العلماء:

ويتفرع عن اتباع المتشابه من النصوص احتجاج أهل الأهواء باختلاف العلماء، واتخاذ ذلك ذريعة للإعراض عن الحق والسنّة:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما جهة الرأي والتنازع، فإن تنازع العلماء واختلافهم في صفات العبادات، بل وفي غير ذلك من أمور الدين صار شبهة لكثير من أهل الأهواء من الرافضة وغيرهم، وقالوا: إن دين الله واحد، والحق لا يكون في جهتين: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [سورة النساء، الآية: ٨٢].

فهذا التفرق والاختلاف دليل على انتفاء الحق فيما عليه أهل السنّة والجماعة، ويعبرون عنهم بعبارات تارة يسمونهم الجمهور، وتارة يسمونهم الحشوية، وتارة يسمونهم العامة، ثم صار أهل الأهواء لما جعلوا هذا مانعاً من كون الحق فيما عليه أهل السنّة والجماعة، كل ينتحل سبيلاً من سبل الشيطان.

والرافضة تنتحل النقل عن أهل البيت لما لا وجود له، وأصل من وضع ذلك لهم زنادقة، مثل رئيسهم الأول عبد الله بن سبأ، الذي ابتدع لهم الرفض، ووضع لهم أن النبي ﷺ نص على عليّ بالخلافة، وأنه ظُلم وضُيع حقه، وقال: إنه كان معصوماً. وغرض الزنادقة بذلك التوسل إلى هدم الإسلام، ولهذا كان الرفض باب الزندقة والإلحاد، فالصابئة المتفلسفة ومن أخذ ببعض أمورهم أو زاد عليهم ـ من القرامطة والإسماعيلية والحاكمية وغيرهم من الفرق الباطنية ـ إنما يدخلون إلى الزندقة والكفر بالكتاب والرسول، وشرائع الإسلام، من باب التشيع والرفض، والمعتزلة ونحوهم تنتحل القياس والعقل، وتطعن في كثير مما ينقله أهل السنّة والجماعة، ويعللون ذلك بما ذكر من الاختلاف ونحوه، وربما جعل ذلك بعض أرباب

الملل من أسباب الطعن فيها، وفي أهلها، فيكون بعض هؤلاء المتعصبين ببعض هذه الأمور الصغار ساعياً في هدم قواعد الإسلام الكبار»[1].

٥ ـ قياس الغائب (عالم الغيب) على الشاهد (عالم الشهادة):

ذلك أن أهل الأهواء من سماتهم قلة البضاعة في العلم الشرعي، وقلة الفقه في الدين، والجهل بمنهج السلف، وحتى من يعلم منهم ذلك يحجبه هواه عن فقهه، لذلك اعتمدوا على آرائهم وعقولهم، وجعلوها هي المحكِّمة في النصوص دون مراعاة أصول الاستدلال والفهم، ولم يفرقوا بين ما يمكن أن يكون للرأي فيه مجال كأدلة الأحكام، وبين ما لا يمكن أن تدركه الآراء والعقول، وهو الصفات والقدر وسائر الغيبيات، فإذا عَرَضَتْ لهم نصوصها حكّموا فيها عقولهم التي ليس لديها من العلم إلا معرفة شيء قليل مما في عالم الشهادة وما تدركه الحواس، فقاسوا الغيبيات التي لا تدركها العقول بالمحسوسات التي تتناولها المدارك والحواس؛ لذلك فهم مضطربون، فكل طائفة منهم تستعمل هذا القياس فيما تثبته، وتنكره فيما تنفيه، ويرد على كل طائفة منازعها فيما استعمله من ذلك[2].

والقياس في العقيدة والغيبيات رجم بالغيب، لذلك قال السلف بأن القياس مقابل النص طريقة إبليس. عن ابن سيرين قال: «أول من قاس إبليس وما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس»[3]. وعن الحسن أنه تلا هذه الآية: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۝٧٦﴾ [سورة ص، الآية: ٧٦]. قال: «قاس إبليس، وهو أول من قاس»[4].

---

(١) الفتاوى ٢٢/ ٣٦٦، ٣٦٧.

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية ٢/ ٣٥٨ (رشيد الألمعي).

(٣) الدارمي ١/ ٦٥.

(٤) الدارمي ١/ ٦٥.

ولهذا قال الإمام أحمد: أكثر ما يخطىء الناس من جهة التأويل والقياس. وقال: يجتنب المتكلم في الفقه هذين الأصلين المجمل والقياس، وهذه الطريق يشترك فيها جميع أهل البدع الكبار والصغار، فهي طريق الجهمية والمعتزلة ومن دخل في التأويل من الفلاسفة والباطنية والملاحدة[1].

فأهل الكلام حينما عطلوا الصفات أو أولوها إنما أتوا من باب القياس، فقاسوا صفات الله بصفات المخلوقين، ثم زعموا أن ذلك ـ أي التشبيه ـ ظاهر النصوص فلجأوا للتأويل والتعطيل بسبب هذه الأوهام القياسية.

٦ ـ التعلق بالأقوال أو العقائد أو الآراء المجملة أو المواقف الشاذة:

من مناهج أهل الأهواء في الاستدلال الخروج عن المنهج العام للسلف أو الذي عليه سائرهم، والتعلق ببعض الأقوال المجملة والأفعال والمواقف الشاذة أو القليلة، أو التي هي خلاف قول الجمهور، والتي قد تصدر من بعض العلماء أو أحدهم، وهذا فيه فتنة لبعض من يقع في مخالفة ما عليه جمهور السنة والأئمة، كنفي عائشة للرؤية[2]، وقول أبـي حنيفة بالإرجاء، وكتعلق البعض بموقف ابن الزبير أو ابن الأشعث وسعيد بن جبير في إجازة الخروج على الأئمة، وزعمهم أن ذلك من مناهج السلف.

فكل صاحب هوى قد يجد من شاذ الآراء، أو مشتبهها ما يُفتن به ويُلبس على الناس فيه.

---

(١) الفتاوى ١٧/ ٣٥٥، ٣٥٦.

(٢) عائشة ـ رضي الله عنها ـ إنما نفت الرؤية بالعين، وهو قول جمهور أهل العلم، لكن جاء كلامها مطلقاً فتمسك به نفاة الرؤية المعطلة.

(٤)

الجدل والخصومات والمراء في الدين

ويشمل:

١ ــ الجدال والخصومات والمراء في الدين أعظم وسيلة لنشر الأهواء.

٢ ــ النهي عن ذلك في القرآن والسنّة ومنهج السلف.

٣ ــ من سمات أهل الأهواء المراء والخصومات والجدال في الدين.

١ ــ الجدال والخصومات والمراء في الدين أعظم وسيلة لنشر الأهواء:

من أعظم أسباب رواج الأهواء والبدع: المناظرات والجدل والتخاصم فيها علناً أمام الأحداث والعامة والولاة، والجهلة وضعاف الإيمان، فضلاً عن أهل الزيغ والنفاق والزندقة؛ فإنما يتغذون وتروج مذاهبهم بالجدال والخصومات، ولذلك لم يعرف الجدل والخصومات في الدين إلاَّ حينما ظهرت الفرق ــ الخوارج والشيعة والقدرية وأهل الكلام ــ لأن أهل الحق لا يمارون ولا يتخاصمون ولا يخاصمون في الدين، وإن اختلفوا فيما يسوغ فيه الخلاف من الاجتهاديات، فإنهم لا يلجأون للخصومات والمراء، وإذا وصل الخلاف إلى المراء كفوا.

٢ ـ النهي عن ذلك في القرآن والسنّة وآثار السلف:

ولذلك اشتد النهي في القرآن والسنّة عن ذلك، وبين الله تعالى أن ذلك من مناهج المعاندين الضالين، أهل الأهواء وخصوم الأنبياء، ونهى عنه إلاّ بشروط، فقال تعالى: ﴿ مَا يُجَادِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٤ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥ ﴾ [سورة غافر، الآيتان: ٤، ٥].

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝٤٦ ﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٤٦].

وقال سبحانه: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ۝٥٦ ﴾ [سورة الكهف، الآية: ٥٦].

وقال: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨ ﴾ [سورة الحج، الآية: ٨].

وقال: ﴿ وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ۝١٢١ ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٢١].

وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ۝٣٥ ﴾ [سورة غافر، الآية: ٣٥].

وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى

صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة غافر، الآية: ٥٦].

وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [سورة غافر، الآية: ٦٩].

وكذلك نهى النبيّ ﷺ عن المراء والجدال والخصومات في الدين، قال ﷺ: «**أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم**»(١).

وعن أبي أمامة ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلاّ أوتُوا الجدل**» ثم تلا هذه الآية: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [سورة الزخرف، الآية: ٥٨](٢)، وأعظمه المراء في القرآن؛ لأنه كلام الله، لذلك فإن المراء فيه نوع من الكفر.

عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مراء في القرآن كفر**»(٣).

وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إلى قوله ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٧]. قال: «**فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله، عز وجل، فاحذروهم**»(٤).

---

(١) البخاري (٤٥٢٣)، ومسلم (٢٦٦٨).

(٢) أخرجه الحاكم ٢/٤٤٨، وصححه ووافقه الذهبي، وابن ماجه في المقدمة (٤٨).

(٣) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي؛ المستدرك ٢/٢٢٣؛ والإبانة ٢/٦١١؛ ومسند أحمد ٢/٢٨٦، ٤٢٤، ٤٧٥، ٥٠٣، ٥٢٨؛ وصححها أحمد شاكر (٧٨٣٥)، (٩٤٧٤)، (١٠١٤٨)، (١٠٤٥٦).

(٤) البخاري (٤٥٤٧)؛ الفتح، ومسلم (٢٦٦٥).

تحذير السلف من الخصومات وأهلها:

وكذلك الصحابة والسلف الصالح تجنبوا المراء والخصومات والجدال في الدين، وحَذَّروا منه وأهله.

عن عمر ــ رضي الله عنه ــ قال: «سيأتي أناس سيجادلونكم بشبهات القرآن خذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله»[1].

وقال عمر بن عبد العزيز: «من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر الشك ــ أو قال ــ يكثر التحول»[2].

وقال الخليل بن أحمد: «ما كان جدل إلاَّ أتى بعده جدل يبطله»[3].

وقال الحكم بن عتيبة: «ما اضطر الناس إلى هذه الأهواء أن يدخلوا فيها؟! قال: الخصومات»[4].

٣ ــ من سمات أهل الأهواء: كثرة الجدال والخصومات:

كما أن تجنب الجدال والمراء والخصومات من سمات السلف وهديهم، فأهل الأهواء أهل هذا الداء:

عن حماد بن زيد أنه قال: «جلس عمرو بن عبيد وشبيب بن شيبة ليلة يتخاصمان إلى طلوع الفجر. قال: فلما صلوا جعل عمرو يقول: هيه أبا معمر! هيه أبا معمر! فإذا رأيتم أحداً شأنه أبداً الجدال في المسائل مع كل أحد من أهل العلم، ثم لا يرجع ولا يرعوي، فاعلموا أنه زائغ القلب متبع للمتشابه فاحذروه»[5].



---

(١) اللالكائي ١/ ١٢٣؛ والدارمي ١٢١؛ والشريعة للآجري ١/ ٤٨، ٥٢.

(٢) اللالكائي ١/ ١٢٨.

(٣) اللالكائي ١/ ١٢٨.

(٤) اللالكائي ١/ ١٢٨.

(٥) الاعتصام ٢/ ٢٣٧.

(٥)

العجمة وضعف اللسان العربي

من أسباب الافتراق والأهواء ضعف اللسان العربي بعد شيوع العجمة واللحن، ودخول الأمم الأعجمية بالإسلام، وقلة العلم[١].

فالجهل باللغة يؤدي إلى الجهل بألفاظ الشرع وأحكامه، وإلى الفهم الخاطىء للنصوص.

كما أن الرطانة والكلام بلغات الأمم يؤدي إلى انتشار عقائدها وأفكارها وعوائدها مما كان له أسوأ الأثر على الأمة.

وقد أدرك الصحابة والسلف الأولون خطورة اللحن والعجمة وحذروا منهما.

فعن عمر ــ رضي الله عنه ــ يرفعه: (إنما هلكت بنو إسرائيل حين حدث فيهم المولدون أتباع سبايا الأمم)[٢].

وعن عطاء بن أبي رباح قال: مر بعلي بن أبي طالب رجل له سمت فقال: أَمِنْ أهل خراسان أنت؟ قال: لا. قال: من أهل فارس أنت؟ قال:

---

(١) انظر صون المنطق ٢٢ وما بعدها.

(٢) أخرجه الدارقطني مرفوعاً من حديث عمر، في إسناده الكلبي وهو ضعيف، وأخرجه البزار بإسناد آخر قال ابن القطان فيه: «هذا إسناد حسن». انظر سنن الدارقطني ــ الوصايا ــ ٤/١٤٦ مع الهامش (التعليق المغني)، وقد روي موقوفاً عن بعض السلف.

لا. قال: فمن أنت؟ قال: أنا من أهل الأرض، قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ، يقول: (لا يزال الدين معتدلاً صالحاً ما لم يسلم نبط العراق، فإذا أسلمت نبط العراق أوغلوا في الدين، وقالوا فيه بغير علم، فعند ذلك يهدم الإسلام وينثلم)[1].

وعن عروة بن الزبير قال: «ما زال أمر بني إسرائيل معتدلاً ليس فيه شيء حتى نشأ فيهم المولدون أبناء سبايا الأمم، أبناء النساء التي سبت بنو إسرائيل من غيرهم، فقالوا فيهم بالرأي فأضلوهم»[2].

وعن الحسن ــ رضي الله عنه ــ أنه قيل له: «أرأيت الرجل يتعلم العربية ليقيم بها لسانه ويقيم بها منطقه؟ قال: نعم. فليتعلمها، فإن الرجل يقرأ بالآية فيعياه توجيهاً فيهلك»، وعنه أيضاً قال: «أهلكتكم العجمة. تتأولون القرآن على غير تأويله»[3].

وقال الشاطبي: «ومنها تخرصهم على الكلام في القرآن والسنّة العربيين مع العروّ عن علم العربية الذي يفهم به عن الله ورسوله، فيفتاتون على الشريعة بما فهموا، ويدينون به، ويخالفون الراسخين في العلم، وإنما دخلوا في ذلك من جهة تحسين الظن بأنفسهم، واعتقادهم أنهم من أهل الاجتهاد والاستنباط، وليسوا كذلك، كما حكي عن بعضهم أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾، فقال: هو هذا الصرصر، يعني صرار الليل، وعن النظام أنه كان يقول: إذا آلى المرءُ بغير اسم الله لم يكن مولياً. قال: لأن الإيلاء مشتق من اسم الله. وقال بعضهم في قول الله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١﴾: لكثرة أكله من الشجرة يذهبون إلى قول العرب غوى الفصيل

---

(١) البدع والنهي عنها ٧٢.
(٢) الدارمي ١/ ٥٠.
(٣) الاعتصام ١/ ٢٣٩.

إذا أكثر من اللبن حتى بشم، ولا يقال فيه غوى. وإنما غوى من الغي. وفي قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾، أي: ألقينا فيها»[1].

قلت: المتأمل لأحوال أكثر المثقفين والمفكرين والمتعالمين اليوم يجد أنهم على ما وصف الشاطبي؛ يتخرصون على الكلام في القرآن والسنّة، وهم لا يفقهون العربية، أو لا يفقهون مناهج الاستدلال وآثار السلف فينسبون آراءهم إلى دين الله وشرعه، ويخالفون الراسخين في العلم. فيقولون: رأي الإسلام كذا، والقول الحق كذا، والدين كذا.. من غير علم ولا بصيرة، وقد ابتلي المسلمون بأعداد كثيرة من هذا الصنف، وهم يدخلون في أهل الأهواء من حيث لا يشعرون. **والله أعلم**.



(١) الاعتصام ١/ ٢٣٧.

(٦)
الجهل ومنه: الظلم والإعراض عن دين الله

الجهل والظلم من أعظم أسباب الضلال؛ لأنهما يحولان بين صاحبهما وبين الحق.

قال شيخ الإسلام:

«**أحدها**»: جهل كثير من الناس ـ أو أكثرهم ـ بالأمر المشروع المسنون الذي يحبه الله ورسوله، والذي سنّه رسول الله ﷺ لأمته، والذي أمرهم باتباعه.

«**الثاني**»: ظلم كثير من الأمة ـ أو أكثرهم ـ بعضهم لبعض، وبغيهم عليهم، تارةً: بنهيهم عما لم ينه الله عنه، وبغضهم على من لم يبغضهم الله عليه، وتارةً: ترك ما أوجب من حقوقهم، وصلتهم، لعدم موافقتهم له على الوجه الذي يؤثر عنه، حتى يقدمون في الموالاة والمحبة وإعطاء الأموال والولايات من يكون مؤخراً عند الله ورسوله، ويتركون من يكون مقدماً عند الله ورسوله لذلك»[1].

ويقول الشاطبي: «وذلك أن الإحداث في الشريعة (إنما) يقع إما من جهة الجهل، وإما من جهة تحسين الظن بالعقل، وإما من جهة اتباع الهوى في طلب الحق، وهذا الحصر بحسب الاستقراء من الكتاب والسنّة، وقد مر

---

(١) الفتاوى ٢٢/٣٥٦، ٣٥٧.

في ذلك ما يؤخذ منه شواهد المسألة، إلَّا أن الجهات الثلاث قد تنفرد وقد تجتمع، فإذا اجتمعت فتارةً تجتمع منها اثنتان، وتارةً تجتمع الثلاث، فأما جهة الجهل فتارةً تتعلق بالأدوات التي بها تفهم المقاصد، وتارةً تتعلق بالمقاصد، وأما جهة تحسين الظن فتارةً يشرك في التشريع مع الشرع، وتارةً يقدم عليه، وهذان النوعان يرجعان إلى نوع واحد، وأما جهة اتباع الهوى فمن شأنه أن يغلب الفهم حتى يغلب صاحبه الأدلة، أو يستند إلى غير دليل، وهذان النوعان يرجعان إلى نوع واحد، فالجميع أربعة أنواع، وهي الجهل بأدوات الفهم، والجهل بالمقاصد، وتحسين الظن بالعقل، واتباع الهوى»[1].

هذا، ومن أخطر أنواع الجهل والإعراض والظلم التي سببت ظهور الأهواء في الأمة ما يلي:

١ ـ الجهل بمذهب السلف:

قال ابن القيم في أهل الكلام الذين فضلوا طريقة الخلف على طريقة السلف: «فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف والكذب عليهم، وبين الجهل والضلالة بتصويب طريقة الخلف. وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص، فلما اعتقدوا التعطيل وانتفاء الصفات في نفس الأمر، ورأوا أنه لا بد للنصوص من معنى، بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ، وتفويض المعنى، وهذا الذي هو طريقة السلف عندهم، وبين صرف اللفظ عن حقيقته وما وضع له إلى ما لم يوضع له، ولا دل عليه بأنواع من الإعجازات والتكلفات التي هي بالألغاز والأحاجي أشبه منها بالبيان والهدى، كما سيأتي بيانه مفصلاً ـ إن شاء الله ـ.

---

(١) الاعتصام ٢/٢٩٣.

وصار هذا الباطل مركباً من فساد العقل والجهل بالسمع (فلا سمع ولا عقل)، فإن النفي والتعطيل، إنما اعتمدوا فيه على شبهات فاسدة ظنوها معقولات صحيحة، فحرفوا بها النصوص السمعية عن مواضعها، فلما ابتنى أمرهم على هاتين المقدمتين الكاذبتين كانت النتيجة استجهال السابقين الذين هم أعلم الأمة بالله وصفاته، واعتقاد أنهم كانوا أميين بمنزلة الصالحين البله الذين لم يتبحروا في حقائق العلم بالله ولم يتفطنوا لدقائق العلم الإلٰهي، وأن الخلف هم الفضلاء العلماء الذين حازوا قصب السبق واستولوا على الغاية وظفروا من الغنيمة بما فات السابقين والأولين»[1].

وقال شيخ الإسلام: «وقد رأيت من أتباع الأئمة أبـي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد وغيرهم من يقول أقوالهم، ويكفّر من خالفها، وتكون الأقوال المخالفة هي أقوال أئمتهم بعينها، كما أنهم كثيراً ما ينكرون أقوالاً ويكفِّرون من يقولها، وتكون منصوصة عن النبـي ﷺ؛ لكثرة ما وقع من الاشتباه والاضطراب في هذا الباب، ولأن شبه الجهمية النفاة أثرت في قلوب كثير من الناس، حتى صار الحق الذي جاء به الرسول ﷺ ــ وهو المطابق للعقول ــ لا يخطر ببالهم ولا يتصورونه»[2].

وقال: «وأما القول المأثور عن السلف والأئمة الذي يجمع الصحيح من كل قول فلا يعرفونه ولا يعرفون قائله، فالشهرستاني صنف «الملل والنحل»، وذكر فيها من مقالات الأمم ما شاء الله، والقول المعروف عن السلف والأئمة لم يعرفه ولم يذكره، والقاضي أبو بكر، وأبو المعالي، والقاضي أبو يعلى، وابن الزاغوني، وأبو الحسين البصري، ومحمد بن الهيثم... ونحو هؤلاء من أعيان الفضلاء المصنِّفين، تجد أحدهم يذكر في

---

(١) الصواعق المرسلة ١/ ١٦٤، ١٦٥.

(٢) درء التعارض ٢/٣٠٨، ٣٠٩.

مسألة القرآن أو نحوها عدة أقوال للأمة، ويختار واحداً منها، والقول الثابت عن السلف والأئمة، كالإمام أحمد ونحوه من الأئمة لا يذكره الواحد منهم»[1]. فإذا كان هؤلاء العلماء الأجلاء قد يجهل الواحد منهم بعض دقائق المسائل عن أهل السنّة، فكيف بمن يترك مذاهب السلف عمداً، فأنىٰ يهتدي للحق.

٢ ــ الجهل بالوحي وبالعقل السليم:

من أسباب ضلال أهل الأهواء جهلهم بالمنقول (الوحي) وكثير من المعقول (العقل السليم)، لذلك زعموا التعارض بين الوحي والعقل. قال ابن القيم: «إن هذه المعارضة بين الوحي والعقل نتيجة جهلين عظيمين، جهل بالوحي وجهل بالعقل. أما الجهل بالوحي فإن المعارض لم يفهم مضمونه وما دل عليه، بل فهم منه خلاف الحق الذي دل عليه وأريد به، ثم عارض ما دل عليه بالرأي والمعقول، ونحن ننزل معه درجة ونبين أن المعقول الذي ذكره لا يصلح لمعارضة المعنى الباطل الذي فهمه من الوحي، فضلاً عن المعنى الصحيح الذي دل عليه الوحي، فإنه يستحيل أن يعارض معارضة صحيحة ألبتة، بل هو الحق الذي ليس بعده إلا الضلال والله ــ تعالى ــ هو الحق، وكلامه حق، ورسوله حق، ودينه حق، ووحيه حق، وما خالف ذلك فهو الباطل المحض الذي لا يقوم على صحته دليل، بل الأدلة الصحيحة التي تنتهي مقدماتها إلى الضروريات تدل على بطلانه.

وأما الجهل بالعقل، فإنه لا يتصور أن يعارض العقل الصحيح للوحي أبداً، ولكن الجاهل يظن أن تلك الشبهة عقلية وهي جهلية خيالية من جنس شبه السوفسطائية»[2].

---

(١) درء التعارض ٢/ ٣٠٧.

(٢) الصواعق ٤/ ١٢٠٨.

٣ ــ ضعف العلم وقلة الفقه في الدين:

ومن أسباب انتشار الأهواء أو اعتناق كثير من الناس لها ضعف العلم الشرعي، وقلة الفقه في الدين.

قال الشاطبي: «أنه قد تقدم أن البدع لا تقع من راسخ في العلم، وإنما تقع ممن لم يبلغ مبلغ أهل الشريعة المتصرفين في أدلتها، والشهادة بأن فلاناً راسخ في العلم وفلاناً غير راسخ، في غاية الصعوبة، فإن كل من خالف وانحاز إلى فرقة يزعم أنه الراسخ، وغير قاصر النظر، فإن فرض ذلك على ذلك المطلب علامة وقع النزاع إما في العلامة، وإما في مناطها.

ومثال ذلك: أن علامة الخروج من الجماعة والفرقة المنبه عليها بقوله ــ تعالى ــ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٥] الفرقة ــ بشهادة الجميع ــ (حقيقية) وإضافية، فكل طائفة تزعم أنها هي الجماعة ومن سواها مفارق للجماعة»[١].

٤ ــ الجهل بدلالات النصوص وأسباب النزول ونحو ذلك:

ومن الجهل: الجهل بدلالات النصوص، ووجوه الاستدلال، ومنهج الاستدلال، والجهل بأسباب النزول ونحوه.

يقول الشاطبي: «فخَرَّجَ أبو عبيد في فضائل القرآن، وسعيد بن منصور في تفسيره عن إبراهيم التيمي قال: خلا عمر ــ رضي الله عنه ــ ذات يوم، فجعل يحدث نفسه: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد؟ فأرسل إلى ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ فقال: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد وقبلتها واحدة ــ زاد سعيد وكتابها واحد ــ؟ قال: فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين: إنما أنزل علينا القرآن فقرأناه، وعلمنا فيما أنزل، وإنه سيكون

---

(١) الاعتصام ٢/ ٢٩٠؛ وانظر: الاعتصام بتحقيق الهلالي ٢/ ٨٠١، ٨٠٢.

بعدنا أقوام يقرؤون القرآن ولا يدرون فيما أنزل، فيكون لكل قوم فيه رأي، فإذا كان كذلك اختلفوا، وقال «سعيد»: فيكون لكل قوم فيه رأي، فإذا كان لكل قوم فيه رأي اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا. «قال»: فزجره عمر وانتهره عليّ فانصرف ابن عباس، ونظر عمر فيما قال فعرفه، فأرسل إليه وقال: أعد عليَّ ما قلته، فأعاد عليه، فعرف عمر قوله وأعجبه»[1]، ثم يقول:

«ومما يوضح ذلك ما خرجه ابن وهب عن بكير أنه سأل نافعاً: كيف رأي ابن عمر في الحرورية؟ قال: يراهم شرار خلق الله، إنهم انطلقوا إلى آيات أنزلت في الكفار جعلوها على المؤمنين. فسر سعيد بن جبير من ذلك، فقال: مما يتبع الحرورية من المتشابه قول الله ــ تعالى ــ: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾، ويقرنون معها: ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾، فإذا رأوا الإمام يحكم بغير الحق قالوا: قد كفر، ومن كفر عدل بربه (ومن عدل بربه) فقد أشرك، فهذه الأمة مشركون، فيخرجون فيقتلون ما رأيت لأنهم يتأولون هذه الآية. فهذا معنى الرأي الذي نبه عليه ابن عباس، وهو الناشىء عن الجهل بالمعنى الذي نزل فيه القرآن.

وقال نافع: «إن ابن عمر كان إذا سئل عن الحرورية قال: يكفرون المسلمين، ويستحلون دماءهم، وينكحون النساء في عددهن، وتأتيهم المرأة فينكحها الرجل ولها زوج. فلا أعلم أحداً أحق بالقتال منهم»[2].

٥ ــ الجهل بمقاصد الشريعة:

والجهل بمقاصد الشريعة، من سمات أهل الأهواء، ومن أعظم أسباب وقوعهم في الآراء الفاسدة والأحكام الشاذة، والمواقف المخالفة للسنّة.

---

(١) الاعتصام ٢/ ١٨٣.

(٢) الاعتصام ٢/ ١٨٣، ١٨٤؛ وتحقيق الهلالي ٢/ ٦٩٢.

قال الشاطبي: «هذه الأسباب الثلاثة راجعة في التحصيل إلى وجه واحد: وهو الجهل بمقاصد الشريعة، والتخرص على معانيها بالظن من غير تثبت، أو الأخذ فيها بالنظر الأول، ولا يكون ذلك من راسخ في العلم. ألا ترى أن الخوارج كيف خرجوا عن الدين كما يخرج السهم من الصيد المرمي؟ لأن رسول الله ﷺ وصفهم بأنهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يعني ـ والله أعلم ـ أنهم لا يتفقهون به حتى يصل إلى قلوبهم، لأن الفهم راجع إلى القلب، فإذا لم يصل إلى القلب لم يحصل فيه فهم على حال، وإنما يقف عند محل الأصوات والحروف فقط، وهو الذي يشترك فيه من يفهم ومن لا يفهم، وما تقدم أيضاً من قوله ـ عليه الصلاة السلام ـ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً» إلى آخره[1].

٦ ـ كثرة القراء[2] الجهلة:

وهذه السمة بدأت مبكرة في تاريخ ظهور الأهواء، فلو تأملنا نشأة الفرق الأولى (الخوارج والشيعة) وجدنا أن طائفة كبيرة منهم كانوا من قراء الكوفة بعد أن رحل منهم عبد الله بن مسعود إلى المدينة، وأقل منهم قراء البصرة وغيرها.

ويلاحظ أن القراء الذين لم يتفقهوا في الدين ولم يطلبوا العلم على أهله أسرع انجذاباً إلى التشدد في الدين. فصارت منهم الخوارج وصارت منهم الشيعة، فتأمل!

---

(١) الاعتصام ٢/ ١٨٢.

(٢) قيدتها بالقراء الجهلة، لأن الأصل في القراء، وهم طلاب العلم والاستقامة والفقه، وهم أفضل الأمة وأزكاها لأن منهم العلماء وأهل الشورى والحل والعقد، لكن يكون بينهم من ليس على شاكلتهم في العلم والفهم والفقه، من الرعاع والهمج وأهل الأهواء، وهم المعنيون هنا.

وقراء البصرة: لم يسارعوا في الفتنة كمسارعة قراء الكوفة، لماذا؟ لأن فيهم وقت الفتنة أمثال الصحابيين: أبي موسى وأبي برزة الأسلمي، كانا ينهيان عن ذلك، وهناك أسباب أخرى، الله أعلم بها.

ومن أصناف القراء الجهلة في زماننا كثير من المثقفين، وصغار طلاب العلم الذين يقل فقههم في الدين، حيث يوجد بينهم التعالم والغرور، ويظنون أنهم من أهل الاجتهاد، ويتصدرون الناس ويحجبونهم عن العلماء، ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً، وهم من جهلة القراء ويخشى على الأمة من فتنتهم.

٧ ـ تهافت الرعاع والهمج والدهماء على الأهواء:

كذلك نجد من أسباب انتشار الأهواء ورواجها تهافت الجهلة إليها من العامة وأشباههم، فأهل الأهواء إنما يكثر سوادهم السفلة والهمج والرعاع من الناس من الجهلة والدهماء.

قال البربهاري: «واعلم أنه لم تجىء زندقة قط إلا من الهمج والرعاع وأتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح، فمن كان هكذا فلا دين له»[١]، والزنادقة ورؤوس الفرق وأهل الابتداع لو لم يجدوا من ينخدع بهم، أو يستهوونه، أو يلبسون عليه، ما كان لأهوائهم هذا الذيوع والانتشار، لكنه الجهل المورد للمهالك، نسأل الله السلامة.

٨ ـ ومن الجهل اعتقاد صحة قضية فاسدة ثم ترتيب اللوازم الباطلة عليها:

ومن نماذج الجهل، أن يعتقد الجاهل صحة قضية فاسدة لجهله، ولا يرجع إلى أهل العلم لظنه أنه عالم أو مجتهد، فيرتب على قناعته واعتقاده

---

(١) شرح السنة للبربهاري ٤٤.

الفاسد، لوازم فاسدة، وهكذا تتجارى بهم الأهواء وتتتابع حتى تحجبهم عن الحق والهدى.

قال شيخ الإسلام: «والإنسان قد يعتقد صحة قضية من القضايا وهي فاسدة، فيحتاج أن يعتقد لوازمها، فتكثر اعتقاداته الفاسدة. ومن هذا الباب دخلت القرامطة الباطنية والمتفلسفة ونحوهم على طوائف المسلمين، فإن هؤلاء قالوا للمعتزلة: ألستم قد وافقتمونا على نفي الصفات حذراً من التشبيه والتجسيم؟ فقالوا: نعم. فقالوا: وهذا المحذور يلزمكم في إثبات أسماء الله ـ تعالى ـ له، فإذا قلتم: هو حيٌّ عليم قدير، كان في هذا تشبيه له بغيره ممَّن هو حيّ عليم قدير.

وكان في هذا من التجسيم كما في إثبات الحياة والعلم والقدرة له؛ لأنه لا يعرف مسمَّى بهذه الأسماء إلاَّ جسم، كما لا يُعرف موصوفاً بهذه الصفات إلاَّ جسم. فأخذوا ينفون أسماء الله الحسنى ويقولون: ليس بموجودٍ ولا حيّ ولا عليم ولا قدير»[١].

«هؤلاء القوم من أسباب ظهور كلامهم وضلال كثير من الناس به أنهم يحتجون على طوائف أهل القبلة بما يشاركونهم فيه من المقدمات الضعيفة المبتدعة، فلا يزالون يُلزمون صاحب ذلك القول بلوازم قوله، حتى يخرجوه من الإسلام كما تُخرج الشعرة من العجين، فإن الحسنة تدعو إلى الحسنة، والسيئة تدعو إلى السيئة كما قال ﷺ في الحديث المتفق عليه: (**عليكم بالصدق**) الحديث»[٢].

---

(١) الصفدية ١/ ٨٨، ٨٩.

(٢) الصفدية ١/ ٨٧، ٨٨، والحديث الذي أشار إليه الشيخ: في البخاري ولفظه: «إن الصدق يهدي...» إلخ، مختصراً رقم (٦٠٩٤)، وأخرجه مسلم بلفظ: «عليكم بالصدق»، كما أورده الشيخ هنا برقم (٢٦٠٧).

٩ ـ ومنه ظن أهل الأهواء أنهم على هدى فيتمادون في الضلالة:

ومن أسباب تمادي أهل الأهواء في هواهم وبدعهم أن الشيطان يزين لهم أعمالهم، فيظنون أنهم على هدى، فيتمادون في الضلالة كما قال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾﴾ [سورة محمد، الآية: ١٤]، ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ [سورة فاطر، الآية: ٨]، ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [سورة يونس، الآية: ١٢].

وقال الشاطبي: «فصاحب البدعة لما غلب عليه الهوى مع الجهل بطريقة السنّة، توهم أن ما ظهر له بعقله هو الطريق القويم دون غيره، فمضى عليه، فعاد بسببه عن الطريق المستقيم، فهو ضال من حيث ظن أنه راكب للجادة، كالمار بالليل على الجادة، وليس له دليل يهديه، يوشك أن يضل عنها فيقع في متاهة، وإن كان بزعمه يتحرى قصدها، فالمبتدع من هذه الأمة إنما ضل في أدلتها حيث أخذها مأخذ الهوى والشهوة لا مأخذ الانقياد تحت أحكام الله. وهذا هو الفرق بين المبتدع وغيره؛ لأن المبتدع جعل الهوى أول مطالبه، وأخذ الأدلة بالتبع»[١].

١٠ ـ ومنه الإعراض عن السنن والحسنات:

ومن أسباب الأهواء الإعراض عن السنن، ومن مظاهر هذا: ترك الفضائل والحسنات والقعود عن فعل الخيرات، وترك ما أمر الله به، والإعراض عما شرعه الله ورضيه لشبهات عارضة، أو فهم خاطىء، أو تقصير في اتباع الرسول ﷺ وأئمة الهدى.

---

(١) الاعتصام ١/ ١٣٤.

«وهكذا إذا تأملت أهل الضلال والخطأ من هذه الأمة تجد الأصل ترك الحسنات لا فعل السيئات، وأنهم فيما يثبتونه أصل أمرهم صحيح، وإنما أتوا من جهة ما نفوه، والإثبات فعل حسنة، والنفي ترك سيئة، فعلم أن ترك الحسنات أضر من فعل السيئات وهو أصله.

مثال ذلك: أن الوعيدية من الخوارج وغيرهم فيما يعظمونه من أمر المعاصي والنهي عنها واتباع القرآن وتعظيمه أحسنوا، لكن إنما أتوا من جهة عدم اتباعهم للسنّة وإيمانهم بما دلت عليه من الرحمة للمؤمن وإن كان ذا كبيرة، وكذلك المرجئة فيما أثبتوه من إيمان أهل الذنوب والرحمة لهم أحسنوا، لكن إنما أصل إساءتهم من جهة ما نفوه من دخول الأعمال في الإيمان وعقوبات أهل الكبائر، فالأولون بالغوا في النهي عن المنكر، وقصروا في الأمر بالمعروف، وهؤلاء قصروا في النهي عن المنكر وفي الأمر بكثير من المعروف، وكذلك القدرية هم في تعظيم المعاصي وذم فاعلها وتنزيه الله ـ تعالى ـ عن الظلم وفعل القبيح محسنون، وإنما أساؤوا في نفيهم مشيئة الله الشاملة وقدرته الكاملة، وعلمه القديم أيضاً. وكذلك الجهمية؛ فإن ضلالهم إنما هو التعطيل وجحد ما جاءت به الرسل عن الله ـ عز وجل ـ من أسمائه وصفاته»[1].

١١ ـ ومن الإعراض والجهل: عدم التصديق بالحق:

ومن أسباب الضلالة الناتجة عن الإعراض والجهل: عدم التصديق بالحق، وينتج عن ذلك عدم الإذعان لما جاء عن الله ـ تعالى ـ وعن رسوله.

قال شيخ الإسلام: «إن ضلال بني آدم وخطأهم في أصول دينهم

---

(١) الفتاوى ٢٠/ ١١٠، ١١١.

وفروعه إذا تأملته تجد أكثره من عدم التصديق بالحق؛ لا من التصديق بالباطل، فما من مسألة تنازع الناس فيها في الغالب إلاَّ وتجد ما أثبته الفريقان صحيحاً، وإنما تجد الضلال وقع من جهة النفي والتكذيب، مثال ذلك إن الكفار لم يضلوا من جهة ما أثبتوه من وجود الحق، وإنما أتوا من جهة ما نفوه من كتابه وسنّة رسوله وغير ذلك. . .»[1].

فالتكذيب بالحق ورده من أعظم أسباب الغواية في بني آدم عموماً، وفي فرق هذه الأمة كذلك، ما من فرقة إلاَّ ونجدها كذَّبت بشيء مما جاء عن الله ــ تعالى ــ ورسوله، حتى الفرق التي غلت في الدين وتشددت قد تكذب بالنصوص الواردة في التيسير والعدل والرحمة والوعد الذي يعارض أصولها، وإن لم ترد لفظه ردت معناه ودلالته والعمل به، وذلكم نوع من الإعراض والتكذيب.

١٢ ــ ومن الجهل التعالم:

والتعالم هو ادعاء الجاهل أنه عالم، وغروره بما لديه مما يظنه صار به عالماً.

حيث يظن ذلك الجاهل أنه عالم، وليس كذلك، فيضل ويتبع الهوى ويضل غيره.

قال الشاطبي: «إن كل راسخ لا يبتدع أبداً، وإنما يقع الابتداع، فيمن لم يتمكن من العلم الذي ابتدع فيه، حسبما دل عليه الحديث، ويأتي تقريره بحول الله، فإنما يؤتى الناس من قبل جهالهم الذين يحسبون أنهم علماء، وإذا كان كذلك، فاجتهاد من اجتهد منهي عنه إذ لم يستكمل شروط الاجتهاد، فهو على أصل العمومية، ولما كان العامي حراماً عليه النظر في

---

(١) الفتاوى ٢٠/ ١٠٥.

الأدلة والاستنباط، كان المخضرم الذي بقي عليه كثير من الجهالات مثله في تحريم الاستنباط والنظر المعمول به، فإذا أقدم على محرم عليه كان آثماً بإطلاق»[1].

١٣ ـ ومن الجهل والظلم قلة إنصاف المتنازعين بعضهم لبعض:

ومن أسباب الأهواء والافتراق ترك الإنصاف بين المتنازعين، وادعاء كل طائفة أن الحق معها وحدها من دون الآخرين.

ذلك أن كل واحدة من الطائفتين المختلفتين لا تنصف الأخرى، ولا تعترف بما معها من الحق[2]، وهذا إنما دافعه الجهل أو الهوى أو هما.

ومتى تخلى أحد المتنازعين، أو كلهم عن إنصاف خصمه، وقع في الهوى والتعصب بالباطل، فيؤدي ذلك إلى الافتراق، وهذه الخصلة (قلة الإنصاف بين المتنازعين) كثيرة جداً في مسائل الخلاف قديماً وحديثاً.

١٤ ـ ومن الجهل والإعراض: ضعف الإيمان والتقوى:

وضعف الإيمان ضرب من الجهل يؤدي إلى الإعراض عن دين الله ـ تعالى ـ، ثم إلى التنازع والأهواء والافتراق، ومن ضعف إيمانه وقلت تقواه لله لم يوفق للسنّة، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ﴾ [سورة يونس، الآية: ٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهۡدِيهِمُ﴾ [سورة النحل، الآية: ١٠٤].

وعن ابن وهب قال: «سمعت مالكاً يقول: قال رجل: لقد دخلت في هذه الأديان كلها فلم أر شيئاً مستقيماً، فقال رجل من أهل المدينة من المتكلمين: فأنا أخبركم لم ذلك؟ لأنك لا تتقي الله، فلو كنت تتقي الله

---

(١) الاعتصام ١/ ١٤٥.

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ١٣٩.

جعل الله لك من أمرك مخرجاً»[1].

١٥ ــ ومنه أن ترك الأمر والنهي أو الإخلال بهما يؤديان للظلم والجهل والافتراق:

ومن أسباب الافتراق والأهواء كذلك ترك الأمر بما أمر الله به، وترك النهي عما نهى الله عنه، أو التقصير في ذلك فيضعف الدين في قلوب الناس، فيتركون الشرع ويعرضون عنه، ولا يجدون من يعظهم ويردهم للحق ويبين لهم، ويرتكبون المنهيات والبدع، ولا يجدون من ينكر عليهم ويردعهم، فيتمادون في ذلك حتى تستحكم فيهم الأهواء.

قال شيخ الإسلام: «وإذا كان الكفر والفسوق سبب الشر والعدوان، فقد يذنب الرجل أو الطائفة ويسكت آخرون عن الأمر والنهي، فيكون ذلك من ذنوبهم، وينكر عليهم آخرون إنكاراً منهياً عنه، فيكون ذلك من ذنوبهم، فيحصل التفرق والاختلاف والشر، وهذا من أعظم الفتن والشرور قديماً وحديثاً؛ إذ الإنسان ظلوم جهول، والظلم والجهل أنواع، فيكون ظلم الأول وجهله من نوع، وظلم كل من الثاني والثالث وجهلهما من آخر وآخر، ومن تدبر الفتن الواقعة رأى سببها ذلك، ورأى أن ما وقع بين أمراء الأمة وعلمائها ومن دخل في ذلك، ومن ملوكها ومشايخها ومن تبعهم من العامة من الفتن: هذا أصلها؛ يدخل في ذلك أسباب الضلال والغي التي هي الأهواء الدينية والشهوانية؛ وهي البدع في الدين والفجور في الدنيا، وذلك أن أسباب الضلال والغي: البدع في الدين والفجور في الدنيا وهي مشتركة»[2].

---

(١) الإبانة ١/٤٠٧.

(٢) الفتاوى ٢٨/١٤٢، ١٤٣.

فترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومداهنة أهل البدع والمنكرات، من أعظم أسباب انتشار الأهواء والبدع والظلم والبغي، وكل ذلك يؤدي إلى التنازع والافتراق.

١٦ ــ ومنه التفريط والإفراط (الزيادة في الدين أو النقص منه):

فالتفريط هو التساهل في الدين، والإفراط هو التشدد في الدين، وكلاهما منهي عنه شرعاً وموقع في الأهواء، والبدع، فالتساهل إعراض، والتشدد ابتداع.

قال شيخ الإسلام: «وإنما جماع الشرِّ تفريط في حق أو تعدٍّ إلى باطل، وهو تقصير في السنّة أو دخول في البدعة، كترك بعض المأمور وفعل بعض المحظور، أو تكذيب بحق وتصديق بباطل.

ولهذا عامة ما يؤتى الناس من هذين الوجهين: فالمنتسبون إلى أهل الحديث والسنّة والجماعة يحصل من بعضهم، كما ذكرت، تفريط في معرفة النصوص أو فهم معناها أو القيام بما تستحقه من الجهة ودفع معارض، فهذا عجز وتفريط في الحق، وقد يحصل منهم دخول في باطل: إما في بدعة ابتدعها أهل البدع وافقوهم عليها واحتاجوا إلى إثبات لوازمها، وإما في بدعة ابتدعوها هم لظنهم أنها من تمام السنّة كما أصاب الناس في مسألة كلام الله وغير ذلك من صفاته[1].

وقال ابن الوزير: «فإن قيل: من أين جاء الاختلاف الشديد؟ فاعلم أن منشأ معظم البدع يرجع إلى أمرين واضح بطلانهما» وذكر أنهما «الزيادة في الدين بإثبات ما لم يذكره الله ــ تعالى ــ ورسوله ــ عليه السلام ــ من مهمات الدين».

---

(١) الصفدية ١/ ٢٩٣.

«والنقص منه بنفي بعض ما ذكره الله ـ تعالى ـ ورسوله ﷺ من ذلك بالتأويل الباطل».

«ولهذين الأمرين الباطلين أصلان: عقلي وسمعي. أما العقلي: أنه عرض للمبتدعة بسبب الخوض فيما لا تدركه العقول مما أعرض عنه السلف، نحو ما عرض للبراهمة الذين حكموا برد النبوات، من إيجاب أمور سكت عنها الشارع ونهى عن بعضها، واستقباح أمور استحسنها الشارع (لكنهم خالفوا البراهمة بأن صدقوا الشرع بالجملة) وصدقوا هذه القوادح في تفاصيل الشرع وراموا الجمع بينهما، فوقعوا لذلك في أشياء وهمية... ولزمهم ما التزموا من أن رسل الله ـ عليه السلام ـ قصروا في البيان عمداً امتحاناً للمكلفين، وتعريضاً للعلماء الراسخين في تأويل كلام ربّ العالمين»[1].

ويدخل في الإفراط والتفريط المبالغة في الأفراح والأتراح:

ومن أبرز أسباب شيوع البدع إحداث العوائد والمبتدعات في المناسبات، كالأفراح أو الأحزان، فمثلاً:

بالأول: تكون المزامير واللهو والغناء والطرب والتصفيق، ومنها ظهرت بدع الصوفية وبعض عوائد العامة والدهماء.

والثاني: النياحة والمآتم والبكاء والصراخ والعويل ونحو ذلك، ومنها ظهرت بدع الرافضة وبعض عوائد العامة.

ومن الأمرين كذلك ابتدعت الرافضة والصوفية والمقابرية أكثر بدعها.

فهي حيناً تتعبد بالموالد احتفالاً وطرباً كمولد النبـي ﷺ، وسائر الموالد الأخرى أيّاً كانت.

---

(١) مختصر عن إيثار الحق على الخلق ٨٥.

وحيناً آخر تتعبد بالمآتم حزناً وفرقاً وجزعاً كمأتم الحسين. وبين الحالين أضاعوا التوحيد والسنّة. وكل ذلك مما نهى عنه الإسلام أشد النهي، فقد ذكر النبي ﷺ أن النياحة من خصال الجاهلية وتوعد النائحة بالوعيد الشديد، فقال: (أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهم. . .)، وذكر منها (والنياحة)[1]، ثم ذكر الوعيد. وكذلك الموالد تدخل في باب الأعياد، وقد نهى النبي ﷺ عن غير عيدي الفطر والأضحى[2].

١٧ ــ ومنه الحسد وكتمان العلم وعدم قبوله:

من أكبر مظاهر الجهل وأسباب الهوى عند أهل الأهواء أمور، منها:

١ ــ **الحسد لمن هداه الله بعلم نافع أو عمل صالح**، وهذا من أخلاق اليهود: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [سورة النساء، الآية: ٣٧]، وهو البخل بالعلم والبخل بالمال[3].

٢ ــ **كتمان ما أنزل الله من الكتاب والعلم**، إما بخلاً أو اعتياضاً بالدنيا، أو خوف إقامة الحجة عليهم، قال ــ تعالى ــ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٥٩].

٣ ــ **عدم قبول الحق الذي لا تقول به طائفتهم**: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٩١].

---

(١) انظر: الحديث في صحيح مسلم، رقم (٩٣٥).

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٤٢٦، وما بعدها.

(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٧١، ٧٢.

وذلك كله منشؤه من الجهل والهوى والإعراض عن الحق.

١٨ ــ ومنه الغفلة عن ذكر الله ــ تعالى ــ وشكره وعبادته:

من أسباب الأهواء الغفلة عن ذكر الله ــ تعالى ــ وهي نوع من الإعراض.

قال شيخ الإسلام: «فالغفلة والشهوة أصل الشر، قال ــ تعالى ــ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾، والهوى وحده لا يستقل بفعل السيئات إلاَّ مع الجهل وإلاَّ فصاحب الهوى إذا علم قطعاً أن ذلك يضره ضرراً راجحاً انصرفت نفسه عنه بالطبع، فإن الله ــ تعالى ــ جعل في النفس حبّاً لما ينفعها وبغضاً لما يضرها، فلا تفعل ما تجزم بأنه يضرها ضرراً راجحاً، بل متى فعلته كان لضعف العقل»[١].

١٩ ــ ومنه ذهاب العلماء العالمين بالسنّة العاملين بها:

إن من أعظم أسباب الضلال اتخاذ الرؤساء الجهال والصدور عن قولهم في الدين، كما قال النبي ﷺ: **(إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا)**[٢].

ومما يؤدي إلى الجهل والتعالم: اتخاذ الرؤساء الجهال، والأحداث والرجوع إليهم في أمور الدين ومسائل العلم، ويتضح ذلك في:

(أ) **كثرة القراء و (المثقفين)** لكن على غير أصول وبغير مناهج العلماء، بعيداً عن هديهم وسمتهم، ومن غير فقه في الدين.

---

(١) الفتاوى ١٤/ ٢٨٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم، باب (٣٤)؛ وفتح الباري ١/ ١٩٤؛ ومسلم، الحديث رقم (٢٦٧٣).

(ب) طلب العلم والتحصيل للدنيا، أو لمجرد العلم والثقافة، فلا يكون الفقه في الدين هو القصد، أو يكون هو المقصد الآخِر.

وقد توقع الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ــ رضي الله عنه ــ هذه الأمور بفراسته وبما تلقى من النبي ﷺ، فكان مما تلقى من هدي النبوة قوله: «كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يربو الصغير ويهرم فيها الكبير، إذا ترك منها شيء قيل: تركت السنّة (!). قيل: متى ذلك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: ذلك إذا ذهب علماؤكم، وكثرت جهالكم وكثرت قراؤكم، وقلّت فقهاؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة، وتفقه لغير الدين»[1].

وروى ابن وضاح بسنده عن مسروق، قال: قال عبد الله (يعني ابن مسعود): «ليس عام إلاَّ والذي بعده شر منه. لا أقول عام أمطر من عام، ولا عام أخصب من عام، ولا أمير خير من أمير، لكن ذهاب علمائكم وخياركم، ثم يحدث أقوام يقيسون الأمور بآرائهم فيهدم الإسلام ويثلم»[2].

٢٠ ــ ومنه الإعراض عن فهم كتاب الله كما فهمه الصحابة والتابعون وأئمة الهدى:

فالإعراض عن فهم كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، كما فهمها السلف مشاقة للرسول ﷺ، واتباع لغير سبيل المؤمنين، وهو في طريق الهلكة والوعيد كما قال ــ تعالى ــ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [سورة النساء، الآية: ١١٥].

«وأصل وقوع أهل الضلال في مثل هذا التحريف، الإعراض عن فهم

---

(١) أخرجه اللالكائي ١/ ٩١، ٩٢؛ والدارمي ١/ ٦٤؛ وابن وضاح ٣٤، ٨٩.

(٢) البدع والنهي عنها ٣٣.

كتاب الله ـ تعالى ـ ، كما فهمه الصحابة والتابعون، ومعارضة ما دل عليه بما يناقضه، وهذا هو من أعظم المحادّة لله ولرسوله، ولكن على وجه النفاق والخداع»[1] فالإعراض عن آثار السلف، وتفسيرهم للنصوص الشرعية وتقريراتهم للدين، اتباع لغير سبيل المؤمنين، وإعراض عن الهدى، واتباع للأهواء، ومفارقة للحق وأهله، وهو سمة عامة لسائر أهل الافتراق والبدع والأهواء.

٢١ ـ ومن الجهل والإعراض الابتداع والتعلق بالمحدثات:

الابتداع والتعلق بالمحدثات مما تميل إليه نفوس كثير من البشر، فإذا صاحب ذلك الجهل بالشرع وضعف الإنكار للمحدثات في الأمة تنامت البدع والمحدثات وتدرجت. وتأصلت في النفوس حتى تنكر السنن ويبدع أهلها، وينقلب الحق باطلاً والباطل حقاً، وقد وصل الابتداع ببعض الفرق إلى الشركيات والبدع المغلظة؛ لأن أهل الابتداع لم يكتفوا في ابتداعهم بالمحدثات الخفيفة، بل تدرجوا منها إلى ما هو أشد، ولبّس عليهم الشيطان، وتجارت بهم الأهواء إلى البدع الشركية، ووضعوا لأنفسهم أصولاً لم ترد بالشرع.

قال البربهاري: «واعلم أن الناس لو وقفوا عند محدثات الأمور، ولم يجاوزوها بشيء، ولم يولدوا كلاماً مما لم يجيء فيه أثر عن رسول الله ﷺ، ولا عن أصحابه لم تكن بدعة»[2].

٢٢ ـ ومن مظاهر الجهل التناجي في الدين:

والتناجي في الدين من سمات أهل الأهواء، ومن أسباب شيوع

---

(١) درء التعارض ٥/ ٣٨٣.

(٢) شرح السنّة للبربهاري ٤٦.

أهوائهم، فإن الإسرار بها يمنع ظهور إنكارها من قبل أهل العلم والحسبة، فلذلك حذر السلف من التناجي في الدين.

عن الأوزاعي، قال: «قال عمر بن عبد العزيز: إذا رأيت قوماً يتناجون بأمر دون عامتهم فهم على تأسيس الضلالة»[1]، وكل عمل في الدين يُسرُّ به أصحابه من دون بقية المؤمنين، وبمعزل عن أهل العلم والفقه في الدين، فإنه ينتهي بأصحابه إلى الأهواء من حيث لا يشعرون، والتاريخ شاهد بذلك، فإن البدع إنما ابتدأت همساً وأحياناً بقصد الغيرة على الدين، والنصح للإسلام، ثم يؤول إلى العزلة عن الجماعة وتنافر القلوب، وغرس الغلّ على المخالفين.. وهكذا يحدث الافتراق. كما يحصل في عصرنا هذا لدى بعض المنتسبين إلى الحركات الإسلامية المعاصرة هداهم الله وبصرنا وإياهم بالحق.



(١) تلبيس إبليس ٨٩؛ والدارمي ١/ ٩١ واللفظ له.

(٧)

التشبه بالكفار واتباع السنن

من أسباب وقوع الافتراق والبدع والأهواء في الأمة، تشبه طوائف منها بغير المسلمين. وقد أخبر النبي ﷺ بخبره الصدق في الحديث الصحيح أن هذه الأمة ستتبع طريق الأمم الأخرى فيما ضلت به من أنواع الضلالات، بما في ذلك الوقوع في الشرك وذرائعه، كما جاء في حديث ذات الأنواط، حينما رأى بعض المسلمين في غزوة حنين سدرة للمشركين، يعلقون بها أسلحتهم ويعكفون عندها، (كما يفعل المبتدعة اليوم عند كثير من المشاهد والأحجار والأشجار والغيران والقبور)، فطلبوا من النبي ﷺ، أن يجعل لهم ذات أنواط كما للمشركين، فقال النبي ﷺ: **«الله أكبر إنها السنن ــ قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾** [سورة الأعراف، الآية: ١٣٨] **لتركبن سنن من كان قبلكم»**[١].

وقال النبي ﷺ، أيضاً: **«لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع...»** الحديث[٢].

فاتباع السنن باب من أبواب الأهواء والافتراق في هذه الأمة، حين

---

(١) سنن الترمذي ٤/ ٤٧٥، وقال: «وهذا حديث حسن صحيح» ومسند أحمد ٥/ ٢١٨.

(٢) أخرجه في الصحيحين، انظر ص ٥٩ ــ ٦٠ من الفصل الأول.

تشبهت طوائف من هذه الأمة بالأمم الأخرى، في الوقوع بالبدع والمحدثات والعقائد والفلسفات والمذاهب.

قال الآجري: «من تصفح أمر هذه الأمة من عالم عاقل، علم أن أكثرهم والعامّ منهم تجري أمورهم على سنن أهل الكتابين كما قال النبي ﷺ، أو على سنن كسرى وقيصر، أو على سنن الجاهلية»[1].

وقد فصل شيخ الإسلام ابن تيمية هذه المسألة في كتابه «**اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**»، فليراجع فإنه مفيد جداً.

ومن أظهر الانحرافات التي وقعت فيها الفرق وأهل الأهواء مما فيه تشبه بالأمم الأخرى:

١ ــ الغلو في الصالحين:

كما غلت اليهود والنصارى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾ [سورة النساء، الآية: ١٧١]، وقال: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾ [سورة التوبة، الآية: ٣١]. وقد وقعت الصوفية والرافضة والمقابرية في هذا الضلال.

---

(١) الشريعة ٢٠.

٢ ــ تحريف كلام الله تعالى كما فعلت اليهود:

قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾ [سورة النساء، الآية: ٤٦]، وقال: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٧٨]، وقد وقعت طوائف من هذه الأمة بالتحريف: تحريف التأويل وتحريف التنزيل كما فعلت الجهمية والمعتزلة وأهل الكلام.

٣ ــ جحد الحق الذي عند الخصوم والتنافر والتعادي:

كما فعلت اليهود والنصارى، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [سورة البقرة، الآية: ١١٣]، وهكذا نجد سائر طوائف أهل الأهواء يجحدون الحق الذي مع غيرهم إذا لم يوافق مذاهبهم، وتقوم مناهجهم على عداوة المخالف لهم والتنافر والتعادي من خصومهم.

٤ ــ الخوض في القدر:

وأخطره إنكار العلم السابق، والقول بأن الإنسان خالق أفعاله، وهو قول المجوس الثنوية القائلين بخالقين. وقد قالت به القدرية من هذه الأمة، والمعتزلة ومن سار على نهجهم. وسائر أهل الأهواء يخوضون في القدر بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، ولذلك نجد أكثر الفرق تدور بين الجبر والإرجاء، وبين النفي بلا إثبات، أو الإثبات بلا نفي.

وكلهم يخوضون في القدر وآياته ونصوصه، ويرتكبون ما حذرهم الشرع منه في ذلك، وكل مقولة ظهرت في فرق هذه الأمة تجد لها أصلاً عن الأمم الضالة السابقة.

٥ ـ التعطيل:

وهو إنكار الأسماء والصفات، أو الصفات فقط، ومنه التأويل. وهو مذهب الفلاسفة، والصابئة، وكثير من أهل الكتاب والدهرية. وقد وقعت بذلك الجهمية والمعتزلة المعطلة وأهل الكلام المؤولة من الأشاعرة والماتريدية ومثلهم الكلابية ونحوهم.

فما من أصل ضلت به هذه الفرق في الأسماء والصفات وسائر مسائل العقيدة إلَّا ويكون له صلة بأصول الأمم الضالة الماضية.

٦ ـ الابتداع في الدين:

وهو اتخاذ العبادات أو الأعياد التي لم يشرعها الله ولا رسوله ﷺ، والتعبد بالعوائد والعادات التي لم يشرعها الله تعالى ولا رسوله ﷺ. وأعظم ما وقعت فيه طوائف من المبتدعة في هذه الأمة من المتصوفة والرافضة والمقابرية وأهل الكلام إنما هو مشابهة للأمم السابقة من اليهود والنصارى والمجوس والصابئة والهنود وغيرهم. وقد أخبر النبي ﷺ بذلك في قوله: (**لتأخذن أمتي مأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع...**) الحديث[1].

❑❑❑

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، الاعتصام، الحديث (٧٣١٩)؛ والفتح ١٣/ ٢٠٠.

(٨)
اتباع الهوى والظن

من أسباب ظهور الفرق والبدع اتباع هوى النفوس والإصرار عليه، واتباع الظن.

قال شيخ الإسلام فيما أوجب أنواع الفساد بين الأمة: «الثالث»: اتباع الظن وما تهوى الأنفس، حتى يصير كثير منهم مديناً باتباع الأهواء في هذه الأمور المشروعة، وحتى يصير في كثير من المتفقهة والمتعبدة من الأهواء من جنس ما في أهل الأهواء الخارجين عن السنّة والجماعة: كالخوارج والروافض، والمعتزلة، ونحوهم. وقد قال تعالى في كتابه: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة ص، الآية: ٢٦]، وقال في كتابه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [سورة المائدة، الآية: ٧٧][١].

وقال الشاطبي: «فكذلك صاحب الهوى إذا دخل قلبه وأُشرب حبه، لا تعمل فيه الموعظة ولا يقبل البرهان، ولا يكترث بمن خالفه. واعتبر ذلك بالمتقدمين من أهل الأهواء كمعبد الجهني وعمرو بن عبيد وسواهما، فإنهم كانوا حيث لُقُوا مطرودين من كل جهة، محجوبين عن كل لسان، مبعدين عند كل مسلم، ثم مع ذلك لم يزدادوا إلاَّ تمادياً على ضلالهم، ومداومة

---

(١) الفتاوى ٢٢/ ٣٥٧.

على ما هم عليه ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٤١].

وحاصل ما عولوا عليه تحكيم العقول المجردة، فشركوها مع الشرع في التحسين والتقبيح، ثم قصروا أفعال الله على ما ظهر لهم، ووجهوا عليها أحكام العقل فقالوا: يجب على الله كذا ولا يجوز أن يفعل كذا، فجعلوه محكوماً عليه كسائر المكلفين. ومنهم من لم يبلغ هذا المقدار، بل استحسن شيئاً يفعله واستقبح آخر وألحقها بالمشروعات، ولكن الجميع بقوا على تحكيم العقول، ولو وقفوا هنالك لكانت الداهية على عظمها أيسر، ولكنهم تجاوزوا هذه الحدود كلها إلى أن نصبوا المحاربة لله ورسوله ﷺ، باعتراضهم على كتاب الله وسنّة نبيه ﷺ، وادعائهم عليهما من التناقض والاختلاف ومنافاة العقول وفساد النظم ما هم له أهل»[1].

والمتأمل لحال أهل الأهواء والافتراق والبدع يجد أن من أعظم أسباب **إصرارهم على بدعهم**: الهوى وما تميل إليه نفوسهم، هذا من جانب.

ومن جانب آخر نجد أن منهجهم يقوم على اتباع الظن، لأن اليقين في أمور الغيب والعقيدة ومصالح العباد في ما جاء عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ، وما عارض الوحي فهو محض ظنون وأوهام ووساوس. وإن كان الشيطان قد يزين لأهل الضلال أهواءهم **وظنونهم حتى تبدو لهم وكأنها يقينيات**. لكن هذا توهُّم لا يصمد أمام حقائق الوحي وبراهينه لمن وفقه الله وهداه.

لذا يجب على المسلم دائماً أن يسأل الله الثبات والتوفيق والهداية ومن الدعاء المأثور (يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك).

---

(١) الاعتصام ٢/٢٦٨.

(٩)

مخالطة أهل الأهواء

مخالطة أهل الأهواء ومجالستهم ومعاشرتهم سبب لانتقال العدوى منهم، فإن المرء من جليسه، والإنسان مدني بالطبع يتأثر بمن حوله، لذلك حذر السلف من مخالطة أهل الأهواء ومجالستهم ومعاشرتهم فضلاً عن التلقي عنهم.

ومهما بلغ الإنسان من الاستقلالية بزعمه والاعتداد بنفسه والثقة بعقيدته، فإنه لا بد أن يتأثر بمن يخالطهم، خاصة أهل الأهواء؛ لأنهم يزينون ما هم عليه ويزينها الشيطان، فتبدو للإنسان غريبة جذابة، فهذا المأمون وهو من هو في اعتداده بنفسه تأثر بالجهمية، قال أبو الفرج بن الجوزي: «خالطه قوم من المعتزلة فحسنوا له القول بخلق القرآن وكان يتردد ويراقب بقايا الشيوخ ثم قوي عزمه وامتحن الناس»[١].

وذكر الذهبي بسنده عن ابن أكثم، قال: «قال لنا المأمون: لولا مكان يزيد بن هارون لأظهرت أن القرآن مخلوق»[٢]، وما ذاك إلَّا لأنه خالط المعتزلة الجهمية فناظرهم ونادمهم حتى أجربوه، فتأمل، عافانا الله وإياك واعتبر.

---

(١) سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٣٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٣٧.

(١٠)

الفتــن

في الفتن تضيع معالم الحق على عامة الناس، فيرتع فيها أهل الأهواء وتروج ضلالاتهم، وتنفلت الأمور ويكثر الهرج والمرج والفتن التي تؤدي إلى المنازعات والافتراق على أربعة أنواع:

١ ــ منازعة ولاة الأمور والخروج عليهم:

كما يفعل غالب أهل الأهواء.

٢ ــ الخروج على المسلمين:

وقتالهم واستحلال دمائهم تديُّناً كما يفعل الخوارج.

٣ ــ البغي والظلم:

كما يحصل من قطاع الطرق، وأهل الفساد والغدر كالباطنية، أو المتقاتلين في سبيل السلطان والعصبيات والحزبيات والشهوات ونحو ذلك.

والمتأمل لتاريخ المسلمين يجد أن الفتن هي أول وأعظم أسباب الافتراق وظهور الفرق والأهواء والبدع، وأول ذلك وأنكاه على الأمة الفتنة على عثمان ــ رضي الله عنه ــ وما أعقبها من قتله وتنازع المسلمين في صِفّين والجمل ثم خروج الخوارج والشيعة، وفتنة المختار بن أبـي عبيد الثقفي، وابن الأشعث، وتحريض الرافضة لأهل البيت على الخروج حتى

خرج منهم عدد كبير على أئمة المسلمين وجماعتهم، وظهور الباطنية وفسادها في الأرض، وقتال العصبيات والسلاطين، وغير ذلك مما أدى إلى رواج الأهواء وانتشارها. وغالب الفتن في التاريخ من هذا النوع.

٤ ــ الافتتان بالدنيا والتنافس فيها:

لقد خشي النبي ﷺ على أمته من الدنيا وحذرهم منها فقال ﷺ: (**أبشروا وأمِّلوا فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم**)[(١)]، وكانت فتنة الدنيا من أول الفتن وقوعاً في الإسلام.

قال شيخ الإسلام: «فلما كان في آخر خلافة عثمان زاد التغيير والتوسع في الدنيا وحدثت أنواع من الأعمال لم تكن على عهد عمر، فحصل بين بعض القلوب تنافر حتى قتل عثمان، فصاروا في فتنة عظيمة، وقد قال ــ تعالى ــ: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾، أي: هذه الفتنة لا تصيب الظالم فقط، بل تصيب الظالم والساكت عن نهيه عن الظلم، كما قال النبي ﷺ: (**إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه**)[(٢)].

وقال: «من أسباب الفتنة والأهواء في نشأتها الأولى في آخر عهد عثمان التنافس في الدنيا من ذلك الجيل الناشىء من الأمم الحديثة العهد والأعراب ونحوهم ممن حرضوا مساكين المهاجرين وفرقوهم»[(٣)].

---

(١) أخرجاه في الصحيحين، البخاري في كتاب الجزية الحديث (٣١٥٨)؛ وفتح الباري ٦/٢٥٨؛ ومسلم الحديث رقم (٢٩٦١) ٤/٢٢٧٣.

(٢) الفتاوى ١٤/١٥٨.

(٣) اقتضاء الصراط ١/١١٤، ١١٥.

ومن الافتتان بالدنيا (حب الشهرة):

عن أبي إدريس الخولاني، قال: «فاتني معاذ بن جبل فأخبرني يزيد بن عميرة أنه كان يقول في كل مجلس يجلسه: الله حكم قسط تبارك اسمه، هلك المرتابون، إن من ورائكم فتناً يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه الرجل والمرأة، والحر والعبد، والصغير والكبير فيوشك أن الرجل يقرأ القرآن، فيقول: قد قرأت القرآن فما بال الناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن، ثم يقول: ما هم بمتبعيّ حتى أبتدع لهم غيره. فإياكم وما ابتدع، فإن ما ابتدع ضلالة، واتقوا زيغة الحكيم فإن الشيطان يلقي على في الحكيم كلمة الضلالة، قال: اجتنبوا من كلام الحكيم كل متشابه، الذي إذا سمعته قلت هذا، ولا ينأى بك ذلك عنه، فإنه لعله يراجع، وتلقّ الحق إذا سمعته، فإن على الحق نوراً»[1].

قلت: هذه نصيحة عظيمة وموعظة بليغة فافقه ما فيها حفظك الله.



(١) الإبانة ١/٣٠٨.

(١١)
الكذب ووضع الأحاديث

الجهل واتباع الهوى يدفعان أهل الزيغ والضلال إلى الكذب على الرسول ﷺ، وعلى غيره من باب أولى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وعلّموا كذب أهل الجهل والضلال فيما قد يأثرونه عن النبي ﷺ، بكذب من يزعم من الرافضة أن النبي ﷺ، نص على عليٍّ بالخلافة نصّاً قطعيّاً جليّاً، وزَعْم آخرين أنه نصّ على العباس.

وعلّموا أكاذيب الرافضة والناصبة ـ التي يأثرونها في مثل الغزوات التي يروونها عن عليٍّ وليس لها حقيقة، كما يرويها المكذبون الطرقية: مثل أكاذيبهم الزائدة في سيرة عنتر والبطال ـ حيث علَّموا مجموع مغازي رسول الله ﷺ، وأن القتال فيها كان في تسعة مغازٍ فقط، ولم يكن عدة المسلمين ولا العدو في شيء من مغازي القتال عشرين ألفاً.

ومثل «الفضائل» المروية ليزيد بن معاوية ونحوه، والأحاديث التي يرويها كثير من الكرامية في الإرجاء ونحوه، والأحاديث التي يرويها كثير من النساك في صلوات أيام الأسبوع، وفي صلوات أيام الأشهر الثلاثة، والأحاديث التي يروونها في استماع النبي ﷺ، هو وأصحابه، وتواجده، وسقوط البردة عن ردائه، وتمزيقه الثوب، وأخذ جبريل لبعضه، وصعوده به إلى السماء، وقتال أهل الصفة مع الكفار، واستماعهم لمناجاته ليلة

الإسراء، والأحاديث المأثورة في نزول الرب إلى الأرض يوم عرفة، وصبيحة مزدلفة، ورؤية النبـي ﷺ له في الأرض بعين رأسه، وأمثال هذه الأحاديث المكذوبة التي يطول وصفها، فإن المكذوب من ذلك لا يحصيه أحد إلاَّ الله ــ تعالى ــ ؛ لأن الكذب يحدث شيئاً فشيئاً ليس بمنزلة الصدق الموروث عن النبـي ﷺ، الذي لا يحدث بعده، وإنما يكون موجوداً في زمنه ﷺ، وهو محفوظ محروس بنقل خلفاء الرسول، وورثة الأنبياء»[1].

وقال الشاطبـي في طريقة أهل البدع في الاستدلال: «فمنها: اعتمادهم على الأحاديث الواهية الضعيفة والمكذوب فيها على رسول الله ﷺ، والتي لا يقبلها أهل صناعة الحديث في البناء عليها: كحديث الاكتحال يوم عاشوراء، وإكرام الديك الأبيض، وأكل الباذنجان بنية، وأن النبـي ﷺ تواجد واهتز عند السماع حتى سقط الرداء عن منكبيه وما أشبه ذلك. فإن أمثال هذه الأحاديث ــ على ما هو معلوم ــ لا يبنى عليها حكم ولا تجعل أصلاً في التشريع أبداً، ومن جعلها كذلك فهو جاهل ومخطىء في نقل العلم، فلم ينقل الأخذ بشيء منها عمن يعتد به في طريقة العلم، ولا طريقة السلوك»[2].



---

(١) الفتاوى ٢٢/ ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣.

(٢) الاعتصام ١/ ٢٢٤، ٢٢٥.

(١٢)
استهواء العقليات والفلسفات (علم الكلام)

الميل للكلام نزعة ولوثة تصيب عقول طائفة من الناس وتستهويهم حتى تصبح أشبه بالهوس العقلي بخاصة الأذكياء منهم إذا لم يتفقهوا في الدين، ولم يلتزموا نهج أئمة الدين وذلك مصداق قول النبي ﷺ: **(تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه)**[1]، فصاحب الكلام يستهويه علم الكلام بمتاهاته ومحاراته، فهو حين يتمادى فيه، يزينه له الشيطان فيشعر أنه يمارس هواية ويستلذ بها ويستغرق فيها كما يستغرق الرسام والفنان ولاعب الشطرنج والمغني ونحوهم من أصحاب الهوايات التافهة، وهو يحسب أنه يمارس أجل الأعمال، كما قال ــ تعالى ــ عنهم: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾. والمتأمل لكتب علماء الكلام يدرك ما هم عليه من غرور وتعالم وعجب وتعالٍ كالجبابرة، إلاَّ أنهم في عالم الأوهام والأحلام، وغيرهم من أصحاب الشهوات الدنيوية في عالم الواقع. وأهل الكلام يخوضون في الله وفي آيات الله، ويسيئون إلى أنفسهم وإلى الخلق، وأهل الشهوات الدنيوية لا يضرون إلاَّ أنفسهم وبعض الخلق. وفي كل شر. ولكن حنانيك بعض الشر أهون من بعض.

---

(١) سبق تخريجه في الفصل الأول، ص (٦١).

فالكلام والفلسفات أشبه بالمخدرات، فالمدمن عليها إذا لم يرجع يهلك، ويبدو له أنه أكمل الناس، وينظر لغيره بكبرياء وتعالٍ، نسأل الله السلامة.

❑ ❑ ❑

(١٣)
الغـلـو والتـعـصـب

ويشمل:

١ ـ الغلو في الأشخاص مثل (التشيع، وتقديس الأئمة والأولياء).

٢ ـ الغلو في الدين (التشدد والتكفير).

٣ ـ العصبيات (التعصب للمذاهب والقبائل والشعوب والبلدان).

٤ ـ التقليد بغير بصيرة.

من أبرز مظاهر الغلو في هذه الأمة وأخطرها، التي أدت إلى الأهواء والفرق والمنازعات في الدين والابتداع ما يلي:

١ ـ الغلو في الصالحين:

الغلو في الصالحين أول أسباب الضلال والشرك في البشرية، فأول شرك وقع من قوم نوح، وكان سببه الغلو في الصالحين، كما سبق بيانه، وقال النبي ﷺ، في الذين يبنون المساجد على القبور ويتخذون الصور للصالحين: (**أولئك شرار الخلق عند الله**)[١].

ولا يزال هذا الداء داء من أعصى أدواء الأمة، فالغلو في الصالحين ضلت به طوائف كثيرة في تاريخ الإسلام، كالرافضة والصوفية والمقابرية.

(١) جاء ذلك في حديث أخرجه البخاري الحديث رقم (٤٢٦). انظر: فتح الباري ١/ ٥٢٣؛ ومسلم الحديث رقم (٥٢٨) ١/ ٣٧٥.

قال شيخ الإسلام: «قد وقع فيه طوائف من المتعبدة والمتصوفة، حتى خالط كثيراً منهم من مذهب الحلول والاتحاد ما هو أقبح من قول النصارى أو مثله أو دونه»[1].

٢ ـ الغلو في الدين (التشدد والتنطع):

والغلو في الدين باب عظيم من أبواب الأهواء والابتداع والتنطع وهو ضرب من التعصب المقيت، وقد وقع الغلو في هذه الأمة أول ما وقع من ثلاث طوائف:

الأولى: الخوارج، فقد تنطعوا في الدين وغلو وتشددوا حتى خرجوا عن السنّة كما قال النبي ﷺ: (**إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلاّ غلبه...**)[2]. الحديث.

الثاني: الرافضة، فقد غلوا في آل البيت إلى حد التقديس واعتقاد العصمة فيهم.

الثالث: الصوفية، فقد غلت مع الأولياء والصالحين حتى صرفت لهم كثيراً من أنواع العبادة وأعطتهم خصائص الأولوهية، كعلم الغيب وتصريف مقاليد الكون.

٣ ـ العصبيات:

العصبيات من أعظم أسباب وقوع الناس في الأهواء، كالتعصب للآراء والمذاهب والبلدان، والأشخاص، والقبائل، والشعوب. وكثيراً ما تؤدي العصبيات إلى الافتراق والبدع والأهواء. والقتال بين المتنازعين، لذلك جاء النهي في السنّة عن ذلك، ورُتب عليه الوعيد الشديد، فقد جاء في الحديث

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط ١/ ٧٧ ط الثانية.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، الحديث (٣٩)؛ وفتح الباري ١/ ٩٣.

الصحيح الذي رواه أبو هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال النبي ﷺ: **(من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عميَّة، يغضب لعصبية أو يدعو إلى عصبية، أو ينصر عصبية، فقتل فقتلة جاهلية. . .)**[1] الحديث.

(أ) ومن التعصب إخضاع النصوص الشرعية للأهواء:

فأهل البدع والمحدثات والافتراق لم يسلِّمُوا للنصوص ابتداء، بل اعتقدوا أموراً من عند أنفسهم أو متبوعيهم، ثم أخذوا في الاستدلال عليها وإخضاع النصوص لها، كما سبق في منهج الاستدلال عندهم.

قال الشاطبي: «ولذلك سُمي أهل البدع أهل الأهواء؛ لأنهم اتبعوا أهواءهم، فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها، حتى يصدروا عنها، بل قدموا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظوراً فيها من وراء ذلك، وأكثر هؤلاء هم أهل التحسين والتقبيح، ومن مال إلى الفلاسفة وغيرهم، ويدخل في غمارهم من كان منهم يغشى السلاطين لنيل ما عندهم، أو طلباً للرياسة، فلا بد أن يميل مع الناس بهواهم، ويتأول عليهم فيما أرادوا، حسبما ذكره العلماء ونقله الثقاة من مصاحبي السلاطين»[2].

وقال: «إن الشرع قد دل على أن الهوى هو المتبع الأول في البدع، وهو المقصود السابق في حقهم ودليل الشرع كالتبع في حقهم. ولذلك تجدهم يتأولون كل دليل خالف هواهم، ويتبعون كل شبهة وافقت أغراضهم. ألا ترى إلى قوله ــ تعالى ــ : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٧]، فأثبت لهم

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، الحديث (١٨٤٨) ص (٧٧).

(٢) الاعتصام ٢/ ١٧٦.

الزيغ أولاً، وهو الميل عن الصواب، ثم اتباع المتشابه وهو خلاف المحكم الواضح المعنى، الذي هو أم الكتاب ومعظمه، ومتشابهه على هذا قليل، فتركوا اتباع المعظم إلى اتباع الأقل المتشابه الذي لا يعطي مفهوماً واضحاً ابتغاء تأويله، وطلباً لمعناه الذي لا يعلمه إلاَّ الله»[1]. وفي هذا المعنى ـ وهو إخضاع الدليل لرأي مسبق ـ حال كثير من المعاصرين، أصحاب الاتجاهات المخالفة، فإن الواحد منهم يتربى على مفاهيم معينة، أو يتلقاها من قراءاته، أو بهواه ثم يذهب ليستدل على ما في نفسه.

(ب) ومن التعصب حرص أهل الأهواء على التعلق ببدعهم والدعوة إليها وتفانيهم في ذلك:

المتأمل لحال أهل الأهواء يجد أنهم يتميزون بالتفاني والتكلف في الدعوة إلى أهوائهم ونشرها وطلب الأتباع والمؤيدين. وهذا ـ والله أعلم ـ من تزيين أهوائهم لهم ومن خذلان الله لهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة يونس، الآية: ١٢]، وقال: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [سورة فاطر، الآية: ٨].

ويقول الشاطبي في دعاة البدعة: «وأما الداعي إذا دعا إليها فمظنة الاقتداء أقوى وأظهر، ولا سيما المبتدع اللسن الفصيح الآخذ بمجامع القلوب، إذا أخذ في الترغيب والترهيب وأدلى بشبهته التي تداخل القلوب بزخرفها، كما كان معبد الجهني يدعو الناس إلى ما هو عليه من القول

---

(١) الاعتصام ١/١٤٣.

بالقدر، ويلوي بلسانه نسبته إلى الحسن البصري[1]. فروي عن سفيان بن عيينة أن عمرو بن عبيد سئل عن مسألة فأجاب فيها وقال: «هو من رأيـي الحسن»، فقال له رجل: إنهم يروون عن الحسن خلاف هذا. فقال: إنما قلت لك: «هذا من رأيـي الحسن» يريد نفسه[2]. والحسن الذي يوهم به عمرو بن عبيد هو الحسن البصري.

وقال محمد بن عبد الله الأنصاري: «كان عمرو بن عبيد إذا سئل عن شيء قال: «هذا من قول الحسن» فيوهم أنه الحسن بن أبـي الحسن وإنما هو قوله»[3].

وقال الشاطبـي: «ومن الدليل على ذلك ما روي عن الأوزاعي قال: بلغني أن من ابتدع بدعة ضلالة «زين له»[4]، الشيطان (التنسك)[5]، والعبادة أو ألقى عليه الخشوع والبكاء كي يصطاد به. وقال بعض الصحابة: «أشد الناس عبادة مفتون»، واحتج بقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**يحقر أحدكم صلاته في صلاته وصيامه في صيامه**...»[6] إلى آخر الحديث.

ويحقق ما قاله الواقع كما نقل في الأخبار عن الخوارج وغيرهم. فالمبتدع يزيد في الاجتهاد لينال في الدنيا التعظيم والمال والجاه وغير ذلك من أصناف الشهوات، بل التعظيم على شهوات الدنيا، ألا ترى إلى انقطاع الرهبان في الصوامع والديارات، عن جميع الملذوذات، ومقاساتهم في

---

(١) يظهر والله أعلم أن في الكلام سقطاً لأن معبد الجهني قتل سنة (٨٠هـ) والحسن توفي سنة (١١٠هـ)، والذي كان يلوي بلسانه نسبة رأيه إلىٰ الحسن هو عمرو بن عبيد لا معبد، كما ذكره الشاطبـي هنا عن سفيان والأنصاري.

(٢) الاعتصام ١/ ١٦٩، ١٧٠.

(٣) الاعتصام ١/ ١٦٩، ١٧٠.

(٤) زيادة من عندي ليستقيم الكلام.

(٥) زيادة من عندي ليستقيم الكلام.

(٦) حديث الخوارج هذا مروي في الصحيحين، وقد سبق تخريجه. انظر: ص (٢١٨) (١).

أصناف العبادات، والكف عن الشهوات؟ وهم مع ذلك خالدون في جهنم»[1].

٤ ــ **التقليد والمتابعة على غير بصيرة:**

مما ساعد في تكاثر أهل الأهواء واتباع الفرق وانتشار البدع، تقليد الدهماء والعامة والجهلة والعجم والأعراب ونحوهم لرؤوسهم وزعمائهم وشيوخهم تقليداً بغير بصيرة (التقليد الأعمى)، وتسليمهم لهم دون تمييز، وثقتهم بهم من دون العلماء الراسخين وأئمة الهدى. حتى حجبهم أئمة الضلالة عن أهل القدوة.

قال الشاطبي: «وهذا الوجه هو الذي مال بأكثر المتأخرين من عوام المبتدعة؛ إذا اتفق أن ينضاف إلى شيخ جاهل أو لم يبلغ مبلغ العلماء، فيراه يعمل عملاً فيظنه عبادة فيقتدي به. كائناً ما كان ذلك العمل، موافقاً للشرع أو مخالفاً، ويحتج به على من يرشده ويقول: كان الشيخ فلان من الأولياء وكان يفعله. وهو أولى أن يقتدى به من علماء الظاهر، فهو في الحقيقة راجع إلى تقليد من حسن ظنه فيه أخطأ أو أصاب. كالذين قلدوا آباءهم سواء، وإنما قصارى هؤلاء أن يقولوا: إن آباءنا أو شيوخنا لم يكونوا ينتحلون مثل هذه الأمور سدى. وما هي إلاَّ مقصودة بالدلائل والبراهين مع أنهم يرون أن لا دليل عليها ولا برهان يقود إلى القول بها»[2].

ولو نظرنا لحال أكثر أهل البدع والأهواء اليوم لوجدناهم من المقلدة على غير بصيرة، وما أحوجهم إلى من يبين لهم السنّة والحق برفق وإشفاق، وينتشلهم من أوحال البدعة وأوضار الأهواء والفرق والطرق، نسأل الله ــ تعالى ــ أن يهدي ضال المسلمين ويجمع كلمتهم على الحق والسنّة.

---

(١) الاعتصام ١/ ١٢٥.

(٢) الاعتصام ٢/ ١٨٢.

(١٤)

ترجمة الكتب الأجنبية
وجلبها وترويجها بين المسلمين

من أخطر أسباب انتشار الأهواء بين المسلمين قديماً وحديثاً ترجمة كتب الأديان والفلسفة. وما تحويه من عقائد ومذاهب وفلسفات.

وقد مرت الترجمة بمراحل:

الأولى: في عهد خالد بن يزيد بن معاوية، حيث أمر بترجمة كتب الصنعة من اليونانية والقبطية إلى العربية[١] في آخر القرن الأول.

والثانية: ظهور عدد من المترجمين ما بين سنة ١٣٦ إلى نهاية القرن الثاني، منهم يحيى بن البطريق، ترجم المجسطي أيام المنصور، وجورجيس بن جبرائيل الطبيب، وعبد الله بن المقفع (ت ١٤٢هـ) (ترجم بعض كتب أرسطوطاليس)، ويوحنا بن ماسويه[٢].

والثالثة: في أول القرن الثالث وما بعده، وقد اشتهر بالترجمة يوحنا بن البطريق، والحجاج بن مطر، وفسطا بن لوقا البعلبكي، وعبد المسيح بن ناعمة الحمصي، وحنين بن إسحاق وابنه إسحاق، وثابت بن قرة الصابىء، وحبيش بن الحسن[٣]، وقد ترجموا كثيراً من كتب الفلسفة.

---

(١) انظر: الفهرست ٣٣٨، وانظر: الفرق الكلامية الإسلامية ٩٨، ٩٩.

(٢) انظر: الفهرست ٩٩.

(٣) السابق ٩٩.

والرابعة: في القرن الرابع وما بعده، ومنهم متى بن يونس، وسنان بن ثابت بن قرة، ويحيى بن عدي، وابن زرعة[1].

وقد ظهر التأثر بالكتب الأجنبية في وقت مبكر من بزوغ الآراء الشاذة في تاريخ الإسلام، فقد جاء في قصة صبيغ بن عسل التميمي الذي أدبه عمر بن الخطاب على خوضه في المتشابهات أنه: «كانت عنده كتب»[2]، ثم أعقبه ما قيل من أن خالد بن يزيد أمر بترجمة بعض الكتب، لكن لم يتجه إلى كتب الفلسفة والكلام والعقائد، إنما إلى الطب والنجوم، والكيمياء ونحوها، ومع ذلك يغلب على الظن أنها لا تخلو من شيء من ذلك، خاصةً علم النجوم، بل وكتب الطب كذلك؛ لأن كثيراً من أطباء تلك الأمم الغابرة يخلطون بين الفلسفة والطب، فكثيرون من الأطباء فيهم فلاسفة، والعكس كذلك.

قال ابن النديم: «الذي عُنِي بإخراج كتب القدماء في الصنعة خالد بن يزيد بن معاوية، وكان خطيباً شاعراً فصيحاً حازماً، ذا رأي، وهو أول من ترجم له كتب الطب والنجوم، وكتب الكيمياء، وكان جواداً، يقال: إنه قيل له: لقد فعلت أكثر شغلك في طلب الصنعة، فقال خالد: ما أطلب بذاك إلاَّ أن أغني أصحابي وإخواني، وإني طمعت في الخلافة فاختزلت دوني، فلم أجد منها عوضاً إلاَّ أن أبلغ آخر هذه الصناعة»[3].

ومما يدل على قوة أثر الكتب الأجنبية نشاط حركة الترجمة منذ وقت مبكر:

قال ابن النديم: «أسماء النقلة من اللغات إلى اللسان العربية: اصطفن

---

(١) السابق ١٠٠، وانظر: للمزيد الفهرست أيضاً ٣٤٠ وما بعدها.
(٢) الإبانة ٢/ ٦٠٩.
(٣) الفهرست ٤٩٧.

القديم، ونقل لخالد بن يزيد بن معاوية كتب الصنعة وغيرها.

البطريق وكان في أيام المنصور وأمره بنقل أشياء من الكتب القديمة.

ابنه أبو زكريا يحيى بن البطريق، وكان في جملة الحسن بن سهل.

الحجاج بن مطر، فسّر للمأمون، وهو الذي نقل المجسطي وإقليديس.

ابن ناعمة واسمه عبد المسيح بن عبد الله الحمصي الناعمي.

سلام الأبرش من النقلة القدماء في أيام البرامكة ويوجد بنقله السماع الطبيعي، كذلك حكى سيدنا أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى أيده الله.

حبيب بن بهريز، مطران الموصل فسَّر للمأمون عدة كتب»[1] وذكر حشداً من المترجمين وما ترجموه.

وكانت عائلة البرامكة (فارسية مجوسية الأصل) نشيطة في ترجمة كتب أسلافها رغم أنها تظهر الإسلام، قال ابن النديم:

«حكى بعض المتكلمين بأن يحيى بن خالد البرمكي بعث برجل إلى الهند ليأتيه بعقاقير موجودة في بلادهم، وأن يكتب له أديانهم فكتب له هذا الكتاب. قال محمد بن إسحاق: الذي عني بأمر الهند في دولة العرب، يحيى بن خالد وجماعة البرامكة، واهتمامها بأمر الهند وإحضارها علماء طبها وحكمائها»[2].

والحكماء عند هؤلاء يعني الفلاسفة! وهذا من قلب الحقائق، وانتكاس المفاهيم.

---

(١) الفهرست ٣٤٠، ٣٤١.

(٢) الفهرست ٤٨٤.

وكان تأثير كتب الترجمة في عهد المأمون في أول القرن الثالث وما بعده أشد وأبلغ، حيث كثرت ترجمة كتب الأعاجم الفلاسفة من الروم والفرس والهند في أثناء الدولة العباسية، «ثم طلبت كتبهم في دولة المأمون من بلاد الروم فعربت ودرسها الناس، وظهر بسبب ذلك من البدع ما ظهر»[1].

قال ابن النديم: «قال أحمد بن عبد الله بن سلام مولى أمير المؤمنين هارون ـ أحسبه الرشيد ـ ترجمت هذا الكتاب من كتاب الحنفاء وهم الصابيون الإبراهيمية الذين آمنوا بإبراهيم ـ عليه السلام ـ وحملوا عنه الصحف التي أنزلها الله عليه، وهو كتاب فيه طول إلاَّ أني اختصرت منه ما لا بد منه ليعرف به سبب ما ذكرت من اختلافهم وتفرقهم»[2].

وقال: قال أحمد بن عبد الله بن سلام: ترجمت صدر هذا الكتاب والصحف والتوراة والإنجيل وكتب الأنبياء والتلامذة من لغة العبرانية واليونانية والصابية وهي لغة أهل كل كتاب إلى لغة العربية حرفاً حرفاً»[3].

قال ابن النديم أيضاً: «وكان أحد النقلة من اللسان الفارسي إلى العربي مضطلعاً باللغتين فصيحاً بهما، وقد نقل عدة كتب من كتب الفرس منها كتاب (خدينامه) في السير، كتاب (إيين تامه) في الأصر. كتاب كليلة ودمنة، كتاب مزدك، كتاب التاج في سيرة أنوشروان، كتاب الآداب الكبير ويعرف بما قرأ حسيس، كتاب الأدب الصغير، كتاب اليتيمة في الرسائل»[4].

---

(١) الفتاوى ٢/ ٨٤.

(٢) الفهرست ٣٢.

(٣) الفهرست ٣٣.

(٤) الفهرست ١٧٢.

«إلى بعد المائتين فظهر المأمون الخليفة وكان ذكياً متكلماً، له نظر في المعقول، فاستجلب كتب الأوائل وعرب حكمة اليونان وقام في ذلك وخبَّ ووضع ورفعت الجهمية والمعتزلة رؤوسها، بل والشيعة، فإنه كان كذلك وآل به الحال إلى أن حمل الأمة على القول بخلق القرآن وامتحن العلماء فلم يمهل وهلك لعامه»[1].

ومما شملته الترجمة: المنطق الذي أسهم في ترويج علم الكلام وتلميعه، فقد ترجمت كتب المنطق في عهد المأمون كما ذكر شيخ الإسلام:

«ولم يسمع سلفاً بذكر هذا المنطق اليوناني وإنما ظهر في الإسلام لما عربت الكتب الرومية في عهد دولة المأمون أو قريباً منها»[2].

وهكذا نجد أن هذا التيار العارم في ترجمة كتب الأديان والفلسفات والنحل قد أسهم بشكل كبير في انتشار الأهواء والفرق والبدع، والمقالات الفاسدة، وكان رافداً قوياً لأهل الأهواء ومصدراً مهمّاً من مصادرهم.

ولا يزال هذا التيار من أسباب تأثر طوائف من هذه الأمة بالأفكار والعقائد الوافدة من الأمم الكافرة الهالكة.

ويتمثل ذلك بالغزو الفكري ومظاهره كالعلمنة، والحداثة والقوميات، والحزبيات والشعارات الفارغة، ونحو ذلك.



(١) سير ١١/٢٣٦.

(٢) الفتاوى ٩/٢٤١.

خلاصة الفصل الثاني

في ختام الفصل الثاني حول نشأة الأهواء والبدع والافتراق وأسبابها خلص إلى النتائج التالية:

١ ـ أن وقوع الأهواء والبدع والافتراق من سنن الله تعالى في الأمم السالفة ومع هذه الأمة، وأنهم لا يزالون مختلفين إلاَّ من رحم ربي.

٢ ـ أن الله تعالى حذرنا من الأهواء والافتراق والبدع، وأمرنا بالتزام الحق والسنّة وأوجب علينا الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله على بصيرة، فوقوع الافتراق إنما هو ابتلاء وفتنة، فلا يعني ذلك مشروعية الابتداع والافتراق أو الرضا به، أو تركه يفتك بالأمة.

٣ ـ أن الله تعالى بيّن لعباده (على ألسنة رسله) طريق الحق وأرشدهم إليه ويسره لهم وأمرهم باتباعه ورتب الجزاء عليه بالثواب لمن اتبع الحق.

وبين لهم طريق الضلال ونهاهم عنه وأمرهم باجتنابه ورتب الجزاء عليه والعقاب لمن تنكب الصراط المستقيم.

٤ ـ أن من أعظم أسباب وقوع طوائف من الأمة في الأهواء:

(١) اتباع خطوات الشيطان.

(٢) نزعات النفوس الأمارة بالسوء.

(٣) اتباع الهوى.

(٤) الجهل.

(٥) النفاق.

(٦) كيد الأعداء.

(٧) الظلم.

(٨) التعصب.

(٩) التشبه والتقليد.

(١٠) الجدال والخصومات في الدين.

(١١) الإعراض عن الهدى.

(١٢) الحسد.

(١٣) الغلو والتنطع في الدين.

وهذه أسباب عامة يدخل تحتها ما لا حصر له من الفروع والجزئيات، كما أنها أصول للضلالة في كل أمة، وعامة من هلك من الأمم هلك بها أو بعضها.

٥ ــ أن الأهواء تبدأ من أمور قد يستصغرها الناس، ثم يتساهلون بها حتى تكون الطوّام (ومعظم النار من مستصغر الشرر).

٦ ــ أن أصول الأهواء والفرق الأولى (الشيعة والخوارج) بدأت من الفتنة عن عثمان، وأصول الرفض بدأ من السبئية والفرس والمجوسية واليهودية والنصرانية، وأصول التصوف بدأت من بدع العبَّاد والنساك الجهلة ومن الخوارج والرافضة ثم الديانات الهندية والنصرانية والفلاسفة.

وأصول القدر بدأت من النصارى واليهود ثم الفلاسفة.

وأصول التجهم والاعتزال بدأت من الدهرية والسُّمنية والفلاسفة والصابئة.

وأصول الكلام بدأت من الفلاسفة والصابئة والجهمية والمعتزلة والرافضة.

وأصول الباطنية بدأت من الزنادقة والرافضة والفلاسفة وسائر الديانات والنحل.. وهكذا.

٧ ـ أن بعض البدع قد تنشأ عن زلة أو هفوة أو غفلة ممن ينسب لأهل العلم أو الاستقامة، كما حصل من بعض العبَّاد، وبعض الولاة وبعض المنتسبين للعلم، لكن لا يمكن أن يقرها أهل العلم المقتدى بهم في الدين، ولا يمكن أن يلتبس أمرها على العلماء وأهل الفقه في الدين، إنما يكون فيها فتنة وابتلاء لأهل الأهواء والجاهلين.

٨ ـ أن ما كان النبي ﷺ يحذر منه أمته قد وقع مثل: التنازع والاختلاف والافتراق، والبدع والمحدثات في الدين، والركون للدنيا، وكثرة الفتن، وغربة الحق وأهله، واتخاذ القبور مساجد، ونقض عرى الإسلام، وضياع الأمانة، وغير ذلك كثير.

٩ ـ أن ذلك كله لا يعني غياب الحق، وفساد الدين، وخفاء السنّة، بل الدين باق، والحق ظاهر، والحجة قائمة، والإسلام محفوظ بحفظ الله له، بحفظ الكتاب والسنّة، وببقاء طائفة على الحق ظاهرة، لا يضرها من خذلها ولا من عاداها إلى أن يأتي أمر الله.

١٠ ـ أن الحق لا يعرف بالكثرة والعدَد، إنما يعرف بالتزام السنّة واتباع الأثر، فأكثر الناس عدداً هم على طريق الضلالة وفي سبيل الغواية والبدع والمحدثات والأهواء، فيجب على المسلم أن لا يعوِّل على العددية والكثرة. إنما الحق ما وافق السنّة ولو قل أهله.

١١ ـ أن أسباب الأهواء والافتراق والبدع وأصولها واحدة قديماً وحديثاً ـ وهي تزداد ولا تنقص. لكنها مع ظهور الحق واستعلاء أهله تضعف وتنحسر وتضمر وتتراجع، ومع كثرة الفساد والخبث والجهل تظهر وتعود وتقوى وتنتشر.

١٢ ـ أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلاَّ ما صلح به أولها. وأنه لا عز ولا تمكين للمسلمين إلاَّ بالتخلص من أوضار البدع والأهواء والمحدثات في الدين، وبالرجوع إلى السنّة واتباع سلف الأمة، وما يستلزمه ذلك من الأخذ بالأسباب، وإعداد القوة المعنوية والمادية التي سبيلها الأولى تحقيق التوحيد، والعمل بشرع الله.

ولا نزال نرى (بحمد الله) بوادر صلاح أبناء المسلمين وبشائر النصر والتمكين تلوح في الأفق، وأعلام السنّة ترتفع في ربوع الأرض.

وأخيراً أوصي نفسي وإخواني المسلمين بتقوى الله تعالى، ومراقبته تعالى في السر والعلن، وبذل النصح لكل مسلم، وعدم اليأس من رحمة الله تعالى، والبعد عن التشاؤم، وامتثال قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٢٠٠﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠]. فإن النصر والأجر مشروطان بالصبر وإن الله مع الصابرين.



الفصل الثالث

مناهج أهل الأهواء والافتراق والبدع



توطئة

مما دفعني إلى تخصيص هذا الفصل ما رأيته من خلال القراءة والسماع من اختلاط الأمور على كثير من شباب الأمة ومثقفيها ومفكريها، أعني خلطهم بين مناهج أهل الحق ومناهج أهل الباطل، وبين أصول الحق، وأصول الباطل، وبين سمات الصالحين المهتدين وسمات المنحرفين والضالين.

وما نتج عنه من عدم التفريق بين السنة وأهلها والبدعة وأهلها. بل وصل الأمر ببعض من يرفعون لواء الدعوة إلى الله أن رفعوا شعار (لا سنة ولا بدعة).

واستعار كثير منهم مناهج أهل الأهواء وأصولهم وسماتهم وسلك سبيلهم، في العقيدة والدعوة ومناهجها وأساليبها، وفي العبادات والسلوك أو بعض ذلك.

نعم، لقد تأثرت كثير من الحركات الإسلامية المعاصرة بمناهج أهل الأهواء والافتراق والبدع وأصولهم وسماتهم، من مقلّ أو مكثر. مما يستدعي ضرورة النصح والتحذير، ببيان مسالك أهل الأهواء قديماً، وإيضاح مناهج السلف من خلال ذلك، ومواقفهم.

هذا بالإضافة إلى أن طوائف كثيرة من المسلمين لا تزال على الأهواء والافتراق والمبتدعات، فالرفض والتشيع والزندقة والتجهم والاعتزال

والخروج والتصوف والإرجاء والجبر وغيرها من أصول الافتراق لا تزال لها أتباع ودعاة وحماة.

لذا لزم البيان والله المستعان.

وقد حرصت على ذكر مناهج أهل الأهواء وسماتهم وأصولهم على جهة التفصيل من خلال النُصوص وآثار أهل العلم وأقوالهم، مع الإشارة بالمقابل إلى المنهج الحق، منهج أهل السنة والجماعة، أئمة الدين المهتدين القدوة الذين شهدت لهم الأمة بالإمامة والفضل.

كما حرصت كذلك أن يكون العرض لمذاهب أهل الضلالة متضمناً للرد دون إطالة؛ تقريباً للفائدة، ودفعاً للملل.

ومما يحسن تنبيه القارىء له أن مناهج أهل الأهواء وأصولهم وسماتهم قديماً وحديثاً واحدة، إنما قد تختلف الشعارات والأساليب والوسائل مع اختلاف الزمان والمكان. بل إن أصول الانحراف في جميع الأمم والديانات قديماً قبل الإسلام وبعده متشابهة يدل لذلك قول النبي ﷺ: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع...**» الحديث[1]. فقوله ﷺ: «**شبراً بشبر وذراعاً بذراع**» يدل على تطابق الوصف، وتوافق المناهج، واتفاق أصول الانحراف والضلالة في الأمم كلها.



(١) أخرجاه في الصحيحين، راجع ص (٥٩).

تمهيد

ويشمل: ضوابط عامة بين يدي هذا الفصل، وهي:

(أ) المقصود بالمناهج:

أعني بمناهج أهل الأهواء والافتراق: طريقتهم في تلقي الدين وتقريره، ووسائلهم وأساليبهم في ذلك، ويشمل ذلك:

١ ـ مصادرهم وطريقتهم في الاستدلال.

٢ ـ أصولهم وطريقتهم في تقرير عقائدهم وبدعهم، والدعوة إليها والدفاع عنها.

٣ ـ كما يشمل مواقفهم من القرآن والسنّة وآثار السلف، ومواقفهم من الآخرين، بما في ذلك موقفهم من أهل السنة وموقفهم من خصومهم، ومواقف بعضهم من بعض.

٤ ـ وطريقتهم في التعامل مع الأحداث والقضايا التي تهم الأمة.

(ب) المقصود بالسمات:

السمات أعني بها: العلامات والخصائص التي تميزهم، أو أكثرهم، أو بعضهم (وهذا قليل)، سواء كانت سلوكية أو عقدية، أو تعبدية، أو أخلاقية، أو علمية، أو نحوها، (سوى المناهج).

(ج) أن الحكم على الغالب:

الحكم في هذه المناهج والسمات على الأغلب من أهل الأهواء والافتراق لا على جميعهم، إذ قد تتخلف فرقة أو طائفة أو أكثر في بعض المناهج أو الصفات أو الخصائص.

كما أن هذه الأحكام لا تشمل جميع أشخاصهم، وإنما الحكم على أصولهم ورؤوسهم ومناهجهم وعمومهم (غالبيتهم).

فمثلاً عندما نقول: إن من سمات أهل الأهواء والفرق الكذب، فإن هذا لا يشمل جميع الفرق ولا جميع الأشخاص من أهل الأهواء، إنما يشمل الأغلب. فالخوارج لم يعرف عنهم الكذب، أما الرافضة والجهمية والمعتزلة والباطنية وغلاة المتصوفة، وغلاة المتكلمين والفلاسفة فقد جُرب عليهم الكذب، وهم يتفاوتون في ذلك، فالرافضة: الأصل في أصولهم الاعتماد على الكذب، أما غيرهم فهم دونهم، على تفاوت بينهم كذلك.

(د) الحكم على الرؤوس، والأتباع مقلدون غالباً:

ثم إن أكثر هذه الأمور التي سأذكرها في المناهج والسمات الحكم فيها مستنتج من خلال أعمال شيوخهم ورؤوسهم ومنظريهم سواء عمت سائر الأتباع أم لا؛ لأن الأتباع الذين لم يخترعوا ولم يبتدعوا ولم يؤصلوا ولم ينظروا إنما هم بحكم الرعاع التابع والهمج المقلِّد، إنما هم أهل أهواء وبدع وافتراق بالتبع، وحكمهم في العموم حكم متبوعهم، كما أسلفت في الفصل الأول[1].

---

(١) انظر الفصل الأول ص ١٩٧ ــ ٢٠٠.

(هـ) صعوبة التمييز بين السمات والمناهج:

ونظراً لأني وجدت ــ بعد النظر والتأمل ــ أنه من الصعب الفصل بين المناهج والسمات؛ لأن بعض المناهج تعد سمات، وبعض السمات تعد مناهج، وأكثر المناهج تستلزم بعض السمات، وأكثر السمات يتضمن بعض المناهج، فقد رأيت أن أدمجها في سياق واحد، مع الإشارة إلى كل فقرة ما إذا كانت منهجاً أو سمة أو هما معاً. على وجه التغليب لا الجزم.

هذا وسأعرض المناهج والسمات إجمالاً في مبحث مستقلٍّ ابتداءً، ثم أذكر شيئاً منها على جهة التفصيل، مع الاستشهاد بالنصوص أو أقوال الأئمة في ذلك.

سائلاً الله تعالى العون والتوفيق والسداد والرشاد.



(١)

الملامح العامة لمناهج
أهل الأهواء وأصولهم وسماتهم

يمكن تلخيص السمات العامة والأصول والمناهج لأهل الأهواء بالأمور التالية:

(أ) ما تتميز به كل فرقة:

رغم أن غالب السمات لأهل الأهواء تشمل سائرهم إلاَّ أن المتأمل لحال كل فرقة من الفرق الكبرى يجد لها سمات تميزها عن الفرق الأخرى، على النحو التالي:

١ ـ فالجهمية تتميز بالتعطيل (أي إنكار أسماء الله وصفاته والسمعيات).

٢ ـ والمعتزلة تتميز بالقدر وإنكار صفات الله تعالى وبعض السمعيات.

٣ ـ والخوارج تتميز بالتكفير والخروج، والتشدد في الدين.

٤ ـ والرافضة تتميز بالكذب وقصب السَّلف (أي سب الصحابة وأئمة الهدى)، والتقية (النفاق)، والشركيات والبدع والمقابرية[١].

٥ ـ والصوفية تتميز بالتلوُّن[٢] والابتداع، والأوراد البدعية، والقصائد البدعية والغناء والمقابرية.

---

(١) المقابرية: التعلق ببدع القبور والمشاهد.

(٢) التلون هو: التقلب والاضطراب في العقيدة وعدم الثبات على أمر في الدين، والتعامل حسب الأحوال والظروف بالهوى، لا بما يوافق الشرع.

٦ ـ والباطنية تتميز بالزندقة والإلحاد والغَدْر.

٧ ـ والفلاسفة تتميز بتجهيل الأنبياء وأتباعهم، والإعراض عن الدين.

٨ ـ والفرق الكلامية (الأشاعرة والماتريدية) تتميز بالتأويل والإرجاء.

٩ ـ والاتجاهات الفكرية والأدبية تتميز برقة الدين وقلة الفقه فيه غالباً.

(ب) الأصول والمناهج والسمات العامة لسائر أهل الأهواء والافتراق:

وتتمثل في:

١ ـ الخلط في مصادر التلقي:

المنهج الحق منهج السلف، أهل السنّة والجماعة يقوم على: أن مصادر الدين: الكتاب والسنّة، والإجماع (وهو مبني عليهما)، وما عدا ذلك فهو باطل؛ لأنه بموت النبـي ﷺ انقطع الوحي، وقد أكمل الله تعالى الدين، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٣]، والرسول ﷺ قد أدى الرسالة وبلغ الأمانة، وقال ﷺ: **(تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض)**[١].

والدين الحق يقوم على التسليم والتصديق والاتباع، وهو دين الله تعالى، أنزله على رسوله ﷺ بالوحي وأكمله، فليس لأحد أن يحدث شيئاً زاعماً أنه من الدين، لأن النبـي ﷺ قال: **(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)**[٢].

أما أهل الأهواء فقد تفرقت بهم السبل في مصادر تلقي الدين، فجعلوا من مصادر الدين:

---

(١) صحيح الجامع الصغير (٢٩٣٤) ٣/٣٩.

(٢) متفق عليه.

١ ـ العقليات والأوهام والظنون (لدى سائر الفرق)، وهي من وساوس الشياطين وأوليائهم، ومن اتباع الظن وما تهوى الأنفس.

٢ ـ الفلسفة (لدى سائر الفرق) وتقوم على أفكار الملاحدة والمشركين من الصابئة واليونان والهنود والدهريين ونحوهم.

٣ ـ عقائد الأمم الأخرى ومصادرها (لدى سائر الفرق) مثل كتب أهل الكتاب وأقوالهم، والمجوس والصابئة، والديانات الجاهلية.

٤ ـ الوضع والكذب (لدى الرافضة والصوفية وغالب الفرق) ومصدره الزنادقة ورؤوس أهل البدع، فإنهم يكذبون على النبي ﷺ وعلى الصحابة والتابعين وأئمة الهدى وسائر الناس، ومن ناحية أخرى قد يضعون الأحاديث والروايات بأسانيد وهمية.

٥ ـ الرؤى والأحلام والكشف والذوق (لدى الصوفية والرافضة) ومصدرها الأهواء وإيحاء الشياطين.

٦ ـ المتشابه والغريب والشاذ من الأدلة الشرعية واللغة وأقوال الناس (لدى سائرهم).

٧ ـ الاعتماد على آراء الرجال دون عرضها على الشرع، أو القول بعصمتهم وتقديسهم (لدى الرافضة والصوفية وسائر الفرق).

٢ ـ الخلل في منهج الاستدلال:

قبل أن أعرض مناهج أهل الأهواء في الاستدلال ينبغي أن أذكر المنهج الشرعي السليم ليكون الميزان وهو:

منهج الاستدلال عند أهل السنّة والجماعة يقوم على الأسس التالية:

١ ـ حصر الاستدلال في الدليل الشرعي (الوحي) في الدين. أما الدليل العقلي فهو رافد لا يستقل بتقرير الدين.

٢ ـ مراعاة قواعد الاستدلال، فلا يضربون الأدلة الشرعية بعضها ببعض، بل يردون المتشابه إلى المحكم، والمجمل إلى المبين، ويجمعون بين نصوص الوعد والوعيد، والنفي والإثبات، والعموم والخصوص، ويقولون بالنسخ، ونحو ذلك.

٣ ـ يعملون بكل ما صح من الأدلة الشرعية دون تفريق بين آحاد وغيره.

٤ ـ يعتمدون تفسير القرآن بالقرآن، والقرآن بالسنّة والعكس، ويعتمدون معاني لغة العرب ولسانهم؛ لأنها لغة القرآن والسنّة، ويردون ما يخالف ذلك.

٥ ـ يعتمدون تفسير الصحابة وفهمهم للنصوص، وأقوالهم وأعمالهم وآثارهم؛ لأنهم أصحاب رسول الله ﷺ وعاشوا وقت تنزل الوحي، وأعلم باللغة ومقاصد الشرع، ثم آثار السلف الصالح أئمة الهدى الذين هم بهم مقتدون.

٦ ـ ما بلغهم وعلموه من الدين عملوا به وما اشتبه عليهم علمه ـ كبعض نصوص الغيبيات والقدر ـ يسلمون به، ويردون علمه إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ ولا يخوضون فيه.

٧ ـ يتجنبون الألفاظ البدعية في العقيدة (كالجوهر والعرض والجسم) لاحتمالها للخطأ والصواب؛ ولأن في ألفاظ الشرع غنى وكمال.

٨ ـ يتجنبون المراء والخصومات، ولا يجادلون إلاَّ بالتي هي أحسن.

٩ ـ ينفون التعارض بين العقل السليم والفطرة وبين نصوص الشرع، وبين الحقيقة والشريعة، وما يتوهمه أهل الأهواء من التعارض بين العقل والنقل، فهو من عجز عقولهم وقصورها.

١٠ ـ يتجنبون التأويل ـ بغير دليل شرعي صريح ـ لأنه قول على الله بغير علم.

١١ ــ يعنون بالإسناد وثقة الرواة وعدالتهم لحفظ الدين.

أما منهج الاستدلال عند أهل الأهواء والبدع والافتراق إجمالاً، فإنه يقوم على الأسس التالية:

١ ــ عدم حصر الاستدلال على الدليل الشرعي، حتى في العقائد (وهي توقيفية) فإنهم يستدلون بالظنيات والأوهام، والفلسفات، ويسمونها (العقليات)، كما يستدلون بالحكايات والأساطير وما لا أصل له، وبالأحاديث الموضوعة والآثار المكذوبة، وآراء الرجال في الدين، وما يسمونه الكشف والذوق والأحلام ونحو ذلك.

٢ ــ لا يراعون قواعد الاستدلال، فيتبعون المتشابه ولا يردونه إلى المحكم ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٧]، ويستدلون بالمجمل ولا يردونه إلى المبين، ولا يجمعون بين نصوص الوعد والوعيد، ولا النفي والإثبات، ولا العموم والخصوص.

٣ ــ يردون ما لا يوافق أصولهم وأهواءهم من نصوص الشرع.

٤ ــ يفسرون نصوص الشرع بأهوائهم، فلا يعتمدون تفسير بعضها ببعض، ولا يعتمدون معاني اللغة.

٥ ــ لا يعتمدون تفسير الصحابة والسلف، ولا فهمهم للنصوص، ولا آثارهم وعملهم وهديهم، بل يجانبونهم، ويتبعون غير سبيل المؤمنين.

٦ ــ يخوضون فيما نهى الله عنه من نصوص القدر والصفات والسمعيات ونحوها ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٧].

٧ ـ يعتمدون الألفاظ البدعية في الصفات وسائر العقيدة (كالجسم والعرض والجوهر).

٨ ـ يقوم منهجهم على المراء والخصومات والجدال بالباطل.

٩ ـ يتوهمون التعارض بين العقل والشرع، وبين الحقيقة والشريعة، وبين أصولهم والشرع، ثم يحكِّمون أهواءهم وأصولهم وعقلياتهم الفاسدة، ويقدمونها على الشرع.

١٠ ـ يعتمدون التأويل في العقيدة، ويقولون على الله بغير علم ﴿ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٧].

١١ ـ ليس لهم عناية بالإسناد، لتعويلهم على الأهواء، وآراء الرجال، والوضع؛ وما لا أصل له.

(ج) أنواع المناهج عند أهل الأهواء (في التلقي والاستدلال):

ومن جانب آخر يمكن أن نقسم مناهج أهل الأهواء في التلقي والاستدلال إلى ثلاثة مناهج رئيسة:

المنهج الأول: المنهج الحرفي في الموقف من النصوص وتفسيرها، والاستنباط منها، كما عند الخوارج والظاهرية. فلا يعولون على فقه النصوص والاستنباط منها كما يفعل السلف.

المنهج الثاني: المنهج التأويلي، أي: تأويل النصوص على غير ما هو معروف عند أهلها (كالصحابة والتابعين وأئمة الدين واللغة) لتسلم أصولهم الفاسدة، كما عند الجهمية والمعتزلة، ثم أهل الكلام من متأخري الأشاعرة والماتريدية، وبعض الصوفية والشيعة، ومتأخري الخوارج.

المنهج الثالث: المنهج الباطني والإشاري والرمزي، أي: اعتقاد أن

النصوص لها تفسير باطني مخالف لمعانيها الظاهرة المفهومة لدى السامعين، توافق أصولهم الفاسدة، كما عند الرافضة، والباطنية، والفلاسفة، وغالب الصوفية، وأهل الحداثة.

هذا.. وفي المبحث الثاني سأعرض بعض الأمور التفصيلية في مناهج أهل الأهواء والافتراق والبدع، وسماتهم، مع الاستشهاد بالنصوص، وأقوال أهل العلم، وضرب بعض الأمثلة والشواهد بما يتسع له البحث إن شاء الله.



(٢)
مناهج أهل الأهواء
والبدع والافتراق وسماتهم تفصيلاً

مناهج أهل الأهواء في الدين كثيرة ومضطربة ومتناقضة في مفرداتها، لكنها تتشابه في أصولها العامة. وببعض الاستقراء والبحث، وجمع طائفة من أقوال أهل العلم تحصَّل عندي جملة من مناهج أهل الأهواء وسماتهم وأصولهم التي فارقوا بها السنّة والجماعة وسبيل المؤمنين ونهج المرسلين في الدين، ومن ذلك:

(١)
الخلل والإخلال في منهج التلقي والاستدلال

ومن ذلك:

١ ــ رد النصوص التي تخالف أصولهم (منهج وسمة):

من المناهج العامة والسمات المشتركة لعامة أهل الأهواء أنهم يردون نصوص الوحي من القرآن والسنّة إذا خالفت أهواءهم، أو عارضت أصولهم الفاسدة، وقواعدهم الباطلة.

وفي ذلك يقول الشاطبي: «ومنها ضد هذا، وهو ردهم للأحاديث التي جرت غير موافقة لأغراضهم ومذاهبهم، ويدعون أنها مخالفة للمعقول،

وغير جارية على مقتضى الدليل، فيجب ردها: كالمنكرين لعذاب القبر، والصراط، والميزان، ورؤية الله ــ عز وجل ــ في الآخرة، وكذلك حديث الذباب وقتله، وأن في أحد جناحيه داء وفي الآخر دواء، وأنه يقدم الذي فيه الداء. وحديث الذي أخذ أخاه بطنُه فأمره النبي ﷺ بسقيه العسل، وما أشبه ذلك من الأحاديث الصحيحة المنقولة نقل العدول، ربما قدحوا في الرواة من الصحابة والتابعين ــ رضي الله تعالى عنهم ــ وحاشاهم ــ وفيمن اتفق الأئمة من المحدثين على عدالتهم وإمامتهم»[1].

وتبعاً لذلك يردون أقوال الصحابة وآثار السلف، وفقههم للنصوص، مع أن الصحابة والتابعين وعلماء الإسلام، أعلم من أهل الأهواء ــ بالضرورة ــ بمراد الله وأفقه لدين الله، ومنهجهم في الدين أعلم وأسلم وأحكم. لكن أهل الأهواء لا يفقهون.

يقول الشاطبي عن أهل البدع: «وربما ردوا فتاويهم ــ يعني الصحابة والتابعين ــ وقبحوها في أسماع العامة، لينفروا الأمة عن اتباع السنّة وأهلها، كما روي عن أبي بكر بن محمد أنه قال: قال عمرو بن عبيد: «لا يعفى عن اللص دون السلطان» ــ قال: فحدثته بحديث صفوان بن أمية عن النبي ﷺ حيث قال: (**فهلا قبل أن تأتيني به**)، قال: أتحلف بالله أن النبي ﷺ قاله؟ قلت: أتحلف أنت بالله أن النبي ﷺ لم يقله؟ فحدثت به ابن عوف قال: فلما عظمت الحلقة قالوا: يا أبا بكر حدث. وقد جعلوا القول بإثبات الصراط والميزان والحوض قولاً بما لا يعقل، وقد سئل بعضهم: هل يكفر من قال برؤية الباري في الآخرة؟ فقال: لا يكفر؛ لأنه قال ما لا يعقل، ومن قال بما لا يعقل فليس بكافر. وذهبت طائفة إلى نفي أخبار

---

(١) الاعتصام ١/ ٢٣١.

الآحاد جملة، والاقتصار على ما استحسنته عقولهم في فهم القرآن، حتى أباحوا الخمر بقوله: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ . . .﴾ الآية، ففي هؤلاء وأمثالهم قال رسول الله ﷺ: «**لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه**»[١]، وهذا وعيد شديد تضمنه النهي لاحق بمن ارتكب رد السنة»[٢].

وقال: «أن عامة المبتدعة قائلة بالتحسين والتقبيح، فهو عمدتهم الأولى، وقاعدتهم التي يبنون عليها الشرع، فهو المقدم في نحلهم بحيث لا يتهمون العقل، وقد يتهمون الأدلة إذا لم توافقهم في الظاهر، حتى يردوا كثيراً من الأدلة الشرعية، وقد علمت ـ أيها الناظر ـ أنه ليس كل ما يقضي به العقل يكون حقاً. ولذلك تراهم يرتضون اليوم مذهباً ويرجعون عنه غداً، ثم يصيرون بعد غد إلى رأي ثالث»[٣].

وقال: «ومنه دعاوى أهل البدع على الأحاديث الصحيحة مناقضتها للقرآن، أو مناقضة بعضها بعضاً، وفساد معانيها أو مخالفتها للعقول ـ كما حكموا بذلك في قوله ﷺ للمتحاكمين إليه: (**والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله: مائة الشاة والخادم ردٌّ عليك، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام، وعلى المرأة هذه الرجم واغدُ يا أُنَيْس على امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها، فغدا عليها فاعترفت، فرجمها**) ـ قالوا: هذا مخالف لكتاب الله؛ لأنه قضى بالرجم والتغريب، وليس للرجم ولا التغريب في

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، وأبو داود؛ والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٧٠٤٩).

(٢) الاعتصام ١/ ٢٣٢.

(٣) الاعتصام ١/ ١٤٤.

كتاب الله ذكر، فإن كان الحديث باطلاً فهو ما أردنا، وإن كان حقاً فقد ناقض كتاب الله بزيادة الرجم والتغريب»[1].

وقال شيخ الإسلام في أهل الأهواء: «يردون الأحاديث التي تعارض مقولاتهم ــ وإن كانت صحيحة ــ كما فعل الجبّائي في رد حديث احتجاج آدم وموسى»[2].

قلت: هذا مجرد مثال لا يخص شخصاً أو أشخاصاً منهم، بل نجد أن رد الأحاديث من أصول أهل الأهواء ومناهجهم وسماتهم الثابتة، كما فعلت القدرية في رد أحاديث القدر كحديث الصادق المصدوق.

وكما فعلت الجهمية والمعتزلة في رد أحاديث الرؤية والشفاعة، وأحاديث الصفات.

وكما فعلت الخوارج في رد أحاديث الوعد والشفاعة.

وكما فعلت الرافضة في رد سائر السنّة التي رواها الصحابة.

وكما فعلت الصوفية والمقابرية في رد الأحاديث التي تنهى عن الابتداع.

ومن ذلك استدلالهم بالضعيف والموضوع وما لا أصل له، وترك الدليل الأقوى والأصح.

قال شيخ الإسلام: «ومن ذلك أن أحدهم يحتج بكل ما يجده من الأدلة السمعية، وإن كان ضعيف المتن والدلالة، ويدع ما هو أقوى وأبين من الأدلة العقلية، إما لعدم علمه بها، وإما لنفوره عنها، وإما لغير ذلك، وفي مقابلة هؤلاء من المنتسبين إلى الإثبات، بل إلى السنّة والجماعة أيضاً،

---

(١) الاعتصام ١/ ٢٤٦.

(٢) انظر: منهاج السنّة ٣/ ٧٩.

من لا يعتمد في صفات الله على أخبار الله ورسوله، بل قد عدل عن هذه الطريق وعزل الله ورسوله عن هذه الولاية، فلا يعتمد في هذا الباب إلاَّ على ما ظنه من المعقولات، ثم هؤلاء مضطربون في معقولاتهم أكثر من اضطراب أولئك في المنقولات، تجد هؤلاء يقولون: إنا نعلم بالضرورة أمراً، والآخرون يقولون: نعلم بالنظر أو بالضرورة ما يناقضه، وهؤلاء يقولون: العقل الصريح لا يدل إلاَّ على ما قلناه، والآخرون يناقضونهم في ذلك»[1].

وقال: «وأهل الكلام الذين ذمَّهم السلف لا يخلو كلام أحدٍ منهم عن مخالفة السنّة، وردٌّ لبعض ما أخبر به الرسول، كالجهمية والمشبِّهة، والخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة»[2].

لذلك كان السلف يتهمون كل من تردد في قبول الأحاديث أو ردَّ شيئاً منها.

قال البربهاري: «وإذا سمعت الرجل يطعن على الآثار ولا يقبلها، أو ينكر شيئاً من أخبار رسول الله ﷺ فاتهمه على الإسلام، فإنه رجل رديء المذهب والقول»[3].

٢ ـ دعوى بعضهم أن النصوص لا تفي بالدين وتفصيلات العقائد (منهج):

وهم في هذا صنفان: صنف يقول به صراحة. وصنف يُعَدُّ ذلك من لوازم مذهبه، قال شيخ الإسلام في قول بعض أهل الكلام وغيرهم بأن النصوص لا تفي بالشريعة كلها، أو قولهم بأن النصوص لا تفي بعشر معشار الشريعة:

---

(١) الصفدية ١/ ٢٩٤.

(٢) درء التعارض ٧/ ١٨٢.

(٣) شرح السنّة للبربهاري ٣٥.

«هذا القول قاله طائفة من أهل الكلام والرأي كأبـي المعالي وغيره، وهو خطأ، بل الصواب الذي عليه جمهور أئمة المسلمين أن النصوص وافية بجمهور أحكام أفعال العباد. ومنهم من يقول: إنها وافية بجميع ذلك، وإنما أنكر ذلك من أنكره لأنه لم يفهم معاني النصوص العامة التي هي أقوال الله ورسوله وشمولها لأحكام أفعال العباد، وذلك أن الله بعث محمداً ﷺ بجوامع الكلم، فيتكلم بالكلمة الجامعة العامة التي هي قضية كلية وقاعدة عامة تتناول أعياناً لا تحصى، فبهذا الوجه تكون النصوص محيطة بأحكام أفعال العباد»[(١)].

وقـال الشاطبـي: «وثبت أن النبـي ﷺ لم يمت حتى أتى ببيان جميع ما يحتاج إليه في أمـر الدين والدنيا، وهذا لا مخالف عليه من أهل السنّة، فإن كان كذلك، فالمبتدع إنما محصول قوله بلسان حاله أو مقاله: إن الشريعة لم تتم، وأنه بقي منها أشياءُ يجب أو يستحب استدراكها؛ لأنه لو كان معتقداً لكمالها وتمامها مـن كـل وجه لم يبتدع ولا استدرك عليها، وقائل هذا ضال عن الصراط المستقيم. قال ابن الماجشون: سمعت مالكاً يقول: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فما لم يكن يومئذٍ ديناً، فلا يكون اليوم ديناً»[(٢)].

٣ ــ ومن ذلك رد الوحي بقواعد محدثة وأوهام (منهج):

أهل الأهواء لا يتورعون عن رد الوحي المنزل من الله تعالى بقواعدهم الفاسدة المحدثة، وفي هذا مشاقة لله تعالى وللرسول ﷺ.

---

(١) الفتاوى ١٩/ ٢٨٠.

(٢) الاعتصام ١/ ٤٩.

يقول الشاطبي: «والثالث: أن المبتدع معاند للشرع ومشاق له؛ لأن الشارع قد عين لمطالب العبد طرقاً خاصة على وجوه خاصة، وقصر الخلق عليها بالأمر والنهي والوعد والوعيد، وأخبر أن الخير فيها، وأن الشر في تعديها، إلى غير ذلك؛ لأن الله يعلم ونحن لا نعلم، وأنه إنما أرسل الرسول ﷺ رحمة للعالمين، فالمبتدع راد لهذا كله، فإنه يزعم أن ثم طرقاً أُخر»[1].

وقال ابن القيم: «وجاء أفضل متأخريهم[2] فنصب على حصون الوحي أربعة مجانيق:

الأول: أنها أدلة لفظية لا تفيد اليقين.

الثاني: أنها مجازات واستعارات لا حقيقة لها.

الثالث: أن العقل عارضها فيجب تقديمه عليها.

الرابع: أنها أخبار آحاد، وهذه المسائل علمية فلا يجوز أن يحتج فيها بالأخبار»[3].

وقال ابن القيم أيضاً: «إن هؤلاء المعارضين للوحي بعقولهم ارتكبوا أربع عظائم:

إحداها: ردهم نصوص الأنبياء ــ صلوات الله وسلامه عليهم ــ، **الثانية**: إساءة الظن [به]، وجعله منافياً للعقل، مناقضاً له، **الثالثة**: جنايتهم على العقل بردهم ما يوافق النصوص من المعقول، فإن موافقة العقل للنصوص التي زعموا أن العقل يردها أظهر للعقل في معارضته لها، **الرابعة**:

---

(١) المرجع السابق.

(٢) يقصد أمثال أبي المعالي الجويني وابن الخطيب الرازي قبل رجوعهما عن الكلام.

(٣) الصواعق ٣/ ١٠٣٩.

تكفيرهم أو تبديعهم وتضليلهم لمن خالفهم في أصولهم التي اخترعوها، وأقوالهم التي ابتدعوها، مع أنها مخالفة للعقل والنقل، فصوبوا رأي من تمسك بالقول المخالف للعقل والنقل، وخطَّؤوا من تمسك بما يُوافِقُها، وراج ذلك على من لم يجعل الله له نوراً، ولم يشرق على قلبه نور النبوة»[1].

أنهم جعلوا ظنونهم وأوهامهم (يقينيات)، وجعلوا (كلام الله ورسوله) ظنيات، وهذا غرور وتخليط، فكان أسلافهم الفلاسفة القدامى خيراً منهم حين قرروا أن العلم الإلٰهي لا سبيل إلى اليقين فيه، إنما الغاية من الكلام فيه الأخذ بالأولى والأخلق، كما ذكر ذلك الرازي في المطالب العالية، لكنه يخالف ذلك في مسلكه الكلامي أحياناً، ويضطرب في غالب الأحيان[2].

٤ ــ فساد تصورهم عن النبوة ومن ثم الوحي وكلام الله (منهج وسمة):

من أسباب تمادي أهل الأهواء في ضلالاتهم، أنهم يضعون القاعدة الفاسدة، ويبنون عليها أحكاماً فاسدة كذلك، ثم يجرهم ذلك إلى قواعد جديدة باطلة، وهكذا تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، ومن ذلك تصورهم الفاسد عن حقيقة النبوة.

قال ابن القيم: «وكذلك الطريق التي سلكوها في إثبات النبوة، لم يثبتوا بها نبوة في الحقيقة، فإنهم بنوها على مجرد خرق العادة، وهو مشترك بين النبـي وغيره، وحاروا في الفرق، فلم يأتوا فيه بما يثلج له الصدر، ولا يحصل به برد اليقين، مع أن النبوة التي أثبتوها لا ترجع إلى وصف وجودي،

---

(١) الصواعق المرسلة ٢/ ٩٨٨، ٩٨٩.

(٢) بيان تلبيس الجهمية ٢/ ٢٥٢ (تحقيق الدكتور محمد اللاحم)؛ وانظر: المطالب العالية ١/ ٤١؛ وما بعدها.

بل هي تعلق الخطاب الأزلي بالنبـي، والتعلق عندهم أمر عدمي، فعادت النبوة عندهم إلى أمر عدمي، وقد صرحوا بأنها لا ترجع إلى صفة ثبوتية قائمة بالنبـي، وأيضاً فحقيقة النبوة والرسالة إنباء الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ، وأمره بتبليغ كلامه إلى عباده، وعندهم أن الله لا يتكلم، ولا يقوم به كلام»[1].

٥ ــ زعمهم الاكتفاء بالقرآن (منهج وسمة):

هذه السمة وإن لم تكن مطردة عند أكثر أهل الأهواء، إلاَّ أنهم يلجؤون إليها عندما تتصادم أصولهم الفاسدة مع الأحاديث الصحيحة.

يقول البربهاري: «إذا سمعت الرجل تأتيه بالأثر فلا يريده، ويريد القرآن، فلا تشك أنه رجل قد احتوى على الزندقة، فقم من عنده ودعه»[2].

فهم يزعمون أنهم يكتفون بالقرآن، وهذا حجة عليهم، فإن القرآن أوجب طاعة الرسول ﷺ واتباعه، وسؤال أهل الذكر، واتباع سبيل المؤمنين، وقد حذر النبـي ﷺ من هؤلاء الذين يزعمون الاكتفاء بالقرآن.

٦ ــ الطعن في خبر الآحاد (منهج):

كان الصحابة والتابعون وسائر السلف في القرون الثلاثة وما بعدها، يأخذون بكل ما صح عن رسول الله ﷺ دون تفريق بين الآحاد وغيره، ودون تفريق بين العمل والاعتقاد، ولم يخالف في ذلك إلاَّ طوائف من الجهمية والمعتزلة والخوارج ومن سلك سبيلهم، ثم تجرأ أهل الكلام المتأخرون على ذلك، ومن أشهر من طعن في خبر الآحاد الرازي، وهو منهج أهل الكلام من الأشاعرة ومن سلك سبيلهم، يقول الرازي: «إن أخبار الآحاد

---

(١) الصواعق ٣/ ٩٨٧.

(٢) شرح السنّة للبربهاري ٥٤.

مظنونة فلم يجز التمسك بها في معرفة الله تعالى وصفاته»[1].

ثم قال: «إن أجل طبقات الرواة قدراً وأعلاهم منصباً الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ، ثم إنا نعلم أن روايتهم لا تفيد القطع واليقين»[2]. وذكر أن سبب ذلك طعن بعضهم ببعض، وكلامه يشبه كلام الرافضة هنا حيث سرد أموراً زعم أنها مطاعن في الصحابة، وأن بعضهم يطعن في بعض[3]، ثم هو يلمز السلف رواة الحديث، بأنهم راجت عليهم ــ لسلامة قلوبهم ــ الأحاديث المنكرة، حيث يقول: «وأن جماعة من الملاحدة وضعوا أخباراً منكرة واحتالوا في ترويجها على المحدِّثين، والمحدثون لسلامة قلوبهم ما عرفوها، بل قبلوها»[4].

قلت: حسبنا الله ونعم الوكيل. فإذا كانت هذه حال رواة الأحاديث العدول الثقاة عند الرازي وأمثاله، فما بقي للأمة من دينها؟ وكذلك البغدادي وهو من رؤوس أهل الكلام (الأشاعرة)، يقول: «وأما أخبار الآحاد فمتى صح إسنادها وكانت متونها غير مستحيلة في العقل كانت موجبة للعمل بها دون العلم»[5]، قلت: والحمد لله أنه ليس في أخبار الآحاد الثابتة ما يحيله العقل، اللهم إلاَّ العقول الفاسدة، ولا اعتبار لها، فتأمل حفظك الله.

وهذا الذي يزعمونه خلاف منهج السلف كما أسلفت، فإن التفريق بين خبر الآحاد وغيره حادث قالت به الجهمية والمعتزلة أولاً، ثم ورثه عنهم أهل الكلام.

---

(١) أساس التقديس ١٦٨.
(٢) أساس التقديس ١٦٩، ١٧٠.
(٣) أساس التقديس ١٦٩، ١٧٠.
(٤) أساس التقديس ١٦٨.
(٥) الفرق ٣٢٥.

قال ابن عبد البر: «وكلهم ـ يعني أهل الفقه والأثر ـ يدين بخبر الواحد العدل في الاعتقادات، ويعادي ويوالي عليها، ويجعلها شرعاً وديناً في معتقده، وعلى ذلك جماعة أهل السنّة»[1].

فالزم ذلك، وفقني الله وإياك.

وقال شيخ الإسلام: «بإزاء هؤلاء المكذبين بجنس الحديث ومن يقول عن أخبار الصحيحين وغيرهما: هذه أخبار آحاد لا تفيد العلم، وأبلغ من هؤلاء من يقول: دلالة القرآن لفظية سمعية ودلالة السمعية اللفظية لا تفيد اليقين، ويجعلون العمدة على ما يدعونه من العقليات، وهي باطلة فاسدة، منها ما يعلم بطلانه وكذبه. وهؤلاء أيضاً قد يكفرون من خالف ذلك، كما فعل أولئك، وكلا الطريقين باطل ولو لم يكفر مخالفه، فإذا كفر مخالفه صار من أهل البدع الذين يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم فيها، كما فعلت الخوارج وغيرهم»[2].

وقال شيخ الإسلام أيضاً: «ولهذا كان جمهور أهل العلم من جميع الطوائف على أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقاً له أو عملاً به أنه يوجب العلم، هو الذي ذكره المصنفون في أصول الفقه من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، إلاَّ فرقة قليلة من المتأخرين اتبعوا في ذلك طائفة من أهل الكلام أنكروا ذلك، ولكن كثيراً من أهل الكلام أو أكثرهم يوافقون الفقهاء، وأهل الحديث والسلف على ذلك، وهو قول أكثر الأشعرية كأبي إسحاق وابن فورك، وأما ابن الباقلاني فهو الذي أنكر ذلك، وتبعه مثل أبي المعالي وأبي حامد وابن عقيل وابن الجوزي وابن

(١) التمهيد ١/٨، وانظر عقيدة الإمام ابن عبد البر للدكتور سليمان بن صالح الغصن ص ١٠٥.

(٢) الفتاوى ١٦/ ٤٣٢، ٤٣٣.

الخطيب والآمدي، ونحو هؤلاء، والأول هو الذي ذكره الشيخ أبو حامد وأبو الطيب وأبو إسحاق وأمثاله من أئمة الشافعية، وهو الذي ذكره القاضي عبد الوهاب وأمثاله من المالكية، وهو الذي ذكره أبو يعلى وأبو الخطاب وأبو الحسن بن الزاغوني وأمثالهم من الحنبلية، وهو الذي ذكره شمس الدين السرخسي، وأمثاله من الحنفية، وإذا كان الإجماع على تصديق الخبر موجباً للقطع به، فالاعتبار في ذلك بإجماع أهل العلم بالحديث، كما أن الاعتبار في الإجماع على الأحكام بإجماع أهل العلم بالأمر والنهي والإباحة»[1].

٧ ــ أهل الأهواء يدَّعون أنَّ نصوص الصفات ونحوها من المتشابه (منهج):

أهل الأهواء حين حادوا عن سبيل الحق وهو الإقرار بصفات الله تعالى كما جاءت أوّلوها واشتبهت عليهم نصوصها المحكمة، وقد خبَّرنا الله عنهم محذراً، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٧].

يقول ابن رشد الحفيد في ذلك: «وهؤلاء أهل الجدل والكلام، وأشد ما عرض على الشريعة من هذا الصنف أنهم تأولوا كثيراً مما ظنوه ليس على ظاهره، وقالوا: إن هذا التأويل هو المقصود به، وإنما أتى الله به في صورة المتشابه ابتلاء لعباده واختباراً لهم، ونعوذ بالله من هذا الظن بالله، بل نقول: إن كتاب الله العزيز إنما جاء معجزاً من جهة الوضوح والبيان، فإذاً ما أبعد مِن مقصد الشرع مَنْ قال فيما ليس بمتشابه: إنه متشابه ثم إنه أوَّل ذلك المتشابه بزعمه، وقال لجميع الناس: إن فرضكم هو اعتقاد هذا التأويل مثل

---

(١) الفتاوى ١٣/ ٣٥١، ٣٥٢.

ما قالوه في آيات الاستواء على العرش وغير ذلك مما قالوا: إن ظاهره متشابه»[1].

٨ ـ دعواهم أن الأدلة الشرعية ظنية وأن معقولاتهم وأوهامهم قطعية (منهج):

ومن مناهج أهل الأهواء الفاسدة التي طعنوا فيها بدلالة النصوص الشرعية زعمهم أن الأدلة الشرعية ظنية، مع العلم أن زعمهم هذا يستهدف العقيدة ونصوصها، وهذه الدعوى تهز الاعتقاد واليقين، فلهذا اهتزت عقائدهم ووقعوا في الحيرة والاضطراب، كما فعل الرازي في أساس التقديس؛ حيث زعم أن الدلائل اللفظية (يعني النصوص الشرعية) لا تكون قطعية[2].

يقول الشاطبي: «وربما احتج طائفة من نابتة المبتدعة على رد الأحاديث بأنها إنما تفيد الظن، وقد ذُمَّ الظن في القرآن، كقوله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾، وقال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾﴾ وما جاء في معناه. حتى أحلوا أشياء مما حرمها الله تعالى على لسان نبيه ﷺ، وليس تحريمها في الكتاب نصاً، وإنما قصدوا من ذلك أن يثبت لهم من أنظار عقولهم ما استحسنوا، والظن المراد في الآية وفي الحديث أيضاً غير ما زعموا، وقد وجدنا له محال ثلاثة: (أحدها): الظن في أصول الدين فإنه لا يغني عند العلماء لاحتماله النقيض عند الظان، بخلاف الظن في الفروع فإنه معمول به عند أهل الشريعة للدليل الدال على إعماله،

---

(١) مناهج الأدلة لابن رشد، ص ١٨٠، وانظر: الصواعق المرسلة لابن القيم ٢/ ٤١٣، ٤١٤، تحقيق د. علي الدخيل الله.

(٢) راجع أساس التقديس للرازي ص ١٨٢.

فكان الظن مذموماً إلاَّ ما تعلق منه بالفروع. وهذا صحيح ذكره العلماء في الموضع»[١].

٩ ـ استعمال الأقيسة العقلية في صفات الله وسائر أصول العقيدة (منهج):

من المعلوم أن المذهب الحق أن العقيدة غيبية توقيفية لا مجال للعقول فيها إلاَّ بالتسليم للنصوص الثابتة، لأن العقول والأفكار لا تحيط بالغيب، وأن القاعدة الشرعية أن الله له المثل الأعلى من كل شيء فلا يقاس بغيره ولا يقاس به غيره[٢]. إلاَّ أن أهل الأهواء قاسوا الله تعالى بخلقه في نفس الوقت الذي زعموا فيه الهروب من الإثبات خوفاً من التشبيه، فقد قالوا في الصفات بمقاييس عقلية، ومن ذلك:

مقولتهم[٣]: «أن الجسم لا يخلو عن الأعراض التي هي الصفات، وأن ما لا يخلو عن الصفات فهو محدث؛ لأن الصفات التي هي الأعراض لا تكون إلاَّ محدثة، ولأجلها التزم جهم التعطيل وفناء الجنة والنار»[٤]. ثم التزم المعتزلة نفي الصفات، ثم التزم الكلابية والأشاعرة والماتريدية نفي أفعال الله الاختيارية، وتأويل الصفات.

«والتزم أبو الهذيل انقطاع حركات أهل الجنة»[٥].

وهكذا، كما التزم أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم لأجلها نفي

---

(١) الاعتصام ١/ ٢٣٥.
(٢) انظر: درء التعارض ١/ ٢٩.
(٣) انظر: درء التعارض ١/ ٢٩.
(٤) المصدر السابق ٤/ ٣٩.
(٥) المصدر السابق ١/ ٤٠.

الصفات أو بعضها، التزموا كذلك القول بخلق القرآن، وأن الله لا يُرَى في الآخرة، وإنكار العلو على العرش(١).

ومن ذلك قولهم: «إن اليد والعين والوجه جوارح وأعضاء» والله منزه عن الأعضاء والجوارح، وعليه فليس لله يد ولا عين ولا وجه. فردوا ما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله ﷺ بالأقيسة العقلية.

ولذلك قال شيخ الإسلام: «التمسك بالأقيسة مع الإعراض عن النصوص والآثار طريق أهل البدع»(٢).

والمتأمل لحال أهل الكلام يجد أنهم ما نفوا صفات الله تعالى إلاَّ حينما قاسوها على صفات الخلق وأفعالهم، ولم يعتقدوا أنه الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾.

١٠ ـ اعتمادهم على التأويل والتعطيل في صفات الله تعالى وسائر العقيدة (منهج):

فالتأويل من أخطر مناهج أهل الأهواء، فهو وسيلتهم لرد دلالة النصوص وتعطيل معانيها، دون تعرض لإنكارها وردها بالكلية، ومن ذلك:

تحريف التأويل وتحريف التنزيل، قال تعالى: ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٧].

(١) انظر: المصدر السابق ١/ ٤٠، ٤١.
(٢) الفتاوى ٧/ ٣٩٢.

ومبتدأ التأويل عند أهل الكلام كان في مسائل قليلة ـ كالكلام ـ وبحذر شديد، ثم تجارت بهم الأهواء حتى فتحوا باب التأويل الفاسد.

ولما فتحوا باب التأويل لم يقف متأخروهم عند حد، فأولوا جميع الصفات الخبرية، حتى قال الكوثري: «وإذا صح التأويل لبرهان في شيء صح في بقية الأشياء، حتى لا فرق بين برهان وبرهان ولا لفظ ولفظ»[1]، وهذا ما كان يحذر منه السلف في تعليلهم كراهة التأويل كما ذكر شيخ الإسلام وغيره. فقد كان السلف يقولون لمبتدعة التأويل من أهل الكلام الأوائل: إذا فتحتم باب التأويل في بعض الصفات والسمعيات، فمن يأمن أن يتذرع غيركم بذلك إلى التعطيل وتغيير جميع العقائد والشرائع. وقد حصل فعلاً أن عطلت الجهمية والفلاسفة والباطنية؛ قال الدارمي: «وبلغنا أن بعض أصحاب المريسي قال له: كيف تصنع بهذه الأسانيد الجياد التي يحتجُّون بها علينا في رد مذاهبنا مما لا يمكن التكذيب بها مثل: سفيان عن منصور عن الزهري، والزهري عن سالم، وأيوب وابن عون، عن ابن سيرين، وعمرو بن دينار عن جابر، عن النبي ﷺ وما أشبهها؟

قال: فقال المريسي: لا تردوه تفتضحوا، ولكن غالطوهم بالتأويل، فتكونوا قد رددتموها بلطف إذ لم يمكنهم ردها بعنف، كما فعل هذا المعارض سواء...»[2].

قلت: ولما فعل ذلك بشرٌ المريسي حيث ألف كتباً في تأويل كثير من نصوص الصفات وأفعال الرب سبحانه وتعالى، تابعه آخرون ممن ينتسبون للسنّة كابن الثلجي، ثم استمد ابن فورك من ابن الثلجي.

---

(١) انظر: هامش دفع شبه التشبيه ص ٣٠.

(٢) رد الدارمي ٢٠٠، ٢٠١.

وتأثر به بعض أوائل الأشاعرة كالبيهقي، والباقلاني، والخطابـي، ثم صار التأويل منهجاً للأشاعرة، ومنذ عهد الجويني (أبو المعالي) ثم الغزالي والرازي والآمدي والإيجي صار التأويل منهجاً للأشاعرة في صفات الله تعالى وأفعاله. وفتحوا أبواب التأويل على مصاريعها في الصفات وغيرها، فصار كل صاحب هوى أو شبهة أو نزعة عقلانية، يعارض ويرد ما يرده من شرع الله ونصوص الوحي بالتأويل. فحسبنا الله ونعم الوكيل.

قال ابن القيم: «وحقيقة الأمر أن كل طائفة تتأول ما يخالف نحلتها ومذهبها، فالعيار على ما يتأول وما لا يتأول هو المذهب الذي ذهبت إليه والقواعد التي أصلتها، فما وافقها أقروه ولم يتأولوه، وما خالفها فإن أمكنهم دفعه وإلاَّ تأولوه. ولهذا لما أصلت الرافضة عداوة الصحابة؛ ردوا كل ما جاء في فضائلهم والثناء عليهم أو تأولوه.

ولما أصلت الجهمية أن الله لا يتكلّم ولا يكلِّم أحداً، ولا يرى بالأبصار، ولا هو فوق عرشه مبائن لخلقه، ولا له صفة تقوم به؛ أوَّلوا كل ما خالف ما أصلوه.

ولما أصلت القدرية أن الله ــ سبحانه ــ لم يخلق أفعال عباده ولم يقدرها عليهم، أولوا كل ما خالف أصولهم، (ولما أصلت المعتزلة القول بنفوذ الوعيد، وأن من دخل النار لم يخرج منها أبداً، أولوا كل ما خالف أصولهم).

ولما أصلت المرجئة أن الإيمان هو المعرفة، وأنها لا تزيد ولا تنقص، أولوا ما خالف أصولهم.

ولما أصلت الكلابية أن الله سبحانه لا يقوم به ما يتعلق بقدرته

ومشيئته، وسموا ذلك حلول الحوادث؛ أولوا كل ما خالف هذا الأصل»[1].

وقال ابن رشد: «وبالجملة فأكثر التأويلات التي زعم القائلون بها أنها المقصود من الشرع إذا تؤولت وجدت ليس يقوم عليها برهان، ولا تفعل فعل الظاهر في قبول الجمهور لها وعملهم بها، فإن المقصود الأول بالعلم في حق الجمهور ما هو العمل، فما كان أنفع في العمل فهو أجدر، وأما المقصود بالعلم في حق العلماء فهو الأمران جميعاً، أعني العلم والعمل.

ومثال من أول شيئاً من الشرع وزعم أن ما أوله هو الذي قصده الشرع وصرح بذلك التأويل للجمهور، مثال مَنْ أتى إلى دواء قد ركبه طبيب ماهر، ليحفظ صحة جميع الناس أو الأكثر، فجاء رجل فلم يلائمه ذلك الدواء المركب الأعظم لرداءة مزاج كان به ليس يعرض إلاَّ للأقل من الناس، فزعم أن بعض الأدوية التي صرح باسمه الطبيب الأول في ذلك الدواء العام المنفعة المركب لم يرد به ذلك الدواء التي جرت العادة في اللسان أن يدل بذلك الاسم عليه..»[2].

وقال: «وأنت إذا تأملت ما عرض في هذه الشريعة في هذا الوقت من الفساد العارض فيها من قبل التأويل تبينت أن هذا المثال صحيح، وأول من غير هذا الدواء الأعظم هم الخوارج، ثم المعتزلة بعدهم ثم الأشعرية، ثم الصوفية، ثم جاء أبو حامد فطم الوادي على القرى»[3]. وهكذا مر التأويل الباطل بمراحل على النحو التالي:

---

(١) الصواعق المرسلة ١/ ٢٣٠، ٢٣١.

(٢) مناهج الأدلة ١٨١، ١٨٢، وانظر: الصواعق المرسلة ٢/ ٤١٤.

(٣) مناهج الأدلة ١٨٢؛ وانظر: الصواعق المرسلة ٢/ ٤١٧.

المراحل التي سلكها أهل الأهواء في رد النصوص:

هذا وقد كان منهج أهل الأهواء والكلام في رد النصوص على مراحل:

المرحلة الأولى: رد بعض السنَّة وتكذيبها والطعن في الرواة ــ بما فيهم الصحابة ــ وهذا منهج الجهمية والمعتزلة الأوائل، كعمرو بن عبيد، وثمامة بن أشرس، والنظام والجاحظ. ثم عملت به الرافضة تجاه سائر الصحابة والسلف. وكذلك بعض الخوارج.

والمرحلة الثانية: التأويل، وذلك حينما وجدوا قوة تصدي السلف وتشنيع العامة وتهديد الولاة، حيث عرضوهم على السيف، فلجأوا إلى تأويل نصوص الصفات كما فعل بشر المريسي، ثم تأثر بمنهجه بعض المنتسبين للحديث كابن الثلجي (محمد بن شجاع الحنفي) وقد ألف كتاباً في تأويل أحاديث الصفات على نحو ما فعل بشر المريسي، وكطعنه في حماد بن سلمة لموقفه من أبي حنيفة، ثم صار التأويل منهجاً يعتمد عليه أهل الكلام وتقوم عليه عقائدهم في الصفات وبعض السمعيات.

فقد أخذ ابن فورك منهج التأويل (فيما يوافق أصول الكلابية ثم الأشاعرة) عن ابن الثلجي والمريسي، وتأثرت به الطبقة الوسطى من أوائل الأشاعرة كالخطابي والبيهقي.

المرحلة الثالثة: مرحلة الجمع بين الرد لـ (خبر الآحاد) والتأويل عند متأخري الأشاعرة، كالجويني والغزالي والرازي والإيجي.

المرحلة الرابعة: الجمع بين الرد والتأويل والطعن في الرواة الأئمة العدول ليبقى منهج أهل الكلام سالماً ولو على حساب السنّة[1]، كما فعل الكوثري ومدرسته. وهو أشبه بمنهج المريسي.

---

(١) راجع التنكيل للمعلمي اليماني.

المرحلة الخامسة: مرحلة الرد والإعراض الكامل والرفض المعلن لمناهج السلف، وهي مذهب أخلاف المتكلمين من العصرانيين الذين يزعمون الحاجة إلى وضع مناهج جديدة لتلقي الدين، وتقريره وتجديده.

١١ ـ الاعتماد على الكذب والوضع وما لا أصل له في الدين (منهج وسمة):

من أبرز سمات أهل الأهواء ومناهجهم في التلقي والاستدلال اعتمادهم على الكذب والوضع، وقلة التعويل على الإسناد، ولذلك يكثر استدلالهم بالموضوعات والمكذوبات والآثار الضعيفة، وما لا أصل له، وهم في الوقت نفسه يردون ما يخالف أهواءهم من النصوص الصحيحة يقول شيخ الإسلام: «وهذا في البدع الكبار مثل الرافضة والجهمية فإن الذي وضع الرفض كان زنديقاً ابتدأ تعمد الكذب الصريح الذي يعلم أنه كذب، كالذين ذكرهم الله من اليهود الذين يفترون على الله الكذب وهم يعلمون، ثم جاء من بعدهم من ظن صدق ما افتراه أولئك، وهم في شك منه كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ۝١٤﴾. [سورة الشورى، الآية: ١٤].

وكذلك الجهمية ليس معهم على نفي الصفات وعلو الله على العرش ونحو ذلك نص أصلاً ولا آية ولا حديث ولا أثر عن الصحابة، بل الذي ابتدأ ذلك لم يكن قصده اتباع الأنبياء، بل وضع ذلك كما وضعت عبادة الأوثان وغير ذلك من أديان الكفار، مع علمهم بأن ذلك مخالف للرسل كما ذكر عن مبدلة اليهود، ثم فشا فيمن لم يعرفوا أصل ذلك»[١].

---

(١) الفتاوى ١٧/ ٤٤٥، ٤٤٦.

١٢ ـ التمسك بظواهر من النصوص دون مراعاة قواعد الاستدلال (منهج):

من منهج أهل الأهواء التعلق بظواهر النصوص حينما توافق أهواءهم، دون ردها إلى النصوص الأخرى، ودون مراعاة لقواعد الاستدلال عند أهل العلم، كاستدلال الخوارج بقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ على تكفير من حكم الرجال.

وكاستدلال الجهمية بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ على نفي الرؤية.

يقول شيخ الإسلام عن أهل البدع والأهواء: «فكانوا متمسكين بظاهر من القول لا بظاهر القول، وعمدتهم عدم العلم بالنصوص التي فيها علم بما قيد، وإلَّا فكل ما بينه القرآن وأظهره فهو حق، بخلاف ما يظهر للإنسان لمعنى آخر غير نفس القرآن، يسمى ظاهر القرآن، كاستدلالات أهل البدع من المرجئة والجهمية والخوارج والشيعة»[١].

١٣ ـ قولهم بالمجاز في العقائد (منهج):

القول بالمجاز حادث بعد القرون الثلاثة، وأئمة السلف المعتبرون كرهوه في العقائد؛ لأنها غيبية توقيفية، ولما يؤدي إليه القول بالمجاز في العقائد من هدم نصوص الشرع وتحريف كلام الله، والقول على الله بغير علم، وهذا ما يذهب إليه ابن عبد البر وأنه «أولى بالصواب»[٢]، ويقول: «وحمل كلام الله تعالى وكلام نبيه ﷺ على الحقيقة أولى بذوي الدين

---

(١) الفتاوى ٧/ ٣٩٢، ٣٩٣.

(٢) الاستذكار ١/ ١٣٣، وانظر ابن عبد البر ومنهجه في تقرير العقيدة للدكتور سليمان الغصن ٨٠.

والحق؛ لأنه يقص الحق، وهو قول الحق تبارك وتعالى علواً كبيراً»[1].

قال شيخ الإسلام: «ومن ظن أن العرب قسمت هذا التقسيم ــ يعني الحقيقة والمجاز ــ أو أن هذا أخذ عنها، وكما يوجد كلام طائفة من المصنفين في أصول الفقه، فغلطه أظهر، وقد وجد في كلام طائفة كأبي الحسين البصري والقاضي أبي الطيب والقاضي أبي يعلى وغيرهم»[2].

وقال: «فمن الناس من قال: إن كل اسم تسمى به المخلوق لا يسمى به الخالق إلاَّ مجازاً، حتى لفظ الشيء، وهو قول جهم ومن وافقه من الباطنية، وهؤلاء لا يسمونه موجوداً، ولا شيئاً، ولا غير ذلك من الأسماء، ومن عكس وقال: بل كل ما يسمى به الرب فهو حقيقة، ومجاز في غيره. وهو قول أبي عباس الناشي من المعتزلة. والجمهور قالوا: إنه حقيقة فيهما، لكن أكثرهم قالوا: إنه متواطىء التواطؤ العام، أو مشككاً إن جعل المشكك نوعاً آخر، وهو غير التواطىء الخاص الذي تتماثل معانيه في موارد ألفاظه، وإنما جعله مشتركاً شرذمة من المتأخرين لا يعرف هذا القول عن طائفة كبيرة ولا نظار مشهورين»[3].

١٤ ــ تعظيمهم طريق الفلاسفة والعقلانيين في تقرير الدين (منهج وسمة):

أهل الكلام تقوم أصولهم ومناهجهم في التلقي والاستدلال وتقرير عقائدهم على مناهج الفلاسفة وقواعدهم.

(١) التمهيد ١٦/ ١٥٢.
(٢) انظر: الفتاوى ٢٠/ ٤٥٣.
(٣) الفتاوى ٢٠/ ٤٤١، ٤٤٢.

قال شيخ الإسلام: «لأن مثل هذا الآمدي وأمثاله الذين عظموا طريقهم (يعني الفلاسفة)، وصدروا كتبهم التي صنفوها في أصول دين الإسلام بزعمهم بما هو أصل هؤلاء الجهال من أن كمال النفس الإنسانية بحصول ما لها من الكمالات وهي الإحاطة بالمعقولات والعلم بالمجهولات، وسلكوا طريقهم ووقعوا في الجهل والحيرة والشك بما لا تحصل النجاة إلاَّ به، ولا تنال السعادة إلاَّ بمعرفته، فضلاً عن نيل الكمال الذي هو فوق ذلك»[(١)].

ومن تعظيمهم للفلاسفة ومنهجهم وطريقتهم استمدوا منهم عقائدهم ومصطلحاتهم، فأصول المتكلمين تقوم على الخوض في مصطلحات فلسفية ما أنزل الله بها من سلطان، (كالجسم) و (العرض) و (الجوهر) و (المتحيز) و (المركب) والاستدلال بمعانيها على حدوث العلم، والكلام بها في صفات الله نفياً أو إثباتاً. وهذا لا يعرف عن سلف الأمة وأئمتها، بل المحفوظ عنهم المتواتر إنكار ذلك وذم أهله[(٢)].

١٥ ــ زعمهم أن قواعدهم هي المحكم وألفاظ الشرع هي المتشابه (منهج):

لما وضع أهل الكلام لأنفسهم أصولاً عقلانية وفلسفية ابتدعوها، تعارضت مع بعض النصوص، فلم يهتدوا إلى اتهام عقولهم القاصرة، بل اتهموا نصوص الشرع، فزعموا أن قواعدهم الفاسدة هي المحكمة، واتهموا النصوص بأنها متشابهة، وقالوا: عند التعارض نرد المتشابه، وهو كلام الله ورسوله ــ بزعمهم ــ إلى المحكم، وهو كلامهم.

قال ابن القيم: «إن هؤلاء المعارضين للوحي بالعقل، بنوا أمرهم على

---

(١) درء التعارض ٣/ ٢٧٦.

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية ١/ ٢٢٠ (الهنيدي).

أصل فاسد، وهو أنهم جعلوا أقوالهم التي ابتدعوها، وجعلوها أصول دينهم، ومعتقدهم في رب العالمين هي المحكمة، وجعلوا قول الله ورسوله ﷺ هو المتشابه الذي لا يستفاد منه علم ولا يقين، فجعلوا المتشابه من كلامهم هو المحكم، والمحكم من كلام الله ورسوله ﷺ هو المتشابه، ثم ردوا تشابه الوحي إلى محكم كلامهم وقواعدهم، وهذا كما جعلوا ما أحدثوه من الأصول التي نفوا بها صفات الرب جل جلاله، ونعوت كماله، ونفوا بها كلامه، وتكليمه، وعلوه على عرشه، ورؤيته في الدار الآخرة، محكماً، وجعلوا النصوص الدالة على خلاف تلك القواعد والأصول متشابهة يقضي بتلك القواعد عليها وترد النصوص إليها، فتارة يحرفون النصوص عن مواضعها. . .»[1].

١٦ ــ اعتمادهم في تقرير العقيدة على أصولهم الفاسدة، وقد يذكرون الدليل الشرعي للاعتضاد (منهج وسمة):

من مناهج أهل الأهواء وسماتهم العامة، أنهم يعتمدون على أصولهم الفاسدة في تقرير الدين أولاً، ثم يلتمسون من الأدلة الشرعية ما يوافق هواهم على غير نهج سليم.

قال شيخ الإسلام مبيناً الفرق بين منهج أهل السنّة ومنهج أهل الأهواء:
«والألفاظ نوعان، نوع يوجد في كلام الله ورسوله ﷺ، ونوع لا يوجد في كلام الله ورسوله ﷺ، فيعرف معنى الأول ويجعل ذلك المعنى هو الأصل، ويعرف ما يعنيه الناس بالثاني ويرد إلى الأول، هذا طريق أهل الهدى والسنّة، وطريق أهل الضلال والبدع بالعكس، يجعلون الألفاظ التي أحدثوها ومعانيها هي الأصل، ويجعلون ما قاله الله ورسوله تبعاً لها،

---
(١) الصواعق ٣/ ٩٩٠، ٩٩١.

فيردونها بالتأويل والتحريف إلى معانيهم، ويقولون نحن نفسر القرآن بالعقل واللغة، يعنون أنهم يعتقدون معنى بلغتهم ورأيهم، ثم يتأولون القرآن عليه بما يمكنهم من التأويلات والتفسيرات المتضمنة لتحريف الكلم عن مواضعه»[١].

وقال: «وأهل البدع سلكوا طريقاً آخر ابتدعوها اعتمدوا عليها، ولا يذكرون الحديث، بل ولا القرآن في أصولهم إلاَّ للاعتضاد لا للاعتماد»[٢].

وقال: «والمقصود هنا أن السلف كان اعتصامهم بالقرآن والإيمان، فلما حدث في الأمة ما حدث من التفرق والاختلاف صار أهل التفرق شيعاً، صار عمدتهم في الباطن ليس على القرآن والإيمان، ولكن على أصول ابتدعها شيوخهم، عليها يعتمدون في التوحيد والصفات والقدر والإيمان بالرسول وغير ذلك، ثم ما ظنوا أنه يوافقها من القرآن احتجوا به، وما خالفها تأولوه، فلهذا تجدهم إذا احتجوا بالقرآن والحديث لم يعتنوا بتحرير دلالتهما، ولم يستقصوا ما في القرآن من ذلك المعنى؛ إذ كان اعتمادهم في نفس الأمر على غير ذلك، والآيات التي تخالفهم يشرعون في تأويلها شروع من قصد ردها كيف أمكن، ليس مقصوده أن يفهم مراد الرسول؛ بل أن يدفع منازعه عن الاحتجاج بها»[٣].

وقال: «وأهل البدع والضلال الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً هم كما قال مجاهد: أهل البدع والشبهات يتمسكون بما هو بدعة في الشرع ومشتبه في العقل، كما قال فيهم الإمام أحمد: هم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، متفقون على مخالفة الكتاب، يحتجون بالمتشابه من الكلام،

---

(١) الفتاوى ١٧/ ٣٥٥.

(٢) منهاج السنّة ٧/ ٣٧.

(٣) الفتاوى ١٣/ ٥٨، ٥٩.

ويضلون الناس بما يشبهون عليهم. والمفترقة من أهل الضلال تجعل لها ديناً وأصول دين قد ابتدعوه برأيهم، ثم يعرضون ذلك على القرآن والحديث، فإن وافقه احتجوا به اعتضاداً لا اعتماداً، وإن خالفه فتارة يحرفون الكلم عن مواضعه ويتأولونه على غير تأويله، وهذا فعل أئمتهم، وتارة يعرضون عنه ويقولون: نفوض معناه إلى الله، وهذا فعل عامتهم وعمدة الطائفتين في الباطن غير ما جاء به الرسول ﷺ، يجعلون أقوالهم البدعية محكمة يجب اتباعها واعتقاد موجبها، والمخالف إما كافر وإما جاهل لا يعرف هذا الباب وليس له علم بالمعقول ولا بالأصول، ويجعلون كلام الله ورسوله الذي يخالفها من المتشابه الذي لا يعرف معناه إلاَّ الله، أو لا يعرف معناه إلاَّ الراسخون في العلم، والراسخون عندهم من كان موافقاً لهم على ذلك القول»[1].

١٧ ــ دعواهم أن الرسول ﷺ عدل عن بيان الحق للناس ليجتهدوا في التأويل (منهج):

من الشبهات التي روجها كثير من أهل الكلام ــ تبعاً للفلاسفة ــ زعمهم أن الرسول ﷺ تعمد ترك بيان التفصيلات في العقائد، ليجتهد الناس في ذلك. وبعضهم يعد ذلك من لوازم قوله وإن لم يصرح به، وبذلك أبطلوا دلالة الوحي، ثم تخبطوا في البحث عن الحق ولم يصلوا إليه، بل تفرقت بهم السبل في محارات المسائل، ومعضلات الأقوال.

يقول شيخ الإسلام: «وتارة يقولون إنما عدل الرسول ﷺ عن بيان الحق ليجتهدوا في معرفة الحق من غير تعريفه، ويجتهدوا في تأويل ألفاظه، فتعظم أجورهم على ذلك، وهو اجتهادهم في عقلياتهم وتأويلاتهم، ولا

(١) الفتاوى ١٣/ ١٤٢، ١٤٣.

يقولون إنه قصد به إفهام العامة الباطل كما يقول أولئك المتفلسفة، وهذا قول أكثر المتكلمين النفاة من الجهمية والمعتزلة ومن سلك مسلكهم، حتى ابن عقيل وأمثاله وأبو حامد وابن رشد الحفيد وأمثالهم يوجد في كلامهم المعنى الأول، وأبو حامد إنما ذم التأويل في آخر عمره وصنف «إلجام العوام عن علم الكلام» محافظة على هذا الأصل؛ لأنه رأى مصلحة الجمهور لا تقوم إلَّا بإبقاء الظواهر على ما هي عليه، وإن كان هو يرى ما ذكره في كتبه «المضنون بها» أن النفي هو الإثبات في نفس الأمر»[1].

وقال: «لكن يوجد في أهل الحديث مطلقاً من الحنبلية وغيرهم من الغلط في الإثبات مما يوجد في أهل الكلام، ويوجد في أهل الكلام من الغلط في النفي أكثر مما يوجد في أهل الحديث؛ لأن الحديث إنما جاء في إثبات الصفات ليس فيه شيء من النفي الذي انفرد به أهل الكلام والكلام، مأخوذ من الجهمية والمعتزلة مبني على النفي المناقض لصرائح القرآن والحديث، بل والعقل الصريح أيضاً، لكنهم يدعون أن العقل دل على النفي، وقد ناقضهم طوائف من أهل الكلام وزادوا في الإثبات كالهشامية والكرامية وغيرهم، لكن النفي في جنس الكلام المبتدع الذي ذمه السلف أكثر»[2].

ويتبع ذلك:

١٨ ــ دعواهم أن الرسول ﷺ لم يتكلم بالحقيقة في صفات الله (منهج):

ومن لوازم قول أهل الكلام الذين عطلوا وأولوا الصفات، اتهام الرسول ﷺ بأنه لم يتكلم بالحقيقة في صفات الله تعالى حين لم يوافق قولهم.

---

(١) الفتاوى ١٧/ ٣٥٧.

(٢) الفتاوى ١٧/ ٣٦٣.

قال شيخ الإسلام: «وكثير من أهل الكلام الجهمية يوافق أولئك، على أنه ما كان يمكنه أن يبوح بالحق في باب التوحيد فخاطب الجمهور بما تخيل لهم، كما يقولون إنه لو قال: إن ربكم ليس بداخل العالم ولا بخارجه ولا يشار إليه، لا هو فوق العالم ولا كذا ولا كذا لنفرت قلوبهم عنه وقالوا هذا لا يعرف، قالوا: فخاطبهم بالتجسيم حتى يثبت لهم رباً يعبدون، وإن كان يعرف أن التجسيم باطل، وهذا يقوله طوائف من أعيان الفقهاء المتأخرين المشهورين الذين ظنوا أن مذهب النفاة هو الصحيح، واحتاجوا أن يعتذروا عما جاء به الرسول ﷺ من الإثبات كما يوجد في كلام غير واحد»[1].

١٩ ــ وضع الدليل في غير ما يدل عليه (منهج):

قال ابن عمر ــ رضي الله عنه ــ في الخوارج: «انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين»[2]. وهذا منهج كثير من أهل الأهواء والبدع.

٢٠ ــ كراهيتهم لنصوص الصفات والتوحيد وطعنهم في رواتها من الأئمة (سمة):

لمّا خالف أهل الكلام السلف في الصفات، وسلكوا مسلك التأويل والتعطيل، تعارضت شبهاتهم مع دلالة النصوص المثبتة للصفات، صاروا ينفرون منها، وتطاولوا على رواتها من الصحابة ومن بعدهم، زعماً منهم أنهم رووا ما لا يوافق المعقول.

يقول ابن القيم: «ولهذا تجد كثيراً لا يحب تبليغ النصوص النبوية أو إظهارها وإشاعتها، وقد يشترطون في أماكن يقفونها أن لا يقرأ فيها

(١) الفتاوى ١٧/ ٣٥٦، ٣٥٧.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح ــ استتابة المرتدين ــ باب (٦) الفتح ١٢/ ٢٨٢.

أحاديث الصفات، وكان بعض متأخريهم وهو أفضلهم عندهم كَلِفٌ بإعدام كتب السنّة المصنفة في الصفات وكتمانها وإخفائها، وبلغني عن كثير منهم أنه كان يهم بالقيام والانصراف عند ختم صحيح البخاري وما فيه من التوحيد، والرد على الجهمية، وسُمِعَ منه الطعن في محمد بن إسماعيل، وما ذنب البخاري، وقد بلغ ما قاله رسول الله ﷺ، وقال آخر من هؤلاء: «لقد شان البخاري صحيحه بهذا الذي أتى به في آخره». ومعلوم أن هذه مضادة صريحة لما يحبه الله ورسوله من التبليغ عنه، حيث يقول: (**ليبلغ الشاهد الغائب**)[1].

قلت: وهذا ما سلكه بعض المتعصبة المتكلمين المتأخرين كالكوثري[2].

٢١ ـ تسميتهم أصولهم الباطلة أصول الدين والتوحيد (منهج):

من أصولهم الباطلة تسميتهم مقولاتهم وتعطيلاتهم وتأويلاتهم: أصول الدين والتوحيد. مع أن أصول الدين حقاً ما جاء عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ؛ أما أصول أهل الكلام فما هي إلاَّ تخرصات وأوهام وخيالات ليست من الدين في شيء، لأن ما يقصدونه هم فيه مختلفون مضطربون متناقضون حائرون، فكيف يكون كلامهم وعقلياتهم أصول الدين؟! إنما أصول الدين والتوحيد ما عليه سلف الأمة الأئمة المهتدون وهو ما ثبت في الكتاب والسنّة[3]، فلو تأملت كتب أهل الكلام مثل كتاب: أصول الدين للبغدادي، والأربعين في أصول الدين للغزالي، والغنية في أصول الدين للمتولي الشافعي، والتوحيد للماتريدي، والتمهيد للباقلاني، والإرشاد

---

(١) الصواعق ٣/ ١٠٣٩، ١٠٤٠.

(٢) راجع التنكيل للمعلمي وتعليق العلاَّمة الألباني عليه.

(٣) انظر: درء التعارض ١/ ٤١، ٤٢.

للجويني، وغاية المرام للآمدي، والأربعين للرازي ونحوها، لوجدتها مليئة بالكلاميات والفلسفيات والتخرصات، والتأويلات المخالفة لما جاء في الكتاب والسنّة وما عليه السلف.

٢٢ ــ ومن أصولهم في الاستدلال قياس الغائب على الشاهد (منهج):

من مناهج المتكلمين قياس الغائب على الشاهد[١] تبعاً للفلاسفة وهو ما سمي بالقياس التمثيلي (أو الشمولي عند بعضهم).

وهذا منهج منحرف ومعارض لمنهج أهل السنّة تماماً، بل معارض لمنهج القرآن والسنّة خاصة حين استعملوه في الإلهيات والسمعيات، فالصفات وأفعال الله تعالى لا يقاس في حقها الغائب على الشاهد؛ لأن الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، ولأن الله تعالى له في ذاته وصفاته وأفعاله الكمال المطلق الذي لا تحيط به العقول والأوهام، وكذلك السمعيات الأخرى فهي غيب وما يعلم الغيب إلاَّ الله سبحانه، وأي كلام فيها أكثر مما ورد في النص إنما هو رجم بالغيب، فإن من أسباب تعطيلهم وتأويلهم للصفات (قياس الغائب على الشاهد) وهذا هو التمثيل والتشبيه الذي نفاه الله تعالى عن نفسه. وسائر أصولهم التي خالفوا فيها السلف في الصفات والسمعيات تقوم على هذه القاعدة والقياس الفاسد.

وسائر مصنفاتهم وكلامهم الذي ملأ الآفاق وصم الآذان وحشا الدفاتر والأوراق إنما يستند على هذه القاعدة.

---

(١) انظر: التمهيد للباقلاني ٣٢، وانظر: الفرق الكلامية مدخل ودراسة ص ٢١، ونهاية الإقدام للشهرستاني ص ١٨٢ وما بعدها.

٢٣ ـ عدم عنايتهم بالرواية والأسانيد (منهج وسمة):

أهل الأهواء والافتراق تقوم أصولهم على الأهواء والوضع، لذلك ليس لهم كبير عناية بالأسانيد وعدالة الرجال، وإن وجد شيء من الاهتمام بالأسانيد كما تفعل بعض فرق الرافضة فعلى موازينها المبنية على أهوائها وأصولها الفاسدة، فالصحابة عندهم مرتدون غير عدول، فضلاً عن بقية السلف، لذلك نجد أن الضعفاء مثل جابر الجعفي[١] والمتروكين والوضاع وبعض الزنادقة عند أهل الحديث هم الثقات العدول عند الرافضة، ومع ذلك فعنايتهم بالأسانيد في تلقي الدين والاستدلال قليلة جداً، فأغلب أدلتهم ورواياتهم بلا أسانيد، فهم يعتقدون عصمة أئمتهم ويكذبون عليهم ويروون عنهم بلا أسانيد.

وذكر أهل العلم أن أهل الأهواء يكرهون الحديث والإسناد وأهله، فقد أخرج ابن الجوزي عن أبي نصر بن سلام البخاري الفقيه قال: «ليس شيء أثقل على أهل الإلحاد ولا أبغض إليهم من سماع الحديث وروايته بإسناد»[٢]. لذلك يبغضون أهل الحديث، فقد ذكر الذهبي في التذكرة عن أحمد بن سنان قال: «ليس في الدنيا مبتدع إلاَّ وهو يبغض أهل الحديث»[٣]. قلت: ولذا كان من سمات أهل الأهواء لمز السلف وسبهم والنيل منهم.

٢٤ ـ جهلهم باللغة أو تجاهلها وعدم اعتبارها (منهج وسمة):

من مناهج أهل الأهواء في الاستدلال عدم اعتبار اللغة ومعانيها، إما جهلاً بعد شيوع العجمة وإهمال علم النحو، ونجد هذا جلياً في كثير ممن

---

(١) انظر: الضعفاء والمتروكين للدارقطني (١٦٨) (ت ١٤٢) تحقيق موفق بن عبد الله.

(٢) صون المنطق ٤١.

(٣) تذكر الحفاظ ٢/ ٥٢١؛ وصون المنطق ٤١.

ناظرهم السلف من المعتزلة والجهمية فضلاً عن الرافضة والباطنية[1]. وإما لعدم اعتبارها قصداً.

فالقرآن والسنّة بلسان عربي مبين، وفهم العرب الصحابة الذي تنزل القرآن في عهدهم هو الحجة، لكن أهل الأهواء يعدلون عن هذا الأصل، إلاَّ إذا كان الدليل لهم يلبسون به على الناس، أما إذا كانت اللغة على غير هواهم تركوا الاحتجاج بها والاستدلال، بل يصادمون دلالات اللغة وتفسيرات أهلها.



(١) انظر: مثلاً رد الدارمي على بشر المريسي، والحيدة للكناني.

(٢)

انحرافهم في مفهوم التوحيد وتقريره (منهج وسمة)

التوحيد عند السلف هو: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإثبات أسماء الله وصفاته وأفعاله كما جاء في القرآن والسنّة، أما أهل الأهواء والافتراق فإنهم في مفهوم التوحيد وتقريره على مناهج وطرائق قدداً تتلخص فيما يلي:

١ ــ التوحيد عند الجهمية نفي أسماء الله وصفاته وأفعاله (التعطيل).

٢ ــ التوحيد عند المعتزلة نفي الصفات والأفعال.

٣ ــ التوحيد عند أهل الكلام تأويل صفات الله تعالى، ونفي أفعاله، والكلام في ذلك بالفلسفات والعقليات والظنيات والأوهام.

٤ ــ التوحيد عند الرافضة هو الشرك بدعاء الأموات والأحياء، والتعبد بزيارة المشاهد والقبور والآثار، وصرف أنواع العبادة عندها لغير الله.

٥ ــ والتوحيد عند الصوفية الأوراد البدعية، والغناء، والاتحاد، والحلول، ووحدة الوجود، وكذلك البدع والقبوريات كالرافضة.

٦ ــ والتوحيد عند الباطنية الإلحاد والتعطيل والنفاق.

قال شيخ الإسلام: «و (اسم التوحيد) اسم مُعَظَّم جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، فإذا جعل تلك المعاني التي نفاها من التوحيد، ظن من لم يعرف مخالفة مراده لمراد الرسول ﷺ أنه يقول بالتوحيد الذي جاءت به الرسل، ويسمي طائفته الموحدين، كما يفعل ذلك الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم على نفي شيء من الصفات، ويسمون ذلك توحيداً وطائفتَهم الموحدين ويسمون علمهم علم التوحيد، كما تسمي المعتزلة ومن وافقهم نفي القدر عدلاً، ويسمون أنفسهم العدلية، وأهل العدل، ومثل هذه البدع كثير جداً، يعبر بألفاظ الكتاب والسنّة عن معان مخالفة لما أراده الله ورسوله بتلك الألفاظ، ولا يكون أصحاب تلك الأقوال تلقوها ابتداء عن الله عزَّ وجلّ، ورسوله ﷺ، بل شُبه حصلت لهم، وأئمة لهم»[1].

فمفهوم التوحيد عند المتكلمين يعني إثبات (الخالق) الصانع، وتوحيد الربوبية، وأن الله ليس بجسم ولا جوهر ولا متحيز ولا داخل العالم ولا خارجه. فهم كالفلاسفة يقفون عند توحيد الربوبية مع سوء فهمهم له، ولا يصلون إلى التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأنزلت به الكتب وهو توحيد الإلهية والعبادة، وتوحيد الإثبات، وهذا بخلاف ما عليه السلف تماماً، إذ يبدعون هذه الطريقة كما قال أبو العباس بن سريج (ت ٣٠٦هـ): «توحيد أهل العلم وجماعة المسلمين أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتوحيد أهل الباطل الخوض في الأعراض والأجسام، وإنما بعث النبي ﷺ بإنكار ذلك»[2].

فالجهمية والمعتزلة ومن سلك سبيلهم من متأخري الرافضة والخوارج وأهل الكلام حقيقة التوحيد عندهم تنتهي بالتعطيل:

---

(١) الفتاوى ١٧/ ٣٥٢.

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية ٢/ ٥٥٩ (اللاحم)؛ ويراجع ذم الكلام (٣٨٧) مخطوط.

قال الذهبي لمَّا ذكر كلام ابن عبد البر أن الجهمية والمعتزلة والخوارج ينكرون الصفات ولا يحملون منها شيئاً على الحقيقة، ويزعمون أن من أقرّ بها مشبه، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود، قال الذهبي: «صدق و الله، إن من تأول سائر الصفات وحمل ما ورد منها على مجاز الكلام، أداه ذلك السلب إلى تعطيل الرب، وأن يشابه المعدوم كما نقل عن حماد بن زيد أنه قال: مثل الجهمية كقوم قالوا في دارنا نخلة، قيل: لها سعف؟ قالوا: لا، قيل: فلها كرب؟ قالوا: لا، قيل: فلها رطب وقنع؟ قالوا: لا، قيل: فلها ساق؟ قالوا: لا، قيل: فما في داركم نخلة»[1].

قال شيخ الإسلام: «والتوحيد عندهم نفي التشبيه والتجسيم. ويقولون: إن الأول يعنون به عدم النظير، والثاني يعنون به أنه لا ينقسم، وهم يفسرون الواحد والتوحيد بما ليس هو معنى الواحد والتوحيد في كتاب الله وسنّة رسوله، وليس هو التوحيد الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله، وهذا أصل عظيم تجب معرفته، فقال نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة والفلاسفة ونحوهم: الواحد هو الذي لا صفة له ولا قدر. إلخ، وذكر أمثلة أقوال ابن سينا والجهمية والمعتزلة»[2].

وهاك أنموذجاً من تعريف التوحيد عند أهل الأهواء:

يقول النشار: «علم التوحيد، أو علم الكلام، أو علم أصول الدين، وهو علم الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، ويسمى أصحابه بالمتكلمين، أو متكلمي الإسلام»[3].

فقد جعل علم التوحيد مرادفاً لعلم الكلام، مع العلم أن الكلام مناقض

(١) العلو للعلي الغفار، للذهبي ١٨٢.
(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية ١/ ٢٣٧ (حقي).
(٣) نشأة الفكر الفلسفي ١/ ٤٨.

للتوحيد، ثم سماه بعلم الحِجَاج، والحجاج هو الجدال، وزعم أن أصحاب التوحيد هم علماء الكلام. وللنشار موقف من السلف لا يحمد، سأذكره فيما بعد. وعلى أية حال فالنشار ما هو إلا واحد من الأشاعرة، لم يخرج عن قولهم، بل نقله عمن سبقوه.

وقوعهم في تقرير التوحيد فيما نهى الله عنه:

فأهل الأهواء والكلام في مسلكهم في تقرير التوحيد وقعوا في نوع ما نهى الله عنه، حيث أنشأوا الإشكالات والتساؤلات حول التوحيد، ثم أجابوا عليها بغير علم، وافترضوا الاعتراضات على نصوص الصفات والسمعيات، فخرجوا عن اليقين والتسليم الشرعي إلى الشك والحيرة والاضطراب، وقد حذر النبي ﷺ من هذا المسلك.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يزال الناس يتساءلون حتى يقولوا: هذا الله خالق كل شيء، فمن خلق الله؟ فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله»**[١]. وقد وقع من أهل الكلام في أسماء الله وصفاته وأفعاله ما حذر منه النبي ﷺ.

ومن ذلك مخالفتهم لقول الرسول ﷺ: **«ذروني ما تركْتكم...»** الحديث[٢].

وكذلك تباينت مفاهيمهم وتعددت مناهجهم في تقرير التوحيد وإثباته:

أما منهج السلف في تقرير التوحيد وإثباته، فإنه مبني على منهج القرآن والسنّة، في تقرير التوحيد بالفطرة والشهادتين والدلائل والبراهين التي تباشر

---

(١) متفق عليه، انظر: صحيح البخاري (٣٢٧٦)؛ ومسلم (٢١٢).

(٢) البخاري، حديث (٧٢٨٨)؛ ومسلم، حديث (٣١، ٣٢) فضائل.

الفطرة والعقل السليم من غير تكلف ولا فلسفة، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٢٥].

وقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الذاريات، الآية: ٥٦].

وقال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٢٢].

وقال ــ تعالى ــ : ﴿۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [سورة إبراهيم، الآية: ١٠].

وقال ﷺ: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله»**[1]، وقال: **«ما من مولود إلاَّ يولد على الفطرة...»**[2] الحديث.

وقد بوب البخاري في صحيحه كتاب التوحيد، وبدأه بحديث بعث معاذ إلى اليمن تحت باب (ما جاء في دعاء النبـي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى)، حيث يذكر البدء بالشهادتين، وهذا هو المنهج الحق الذي يناسب الفطرة والعقل السليم[3]. وهو منهج السلف في تقرير التوحيد.

أما أهل الأهواء فمنهم من يسلك طريقة الفلاسفة الذين خالفوا منهج الأنبياء، ذلك أنهم يبدؤون في تقرير التوحيد بإثبات الصانع وتوحيد الربوبية. أما منهج القرآن والسنّة ومنهج السلف في ذلك: البدء بالشهادتين وتوحيد الإلهية، ثم أركان الإسلام والإيمان فلا يعرف في مناهج المتكلمين.

---

(١) أخرجاه في الصحيحين.

(٢) البخاري، حديث (١٣٥٨)، كتاب الجنائز؛ فتح الباري (٣/ ٢١٩).

(٣) انظر: فتح الباري ١٣/ ٣٤٤ وما بعدها.

قال شيخ الإسلام في وصف منهج أهل الكلام في إثبات التوحيد: «كما هي الطريقة المشهورة الكلامية للمعتزلة، والكرامية، والكلابية، والأشعرية، ومن سلك هذه الطريق في إثبات الصانع أولاً، بناء على حدوث العالم، ثم إثبات صفاته نفياً وإثباتاً بالقياس العقلي ـ على ما بينهم فيه من اتفاق واختلاف، إما في المسائل وإما في الدلائل ـ ثم بعد ذلك يتكلمون في السمعيات، من المعاد والثواب والعقاب والخلافة والإيمان بطريق مجمل. وإنما عمدة الكلام ومعظمه هو تلك القضايا التي يسمونها العقليات وهي أصول دينهم[١]. . . »[٢].

ومن أهل الأهواء من يسلك في تقرير التوحيد طريقة البرهان، وهم غلاة الصوفية، حيث يزعمون أن التوحيد يحقق بالأحوال، والخروج عن مقام العبودية؛ فيزعمون أن غاية التوحيد الاستغناء عن شرائع الأنبياء، والفناء في الله. وعن هذا المسلك الباطل نتجت المذاهب الإلحادية: القول بالحلول، والاتحاد، ووحدة الوجود. . . ونحوها.



(١) انظر على سبيل المثال الكتب التالية: (التوحيد) للماتريدي؛ و (الإنصاف) للباقلاني؛ و (تمهيد الأوائل) للباقلاني؛ و (الإرشاد) للجويني؛ و (أصول الدين) للبغدادي؛ و (الأربعين) للغزالي؛ و (المواقف) للأيجي؛ و (شرح المقاصد) للتفتازاني ونحوها. تجدها ـ رغم أنها من كتب أجلة المتكلمين ـ تقرر التوحيد على منهج الفلاسفة من حيث المقدمات العقلية والمصطلحات الفلسفية، والمحارات العقلية بعيداً عن منهج القرآن والسنّة ودلالة الفطرة، وغاية ما يرومونه (توحيد الربوبية) وإثبات الخالق، وهو أمرٌ بدهي لا ينكره الكفار ولا المشركون، لكن توحيد الإلهية والعبادة والقصد والطلب والإثبات لا يعرجون عليه.

(٢) الفتاوى ٢/٧.

(٣)

من أعظم سمات أهل الأهواء عموماً الجهل (سمة)

ويشمل ذلك الجهل بالله تعالى وتوحيده وحقوقه.

والجهل بمنهج الأنبياء وما أنزل الله إليهم من الهدى والنور.

والجهل بنصوص الشرع.

والجهل بآثار السلف وعقيدتهم ومناهجهم ومنزلتهم.

والجهل بقواعد الشرع ومقاصده.

والجهل بمنهج التلقي والاستدلال.

والجهل سمة عامة لأهل الأهواء، وإن كانوا يتفاوتون في ذلك تفاوتاً عظيماً، كما أنه قد يوجد من أتباع الأهواء أو رؤوسها من هو عالم بشعبة أو أكثر من شعب العلم، كاللغة، أو الفقه، أو التفسير، أو الحديث، وهذا قليل؛ لأن كل أهل الحديث في القرون الثلاثة الفاضلة أهل سنّة على مذهب السلف إلاَّ النادر، وكذلك بعد القرون الثلاثة غالب أهل الحديث أهل سنّة، إلاَّ القليل ممن خالطتهم مذاهب المتكلمين، ووقعوا في شيء من التأويلات.

ومن مظاهر جهل أهل الأهواء ما يلي:

١ ـ جهلهم بما دل عليه الكتاب والسنّة وآثار السلف (سمة):

قال شيخ الإسلام: «لكن كثيراً من المتكلمين أو أكثرهم لا خبرة لهم بما دل عليه الكتاب والسنّة وآثار الصحابة والتابعين لهم بإحسان؛ بل ينصر مقالات يظنها دين المسلمين، بل إجماع المسلمين، ولا يكون قد قالها أحد من السلف، بل الثابت عن السلف مخالف لها، فلما وقع بين المتكلمين تقصير وجهل كثير بحقائق العلوم الشرعية، وهم في العقليات تارة يوافقون الفلاسفة على باطلهم، وتارة يخالفونهم في حقهم، صارت المناظرات بينهم دولاً، وإن كان المتكلمون أصح مطلقاً في العقليات الإلّهية والكلية، كما أنهم أقرب إلى الشرعيات من الفلاسفة، فإن الفلاسفة كلامهم في الإلّهيات والكليات قاصر جداً، وفيه تخليط كثير، وإنما يتكلمون جيداً في الأمور الحسية الطبيعية، وفي كلياتها، فكلامهم فيها ـ في الغالب ـ جيد.

وأما الغيب الذي تخبر به الأنبياء، والكليات العقلية التي تعم الموجودات كلها، وتقسيم الموجودات كلها قسمة صحيحة، فلا يعرفونها ألبتة»[١].

وقال: «إذ المقصود هنا أن من أكابر الفضلاء من لا يعرف أقوال الأئمة في أكابر المسائل، لا أقول أهل الحق ولا أهل الباطل، بل لم يعرف إلاَّ بعض الأقوال المبتدعة في الإسلام، ومن المعلوم أن السلف والأئمة كان لهم قول ليس هو قول المعتزلة ولا الكُلابية ولا الكرامية ولا هو قول المسمَّين بالحَشْوية فأين ذلك القول؟ أكان أفضل الأمة وأعلمها وخير قرونها لا يعلمون في هذا حقاً ولا باطلاً؟»[٢].

---

(١) الفتاوى ١٧/ ٣٣٤، ٣٣٥.

(٢) درء التعارض ٢/ ٣١٣.

وقال: «فتبيَّن أن قول الذين يعرضون عن طلب الهدى والعلم في كلام الله ورسوله ﷺ، ويطلبونه في كلام غيره، من أصناف أهل الكلام والفلسفة والتصوف وغيرهم، هم من أجهل الناس وأضلّهم بطريق العلم، فكيف بمن يعارض كلامه كلام هؤلاء الذين عارضوه وناقضوه، ويقول: إن الحق الصريح والعلم والهدى إنما هو في كلام هؤلاء المناقضين، المعارضين لكلام رسول رب العالمين»[1].

وقال: «وكان هذا من تلك البدع الكلامية، كبدع الذين جعلوا أصل الدين مبنياً على كلامهم في الأجسام والأعراض، ولهذا كثر ذم السلف والأئمة لهؤلاء، وإذا رأيت الرجل قد صنف كتاباً في أصول الدين ورد فيه من أقوال أهل الباطل ما شاء الله ونصر فيه من أقوال أهل الحق ما شاء الله، ومن عادته أنه يستوعب الأقوال في المسألة فيبطلها إلاَّ واحداً، ورأيته في مسألة كلام الرب تعالى وأفعاله أو نحو ذلك ترك من الأقوال ما هو معروف عن السلف والأئمة، تبين أن هذا القول لم يكن يعرفه ليقبله أو يردّه، إما لأنه لم يخطر بباله أو لم يعرف قائلاً به، أو لأنه خطر له فدفعه بشبهة من الشبهات. وكثيراً ما يكون الحق مقسوماً بين المتنازعين في هذا الباب»[2].

وقال: «ولكن دخلت الشبهة في ذلك بأن قوماً كان لهم ذكاء تميزوا به في أنواع من العلوم: إما طبيعية، كالحساب والطب، وإما شرعية، كالفقه مثلاً. وأما الأمور الإلّهية فلم يكن لهم بها خبرة كخبرتهم بذلك، وهي أعظم المطالب وأجل المقاصد، فخاضوا فيها بحسب أحوالهم، وقالوا فيها مقالات بعبارات طويلة مشتبهة، لعل كثيراً من أئمة المتكلمين بها لا يحصلون حقائق تلك الكلمات، ولو طالبتهم بتحقيقها لم يكن عندهم إلاَّ

---

(١) درء التعارض ٥/ ٣٧٤.

(٢) درء التعارض ٢/ ٣٠٩.

الرجوع إلى تقليد أسلافهم فيها.

وهذا موجود في منطق اليونان وإلهياتهم، وكلام أهل الكلام من هذه الأمة وغيرهم، يتكلم رأس الطائفة كأرسطو مثلاً بكلام، وأمثاله من اليونان بكلام، وأبـي الهذيل والنظام وأمثالهما من متكلمة أهل الإسلام بكلام، ويبقى ذلك الكلام دائراً في الأتباع، يدرسونه كما يدرس المؤمنون كلام الله، وأكثر من يتكلم به لا يفهمه.

وكلما كانت العبارة أبعد عن الفهم كانوا لها أشد تعظيماً، وهذا حال الأمم الضالة، كلما كان الشيء مجهولاً كانوا أشد له تعظيماً، كما يعظِّم الرافضة المنتظر، الذي ليس لهم منه حسٌّ ولا خبر، ولا وقعوا له على عين ولا أثر.

وكذلك تعظيم الجهال من المتصوفة ونحوهم للغوث وخاتم الأولياء، ونحو ذلك مما لا يعرفون له حقيقة»[1].

قلت: ومن ذلك طريقة الحداثيين في التعبير عن أغراضهم الباطنية بعبارات ورموز وطلسمات، ثم يشرحونها بما يزيدها غموضاً وتعقيداً ويجدون في ذلك غاية المتعة.

وغالب أهل الكلام والأهواء لا خبرة لهم بالحديث وآثار الصحابة والتابعين، ولذلك إذا نقلوا المقولات أو حكوها قليلاً ما يذكرون أقوال أئمة السنّة مما يوهم القارىء أن أقوال المسلمين منحصرة فيما نقلوه أو حكوه، أو يتوهم أن السلف أهل السنّة ليس لهم قول.

وإذا نقل بعضهم قول السلف نسبه إلى المشبهة والمجسمة. **يقول شيخ الإسلام عن أحد كبار المتكلمين، وهو الشهرستاني**:

(١) درء التعارض ٥/ ٣١٤، ٣١٥.

«والشهرستاني لا خبرة له بالحديث وآثار الصحابة والتابعين. ولهذا نقل في كتابه هذا ما ينقله من اختلاف غير المسلمين واختلاف المسلمين، ولم ينقل مع هذا مذهب الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين في الأصول الكبار؛ لأنه لم يكن يعرف هذا هو وأمثاله من أهل الكلام، وإنما ينقلون ما يحدثونه في كتب المقالات، وتلك فيها أكاذيب كثيرة من جنس ما في التواريخ»[١].

٢ ـ سوء الأدب مع الله تعالى والخوض في أسمائه وصفاته بغير علم (سمة):

من براهين جهل أهل الأهواء كلامهم في صفات الله تعالى بغير علم، بالتعطيل والتأويل والسلوب وقلة أدبهم في ذلك، وقد ذكر ابن القيم نموذجاً من توهماتهم في حق الله تعالى، قال:

«وقال الآخر: بل هو موصوف بالسلوب والإضافات، فلا سمع له ولا بصر، ولا حياة، ولا إرادة، ولا يتكلم، ولا يكلم أحداً من خلقه، ولا هو داخل العالم ولا خارجه، ولا فوق العرش ولا تحته، ولا يمينه ولا يساره، ولا خلفه ولا أمامه، ولا له وجه، ولا يرضى ولا يغضب، ولا يسخط ولا يضحك، ولا يفرح بتوبة تائب، ولا استوى على عرشه، ولا ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، ولا يأتي يوم القيامة، ولا يجيء لفصل القضاء، ولا يراه المؤمنون بأبصارهم، ولا يستمعون كلامه، ولا يقوم به فعل ألبتة، ولا وصف، ولا له حقيقة وماهية غير وجود مطلق، وهو وجه كله، وسمع كله، وبصر كله، ويد كله، علمه ذاته، وسمعه وبصره علمه، ليس له يد غير القدرة، خلق بها آدم، وكتب بها التوراة، وغرس بها جنة عدن يقبض بها

(١) منهاج السنّة ٦/ ٣١٩، ٣٢٠.

السموات، وليس له وجه يراه المؤمنون بأبصارهم، ليس بجوهر، ولا جسم، ولا متحيز ولا متحرك ولا ساكن، ولا ينزل من عنده شيء، ولا يصعد إليه شيء، ولا يقرب منه شيء ولا يحبه أحد...»[1].

وهكذا ترى حشداً من الألفاظ والمصطلحات المبتدعة التي ما أنزل الله بها من سلطان، وغالبها مبناه على التوهمات والظنون، والعجيب أن أهل الكلام الذين يخوضون في الله تعالى وصفاته وأفعاله على هذا النحو الذي ذكره ابن القيم توقفوا في كثير مما جاء في القرآن والسنّة في ذلك، وعدلوا عن كثير مما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ.

٣ ــ عدم رسوخهم في العلم (سمة):

السمة العامة في أهل الأهواء أنهم ليس فيهم من الراسخين في العلم.

قال الشاطبي: «والوصف الثاني بالمعنى الذي أعطاه التقسيم وهو عدم رسوخ في العلم، وكل منفي عنه الرسوخ فإلى الجهل هو مائل، ومن جهة الجهل حصل له الزيغ؛ لأن من نفى عنه طريقة الاستنباط، واتباع الأدلة لبعض الجهالات، لم يحل له أن يتبع الأدلة المحكمة ولا المتشابهة، ولو فرضنا أنه يتبع المحكم لم يكن اتباعه مفيداً لحكمه لإمكان أن يتبعه على وجه واضح البطلان أو متشابه. فما ظنك به إذا اتبع المتشابه، ثم اتباعه للمتشابه ــ ولو كان من جهة الاسترشاد به لا للفتنة به ــ لم يحصل به مقصود على حال. فما ظنك به إذا اتبع ابتغاء الفتنة؟ وهكذا المحكم إذا اتبعه ابتغاء الفتنة به فكثيراً ما ترى الجهال يحتجون لأنفسهم بأدلة فاسدة وبأدلة صحيحة اقتصاراً بالنظر على دليل ما، واطِّراحاً للنظر في غيره من الأدلة الأصولية والفروعية العاضدة لنظره أو المعارضة له، وكثيراً ممن يدعي العلم يتخذ

---

(١) الصواعق ٣/ ١١١٥، ١١١٦.

هذا الطريق مسلكاً»[١].

وقال الشاطبي أيضاً: «وقال محمد بن الفضل البلخي: ذهاب الإسلام من أربعة: لا يعملون بما يعلمون، ويعملون بما لا يعلمون، ولا يتعلمون ما لا يعلمون، ويمنعون الناس من التعلم.

هذا ما قال وهو وصف صوفيتنا اليوم، عياذاً بالله»[٢].

وقال البخاري: «وقال عبد العزيز بن أبي سلمة: إن كلام جهم صنعة بلا معنى، وبناء بلا أساس، ولم يعد قط من أهل العلم»[٣].

وقال الذهبي: «ولقد سئل جهم عن رجل طلق امرأته قبل أن يدخل بها فقال: عليها العدة، فخالف كتاب الله بجهله. وقال الله سبحانه: ﴿ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ﴾[٤] ».

وكذلك ذكروا عن ابن كرام رأس الكرامية، قال ابن حبان: «خذل حتى التقط من المذاهب أردأها ومن المذاهب أوهاها»[٥].

وقال الذهبي: «وكان ناشفاً عابداً قليل العلم»[٦]، وكذلك الحال في أغلب رؤوس البدع، فأغلب رؤوس الرافضة من الجهال، وكذلك الصوفية وأهل الكلام، والفلاسفة، سائرهم قليلة بضاعتهم من العلم الشرعي والفقه في الدين.

وقال ابن حجر في الفتح: «وأخرج ابن أبي حاتم في كتاب (الرد على

---

(١) الاعتصام ١/ ٢٢٢.
(٢) الاعتصام ١/ ٩٦.
(٣) خلق أفعال العباد ٣٢.
(٤) سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٢٣.
(٥) سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٢٤.
(٦) الفتح ١٣/ ٣٤٥.

الجهمية) من طريق خلف بن سليمان البلخي، قال: كان جهم من أهل الكوفة، وكان فصيحاً ولم يكن له نفاذ العلم، فلقيه قوم من الزنادقة فقالوا له: صف لنا ربك. . .»[1]، وفي نص آخر قال: «ولم يكن له علم ولا مجالسة لأهل العلم»[2].

٤ ـ من جهلهم زعمهم أن طريقة الخلف أعلم وأحكم:

نظرة أهل الأهواء لعلماء السلف قاصرة ورديئة، حيث يلمزونهم بقصر النظر وقلة القدرة على التعمق في العلم، وأنهم لذلك آثروا السلامة، وهذا باطل فإن السلف كانوا أهل علم وذكاء ومقدرة على التعمق لكنهم وقفوا حيث أمرهم الله ورسوله.

قال شيخ الإسلام: «ومن هنا قال من قال من النفاة: «إن طريقة الخلف أعلم وأحكم، وطريقة السلف أسلم»؛ لأنه ظن أن طريقة الخلف فيها معرفة النفي، الذي هو عنده الحق، وفيها طلب التأويل لمعاني نصوص الإثبات، فكان في هذه عندهم علم بمعقول، وتأويل لمنقول، ليس في الطريقة التي ظنها طريقة السلف، وكان فيه أيضاً ردٌّ على من يتمسك بمدلول النصوص، وهذا عنده من إحكام تلك الطريق.

ومذهب السلف عندهم عدم النظر في فهم النصوص، لتعارض الاحتمالات، وهذا عنده أسلم؛ لأنه إذا كان اللفظ يحتمل عدة معان، فتفسيره ببعضها دون بعض فيه مخاطرة، وفي الإعراض عن ذلك سلامة من هذه المخاطرة»[3].

---

(١) الفتح ١٣/ ٣٤٥.

(٢) الفتح ١٣/ ٣٤٥.

(٣) درء التعارض ٥/ ٣٧٨.

وما علموا أن السلف هم أهل العلم والعمل، ومن التمس غير سبيلهم هلك، يقول شيخ الإسلام: «ومن آتاه الله علماً وإيماناً، علم أنه لا يكون عند المتأخرين من التحقيق إلاَّ ما هو دون مستوى تحقيق السلف، لا في العلم ولا في العمل»[1].

وقال سفيان الثوري: «إنما العلم بالآثار»[2].

فالعلم ما كان عليه السلف، لكن هؤلاء ما بين مقصِّر أو قاصر، أو متعالم مغرور.

٥ ـ حصرهم الحق في أنفسهم وتجاهلهم لأهل السنّة:

من سمات المخالفين للسنّة أنهم يوهمون الناس بأنهم وحدهم الذين على الحق والاستقامة، ويتجاهلون أهل السنّة، أو يلمزونهم، ليصرفوا أنظار الناس عنهم. يقول شيخ الإسلام في ذلك: «فإذا قالوا: قال أهل الحق، أو المحققون، أو اتفقوا، أو أجمعوا، أو نحو ذلك فإنما يعنون طائفتهم من أهل الكلام، أو سائر أهل الكلام من غير اعتبار لأهل السنّة غالباً، وإذا ذكروا أهل السنّة لمزوهم بالحشوية، أو المقلدة، أو أهل الحديث، أو الحنابلة، أو العامة، وهذه عادة أبـي المعالي، حيث يعبر عن أصحابه بأهل الحق، وأبـي إسحاق الإسفراييني وغيرهما»[3].

وعلى هذا النهج أمثال: البغدادي، والشهرستاني، والرازي، والغزالي، ومن سار على نهجهم من المتكلمين.

ثم إنهم ينقلون ويحكون الاتفاق أو الإجماع أو القول بأنه مشهور عن

---

(١) الفتاوى ٧/ ٤٣٦.

(٢) أخرجه أبو نعيم بسنده، الحلية ٧/ ٥٧.

(٣) انظر: بيان تلبيس الجهمية ٢/ ٥٣٤ ـ ٥٣٧ (اللاحم).

الصحابة أو التابعين، أو أهل الحديث، أو الأئمة، وفي الحقيقة أن الأمر ليس كذلك؛ مما كان سبباً في التلبيس وعموم الفتنة، وذلك إما لجهلهم، أو تساهلهم، أو توهمهم، أو الكذب من بعضهم، كما سأبينه في الفقرة التالية:

٦ ـ من جهلهم ينسبون أقوالهم للسلف فيما يناقض مذهب السلف أصلاً:

فبعضهم حين ينسب مقولته للسلف لا يفعل ذلك عن علم ونقل صحيح، إنما يظن هذا هو الحق فينسبه للسلف، وبعضهم يتعمد الكذب لترويج عقيدته، وآخرون يقصدون بأهل السنّة طائفتهم، فينسبون قولهم لأهل السنّة، من هؤلاء البغدادي في مثل قوله:

«واتفق أهل السنّة على اختلاف أجناس الأعراض»[(١)]، مع أن أهل السنّة يبدعون من يقول هذا.

وقال: «واتفقوا على حدوث الأعراض في الأجسام»[(٢)]، وهذا بدعة عند أهل السنّة.

وقال: «واتفقوا على أن كل عرض حادث في محل»[(٣)]، وهو بدعة عندهم.

وقال: «وأجمعوا على وقوف الأرض وسكونها»[(٤)]. ولم يجمعوا على ذلك.

---

(١) الفرق بين الفرق ٣٢٩.
(٢) السابق ٣٢٩.
(٣) السابق ٣٢٩.
(٤) السابق ٣٢٩، ٣٣٠.

وقال: «وأجمعوا على إحالة وصفه بالصورة والأعضاء»[1]، والسلف أهل السنّة يثبتون الصورة كما ورد في النصوص بما يليق بالله ـ تعالى ـ ، أما الأعضاء فيبدعون من تكلم بها نفياً أو إثباتاً لكنهم يثبتون ما أثبته الله لنفسه كاليد، ولا يسمونها عضواً.

وقد حكى إجماعات كثيرة في أمور ينهى السلف عن الخوض فيها ابتداء فضلاً عن أن يتفقوا فيها[2].

كما جعل البغدادي أصول المتكلمين أركاناً لأصول السنّة[3]. موهماً أن ذلك ما عليه السلف، والسلف يتبرَّؤون من هذا المنهج ويمقتونه ويحذرون منه.



(١) السابق ٣٣٢.

(٢) انظر: الفرق بين الفرق ٣٢٩ وما بعدها.

(٣) انظر: الفرق بين الفرق ٣٢٤ وما بعدها.

(٤)

الخصومات والمراء والجدال بغير حق (منهج وسمة)

الخصومات والمراء والجدال في ذات الله وأسمائه وصفاته وفي سائر أمور العقيدة من أصول أهل الأهواء ومناهجهم وسماتهم عموماً، والمتكلمين بخاصة، وقد ذكر الله تعالى عن هذا الصنف في هذه الأمة والأمم الأخرى، حيث ذكر أنواعاً من خصوماتهم وجدالهم، ومن ذلك:

١ ـ القول على الله بلا علم، قال تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٣٣].

٢ ـ قولهم على الله غير الحق، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٦٩]، وقال: ﴿وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [سورة النساء، الآية: ١٧١].

٣ ـ الجدل فيما ليس لهم به علم، قال تعالى: ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٦٦].

٤ ـ الجدل في الحق بعد ظهوره، قال تعالى: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَمَا تَبَيَّنَ﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٦].

٥ ـ الجدل بالباطل، قال تعالى: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾ [سورة غافر، الآية: ٥].

٦ ـ الجدل في آيات الله، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ . . . ﴾ [سورة غافر، الآية: ٣٥].

٧ ـ التفرق والاختلاف، قال تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ۝١٠٣ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝١٠٤ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝١٠٥ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ۝١٠٦ ﴾ [سورة آل عمران، الآيات: ١٠٣ ـ ١٠٦][1].

ومعلوم أن الذين تفرقوا من بعد ما جاءهم البينات هم أهل الأهواء والخصومات، وهم الذين تسود وجوههم يوم القيامة.

قال محمد بن الحنفية: «لا تفنى الدنيا حتى تكون خصومات الناس في ربهم»[2]، وقال عمر بن عبد العزيز: «من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر الشك، أو قال: يكثر التحول»[3].

ولتعلقهم بالخصومات والجدال ابتلوا باتباع شرار المسائل والأغلوطات، وما لا يعقل أصلاً؛ لأن الخصومة واللجاجة تلجئهم إلى المحارات والتعمق، وقد نهى السلف عن هذا المسلك، عن الحسن قال: «شرار عباد الله الذين يتبعون شرار المسائل يعمون بها عباد الله»[4].

---

(١) انظر: درء التعارض ٤٦ ـ ٤٨.

(٢) اللالكائي ١/ ١٢٧؛ والإبانة ٢/ ٥٢١.

(٣) اللالكائي ١/ ١٢٨.

(٤) صون المنطق ٤٥.

والخصومة واللجاج والجدل من صفات أهل الباطل، فقد وصف الله تعالى المشركين بأنهم قوم (خَصِمون) أي أهل خصومة بالباطل فقال تعالى: ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَـٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [سورة الزخرف، الآية: ٥٧، ٥٨].

والبلوى بالجدل علامة الخذلان من الله عز وجل، وعلامة الضلال واتباع الهوى. كما قال النبي ﷺ: **(ما ضل قوم بعد هدى إلاَّ أوتوا الجدل)**.

ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾[1].



(١) أورده السيوطي في الجامع الصغير (٧٩٣٤) وحسَّنه وعزاه إلى أحمد في المسند والترمذي وابن ماجه والحاكم في المستدرك كلهم عن أبـي أمامة. انظر: المسند ٥/ ٢٥٦؛ وابن ماجه حديث (٤٨) ١/ ١٩؛ والترمذي لحديث (٣٢٥٣)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»؛ والحاكم ٤/ ٤٤٨ وصححه ووافقه الذهبـي، وحسّنه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٠٩) ١/ ١٤٦.

(٥)

اتباع الأهواء والظنون (منهج وسمة)

أبرز سمات أهل الأهواء: (اتباع الهوى واتباع الظن) لذلك سُمُّوا: (أهل الأهواء)، واتباع الهوى والظن قاسم مشترك بين جميع أهل الضلال والباطل؛ من المشركين والكفار وأهل الافتراق والمبتدعة وأهل المعاصي والفجور.

قال الله تعالى في حق المشركين: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [سورة النجم، الآية: ٢٣]، وكذلك الحال في سائر أهل البدع والافتراق لأنهم اتصفوا ببعض خصال الكفار.

وقال تعالى في حق المكذبين للرسل من بني إسرائيل ونحوهم: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٨٧]. وكل صاحب هوى له من ذلك نصيب.

وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [سورة المائدة، الآية: ٧٠].

وبيَّن سبحانه أن اتباع الهوى سبب للضلال عن سبيل الله مطلقاً، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [سورة القصص، الآية: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [سورة ص، الآية: ٢٦].

ونهى الله عز وجل رسوله والمؤمنين عن اتباع أهل الأهواء فقال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ [سورة الكهف، الآية: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة طه، الآية: ١٦].

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة الجاثية، الآية: ١٨].

وقال تعالى: ﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٢٠].

وجعل الله تعالى السلامة من الهوى سبباً لدخول الجنة فقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [سورة النازعات، الآيتان: ٤٠، ٤١].

وبين سبحانه أن أهل الأهواء والضلال إنما يتبعون الظن فقال: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ ﴾ [سورة يونس، الآية: ٣٦].

وقال سبحانه: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١١٦].

قال شيخ الإسلام: «وصاحب الهوى يعميه ويصمه الهوى، فلا يستحضر ما لله ورسوله ﷺ في ذلك ولا يطلبه ولا يرضى لرضا الله ورسوله ﷺ، ولا يغضب لغضب الله ورسوله ﷺ، بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه، ويكون مع ذلك معه شبهة دين: أن الذي يرضى له ويغضب له أنه السنة وهو الحق وهو الدين، فإذا قدّر أن الذي معه هو الحق المحض دين الإسلام ولم يكن قصده أن يكون الدين كله لله؛ وأن تكون كلمة الله هي العليا، بل قصد الحمية لنفسه وطائفته أو الرياء ليعظم هو ويثنى عليه، أو فعل ذلك شجاعة وطبعاً،

أو لغرض من الدنيا لم يكن لله ولم يكن مجاهداً في سبيل الله، فكيف إذا كان الذي يدَّعي الحق والسنّة هو كنظيره معه حق وباطل وسنّة وبدعة ومع خصمه حق وباطل وسنّة وبدعة، وهذا حال المختلفين الذين فرقوا دينهم شيعاً وكفّر بعضهم بعضاً وفسّق بعضهم بعضاً»[1].

والفارق بين صاحب السنّة وصاحب الهوى، أن صاحب الهوى يتعصب لهواه ويماري فيه ويخاصم، والسنّي لا يتعصب للأهواء، سئل أبو بكر بن عياش، قال له رجل: «يا أبا بكر: من السنّي؟ قال: الذي إذا ذكرت الأهواء لم يتعصب لشيء منها»[2].

فأهل الأهواء يتبعون أهواءهم ويتعصبون لها، وأهل السنّة لا يتعصبون للأهواء، كما أن أهل الأهواء يجمعون بين الهوى واتباع الظن، وهما متلازمان غالباً.

قال ابن القيم في الرد على أهل الكلام وأهل الأهواء: «إن الكلام في الدين نوعان: أمر وخبر، فما عارض الأمر؛ كان من باب الهوى الذي يأمر به الشيطان والنفس، وما عارض الخبر؛ كان من باب الظن والخرص الذي هو أكذب الحديث، وهؤلاء لا تجدهم إلاَّ وقد جمعوا بين الأمرين، فهم في الإرادات تابعون لأهوائهم، وفي الاعتقادات تابعون لظنونهم، قال تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة النجم، الآية: ٢٣] »[3].

وقال: «إن من تأمل أقوال هؤلاء المعارضين للوحي بعقولهم وآرائهم، وجدها قد جمعت أمرين، كل منهما يدل على بطلانها:

---

(١) منهاج السنّة ٥/٢٥٦.
(٢) اللالكائي ١/ ٦٥.
(٣) انظر: الصواعق ٤/ ١٢١٠.

أحدها: اختلافها في نفسها، واضطرابها، وتهافتها، وهذا يدل على أنها ليست من عند الله، كما قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [سورة النساء، الآية: ٨٢].

فيكفيك من فساد القول اختلافه واضطرابه وتناقضه.

الثاني: أن مصدرها الخرص والظن والتخمين، وليست صادرة عن وحي علمت عصمته، ولا عن فطرة وعقل اشترك العقلاء فيما أثبته ونفاه»[1].

وهاتان الخصلتان: اتباع الهوى واتباع الظن، من خصال أهل الأهواء وسماتهم في كل زمان. وهما مبدأ الانحراف والضلال والابتداع ومنتهاه. ولا يسلم منهما إلاَّ من سلَّم لوحي الله تعالى واتَّبع ما جاء به الرسول ﷺ وسلك سبيل السنّة والجماعة: اعتقاداً وقولاً وعملاً. وكل من أخلَّ بشيء من ذلك فهو متَّبع للظن والهوى بقدر إخلاله، فمن مقل أو مكثر أو مدبر بالكلية. نسأل الله السلامة من الهوى والظن الباطل.



(١) الصواعق ١٤٢٩، ١٤٣٠.

(٦)
من منهج أهل الأهواء
وسماتهم التلبيس (منهج وسمة)

أي لبس الحق بالباطل، واستخدام الأساليب والمصطلحات والألفاظ الموهمة للحق لإيهام الناس وخداعهم، وللترويج لمقولاتهم وعقائدهم.

ومن ذلك تسميتهم أنفسهم بأسماء أهل الحق: كأهل التوحيد، والعدل، والمؤمنين، وأهل الحق، وأهل السنّة وأولياء الله، ونحو ذلك.

وقد ذمّ الله تعالى هذه الخصلة في بني إسرائيل ونهى عنها، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٤٢].

فمن تلبيسات أهل الأهواء:

١ ــ دعواهم أنهم أهل الحق والتوحيد والعدل والاستقامة والسنّة:

ما من صاحب هوى وبدعة إلاَّ ويدعي أنه على الحق، ولذلك نجد غالب أهل الافتراق يسمون أنفسهم بأسماء وصفات وألقاب توهم أنهم على الحق، وأنهم الناجون؛ فالخوارج يسمون أنفسهم أهل الحق، والمؤمنين، وأهل الإسلام، وأهل الدعوة، والمعتزلة يسمون أنفسهم: أهل العدل، وأهل التوحيد، والصوفية يسمون أنفسهم: الأولياء، والمتكلمون يسمون أنفسهم: أهل الاستقامة والسنّة والنظر.

وهكذا سائر الفرق، مع أنهم كلهم ليسوا كذلك، إنما أهل هذه الصفات هم الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بذلك، والذين على ما كان عليه هو ﷺ وأصحابه، وهم أهل السنّة والجماعة.

٢ ــ ومن التلبيس جعلهم السنّة بدعة والبدعة سنّة:

فهم يزعمون أن أصولهم ومقولاتهم هي السنّة، ويجعلون السنّة هي البدعة، فيصفون ما عليه الصحابة والأئمة ــ حتى أئمتهم في المذاهب، كأبـي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ــ يجعلون أقوالهم في العقيدة هي البدعة. والسنّة ما أحدثوه من الكلام والمقولات والأمثلة لذلك كثيرة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن الإمام أحمد في أمره باتِّباع السنّة، ومعرفته بها، ولزومه لها، ونهيه عن البدع، وذمّه لها ولأهلها، وعقوبته لأهلها ــ بالحال التي لا تخفى ــ ثم إن كثيراً ممّا نصّ هو على أنه من البدع التي يُذم أهلُها، صار بعض أتباعه يعتقد أن ذلك من السنّة، وأن الذي يُذم من خالف ذلك، مثل كلامه في مسألة القرآن في مواضع: منها تبديعه لمن قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق، وتجهيمه لمن قال: مخلوق. ثم إن من أصحابه من جعل ما بدَّعه الإمام أحمد هو السنّة، فتراهم يحكمون على ما هو من صفات العبد ــ كألفاظهم وأصواتهم وغير ذلك ــ بأنه غير مخلوق، بل يقولون: هو قديم. ثم إنهم يبدِّعون من لا يقول بذلك، ويحكمون في هؤلاء بما قاله أحمد في المبتدعة، وهو فيهم.

وكذلك ما أثبته أحمد من الصفات التي جاءت بها الآثار واتفق عليها السلف، كالصفات الفعلية من الاستواء والنزول والمجيء والتكلم إذا شاء وغير ذلك، فينكرون ذلك بزعم أن الحوادث لا تحل به، ويجعلون ذلك بدعة، ويحكمون على أصحابه بما حكم به أحمد في أهل البدع، وهم من

أهل البدعة الذين ذمهم أحمد، لا أولئك؛ ونظائر هذا كثيرة»[1].

قلت: سواء كان هذا الانحراف صائراً عن التباس على بعض قائليه، أو عن ابتداع، فإنه في سبيل الأهواء وتلبيساتهم، أما فاعله وقائله فأمره إلى الله، إذ قد يكون من المنتسبين للسنّة لكنه أخطأ فصار أمره ملبساً على غيره، واللّه أعلم.

٣ ـ من تلبيسهم إلحاق البدع المحدثة بالعمل المشروع:

ومن تلبيسات أهل الأهواء إلحاقهم بعض بدعهم بأمور مشروعة، إما عن هوى أو عن جهل.

يقول الشاطبي: «وأما غير العالم وهو الواضع لها [يعني البدع]، فإنه لا يمكن أن يعتقدها بدعة، بل هي عنده مما يلحق بالمشروعات، كقول من جعل يوم الاثنين يصام؛ لأنه يوم مولد النبي ﷺ، وجعل الثاني عشر من ربيع الأول ملحقاً بأيام الأعياد؛ لأنه ـ عليه السلام ـ ولد فيه، وكمن عَدّ السماع والغناء مما يتقرب به إلى الله بناءً على أنه يجلب الأحوال السنية، أو رغب في الدعاء بهيئة الاجتماع في أدبار الصلوات دائماً بناءً على ما جاء في ذلك حالة الوحدة، أو زاد في الشريعة أحاديث مكذوبة لينصر في زعمه سنّة محمد ﷺ.

فلما قيل له: إنك تكذب عليه، وقد قال: (**من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**). قال: لم أكذب عليه وإنما كذبت له، أو نقص منها تأويلاً عليها لقوله تعالى في ذم الكفار: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾﴾ فأسقط اعتبار الأحاديث المنقولة بالآحاد لذلك ولما أشبهه؛ لأن خبر الواحد ظني، فهذه كلها من قبيل التأويل.

---

(١) الاستقامة ١/ ١٥.

وأما المقلد فكذلك أيضاً لأنه يقول: فلان المقتدى به يعمل بهذا العمل ويفتي به كاتخاذ الغناء جزءاً من أجزاء طريقة التصوف بناءً منهم على أن شيوخ التصوف قد سمعوه وتواجدوا عليه، ومنهم من مات بسببه، وكتمزيق الثياب عند التواجد بالرقص وسواه؛ لأنهم قد فعلوه، وأكثر ما يقع مثل هذا في هؤلاء المنتمين إلى التصوف.

وربما احتجوا على بدعتهم بالجنيد والبسطامي والشبلي وغيرهم فيما صح عندهم أو لم يصح، ويتركون أن يحتجوا بسنّة الله ورسوله ﷺ وهي التي لا شائبة فيها، إذا نقلها العدول وفسرها أهلها المكبون على فهمها وتعلمها. ولكنهم مع ذلك لا يقرون بالخلاف للسنّة بحتاً، بل يدخلون تحت أذيال التأويل، إذ لا يرضى منتمٍ إلى الإسلام بإبداء صفحة الخلاف للسنّة أصلاً»[1].

٤ ــ ومن تلبيسهم قلب الحقائق والتلاعب بالألفاظ:

من تلبيس أهل الأهواء على الناس: قلبهم للحقائق، وتسميتهم للأشياء والألقاب في غير موضعها اللغوي أو الشرعي، والتلاعب بالألفاظ، واستعمال المصطلحات والألفاظ المجملة والمحتملة في غير معناها الأصلي، وإغفال المعنى الشرعي المفهوم عند السلف أو نفيه تلبيساً وإيهاماً أنه معنى فاسد.

يقول ابن القيم: «ومن ذلك لفظ العدل، جعلته القدرية اسماً لإنكار قدرة الرب على أفعال عباده، وخلقه لها، ومشيئته، فجعلوا إخراجها عن قدرته ومشيئته وخلقه هو العدل، وجعل سلفهم إخْراجَها عن تقدم علمه، وكتابته من العدل، وسموا أنفسهم بالعدلية، وعمدوا إلى إثبات عموم قدرته

---

(١) الاعتصام ٢/٦٣، ٦٤.

على كل شيء من الأعيان والأفعال، وخلقه لكل شيء، وشمول مشيئته له، فسموه حيزاً، ثم نفوا هذا المعنى الصحيح، وعبروا عنه بهذا الاسم المنكر، وأثبتوا ذلك المعنى الباطل، وعبروا عنه بالاسم المعروف، ثم سموا أنفسهم أهل العدل والتوحيد، وسموا مَنْ أثبتَ صفات الرب، وأثبت قدره وقضاءه أهل التشبيه والجبر. وكذلك فعل الرافضة سواء سموا موالاة الصحابة نصباً، ومعاداتهم موالاة أهل بيت رسول الله ﷺ، وكذلك المرجئة سموا مَنْ قال في الإيمان بقول الصحابة والتابعين واستثنى فيه فقال: أنا مؤمن إن شاء الله، شكاكاً»[1].

وقال: «وإذا قالوا لمن أثبت الصفات: إنه مشبه، صوروا في الذهن قوماً يقولون: إن الله مثلهم، وله وجه كوجوههم، وسمع كأسماعهم وبصر كأبصارهم، ويدان كأيديهم، ونزول كنزولهم، واستواء كاستوائهم، وفرح كفرحهم.

وإذا قالوا: حشوية، صوروا في ذهن السامع قوماً قد حشوا في الدين ما ليس منه، وأدخلوه فيه، وهو حشو لا أصل له»[2].

ومن تلبيسات أهل الأهواء: استعمال الألفاظ المجملة والمحتملة وعدم مصادمة النصوص مباشرة إنما الاحتيال وإثارة الإشكالات.

قال شيخ الإسلام: «ومما ينبغي أن يعلم أن المبطل إذا أراد أن ينفي ما أثبته القرآن أو يثبت ما نفاه، لم يصادم لفظ القرآن إلاّ إذا أفرط في الجهل، مثل من ينكر من الجهمية إطلاق القول بأن الله تعالى كلّم موسى تكليماً، أو أن الرحمن على العرش استوى ونحو ذلك»[3].

---

(١) الصواعق ٣/ ٩٤٩، ٩٥٠.

(٢) الصواعق ٣/ ٩٥١.

(٣) بيان تلبيس الجهمية ١/ ٣٨٢ (حقي).

وقال: «وإذا كانت ألفاظ النصوص لها حرمة، لا يمكن المظهر للإسلام أن يعارضها، فهم يعبرون عن المعاني التي تنافيها بعبارات أخرى ابتدعوها ويكون فيها اشتباه وإجمال. . .» ثم ذكر كلام الإمام أحمد في أهل الأهواء وجاء فيه: «يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم»[1].

٥ ــ ومن التلبيس زعمهم أن بعض السلف على مذاهبهم:

لما عد البغدادي متكلمة أهل السنّة ــ كما سماهم ــ ذكر منهم:

من الصحابة علي بن أبي طالب، ومن التابعين عمر بن عبد العزيز، ثم جعفر الصادق، ثم ذكر أبا حنيفة والشافعي، وابن سريج ثم أبا الحسن الأشعري[2].

ومن المفارقات العجيبة أن هؤلاء الذين عدهم البغدادي من متكلمة السنّة كما سماهم كانوا أشد السلف على أهل الكلام والأهواء ــ عدا الأشعري ــ وقد كان الأشعري حرباً على المعتزلة، لكن خالط مذهبه شيء من الكلام.

فقد كانوا ممن تصدى بقوة وحزم لأسلاف المتكلمين الخوارج والشيعة والقدرية ورؤوس المتكلمين أمثال: غيلان، والجعد، والجهم، وعمرو بن عبيد، وواصل، والمريسي. وهؤلاء هم أسلاف المتكلمين الذين تصدى لهم السلف ومنهم الذين ذكرهم هنا، أما أن يكون هؤلاء الأئمة الذين ذكرهم هم متكلمة أهل السنّة فهذه مغالطة؟

---

(١) بيان تلبيس الجهمية ١/ ٣٨٣ (حقي)؛ وانظر: كلام الإمام أحمد في الرد على الزنادقة والجهمية ٨٥.

(٢) الصواعق ٣/ ٩٥١.

ثم متى كان لأهل السنّة متكلمة؟ قد يكون قصده أنهم جادلوا أهل الأهواء والكلام. لكن لا نوافقه على هذا التلبيس، إن عبارة متكلمة أهل السنّة لا تصح بل هي متناقضة، كما لو قيل: رافضة أهل السنّة، أو جهمية أهل السنّة، أو خوارجهم، أو فلاسفتهم، أيصح ذلك؟ بالطبع لا.

فهما نقيضان، فإذا قيل أهل السنّة فارقتهم الأسماء الأخرى المفترقة.

وهذا التلبيس ليس من عمل البغدادي فحسب (وهو من خيارهم)، بل سائر أهل الأهواء كذلك، فالجهمية والمعتزلة تنسب مذاهبها لبعض الصحابة والتابعين، وكذلك الرافضة، والصوفية. وهكذا كل يدعي وصلها بليلى، لكن أصحاب الشأن أهل السنّة بريئون من ذلك كله، ومن كان منهم لا يتسمى بغير الإسلام والسنّة.

٦ ـ وتسميتهم مذهب السلف في إثبات الصفات (تشبيهاً)، وأنواع أخرى من الأوصاف والألقاب الشائنة تلبيساً وتمويهاً:

يقول شيخ الإسلام: «وهؤلاء نفاة الأسماء من هؤلاء الغالية من الجهمية الباطنية والفلاسفة، وإنما استطالوا على المعتزلة بنفي الصفات وأخذوا لفظ «التشبيه» بالاشتراك والإجمال، كما أن المعتزلة فعلت كذلك بأهل السنّة والجماعة مثبتة الصفات، فلما جعلوا إثبات الصفات من التشبيه الباطل، ألزمهم أولئك بطرد قولهم، فألزموهم نفي الأسماء الحسنى»[١].

ومن تلبيسات أهل الأهواء عموماً:

تسميتهم السلف: حشوية، ومشبهة، ومجسمة، ورعاع، وأوباش، ونابتة، ووصف أئمة السلف (بالسذاجة) و (الغفلة)[٢].

---

(١) الصفدية ١/١٠٣.

(٢) راجع الصواعق المرسلة ٢/٤٤١؛ وكتاب تبديد الظلام للكوثري ٥، ١٥، ٤٥، ٥٥، ١٥١، ١٥٤، ١٥٧، ١٧١.

وإطلاقهم على التدين (ثقالة)، وترك الفلسفة والكلام (حجر وجهل)[1].

وتسميتهم الأمر والنهي (فتنة وشراً)[2].

وتسميتهم إثبات صفات الله (تجسيماً وتشبيهاً)[3].

وقالوا في اليد والوجه والعين لله تعالى (جوارح وأدوات)[4] لينكروها أو يؤولوها.

وسموا الاستواء (حركة وتحيزاً)[5] لينكروه أو يؤولوه.

وسموا العلو والفوقية (جهة ومكاناً)[6] لينكروه أو يؤولوه.

وسمو النزول والمجيء (حركة وانتقالاً)[7] لينكروه أو يؤولوه.

وتسمية أفعال الله وحكمته ومشيئته (أعراضاً وحوادث)[8] لينكروها أو يؤولوها.

---

(١) انظر: الصواعق المرسلة ٢/ ٤٣٨ ـ ١٤١، ٤/ ١٢١٣. وراجع على سبيل المثال: تأويل مشكل الحديث لابن فورك، والإرشاد للجويني، والفرق بين الفرق للبغدادي، والملل والنحل للشهرستاني، وأساس التقديس للرازي، ومقالات الكوثري، وتعليقاته على كتاب التنبيه والرد للملطي، وكتاب الأسماء والصفات للبيهقي، ودفع شبه التشبيه لابن الجوزي، ومقدمة الكوثري على الرسائل السبكية، ونشأة الفكر الفلسفي للنشار. وأي كتاب من كتب المتكلمين ــ قديماً أو حديثاً ــ فهو على هذا المنوال.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) نفس المصدر السابق.

(٥) نفس المصدر السابق.

(٦) نفس المصدر السابق.

(٧) نفس المصدر السابق.

(٨) نفس المصدر السابق.

ومن تلبيساتهم: الانتماء إلى أئمة أجلاء والزعم بأنهم على مذهبهم لترويج مقالاتهم كانتساب الرافضة لآل البيت، وانتساب أهل الكلام لعلي والحسن البصري، وانتساب الصوفية لأهل الصفة، وهذا من التلبيس.

ومنه تزيين مقالاتهم وعباراتهم بالألفاظ والمحسنات والأغراب لجذب النفوس واستهواء العقول إليهم.

ومن التلبيس ما فعلته كل فرقة:

فالخوارج يسمون أنفسهم (المؤمنين) وبلدهم (دار الإسلام) و (الهجرة) ويسمون المخالفين (كفاراً) ودارهم (دار حرب).

والرافضة تسمي أهل السنّة (الجمهور) ويسمون أنفسهم (المؤمنين) و (أولياء الله) ناهيك عن تفسيراتهم لألفاظ كلام الله تعالى مما هو أشد لبساً وتضليلاً، مثل قولهم في: (مرج البحرين) علي وفاطمة.

يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان (الحسن والحسين).

الجبت والطاغوت (أبو بكر وعمر).

والشجرة الملعونة في القرآن (بنو أمية).

والبقرة (عائشة).

والقدرية والمعتزلة تسمي إنكار القدر (عدلاً).

ونفي الصفات (توحيداً) وإثباتها (تشبيهاً).

والخروج على الأئمة (أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر).

والجهمية يسمون التعطيل (توحيداً)، والإثبات (تجسيماً).

وأهل الكلام يسمون الفلسفة والعقليات والأوهام (توحيداً).

وتأويل الصفات (تنزيهاً)، وإثباتها (حشواً) و (تجسيماً)، وقد ذكرنا كثيراً من تلبيسات أهل الكلام قبل قليل.

والصوفية تسمي الحلول، والاتحاد والشركيات (حقيقة) و (توحيداً).

وتسمي أهل البدع (أولياء) و (أهل الله).

والفلاسفة والباطنية تسمي إلحادها وضلالها (حكمة) و (معرفة) والوحي والشرائع (ظواهر) و (تخييلات) و (جهالات).

وزعمت الباطنية أن (آيات الله) أئمتهم.

والحلال (ما يجب إظهاره)، والحرام (ما يجب ستره).

والصلاة (صلاة الداعي).

والزكاة (إيصال الحكمة).

والصوم (ستر عقائدهم).

والحج (زيارة شيوخهم)[1].

ومما يجب التنبه له هنا أن تلبيسات أهل الكلام تأتي في معارضة القرآن والسنّة وطريقة السلف، فإن سائر أصول المتكلمين لا يدل عليها القرآن، بل هو على نقيضها لكنهم يلبسون على الناس بألفاظ مشتبهات فمثلاً:

قولهم بأن الله تعالى «ليس على العرش، وليس في العلو ولا فوق، ولا داخل العالم ولا خارجه، ولا يشار إليه، ولا يقرب منه شيء، ولا هو يقرب من شيء، ولا ينزل ولا يجيء، ولا يحتجب، ولا يصعد إليه شيء، ولا ينزل منه شيء...»[2] إلخ، يصادم ما جاء به القرآن وجاءت به السنّة من أن الله تعالى على عرشه فوق عباده، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [سورة طه، الآية: ٥]، قريب منهم ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، يجيء ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾، وينزل للحديث «ينزل ربنا تبارك وتعالى...» ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾، ونحو

---

(١) انظر: الحركات الباطنية للخطيب ١٣٠ وما بعدها.

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية ١/ ٣٦٠ (الطيار).

ذلك، لكن أهل الكلام يردون ذلك ويصرفونه باعتراضات وتوهمات يزعمونها عقلية فيزعمون أن ذلك انتقال وحركة، وأنه يعني حلول الحوادث بالله تعالى على نحو ما هو معروف في المخلوقات، مع أن الاستواء والعلو والفوقية لله تعالى ثابتة بنص القرآن وصحيح السنّة لكنهم سموا صفات الله وأفعاله بغير اسمها الشرعي ليكون ذلك ذريعة لتأويلها ونفيها.

وقال ابن القيم: «وأما لبس الحق بالباطل: فأنتم تسمون ما أثبته الله لنفسه من الصفات والكلام والعلو والاستواء (تركيباً وتجسيماً وتشبيهاً).

وتسمون عرشه (حيزاً) واستواءه عليه (تحيزاً).

وتسمون صفاته (أعراضاً)، وتنزهونه عنها، وأفعاله (حوادث) وتنفونها عنه، وحكمته (أعراضاً) وتبطلونها، ووجهه الكريم ويديه (جوارح) وتنكرونها.

ويسمون نفيهم وتعطيلهم (تنزيهاً) (وتقديساً وتوحيداً)، فيلتبس الحق بالباطل على من لم يعرف مرادهم من هذا التنزيه والتوحيد والتقديس ولا من ذلك التجسيم والتشبيه والتمثيل»[١].

واعلم يا أخي المسلم ـ حماني الله وإياك ـ أن أسلم طريقة في أسماء الله وصفاته، طريقة القرآن والسنّة، وهي ما عليه السلف الصالح: إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات والأفعال كما يليق بجلال الله تعالى وعظيم سلطانه. وأن كل ما زاد عن ألفاظ الشرع فهو قول على الله بغير علم، ورجم بالغيب، ينافي التسليم لله تعالى، فاستمسك بالقرآن والسنّة ونهج سلف الأمة وحسبك، وإياك أن تستهويك الأهواء، ويستهويك الشيطان فيضلك عن سبيل الله، أو يلبِّس عليك دينك، واحفظ الله يحفظك.

---

(١) الصواعق ٤/١٢١٣، ١٢١٤.

(٧)
التناقض والاضطراب
والتلون والحيرة (سمات)

من سمات أهل الأهواء والبدع والافتراق، التناقض والاضطراب والحيرة والشك والتلوّن، والتلون هو سرعة التقلب من رأي إلى رأي، ومن موقف إلى موقف، فلا يكاد يستقر صاحبه على أمر. ومن التلون الظهور لكل حالة بما يوافقها ولو بغير حق، ولكل قوم بما يوافقهم، فهو نوع من النفاق.

وهذا الاضطراب سمة عامة في أغلب أهل الأهواء أفراداً وفرقاً، فالفرقة الواحدة لا تستقر على رأي أو عقيدة أو موقف وإن جمعتها أحياناً بعض الأصول العامة.

فالخوارج ـ مثلاً ـ يكاد يكون لكل واحد منهم اعتقاد يخصه، ويجمعهم التكفير بالذنوب، ثم إنهم لم يكن لهم اعتقاد في سائر الأصول يجمعهم: فالأوائل منهم كانوا على مذهب الإثبات وخوضهم قليل في مسائل الصفات ونحوها، والمتأخرون كالإباضية صاروا إلى التعطيل والتأويل، ومذهب الجهمية والمعتزلة في أكثر الأصول، كالصفات والقرآن، والرؤية، والشفاعة، والسمعيات. وقد انقسموا إلى فرق شتى.

وكذلك الجهمية والمعتزلة نجدهم فرقاً مفترقة لا يجتمعون على قول، وإن تشابهت أصولهم العامة، كالتعطيل والتأويل والقدر والعدل والخروج، لكنهم في مفردات المسائل لا يجتمعون، بل لا يكاد يتفق منهم اثنان إلا نادراً.

ناهيك بالرافضة، فقد كانوا أول أمرهم شيعة، ثم رافضة، ولم يجتمعوا على إمام ولا أصل، وكان أوائلهم كالخوارج ليس لهم كثير كلام في العقائد، ثم تحولوا إلى مجسمة ثم إلى معطلة (جهمية ومعتزلة)، ولا تزال مذاهبهم أخلاطاً من هذه الفرق وغيرها، إلا أنهم يتميزون بالتقية (النفاق)، واختلطت أصولهم بالمجوسية الفارسية والباطنية وتفرقوا إلى فرق شتى.

والصوفية كانت أول أمرها مجرد نزعات في الزهد والتنسك والتعبد على شيء من الجهل وقلة العلم، ثم تحولت إلى طرق ومدارس شتى بين مقابرية وباطنية وحلولية واتحادية وغيرها، ولا تجمعهم عقيدة ولا ينظمهم أصل، وكل حزب بما لديهم فرحون، وهكذا سائر الفرق المفترقة.

أما رؤوس أهل الأهواء فهم أشد تناقضاً واضطراباً؛ فالواحد منهم تجده يوماً على أصل ومقولة، ثم ما يلبث أن يتراجع أو ينقض قوله وهو يشعر أو لا يشعر، وقد يكفِّر بقول ثم يقول به، وذلك حين أعرضوا عما جاء في الوحي، وعوّلوا على رأيهم في الدين، وجادلوا وتماروا في الدين.

ومن أكثر الفرق تقلباً أهل الكلام، خذ مثلاً:

أبو الحسن الأشعري ـ وأحسبه أفضل أهل الكلام ـ كان معتزلياً ثم كلابياً، وأخيراً يستقر على مذهب السلف، لكن بلوثات كلامية بقيت آثارها في مذهبه وصارت ذريعة لأتباعه من أهل الكلام، فبدؤوها شبراً حتى صارت أميالاً.

ناهيك عن أمثال: الآمدي والجويني والغزالي والرازي قبل رجوعهم عن علم الكلام وتوبتهم منه، فلكل واحد منهم من التناقض والاضطراب الشيء الكثير، فالآمدي انتهى به الأمر إلى الاعتراف بالحيرة، والرازي والجويني انتهى بهما المطاف إلى التسليم بمذهب السلف في الجملة وظنوا أنه التفويض، والغزالي تقلب بين الفلسفة ثم الكلام، ثم التصوف ثم التسليم بمذهب السلف إجمالاً.

فإذا كان الأمر كذلك في مثل هؤلاء من أهل الكلام، وهم مَن هم في فضلهم وعلمهم، فكيف بمن هم دونهم من أهل الأهواء والافتراق؟!

وأحسن وصف قرأته وأجمعه لأهل الأهواء والافتراق وفساد أصولهم قول الإمام أحمد فيهم: «هم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، متفقون على مخالفة الكتاب، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويلبسون على جهال الناس بما يتكلمون به من المتشابه»[(١)].

وإليك شيئاً من تناقضات أهل الأهواء واضطرابهم وتلونهم على جهة التفصيل:

١ ـ التناقض والاضطراب في الاستدلال:

من أصولهم إثبات بعض الأدلة السمعية، والإقرار بها ابتداء، ثم إثبات ما يوجب إبطالها في نهاية الأمر، وهذا تناقض[(٢)].

وهذا ناتج عن الخلل في الأصول والمناهج ابتداء، فهم وإن سلموا بدلالة النصوص فإنما يستدلون بما يصلح لهم.

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة ٨٥، وانظر الفتاوى ٣/ ٣٠٧.

(٢) انظر: درء التعارض ١/ ١٨١.

ثم جهلهم وقلة إحاطتهم بالنصوص وقلة بضاعتهم في الحديث، أو إسقاطهم لأكثره كأحاديث الآحاد يوقعهم في هذا. حتى سموا أحاديث الصفات (حشواً) والسلف وأهل الحديث: (الحشوية).

والأخطر من ذلك أنهم يوردون النص ودلالته، ثم يلقون عليه الشك والإشكال عمداً فيقعون في إنكار دلالة النص في النهاية أو تفويضها كما يفعل أهل الكلام.

٢ ـ تناقض أهل الأهواء والافتراق في الأصول:

من خصائص مذهب أهل السنّة والجماعة أن قولهم في كل مسائل الاعتقاد وأصول الدين قول واحد، وهو بنصه ومعناه ما تقرر في الكتاب والسنّة وإجماع السلف، فلا يختلف أهل السنّة في شيء من ذلك من أول جيل (عصر الصحابة) إلى يومنا هذا، وهذا بحمد الله مما تكفل الله به من حفظ الدين، فهو الصراط المستقيم، والعروة الوثقى، وسبيل المؤمنين، لا تعدد فيه ولا اختلاف؛ لأنه مؤسس على اليقين وعلى الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

أما أهل الأهواء فلا يتفقون في الأصل الواحد على قول واحد، فكيف بسائر الأصول، وهذا وحده دليل كاف لبطلان ما هم عليه لمن وهبه الله البصيرة، وسأعقد موازنة موجزة لبيان هذه الحقيقة بالمثال، أعني أن قول أهل السنّة في أصول الدين قول واحد، وأن أقوال أهل الأهواء كثيرة ومتناقضة ومتعارضة، وإليك الأمثلة:

المعتقد	قول أهل السنّة (قول واحد)	أقوال أهل الأهواء (كثيرة متضاربة)
أسماء الله تعالى	يثبتونها كما جاءت من غير تمثيل. (قول واحد)	التعطيل/ التأويل/ التجهيل التخييل/ هي هو/ هي غيره/ لا معاني لها/ مجاز/ لها ظاهر وباطن/ إلخ.. (أقوال كثيرة).
صفات الله تعالى	يثبتونها كما جاءت من غير تمثيل. (قول واحد)	التعطيل/ التجهيل/ التمثيل/ التأويل/ التفويض/ هي هو/ هي غيره/ أعراض/ أحوال/ غير أعراض/ ليست أحوالاً/ لا معاني لها/ مجاز/ غير حقيقية/ بعضها يثبت وبعضها لا يثبت/ إلخ... (أقوال كثيرة).
كلام الله	الله تعالى موصوف بالكلام، كما وصف نفسه، متى شاء وكيف شاء، وقد تكلم سبحانه على ما يليق بجلاله. (قول واحد)	ما يخلقه على ألسنة المخلوقات/ معاني نفسية/ فيض/ إلهام/ وجدان/ عبارة/ قديم/ محدث/ لا يوصف. (أقوال كثيرة).
القرآن	كلام الله منزل غير مخلوق. (قول واحد)	مخلوق/ كلام نفسي/ معاني قائمة بالنفس/ ما يحدثه في خلقه/ يخلقه على لسان الملك أو الرسول/ فيض/ إلهام/ وجدان في نفس النبي/ إشراق الروح/ لا مخلوق ولا غير مخلوق/

		أزلي/ محدث/ ليس بمحدث. . . إلخ. (أقوال كثيرة).
الرؤية	يرى المؤمنون ربهم في الجنة على ما يليق بجلال الله بأبصارهم. (قول واحد).	نفي الرؤية/ تأويلها بالقلبية/ يرى إلى غير جهة/ الرؤية عبارة عن يقين القلب/ رؤية آياته/ رؤية النعيم والجزاء/ يُرى بحاسة سادسة. (أقوال كثيرة).
عصاة المسلمين (أهل الكبائر)	مسلمون مؤمنون بإيمانهم، فساق بمعاصيهم وفي الآخرة أمرهم إلى الله، إن شاء غفر لهم، أو عذبهم وتشملهم شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر. (قول واحد).	كفار/ حلال الدم إذا أصروا/ وفي الآخرة خالدون في النار/ مؤمنون كإيمان جبريل/ في المنزلة بين المنزلتين/ لا مؤمنون ولا كفار/ منافقون/ لا شفاعة مطلقاً/ باب الشفاعة مفتوح بلا شرط/ لا أحد يشفع/ الكل يشفع بلا قيد. (أقوال كثيرة).
الإيمان	قول وعمل، يزيد وينقص. (قول واحد).	التصديق/ التصديق والقول/ القول فقط/ المعرفة/ معرفة الإمام أو الولي/ يزيد ولا ينقص/ لا يزيد ولا ينقص/ تصديق بلا عمل. (أقوال كثيرة).

وهكذا سائر أصول الدين.

٣ ــ من مظاهر التناقض عندهم: الوقوع في نقيض القصد:

ما من صاحب بدعة إلا ويقع في عكس ما نزع إليه في بدعته، أو في ما فرَّ منه.

فالخوارج غلت في الأحكام والأسماء، حيث كفرت بالمعصية، فوقعت في ما هو من أعظم المعاصي، وهو رد السنّة وتكفير الصحابة، وسائر المؤمنين سواهم، واستحلال الدماء.

والرافضة غلت في آل البيت، فكفّرت الصحابة وزعمت ردتهم، وعادت المسلمين، ووقعت في إنكار مصادر الدين، وتقديس الرجال، بل غلت الرافضة في شخص فكفّرت أمة.

والجهمية أنكرت الصفات تنزيهاً، فشبهت الله بالمعدوم، وردت النصوص الشرعية الصريحة.

والقدرية أنكرت العلم السابق، فوصفوا الله بالجهل، وجعلت الإنسان خالقاً مع الله... وهكذا.

٤ ــ الخلط بين السنن والمحدثات والبدع:

أهل الأهواء والافتراق حيث انحرفت أصولهم في التلقي والاستدلال، صاروا يخلطون بين السنن والبدع تلفيقاً وجهلاً فلا يميِّزون بين سنّة وبدعة.

قال شيخ الإسلام بعد ذكر أهل الكلام والرأي وأهل التصوف: «وصار لهؤلاء من التعبد المحدث طريق يتدينون به، مع تمسكهم بغالب الدين، ولهؤلاء من التعبد المحدث طريق يتمسكون به، مع تمسكهم بغالب التعبد المشروع، وصار لهؤلاء حال من السماع والصوت حتى إن أحدهم يموت أو يغشى عليه.

ولهؤلاء حال في الكلام والحروف حتى خرجوا به إلى تكفير أوقعهم في تحير.

وهؤلاء أصل أمرهم الكلام. وهؤلاء أصل أمرهم الإرادة.

وهؤلاء يقصدون بالكلام التوحيد، ويسمون نفوسهم الموحدين.

وهؤلاء يقصدون بالإرادة التوحيد، ويسمون نفوسهم أهل التوحيد والتجريد.

ولهذا نجد كتب الكلام والتصوف خرجت من البصرة»[١].

٥ ـ الجمع بين المتناقضات في الاعتقادات:

قال شيخ الإسلام: «بل تجد أحدهم يجمع بين النقيضين أو بين رفع النقيضين، والنقيضان اللذان هما الإثبات والنفي لا يجتمعان ولا يرتفعان، بل هذا يفيد صاحبه الشك والوقف، فيتردد بين الاعتقادين المتناقضين الإثبات والنفي، كما يتردد بين الإرادتين المتناقضتين.

وهذا هو حال حذَّاق هؤلاء، كأبي المعالي وأبي حامد، والشهرستاني، والرازي، والآمدي. وأما ابن سينا وأمثاله فأعظم تناقضاً واضطراباً، والمعتزلة بين هؤلاء وهؤلاء في التناقض والاضطراب.

وسبب ذلك جعل ما ليس بمعقول معقولاً لاشتباه الأمر ودقة المسائل، وإلا فالمعقولات الصريحة لا تتناقض، والمنقولات الصحيحة عن المعصوم لا تتناقض.

وقد اعتبرت هذا في عامة ما خاض الناس فيه من هذه الأمور، دقيقها وجليلها، فوجدت الأمر كذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وقد يشكل الشيء ويشتبه أمره في الابتداء، فإذا حصل الاستعانة بالله واستهداؤه ودعاؤه والافتقار إليه، أو سلوك الطريق الذي أمر بسلوكها هدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم»[٢].

---

(١) الفتاوى ١٠/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠.

(٢) الصفدية ١/ ٢٩٤، ٢٩٥.

٦ ـ ليس عند أهل الأهواء قطعيات ولا يقين في حقيقة الأمر:

نظراً لأن مبنى أصول أهل الأهواء على الظنون والأهواء والأوهام والشكوك والاعتراضات، فقد خلت قلوبهم من اليقين وليس عندهم قطعيات باقية، إذ قد يدعون أن شيئاً ما قطعي، ثم هم يعدلون عنه، أو ينقضونه، أو يوردون عليه الإشكالات أو لا يجتمعون عليه. وينقض بعضهم قول بعض.

قال شيخ الإسلام: «وكذلك كون العلم ضرورياً ونظرياً، والاعتقاد قطعياً وظنياً أمور نسبية، فقد يكون الشيء قطعياً عند شخص في حال، وهو عند آخر وفي حال أخرى مجهول، فضلاً عن أن يكون مظنوناً، وقد يكون الشيء ضرورياً لشخص في حال، ونظرياً لشخص في حال أخرى.

وأما ما أخبر به الرسول ﷺ، فإنه حق في نفسه لا يختلف باختلاف عقائد الناس وأحوالهم، فهو الحق الذي لا يقبل النقيض، ولهذا كل ما عارضه فهو باطل مطلقاً، ومن هنا يتبين لك أن الذين بنوا أمرهم على مقدمات إما ضرورية أو نظرية أو قطعية أو ظنية بنوها على أمور تقبل التغيير والاستحالة، فإن القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء، وأما ما جاء به الرسول ﷺ فهو حق لا يقبل النقيض بحال، فهو ﷺ يخبر بالحق كما قال أهل الجنة لما دخلوها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾»[1].

لذلك ليس عند أهل الأهواء صبر ولا يقين في عقائدهم ومواقفهم، بخلاف أئمة السلف، فهم أهل الصبر واليقين، لذلك كانوا أئمة يهدون بأمر الله.

---

(١) درء التعارض ٣/ ٣٠٤.

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [سورة السجدة، الآية: ٢٤].

فهم يتميزون بالصبر على دين الله والثبات عليه، ثم اليقين فيه، فلا تردد ولا اضطراب، ولا شك ولا تهور كما عند المتكلمين[١].

٧ ـ مقدماتهم التي يعولون عليها يختلفون فيها ويناقضونها:

قال ابن الوزير (محمد بن المرتضى اليماني ت ٨٤٠هـ): «بيان أن خوض جميع المتكلمين في عقائدهم الخلافية بين الفرق الإسلامية يتوقف دائماً ـ أو غالباً ـ على الخوض في مقدمات لتلك العقائد، وجميع تلك المقدمات مختلف فيها أشد الاختلاف بين أذكياء العالم وفحول علم المعقولات من علماء الإسلام، دع عنك غيرهم (ثم ضرب أمثلة لذلك)»[٢].

فإن من أبرز خصائص أهل الأهواء ـ عموماً ـ والمتكلمين ـ خصوصاً ـ تعارض أدلتهم وتناقضها أو نقض بعضهم لأصول الفريق الآخر حتى في الفرقة الواحدة ـ كالأشاعرة ـ ، فالمتأخرون منهم يناقضون ما عليه الأوائل.

فالمعتزلة تنقض أصول الجهمية، والأشاعرة تنقض أصول المعتزلة، والفلاسفة تنقض أصول الأشاعرة، ويتجلى هذا التناقض في مسائل، منها:

مسألة الرؤية، وكلام الله تعالى والقرآن، والصفات، والقدر والإيمان، وأنها أمثال تُضرب لتقريبها للحس والخيال[٣].

---

(١) انظر كلام شيخ الإسلام في إمامة أحمد في بيان تلبيس الجهمية ٢/ ٥٥٨ (حقي).

(٢) إيثار الحق ١٥.

(٣) راجع الكشف عن مناهج الأدلة لابن رشد ١٨٥ ـ ١٩١؛ وانظر: بيان تلبيس الجهمية =

قال ابن القيم في أصناف أهل الأهواء: «الصنف الأول: أصحاب التأويل: وهم أشد الأصناف اضطراباً، إذ لم يثبت لهم قدم في الفرق بين ما يتأول وما لا يتأول، ولا ضابط مطرد منعكس تجب مراعاته وتمنع مخالفته بخلاف سائر الفرق، فإنهم جروا على ضابط واحد وإن كان فيهم من هو أشد خطأ من أصحاب التأويل كما سنذكره»[1]، ولهذا وقعوا في:

٨ ــ التنقل وعدم الاستقرار على رأي:

فأهل الأهواء متقلبون، لا يستقر أحدهم على مذهب أو رأي، وسبب ذلك كثرة الجدال والمراء والخصومات. وترك الاعتماد على مصادر اليقين: الكتاب والسنّة وما عليه سلف الأمة.

قال عمر بن عبد العزيز: «من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل»[2].

كما أوقعهم ذلك في:

٩ ــ الحيرة والشك والاضطراب في تقرير مقالاتهم الفاسدة:

قال شيخ الإسلام في وصف حالهم: «وأما الرابع فهو منتهى قول أئمة الجهميّة، وهو الحيرة والشك لتكافؤ الأدلة عند بعضهم، أو لعدم الدليل المرشد عند بعضهم. وهذا عند أصحاب الوحدة هو أعلى العلم بالله تعالى، والكلام في هذه الأمور مبسوط في غير هذا الموضع.

والمقصود هنا التنبيه على مجامع الأقوال ومنشأ الضلال، حيث أخذوا اللفظ «التشبيه» بمعنى مشترك مجمل، فأرادوا نفيه بكل معنى من المعاني،

= (رشيد) ٢/ ٤٣٥ وما بعدها.

(١) الصواعق المرسلة ٢/ ٤١٨.

(٢) الشرح والإبانة ١٤٣.

ومن المعلوم أنه ما من موجودين إلا وبينهما قدر يتفقان فيه، وإن كان المعنى الكلِّيُّ المشترك وجوده في الأذهان لا في الأعيان، فلا بد أن يكون بين أفراد الاسم العام الكلِّيِّ نوع من المشابهة باعتبار اتفاقهما في ذلك المعنى العام، وهذا موضع غَلِطَ فيه كثير من الناس في أحكام الأمور الكلية التي تشتبه فيها أعيانها»[1].

ومن أعظم ما وقع فيه أهل الأهواء:

١٠ ــ الاضطراب والتناقض في موقفهم من السلف:

من مظاهر التلون أن كثيراً من أهل البدع والأهواء قد تراه يثني على السلف ويمدح طريقتهم، وقد يقررها ويدَّعي اعتقادها أو شيء منها، ثم ما يلبث أن ينعطف عليهم وينقلب بالإعراض عن منهجهم أو سبهم أو لمزهم، أو تقرير ما يخالف عقيدتهم ومنهجهم، وقد يشعر بذلك أو لا يشعر أو يكون ممن التبس عليه الحق بالباطل.

أمثلة ذلك:

كبار الأشاعرة كالرازي، والجويني، والغزالي، والبغدادي، والشهرستاني وأكثر متأخريهم فإنهم يثنون على السلف فيما يوافقونهم فيه، وفي مسائل الخلاف كالصفات ينقلبون عليهم، ويَسِمُونَهُم بالتشبيه والحشو والغفلة ونحو ذلك.

ومثلهم كبار الصوفية المتأخرين (أما الأوائل فأكثر موافقة للسلف في العقيدة) وسائر أهل الأهواء، فتجد أحدهم يثني على السلف في مقام، وقد يكون ذلك من باب ترويج بضاعته أو دفع التهمة عن نفسه، وقد يكون ذلك عن صدق وحسن نية أحياناً، ثم ما يلبث أن ينعطف على السلف بالسب

---

(١) الصفدية ١/ ٩٩.

واللمز والتهكم وإطلاق الألفاظ الشنيعة عليهم عندما يخالفهم، ويكثر هذا في تقرير مسائل الصفات.

١١ ــ اضطرابهم وإفلاسهم واعترافهم بذلك في نهاية الأمر:

الأمر العجيب أن غالب كبار المتكلمين ينتهي بهم المطاف إلى الاعتراف بالإفلاس والاضطراب والتسليم لمذهب السلف، ومع ذلك يبقى مقلدوهم على ضلالهم.

قال شيخ الإسلام: «وقد بلغني بإسناد متصل عن بعض رؤوسهم وهو الخونجي صاحب (كشف الأسرار) ــ وهو عند كثير منهم غاية في هذا الفن ــ أنه قال عند الموت: أموت وما علمت شيئاً إلاَّ أن الممكن يفتقر إلى الواجب» ثم قال: «الافتقار وصف عدمي أموت وما علمت شيئاً»، وذكر الثقة عن هذا الآمدي أنه قال: «أمعنت النظر في الكلام وما استفدت منه شيئاً إلا ما عليه العوام» أو كلاماً هذا معناه، وذلك أن هذا الآمدي لم يقرر في كتبه لا التوحيد ولا حدوث العالم ولا إثبات واجب الوجود، بل ذكر في التوحيد طرقاً زيفها، وذكر طريقة زعم أنه ابتكرها وهي أضعف من غيرها، وكان ابن عربي صاحب (الفصوص) و (الفتوحات) وغيرهما يعظم طريقته ويقول: إن الطريقة التي ابتكرها في التوحيد طريقة عظيمة أو ما هو نحو هذا، حتى أمضى الأمر بعض أعيان القضاة الذين نظروا في كلامه إلى أن قال: التوحيد لا يقوم عليه دليل عقلي وإنما يعلم بالسمع، فقام عليه أهل بلده وسعوا في عقوبته وجرت له قصة. وكذلك الأصبهاني اجتمع بالشيخ إبراهيم الجعبري يوماً فقال له: «بت البارحة أفكر إلى الصباح في دليل على التوحيد سالم عن المعارض فما وجدته». وكذلك حدثني من قرأ على ابن واصل الحموي أنه قال: أبيت بالليل وأستلقي على ظهري، وأضع الملحفة على وجهي وأبيت أقابل أدلة هؤلاء بأدلة هؤلاء، وبالعكس،

وأصبح وما ترجح عندي شيء»[1].

قلت: أما قصة رجوع أبـي المعالي الجويني، وابن الخطيب الرازي، والحجة الغزالي ـ وهم أكابر المتكلمين ـ عن الكلام والتسليم بمذهب السلف والتحذير من الكلام فهي مشهورة، ويظهر ـ والله أعلم ـ أن هؤلاء وأمثالهم أصحاب نية صادقة، فوفقوا للتوبة. لكن ما عذر الذين سلكوا طريقهم، وقد رجعوا هم عنها وحذروا منها؟ اللهم إنا نسألك الثبات على الحق.

١٢ ـ الانحراف عند أهل الأهواء أنواع شتى (لكل منهم وجهة):

قال شيخ الإسلام: «إذا تبين ذلك فغالب الفقهاء إنما يتكلمون به في الطاعات الشرعية مع العقلية، وغالب الصوفية إنما يتبعون الطاعات الملِّية مع العقلية، وغالب المتفلسفة يقفون على الطاعات العقلية، ولهذا أكثر المتفقهة من ينحرف عن طاعات القلب وعباداته: من الإخلاص لله، والتوكل عليه، والمحبة له، والخشية له ونحو ذلك، وكثير في المتفقرة والمتصوفة ينحرف عن الطاعات الشرعية، فلا يبالون إذا حصل لهم توحيد القلب وتألُّهه أن يكون ما أوجبه الله من الصلوات، وشرعه من أنواع القراءة والذكر والدعوات أن يتناولوا ما حرم الله من المطاعم، وأن يتعبدوا بالعبادات البدعية والرهبانية ونحوها، ويعتاضوا بسماع المكاء والتصدية عن سماع القرآن، وأن يقفوا مع الحقيقة القدرية معرضين عن الأمر والنهي»[2].

وقال: «ومما يُعتبر به أن النسَّاك وأهل العبادة والإرادة توسعوا في السمع والبصر، وتوسَّع العلماء وأهل الكلام والنظر في الكلام والنظر

---

(١) درء التعارض ٣/ ٢٦٢ ـ ٢٦٤.

(٢) الفتاوى ٢٠/ ٧٢، ٧٣.

بالقلب، حتى صار لهؤلاء الكلام المحدَث، ولهؤلاء السماع المحدَث: هؤلاء في الحروف، وهؤلاء في الصوت، وتجد أهل السماع كثيري الإنكار على أهل الكلام، كما صنَّف الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي مصنَّفاً في ذم الكلام وأهله، وهما[1] من أئمة أهل السماع، ونجد أن أهل العلم والكلام مبالغين في ذم أهل السماع، كما نجده في كلام أبـي بكر بن فورك، وكلام المتكلمين في ذم السماع وأهله والصوفية ما لا يُحصى كثرة.

وذلك أن هؤلاء فيهم انحراف يشبه انحراف اليهود أهل العلم والكلام، وهؤلاء فيهم انحراف يشبه انحراف النصارى أهل العبادة والإرادة»[2].

١٣ ــ كل منهم يقول عن الآخر إنه ليس على شيء:

وفي قولهم هذا شبه بأهل الكتاب، وقد أخبر النبـي ﷺ بوقوع طوائف من هذه الأمة فيما وقع فيه أهل الكتاب. فقد قالت كل فرقة في الأخرى كما قالت اليهود: ﴿لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١١٣].

قال شيخ الإسلام: «واختلاف أهل البدع هو من هذا النمط، فالخارجي يقول: ليس الشيعي على شيء، والشيعي يقول: ليس الخارجي على شيء، والقدري النافي يقول: ليس المثبت على شيء، والقدري الجبري المثبت يقول: ليس النافي على شيء، والوعيدية تقول: ليست المرجئة على شيء، والمرجئة تقول: ليست الوعيدية على شيء، بل ويوجد شيء من هذا بين أهل المذاهب الأصولية والفروعية المنتسبين إلى السنّة،

---

(١) لم يذكر الآخر هنا، ولعله الهروي صاحب (ذم الكلام).
(٢) الاستقامة ١/ ٢٢٠، ٢٢١.

فالكلابـي يقول: ليس الكرامي على شيء، والكرامي يقول: ليس الكلابـي على شيء، والأشعري يقول: ليس السالمي على شيء، والسالمي يقول: ليس الأشعري على شيء، ويصنِّف السالمي كأبـي علي الأهوازي كتاباً في مثالب الأشعري، ويصنف الأشعري كابن عساكر كتاباً يناقض ذلك من كل وجه، وذكر فيه مثالب السالمية»[1].

وقال إبراهيم النخعي في قوله ــ عزَّ وجلّ ــ : ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ قال: «هم أصحاب الأهواء»[2].

❑ ❑ ❑

(١) منهاج السنّة ٥/ ٢٦٠، ٢٦١.

(٢) الشرح والإبانة ١٤١.

(٨)
الغل على المسلمين
وسب السلف ولمزهم (منهج وسمة)

لعل قائلاً يقول: كيف يقال إن أهل الأهواء في قلوبهم غل على المسلمين وهم يَدَّعون الإسلام، ويَدْعُون إلى الإسلام ونصرته والإشفاق على المسلمين. فيقال: نعم، مع دعواهم هذه فهم يحصرون الحق والولاء في جماعتهم ويرون غيرهم من المسلمين ضالاً هالكاً، فالخوارج يكفرون غيرهم، والرافضة كفروا الصحابة فضلاً عن عامة المسلمين، والمعتزلة ضللوا غيرهم، وسَبُّوا أئمة الهدى وقدحوا في عدالتهم. . وهكذا.

وقد ذكر الشاطبي أنموذجاً لأهل الأهواء يتمثل في عمرو بن عبيد، رأس المعتزلة.

قال الشاطبي: «وقال عمر بن النضر: سُئل عمرو بن عبيد يوماً عن شيء ــ وأنا عنده ــ فأجاب فيه. فقلت له: ليس هكذا يقول أصحابنا، قال: ومن أصحابك لا أباً لك؟ قلت: أيوب، يونس، ابن عون، التيمي. قال: أولئك أنجاس أرجاس، أموات غير أحياء.

وقال ابن علية: حدثني اليسع، قال: تكلم واصل يعني ابن عطاء ــ يوماً ــ قال ــ فقال عمرو بن عبيد: ألا تسمعون؟ ما كلام الحسن وابن سيرين عندما تسمعون إلا خرقة حيضة ملقاة، وكان واصل بن عطاء

أول من تكلم في الاعتزال فدخل معه في ذلك عمرو بن عبيد فأُعجب به، فزوجه أخته. وقال لها: زوجتك برجل ما يصلح إلا أن يكون خليفة. ثم تجاوزوا الحد حتى ردوا القرآن بالتلويح والتصريح لرأيهم السوء. فحكى عمرو بن علي أنه سمع ممن يثق به أنه قال: كنت عند عمرو بن عبيد ــ وهو جالس على دكان عثمان الطويل ــ فأتاه رجل فقال: يا أبا عثمان! ما سمعت من الحسن يقول في قول الله ــ عزَّ وجلّ ــ : ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ قال: تريد أخبرك برأي حسن. قال: لا أريد إلا ما سمعت من الحسن. قال: سمعت الحسن يقول: كتب الله على قوم القتل فلا يموتون إلا قتلاً، وكتب على قوم الهدم فلا يموتون إلا هدماً، وكتب على قوم الغرق فلا يموتون إلا غرقاً، وكتب على قوم الحريق فلا يموتون إلا حرقاً. فقال له عثمان الطويل: يا أبا عثمان، ليس هذا قولنا. قال عمرو: قد قلت أريد أن أخبرك برأي الحسن، فأنا أكذب على الحسن. وعن الأثرم، عن أحمد بن حنبل قال: حدثنا معاذ. قال: كنت عند عمرو بن عبيد، فجاءه عثمان بن فلان. فقال: يا أبا عثمان! سمعت ــ والله ــ بالكفر. قال: ما هو؟ لا تعجل بالكفر. قال: هاشم والأوقص زعم أن: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾، وقوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١﴾ لم يكن هذا في أم الكتاب، والله تعالى يقول: ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾، فما الكفر إلا هذا، فسكت ساعة ثم تكلم، فقال: والله لو كان الأمر كما تقول ما كان على أبـي لهب من لوم، ولا كان على الوليد من لوم. قال عثمان ــ في مجلسه ــ : هذا والله الدين ــ قال معاذ ــ ، ثم قال في آخره: فذكرته لوكيع، فقال: يستتاب قائلها، فإن تاب وإلا ضربت عنقه»[1].

(١) الاعتصام ١/ ٢٣٢ ــ ٢٣٤.

فائدة هامة:

لقد صرف الله تعالى الشتم المباشر عن أهل السنّة كما صرف الله تعالى الذم المباشر عن رسول الله ﷺ حين كانت قريش تعيره وتسب مذمماً، وليس هذا اسم النبي ﷺ، إنما اسمه محمداً. قال النبي ﷺ: «**يسبون مذمماً وأنا محمد**»[1]، كذلك الأمر في سب السلف، لا نجد من أهل الأهواء من سب أهل السنّة والحديث مباشرة، بل ينصرف الذم للمجسمة والحشوية والناصبة.

وحقيقة الأمر أن السلف ليسوا مجسمة ولا حشوية ولا ناصبة، فصرف الله عنهم السب.

وبالمقابل نجد أن الله تعالى سلّط ألسنة عباده الصالحين على الفرق بأسمائها، الجهمية، والرافضة، والمعتزلة، والخوارج ففضحوهم، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

والآن أسوق جملة من مناهج أهل الأهواء تجاه السلف وأقوال أهل العلم:

١ ــ الطعن في أصحاب رسول الله ﷺ:

أول من تجرأ بالطعن في أصحاب رسول الله ﷺ السبئيّة الأولى (الخوارج والشيعة)، ثم صار هذا ديناً للرافضة، والخوارج، وسمة لأكثر أهل الأهواء كالجهمية والمعتزلة.

أما الرافضة فتطعن في سائر الصحابة وتسبهم وتشتمهم ولا تستثني إلا عدداً لا يتجاوز السبعة! كذبت عليهم وزعمت أنهم يوالون آل البيت على منهجها الغالي.

---

(١) البخاري ٤/ ١٨٥، ١٨٦.

وليعلم أن أهل السنّة كلهم يوالون آل البيت الولاء الشرعي.

والخوارج والجهمية والمعتزلة تطعن في عدد من الصحابة وأصناف منهم كأهل صفين والجمل، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وابن عمر لروايته بعض أحاديث القدر والصفات.

فهم لا يعنون بسبهم أئمة السلف الذين عاصروهم فقط، بل تطاولوا على أفضل الأئمة أصحاب رسول الله.

قال سفيان بن عيينة: «من نطق في أصحاب رسول الله ﷺ بكلمة فهو صاحب هوى»[1].

وقال عمرو بن عبيد في الصحابي الجليل ـ رضي الله عنه ـ عبد الله بن عمر: «وكان ابن عمر حشوياً»[2].

٢ ـ بغضهم للحديث والإسناد وأهله:

عن أحمد بن سنان، قال: «ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث، وإذا ابتدع الرجل بدعة نزعت حلاوة الحديث من قلبه»[3].

وقال أبو نصر بن سلام البخاري الفقيه: «ليس شيء أثقل على أهل الإلحاد ولا أبغض إليهم من سماع الحديث وروايته بإسناده»[4].

٣ ـ كذبهم وتقولهم على الأئمة العلماء:

قال شيخ الإسلام في وصف أهل الأهواء: «ثم هؤلاء يحكون إجماعات يجعلونها من أصول علمهم، ولا يمكنهم نقلها عن واحد من أئمة

---

(١) انظر: شرح السنة للبربهاري ٢٨.

(٢) انظر: درء التعارض ٧/ ٣٥١؛ والفتاوى ١٢/ ١٧٦.

(٣) صون المنطق ٤١.

(٤) صون المنطق ٤١.

الإسلام، وإنما ذلك بحسب ما يقوم في أنفسهم من الظن، فيحكون ذلك عن الأئمة، كأبـي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد في المحافل.

فإذا قيل لأحدهم في الخلوة: أنت حكيت أن هذا قول هؤلاء الأئمة، فمن نقل ذلك عنهم؟ قال: هذا رأي العقلاء. والأئمة لا يخالفون العقلاء، فيحكون أقوال السلف والأئمة، لاعتقادهم أن العقل دل على ذلك. وقال: «ولكن أهل البدع كلامهم الكذب: إما عمداً وإما بطريق الابتداع»[1].

وقال: «ولا يحسب اللبيب أن في العقل أو في السمع ما يخالف ذلك؛ بل من تبحر في المعقولات ووقف على أسرارها، علم قطعاً أن ليس في العقل الصريح، الذي لا يكذب قط ما يخالف مذهب السلف وأهل الحديث، بل يخالف ما قد يتوهمه المنازعون لهم بظلمة قلوبهم وأهواء نفوسهم؛ أو ما قد يفترونه عليهم لعدم التقوى، وقلة الإيمان. ولو فرض ـ على سبيل التقدير ـ أن العقل الصريح الذي لا يكذب يناقض بعض الأخبار، للزم أحد الأمرين: إما تكذيب الناقل، أو تأويل المنقول، لكن ـ ولله الحمد ـ هذا لم يقع؛ ولا ينبغي أن يقع، فإن حفظ الله لما أنزله في الكتاب والحكمة يأبـى ذلك. نعم! يوجد مثل هذا في أحاديث وضعتها الزنادقة ليشينوا بها أهل الحديث، كحديث «عرق الخيل» و «الجمل الأورق» وغير ذلك مما يعلم العلماء بالحديث أنه كذب»[2].

وقال: «ولكن الذين في قلوبهم زيغ من أهل الأهواء، لا يفهمون من كلام الله وكلام رسوله وكلام السابقين الأولين، التابعين لهم بإحسان في «باب صفات الله» إلا المعاني التي تليق بالخلق؛ لا بالخالق، ثم يريدون تحريف الكلم عن مواضعه في كلام الله وكلام رسوله، إذا وجدوا ذلك فيها،

---

(١) درء التعارض ٥/ ٣٩٠.

(٢) الفتاوى ٣٣/ ١٧٢، ١٧٣.

وإن وجدوه في كلام التابعين للسلف افتروا الكذب عليهم، ونقلوا عنهم بحسب الفهم الباطل الذي فهموه، أو زادوا عليهم في الألفاظ، وغيروها قدراً ووصفاً كما نسمع من ألسنتهم أو نرى من كتبهم»[١].

وقال في كذب الرافضة: «ونحن نعلم من أحوال أئمتنا أنه قد أضيف إلى جعفر الصادق ــ وليس هو بنبي من الأنبياء ــ من جنس هذه الأمور ما يعلم كل عالم بحال جعفر ــ رضي الله عنه ــ أن ذلك كذب عليه؛ فإن الكذب عليه من أعظم الكذب، حتى نسب إليه أحكام «الحركات السفلية» كاختلاج الأعضاء، وحوادث الجو من الرعد، والبرق، والهالة، وقوس الله، الذي يقال له: «قوس قزح» وأمثال ذلك، والعلماء يعلمون أنه بريء من ذلك كله.

وكذلك نسب إليه «الجدول» الذي بنى عليه الضلال طائفة من الرافضة، وهو كذلك مفتعل عليه، افتعله عليه عبد الله بن معاوية أحد المشهورين بالكذب، مع رياسته، وعظمته عند أتباعه.

وكذلك أضيف إليه كتاب «الجفر، والبطاقة، والهفت»، وكل ذلك كذب عليه باتفاق أهل العلم به، حتى أضيف إليه «رسائل إخوان الصفا»، وهذا في غاية الجهل؛ فإن هذه الرسائل إنما وضعت بعد موته بأكثر من مائتي سنة؛ فإنه توفي سنة ثمان وأربعين ومائة، وهذه الرسائل وضعت في دولة بني بويه، في أثناء المائة الرابعة، في أوائل دولة بني عبيد، الذين بنوا القاهرة، وضعها جماعة؛ وزعموا أنهم جمعوا بها بين الشريعة والفلسفة، فضلوا وأضلوا»[٢].

---

(١) الفتاوى ٣٣/ ١٧٠.

(٢) الفتاوى ٣٥/ ١٨٣.

٤ ــ لمز السلفِ أهلِ الحديث والسنّة؛ وتعييرهم وسبهم وبغضهم أو بغض بعضهم:

من منهج أهل الأهواء لمز السلف أهل السنّة والجماعة، أو بعضهم وتعييرهم بالألقاب المشينة، وإظهار ما يدل على بغضهم لهم، ومجانبتهم لهم ولسبيلهم سبيل المؤمنين، فكل طائفة من أهل البدع تلقب أهل السنّة بباطل[(١)].

فالرافضة تسمي أهل السنّة النواصب، والجمهور؛ لأنهم لا يغلون في آل البيت، ولأنهم أكثرية.

والقدرية تسميهم مجبرة؛ لأنهم يقولون بعموم علم الله ــ تعالى ــ وقدره ومشيئته.

والمرجئة تسميهم شكاكاً، ومخالفة ونقصانية؛ لأنهم يستثنون في الإيمان ويقولون بزيادته ونقصانه.

والجهمية تسميهم مشبهة؛ لأنه يثبتون الأسماء والصفات كما وردت.

والمعتزلة وأهل الكلام يسمونهم حشوية. ونوابت وغثاء وغثراً وزوامل أسفار؛ لأنهم أهل حديث وآثار.

بينما أهل السنّة لا يلحقهم إلا اسم واحد هو: السنّة والجماعة، ويستحيل أن تجتمع فيهم هذه الصفات والأسماء، فتأمل عافاك الله.

روى الإمام الصابوني بسنده في عقيدة السلف أصحاب الحديث، عن أبـي حاتم محمد بن إدريس الحنظلي الرازي، يقول: «علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر، وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل الأثر حشوية، يريدون

---

(١) انظر عقيدة السلف ص ١٠٥؛ واللالكائي ١/ ١٧٩؛ والفتاوى ٢٨/ ٤٧٧؛ وصون المنطق ١٤٧.

بذلك إبطال الأثر، وعلامة القدرية تسميتهم أهل السنّة مجبرة، وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنّة مشبهة؛ وعلامة الرافضة تسميتهم أهل الأثر نابتة وناصبة»[1].

وقد روى اللالكائي نحو ذلك، قال:

قال أبو محمد، وسمعت أبي يقول:

وعلامة أهل البدع: الوقيعة في أهل الأثر.

وعلامة الزنادقة: تسميتهم أهل السنة (حشوية)، يريدون إبطال الأثر.

وعلامة الجهمية: تسميتهم أهل السنّة (مشبهة).

وعلامة القدرية: تسميتهم أهل الأثر (مجبرة).

وعلامة المرجئة: تسميتهم أهل السنّة (مخالفة ونقصانية).

وعلامة الرافضة: تسميتهم أهل السنّة (ناصبة).

ولا يلحق أهل السنّة إلا اسم واحد ويستحيل أن تجمعهم هذه الأسماء[2].

وقال شيخ الإسلام: «وهذا نظير ما تحكي الرافضة عن أهل السنّة من أهل الحديث والفقه والعبادة والمعرفة، أنهم ناصبة، وتحكي القدرية عنهم أنهم مجبرة، وتحكي الجهمية عنهم أنهم مشبهة، وتحكي من خالف الحديث ونابذ أهله عنهم: أنهم نابتة، وحشوية، وغثاء وغثر... إلى غير ذلك من الأسماء المكذوبة، ومن تأمل كتب المتكلمين الذين يخالفون هذا القول وجدهم لا يبحثون في الغالب أو في الجميع إلا مع هذا القول الذي ما علمنا لقائله وجوداً»[3].

---

(١) عقيدة السلف ١٠٥.

(٢) اللالكائي ١/ ١٧٩.

(٣) الفتاوى ٣٣/ ١٧١.

يقول البربهاري: «وإذا سمعت الرجل يقول: فلان ناصبي، فاعلم أنه رافضي، وإذا سمعت الرجل يقول: فلان مشبه أو فلان يتكلم بالتشبيه، فاعلم أنه جهمي، وإذا سمعت الرجل يقول: تكلم بالتوحيد واشرح لي التوحيد[١]، فاعلم أنه خارجي معتزلي، أو يقول: فلان مجبر أو يتكلم بالإجبار، أو تكلم بالعدل فاعلم أنه قدري؛ لأن هذه الأسماء محدثة أحدثها أهل البدع»[٢].

كلمة (الحشوية) أول من أطلقها (عمرو بن عبيد) رأس المعتزلة:

أول من عُرف أنه تكلم بهذه العبارة عمرو بن عبيد، حين ذُكر له عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ ما يخالف مقولته، فقال: «كان ابن عمر حشوياً»[٣] نسبة إلى حشو الناس، وهم العامة والجمهور.

وأخرج الذهبي في سير أعلام النبلاء: «لما استأذن ابن أبي داود على الجاحظ قال: «من أنت؟ قال: رجل من أصحاب الحديث، فقال: أو ما علمت أني لا أقول بالحشوية»[٤].

والجاحظ متكلم معتزلي، يرى أن أهل الحديث والأثر (حشوية).

فائدة: أهل الكلام أحق بوصف الحشوية؛ لأن من منهجهم المراء والجدل والخصومات، وإكثارهم من الكلام وحشو العبارات، لذا فهم أحق باسم الحشوية، فإن سائر كلامهم حشو لا فائدة فيه، وكذلك مصنفاتهم ومناظراتهم يحشونها بالكلام الفارغ والظنون والأوهام. أما الأحاديث

---

(١) يقصدون بالتوحيد: نفي صفات الله ـ تعالى ـ وتأويلها.

(٢) شرح السنّة للبربهاري ٥٢.

(٣) انظر: منهاج السنّة ٢/ ٥٢٠؛ ودرء التعارض ٧/ ٣٥١؛ والفتاوى ١٢/ ١٧٦؛ وبيان تلبيس الجهمية ١/ ١٥٥ (رشيد حسن).

(٤) سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٣٠.

والآثار، فهي والله، الزبدة والثمرة والخلاصة واللب، لكنهم قوم يعدلون عن الحق.

فالسمة العامة لأهل الأهواء كراهية أهل الحديث.

قال الذهبي في ترجمة أحمد بن سنان: «قال جعفر: سمعت أبي أحمد بن سنان يقول: ليس في الدنيا مبتدع إلا ويبغض أصحاب الحديث، إذا ابتدع الرجل بدعة نزع حلاوة الحديث من قلبه»[1].

قال الأوزاعي: «ما ابتدع رجل إلا غل صدره على المسلمين»[2].

وقال: «كنا نتحدث أنه ما ابتدع أحد بدعة إلا سلب ورعه»[3].

وقال الشاطبي بعد ذكر الخوارج، مبيناً أن الابتداع يوجب الافتراق والعداوة عند المبتدعة: «ثم يليهم كل من ابتدع بدعة، فإن من شأنهم أن يثبطوا الناس عن اتِّباع الشريعة ويذمونهم، ويزعمون أنهم الأرجاس الأنجاس المكبِّين على الدنيا، ويضعون عليهم شواهد الآيات في ذم الدنيا وذم المكبين عليها. كما يروى عن عمرو بن عبيد أنه قال: لو شهد عندي علي وعثمان وطلحة والزبير على شراك نعل ما أجزت شهادتهم... هكذا!.. نعوذ بالله من الخذلان.

وعن معاذ بن معاذ قال: قلت لعمرو بن عبيد: كيف حدث الحسن عن عثمان أنه ورث امرأة عبد الرحمن بعد انقضاء عدتها؟ فقال: إن فعل عثمان لم يكن سنّة.

وقيل له: كيف حدث الحسن عن سمرة في السكتتين؟ فقال: ما تصنع بسمرة! قبح الله سمرة. اهـ.

---

(1) تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٢١.

(2) تاريخ الإسلام ١٤١ ــ ١٦٠/ ٤٩٢.

(3) تاريخ الإسلام ١٤١ ــ ١٦٠/ ٤٩٢.

بل قبح الله عمرو بن عبيد.

وسُئل يوماً عن شيء، فأجاب فيه. قال الراوي: قلت: ليس هكذا يقول أصحابنا. قال: ومن أصحابك لا أباً لك؟ قلت: أيوب، ويونس، وابن عون، والتيمي. قال: أولئك أنجاس أرجاس، أموات غير أحياء.

فكذا أهل الضلال يسبون السلف الصالح لعل بضاعتهم تنفق: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾.

وأصل هذا الفساد من قبل الخوارج، فهم أول من لعن السلف الصالح، وكفَّر الصحابة ـ رضي الله عن الصحابة ـ»[1].

وقال الشاطبي أيضاً، مبيناً أن من علامات أهل الأهواء ذم من مدحهم الله، ومدح من ذمهم الله: «وأصل هذه العلامة في الاعتبار تكفير الخوارج ـ لعنهم الله ـ الصحابةَ الكرام ـ رضي الله عنهم ـ، فإنهم ذموا من مدحه الله ورسوله، ومن اتفق السلف الصالح على مدحهم والثناء عليهم، ومدحوا من اتفق السلف الصالح على ذمه، كعبد الرحمن بن ملجم قاتل عليّ ـ رضي الله عنه ـ وصوبوا قتله إياه، وقالوا: إن في شأنه نزل قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾، وأما التي قبلها وهي قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الآية، فإنها نزلت في شأن عليّ ـ رضي الله عنه ـ، وكَذَبُوا ـ قاتلهم الله ـ وقال عمران بن حطان في مدحه لابن ملجم:

يا ضربة من تقي ما أراد بها ... إلا ليبلغ من ذي العرش رضواناً

إني لأذكره يوماً فأحسبه ... أوفى البرية عند الله ميزاناً

---

(1) الاعتصام ١/١١٩، ١٢٠.

وكذب ـ لعنه الله ـ فإذا رأيت من يجري على هذا الطريق، فهو من الفرق المخالفة، وبالله التوفيق.

وروي عن إسماعيل بن علية، قال: حدثني اليسع، قال: تكلم واصل بن عطاء يوماً ـ يعني المعتزلي ـ فقال عمرو بن عبيد: ألا تسمعون؟ ما كلام الحسن وابن سيرين ـ عندما تسمعون ـ إلا خرقة حيض ملقاة.

روي أن زعيماً من زعماء أهل البدعة كان يريد تفضيل الكلام على الفقه، فكان يقول: إن علم الشافعي وأبـي حنيفة، جملته لا يخرج من سراويل امرأة. هذا كلام هؤلاء الزائفين، قاتلهم الله»[1].

قلت: وهذه السمة لا تزال في بعض أهل الأهواء، وبعض المثقفين والمتعالمين حيث يعيرون المشايخ وطلاب العلم بفقه الحيض والنفاس، وما علموا أن ذلك من دين الله.

وروى الصابوني بسنده عن الحاكم قال: «سمعت أبا الحسين محمد بن أحمد الحنظلي ببغداد يقول: سمعت [أبا إسماعيل] محمد بن إسماعيل الترمذي يقول: كنت أنا وأحمد بن الحسن الترمذي عند إمام الدين أبـي عبد الله أحمد بن حنبل، فقال له أحمد بن الحسن: يا أبا عبد الله! ذكروا لابن قتيلة بمكة أصحاب الحديث، فقال: «أصحاب الحديث قوم سوء. فقام أحمد بن حنبل وهو ينفض ثوبه وهو يقول: زنديق زنديق زنديق حتى دخل البيت»[2].

وقال الصابوني أيضاً: «وعلامات البدع على أهلها بادية ظاهرة، وأظهر آياتهم وعلاماتهم: شدة معاداتهم لحملة أخبار النبـي ﷺ،

---

(١) الاعتصام ٢/٢٣٨، ٢٣٩.

(٢) عقيدة السلف، أصحاب الحديث ١٠٣.

واحتقارهم لهم، واستخفافهم بهم، وتسميتهم إياهم حشوية، وجهلة، وظاهرية، ومشبهة؛ اعتقاداً منهم في أخبار رسول الله ﷺ أنها بمعزل عن العلم، وأن العلم ما يلقيه الشيطان إليهم من نتائج عقولهم الفاسدة، ووساوس صدورهم المظلمة، وهواجس قلوبهم الخالية من الخير، وكلماتهم وحججهم العاطلة، بل شبههم الداحضة الباطلة. ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة محمد، الآية: ٢٣]. ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ »[1] [سورة الحج، الآية: ١٨].

وروى مسلم في صحيحه عن حماد بن زيد قال: «كان رجل قد لزم أيوب، وسمع منه ففقده أيوب، فقالوا: يا أبا بكر إنه قد لزم عمرو بن عبيد. قال حماد: فبينا أنا يوماً مع أيوب، وقد بكرنا إلى السوق، فاستقبله الرجل فسلم عليه أيوب وسأله، ثم قال له أيوب: بلغني أنك لزمت ذلك الرجل، قال حماد: سماه يعني عمراً، قال: نعم يا أبا بكر إنه يجيئنا بأشياء غرائب، قال: يقول له أيوب: إنما نفرّ أو نَفْرَق من تلك الغرائب.

وحدثني حجاج بن الشاعر، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا ابن زيد ـ يعني حماداً ـ قال: قيل لأيوب: إن عمرو بن عبيد روى عن الحسن، قال: لا يجلد السكران من النبيذ، فقال: كذب، أنا سمعت الحسن يقول: يجلد السكران من النبيذ.

وحدثني حجاج، حدثنا سليمان بن حرب قال: سمعت سلام بن أبـي مطيع يقول: بلّغ أيوب أنّي آتي عمراً، فأقبل عليّ يوماً، فقال: أرأيت رجلاً لا تأمنه على دينه كيف تأمنه على الحديث.

وحدثني سلمة بن شبيب، حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان قال:

---

(١) عقيدة السلف، أصحاب الحديث ١٠١، ١٠٢.

سمعت أبا موسى يقول: حدثنا عمرو بن عبيد قبل أن يُحْدِث»[1]، أي قبل أن يبتدع.

وروى مسلم ــ أيضاً ــ عن يونس بن عبيد قال: «كان عمرو بن عبيد يكذب في الحديث».

وروى مسلم أيضاً، عن معاذ بن معاذ، يقول: قلت لعوف بن أبـي جميلة: إن عمرو بن عبيد حدثنا عن الحسن، أن رسول الله ﷺ قال: «**من حمل علينا السلاح فليس منا**»، قال: كذب والله عمرو، لكنه أراد أن يحوزها إلى قوله الخبيث[2]»[3].

فـائـدة: كما أن حب أهل السنّة من علامة الاستقامة، فكذلك بغضهم من علامة أهل الأهواء والبدع.

أخرج اللالكائي عن أحمد بن عبد الله بن يونس يقول: امتحن أهل الموصل بمعافى بن عمران، فإن أحبوه فهم أهل السنّة، وإن أبغضوه فهم أهل بدعة، كما يمتحن أهل الكوفة (بيحيـى).

وعن قتيبة يقول: إذا رأيت الرجل يحب أهل الحديث، مثل: يحيـى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه ــ وذكر قوماً آخرين ــ ، فإنه على السنّة؛ ومن خالف هؤلاء فاعلم أنه مبتدع»[4].

---

(١) صحيح مسلم ١/ ٢٣.

(٢) يقصد أنه كذب في الإسناد عن الحسن لا في أن الحديث مكذوب، انظر الهامش.

(٣) مسلم ١/ ٢٢.

(٤) اللالكائي ١/ ٦٦، ٦٧، الأثران ٥٨، ٥٩.

٥ ــ ومن منهجهم وسماتهم تضليل أئمة الإسلام:

من سمات كثير من أهل الأهواء وأصولهم الباطلة: تضليل أهل السنّة وتكفيرهم. قال الذهبي: «قال ابن أبي دؤاد للمعتصم، في الإمام أحمد حين المناظرة على القرآن: «يا أمير المؤمنين هو والله ضال مضل مبتدع»[١].

وقال ابن أبي دؤاد للمعتصم حينما قال: «لقد ارتكبت إثماً في أمر هذا الرجل، فقال: يا أمير المؤمنين إنه والله كافر مشرك، قد أشرك من غير وجه»[٢].

يعني: أحمد بن حنبل، الذي أجمعت الأمة بكل طوائفها على إمامته.

٦ ــ ومن ذلك: تسميتهم أهل السنّة حنابلة:

لما امتحن المأمون الناس ليقولوا بخلق القرآن صمد اثنان: أحمد بن حنبل، ومحمد بن نوح؛ فالثاني لقي ربه، والأول أشهر السنّة رغم ضربه وسجنه، فكان أن نصر الله السنّة بهذا الموقف.

والإمام أحمد إمام السنّة في سائر أمور الدين، وكان موقفه سبباً في نصر أهل السنّة وإعلائهم وتمسكهم، الخاصة منهم والعامة، وتعلق قلوب الناس بالإمام أحمد وبالسنّة التي هي شعاره، ومن هنا تميز أهل الأهواء بخلاف ذلك، فصاروا يلمزون أهل السنّة ويصفونهم بالحنابلة.

وهو مدح يشبه الذم، بل تزكية على لسان خصم، أراد به الذم فانقلبت ــ بحمد الله ــ إلى المدح، فإن الانتساب لإمام السنّة اعتزاز بالسنّة وأهلها.

---

(١) سير ١١/٢٤٦.

(٢) سير ١١/٢٤٦.

٧ ــ **جهلهم بمذهب السلف أو تجاهلهم له :**

من ذلك أن الغزالي حصر الحق بأربع فرق بحيث لا يخرج منها : المتكلمون ، والباطنية ، والفلاسفة ، والصوفية[١] .

قلت : سبحان الله ، هل ذهل الغزالي عن ذكر مذهب السلف ، أو لا يعرفه ، أو هو يضللهم فلا يدخلهم أصلاً في أهل الحق؟ لست أدري ــ فالله المستعان ــ ، وفي آخر كلامه انتهى إلى القول بأن طريق الصوفية هو طريق الحق .

إذن فقد أخرج أهل السنّة من أهل الحق؟! .

وكذلك البغدادي خلط مذهب السلف بأهل الرأي ، قال : «فأما الفرقة الثالثة والسبعون (الناجية)، فهي أهل السنّة والجماعة من فريقي الرأي والحديث ، دون من يشتري لهو الحديث»[٢] .

ولما ذكر جمهور أهل السنّة عدهم «أصحاب مالك ، والشافعي ، وأبي حنيفة ، والأوزاعي ، والثوري ، وأهل الظاهر»[٣] ، ولم يذكر الإمام أحمد وهو يمثل مذهب السلف كمن ذكرهم ، بل هو أولى من بعضهم ، إلا إن كان يراه من أهل الظاهر؟

والشهرستاني ذكر أهل السنّة ضمن فرقة المشبهة ، وخلط بينهم وغلط في تقرير مذهب السلف[٤] . فتأمل ــ حفظك الله ــ .

❑ ❑ ❑

---

(١) المنقذ من الضلال ٩٣ .

(٢) الفرق بين الفرق ٢٦ .

(٣) الفرق بين الفرق ٢٦ ــ ٢٨ .

(٤) الملل والنحل ١/١٠٣ ــ ١٠٧ .

(٩)

موقفهم العدائي
مع المخالفين (منهج وسمة)

أهل الأهواء والبدع والافتراق لا يدعون المخالف لهم، بل يقفون مع مخالفيهم مواقف عدائية من التضليل والتكفير والتضييق، واستعداء السلطان إذا أمكنهم ذلك، والتجهيل، وإطلاق ألفاظ السب والشتم والتهكم والسخرية والتعيير، وقد ذكرت أصنافاً من ذلك في مبحث (الغل على المسلمين وسب السلف).

والآن سأذكر أنواعاً أخرى من مواقف أهل الأهواء تجاه المخالفين لهم.

١ ــ مواقفهم من المخالفين إجمالاً:

(أ) الخوارج يتدينون بقتال المسلم المخالف لهم ويعاملونه معاملة الكفار وربما المشركين.

(ب) «والجهمية المعتزلة امتحنوا الناس لما مال إليهم بعض الولاة»[1].

(١) انظر: مناهج السنّة ٤/ ٥٣٧، ٥٣٨.

(ج) «والرافضة شر منهم، إذا تمكنوا فإنهم يوالون الكفار وينصرونهم ويعادون من المسلمين كل من لم يوافقهم على رأيهم»[1].

(د) وكذلك كل من فيه نوع من البدع، كبدع الحلولية، أو النفاة، أو الغلاة في الإثبات، أو من بدع القدرية والمرجئة، أو نحو ذلك تجده يعتقد اعتقادات فاسدة ويكفر من خالفه أو يلعنه[2].

٢ ــ مواقفهم من المخالفين التضييق والإلزام بالباطل:

وكلما صار لأهل الأهواء تمكين، أو صارت لهم دولة، ضيقوا على مخالفيهم، وألزموهم ببدعهم، وذلك:

«من جنس ما كانت تستحله الجهمية المعطلة ــ كالفلاسفة والمعتزلة وسائر نفاة الصفات ــ من أهل السنّة والجماعة، لما امتحنوا الناس في خلافة المأمون وأظهروا القول بأن القرآن مخلوق، وأن الله لا يُرى في الآخرة، ونفوا أن يكون لله علم، أو قدرة أو كلام أو مشيئة، أو شيء من الصفات القائمة بذاته. وصار كل من وافقهم على هذا التعطيل عصموا دمه وماله، وولوه الولايات وأعطوه الرزق من بيت المال، وقبلوا شهادته وافتدوه من الأسر، ومن لم يوافقهم على أن القرآن مخلوق وما يتبع ذلك من بدعهم قتلوه، أو حبسوه، أو ضربوه أو منعوه العطاء من بيت المال، ولم يولوه ولاية، ولم يقبلوا له شهادة، ولم يفدوه من الكفار، يقولون هذا مشبه؛ هذا مجسم لقوله: إن الله يُرى في الآخرة وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن الله استوى على العرش، ونحو ذلك، فدامت هذه المحنة على المسلمين

---

(١) مناهج السنّة ٤/ ٥٣٧، ٥٣٨.

(٢) مناهج السنّة ٤/ ٥٣٧، ٥٣٨.

بضع عشرة سنة، في أواخر خلافة المأمون، وخلافة أخيه المعتصم، والواثق بن المعتصم، ثم إن الله كشف الغمة عن الأمة في ولاية المتوكل على الله، الذي جعل اللَّهُ عامَّةَ خلفاء بني العباس من ذريته دون الذين أقاموا المحنة لأهل السنّة». اهـ[1].

٣ ــ يبتدعون البدعة ويكفرون مخالفها:

أهل الأهواء يخترعون البدعة ويحدثونها من عند أنفسهم، وما أنزل الله بها من سلطان، ثم هم بعد ذلك يكفرون من يخالفهم في بدعتهم.

قال شيخ الإسلام: «وهذه حال أهل البدع والظلم، كالخوارج وأمثالهم يظلمون الأمة ويعتدون عليهم إذا نازعوهم في بعض مسائل الدين، وكذلك سائر أهل الأهواء، فإنهم يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم فيها، كما تفعل الرافضة والمعتزلة والجهمية وغيرهم، والذين امتحنوا الناس بخلق القرآن كانوا من هؤلاء، ابتدعوا بدعة وكفروا من خالفهم فيها واستحلوا منع حقه وعقوبته»[2].

وقال شيخ الإسلام كذلك: «ومن تدبر هذا رأى أهل البدع من النفاة يعتمدون على مثل هذا، فيبتدعون بدعاً بآرائهم ليس فيها كتاب ولا سنّة، ثم يكفّرون من خالفهم فيما ابتدعوه، وهذا حال من كفَّر الناس بما أثبتوه من الأسماء والصفات التي يسميها هو تركيباً وتجسيماً، وإثباتاً لحلول الصفات والأعراض به، ونحو ذلك من الأقوال التي ابتدعتها الجهمية والمعتزلة، ثم كفَّروا من خالفهم فيها.

والخوارج الذين تأولوا آيات من القرآن وكفَّروا من خالفهم فيها أحسن

---

(١) الفتاوى: ١١/٤٧٨، ٤٧٩.

(٢) الفتاوى: ١٧/٣١١، ٣١٢.

حالاً من هؤلاء، فإن أولئك علّقوا الكفر بالكتاب والسنّة، لكن غلطوا في فهم النصوص، وهؤلاء علّقوا الكفر بكلام ما أنزل الله به من سلطان»[1].

فالمعتزلة لما تمكنت من السلطان أيام المأمون وبعده كفرت أئمة الهدى واستحلت دماءهم وحرضت السلطان على قتلهم، حتى إمام السنّة أحمد بن حنبل كفروه وحرضوا على قتله، قال الذهبي في ترجمة ابن أبي دؤاد: «الجهمي عدو أحمد بن حنبل، كان داعية إلى خلق القرآن، له كرم وسخاء وأدب وأمر ومكارم»[2].

وقال: «وقد كان ابن أبي دؤاد يوم المحنة إلبا على الإمام أحمد يقول: يا أمير المؤمنين اقتله هو ضال مضل»[3].

٤ ـ استنكار السنّة والتضييق على أهلها:

لما استحكمت الأهواء من أهلها واستمرؤوا البدع، وماتت بينهم كثير من السنن، استنكروا السنن وأنكروها. حيث جاءت على خلاف ما هم عليه، وما توارثوه من البدع.

يقول الشاطبي: «يلتزم الناس البدع حتى تكون مخالفتها عندهم هي المنكر، وربما يعاقبون من لزم السنّة، وقد يستبيحون دمه كبدعة التزام الدعاء بعد الصلوات دائماً على الهيئة الجماعية»[4].

وقد ذكر الشاطبي في ذلك قصة. فلتراجع.



---

(١) درء التعارض ١/ ٢٤٣.
(٢) سير أعلام النبلاء ١١/ ١٦٩.
(٣) سير أعلام النبلاء ١١/ ١٧٠.
(٤) الاعتصام ٢/ ٢٧٥.

(١٠)

الخروج على أئمة المسلمين وجماعتهم واستحلال السيف (منهج وسمة)

من أبرز سمات أهل الأهواء استحلال السيف، أي الخروج على الجماعة، أو الأئمة بالسيف. واستحلال ذلك يكون بالفعل والاعتقاد كما عند الخوارج، أو بالاعتقاد كما عند المعتزلة والرافضة وغيرهم، حيث يعتقدون استباحة الخروج، لكنهم قد لا يتمكنون، إما لعدم القدرة، أو لانتظار رجل موهوم كما يعتقد الرافضة.

أخرج اللالكائي بسنده عن أبي قلابة قال: «ما ابتدع قوم بدعة إلاَّ استحلوا السيف»[١].

لذلك كان بعض السلف يسمي كل أصحاب الأهواء خوارج، أي أن سمتهم الخروج، فكان (أيوب السختياني) يسمي أصحاب الأهواء خوارج ويقول: «إن الخوارج اختلفوا في الاسم واجتمعوا على السيف»[٢].

وروى الصابوني بسنده: «قال عبد الله بن طاهر: يا أحمد إنكم

(١) اللالكائي ١/ ١٣٤، والدارمي ١/ ٤٤، ٤٥، والآجري ١/ ٦٤، والشرح والإبانة ١٣٨، وقال المحقق: وأخرجه الدارمي بإسناد صحيح.
(٢) اللالكائي ١/ ١٤٣، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢١.

تبغضون هؤلاء القوم جهلاً، وأنا أبغضهم معرفة، أولاً: إنهم لا يرون للسلطان طاعة، والثاني: أنه ليس للإيمان عندهم قدر، والله لا أستجيز أن أقول إيماني كإيمان يحيى بن يحيى، ولا كإيمان أحمد بن حنبل، وهم يقولون: إيماننا كإيمان جبريل وميكائيل»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا كان من أصول أهل السنّة والجماعة لزوم الجماعة، وترك قتال الأئمة، وترك القتال في الفتنة، وأما أهل الأهواء، كالمعتزلة فيرون القتال للأئمة من أصول دينهم، ويجعل المعتزلة أصول دينهم خمسة: التوحيد. . .» إلى قوله: «والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي منه قتال الأئمة»[(٢)].

وأخرج الدارمي في سننه: أخبرنا مسلم بن إبراهيم ثنا وهيب ثنا أيوب عن أبي قلابة قال: ما ابتدع رجل بدعة إلاَّ استحل السيف. أخبرنا سليمان بن حرب، ثنا حماد بن زيد، عن أيوب عن أبي قلابة قال: إن أهل الأهواء أهل الضلالة ولا أرى مصيرهم إلاَّ النار، فجربهم فليس أحد منهم ينتحل قولاً أو قال حديثاً فيتناهى به الأمر دون السيف، وأن النفاق كان ضروباً ثم تلا: ﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾ ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ﴾، فاختلف قولهم، واجتمعوا في الشك والتكذيب، وأن هؤلاء اختلف قولهم واجتمعوا في السيف، ولا أرى مصيرهم إلاَّ النار، قال حماد، ثم قال أيوب عند هذا الحديث أو عند الأول: وكان والله من الفقهاء ذوي الألباب يعني: أبا قلابة»[(٣)].

---

(١) عقيدة السلف ٦٩، ٧٠.

(٢) الفتاوى ٢٨/١٢٨، ١٢٩.

(٣) الدارمي ١/٤٥، ٤٦.

ومنهج السلف أن الخروج على الأئمة فتنة، لذلك كرهوا القتال في الفتنة مطلقاً ونهوا عنه أشد النهي، أما أهل الأهواء فإنهم يسمون الخروج والقتال في الفتنة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال شيخ الإسلام: «فإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مستلزماً من الفساد أكثر مما فيه من الصلاح لم يكن مشروعاً، وقد كره أئمة السنّة القتال في الفتنة التي يسميها كثير من أهل الأهواء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن ذلك إذا كان يوجب فتنة هي أعظم فساداً مما في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لم يُدفع أدنى الفسادين بأعلاهما، بل يدفع أعلاهما باحتمال أدناهما، كما قال النبـي ﷺ: **(ألا أنبئكم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين)**[1].

وبعض أهل الأهواء: كالخوارج والمعتزلة يكفر الولاة بالمعصية ويستحل قتالهم.

قال شيخ الإسلام: وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾، فمن لم يلتزم تحكيم الله ورسوله ﷺ فيما شجر بينهم فقد أقسم الله بنفسه أنه لا يؤمن، وأما من كان ملتزماً لحكم الله ورسوله باطناً وظاهراً، لكن عصى واتبع هواه فهذا بمنزلة أمثاله من العصاة، وهذه الآية مما يحتج بها الخوارج على تكفير ولاة الأمر الذين لا يحكمون بما أنزل الله،

---

(١) الاستقامة ١/ ٣٣٠.

ثم يزعمون أن اعتقادهم هو حكم الله. وقد تكلم الناس بما يطول ذكره هنا»[١].

حتى صار من أبرز سمات أهل الأهواء ترك الصلاة خلف الفاسق والمفضول، فإن غالب أهل الأهواء لا يجيزون الصلاة خلف الفاسق، وهو مذهب الخوارج والزيدية والرافضة وجمهور المعتزلة[٢].



(١) منهاج السنّة ٥/ ١٣١.

(٢) انظر: الفصل ٥/ ٢٩.

(١١)
الإصرار على بدعهم، فلا يهتدون ولا يوفقون للتوبة، ولا يقبل منهم عمل (سمة)

من خلال الاستقراء وما قال أئمة الهدى قديماً وحديثاً نجد أن أهل الأهواء والبدع والافتراق، إذا تأصلت فيهم لا يرجعون عنها إلاَّ إلى شر منها، ولا يهتدون للحق، ولا يوفقون للتوبة (إلاَّ نادراً)، والنادر لا حكم له.

وهذا الحكم يشمل أهل الأهواء والبدع المغلظة، كالجهمية، والقدرية، والمعتزلة، والرافضة، وغلاة الصوفية، والخوارج.

قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١١٠]، وهذه الآية نزلت في المشركين والكفار، وفي أهل البدع شعبة من الشرك والكفر.

وقال النبي ﷺ في وصف أهل الأهواء: **(تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه)**[١].

وقال ﷺ: **(إن الله احتجز التوبة عن كل صاحب بدعة)**[٢].

---

(١) سبق تخريج الحديث، ص (٦١)، وقد صححه الألباني عند ابن أبي عاصم ١/ ٧، ٨.

(٢) البدع والنهي عنها: (٥٥)؛ وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير برقم (١٦٦٣)، وعزاه لابن الفيل والطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان والضياء المقدسي، وقال السُّيوطي: (حديث صحيح) الجامع ١/ ٢٥٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٩٥) ٢/ ٨٨، وفي سلسلة الصحيحة (١٦٢٠).

أما أصحاب البدع غير المغلّظة، أو من وقعوا من غير هوى ولا رد للحق من أولئك الذين ينتسبون للسنّة ويحبونها، ولم يكن في صدورهم غل على الذين آمنوا، فإنهم قد يوفقون للتوبة والرجوع للسنّة، ومن هذا الصنف بعض متكلمة الأشاعرة والكلابية، كأبـي الحسن الأشعري، وأبـي المعالي الجويني، وأبـي عبد الله الرازي، والغزالي، فقد اشتهرت توبتهم، ولعل ذلك لصدقهم آخر الأمر في تحري السنّة، وقربهم في أكثر الأصول من أهل السنّة، نسأل الله تعالى أن يعفو عنا وعنهم.

فالمتأمل لحال أهل الأهواء يرى أنهم وإن غيروا عقائدهم، أو أحدثوا فيها قولاً، أو قرروا ما لم يكن عليه سابقهم، فإنهم لا يهتدون للرجوع للسنّة، بل يتقلبون في البدعة، ألا ترى أن الخوارج حينما توسعت في الخوض في تفاصيل العقيدة تحولت إلى معتزلة؟ والرافضة كانوا مجسمة ثم مالوا إلى الاعتزال؟ والجهمية والمعتزلة ومتكلمة الأشاعرة كلما أسسوا أصولاً انحرفوا عن السنّة أكثر؟ أو تحولوا إلى بدعة أخرى؟. فإن أهل الأهواء واقعون بين المتناقضات:

فهم بين التشبيه أو التعطيل.

وبين التكفير أو الإرجاء.

وبين النصب أو الرفض.

وبين التأويل أو التفويض.

وبين الجبر أو القدر.

وبين الإفراط أو التفريط.

وهذه طائفة من الأحاديث وأقوال السلف في ذلك:

«**عن أيوب قال**: كان رجل يرى رأياً فرجع عنه فأتيت محمداً فرحاً بذلك أخبره فقلت: أشعرت أن فلاناً ترك رأيه الذي كان يرى؛ فقال: انظروا

إلى ما يتحول، إنَّ آخر الحديث أشد عليهم من أوله، يمرقون من الإسلام ولا يعودون»[1].

ومعناه أن النبي ﷺ في حديث الخوارج ذكر أنهم (**يمرقون من الدين ثم لا يرجعون حتى يرجع السهم إلى فوقه**)[2]، أي لا يوفقون للتوبة.

وعن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: (أبى الله لصاحب بدعة بتوبة)[3].

وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: (إن الله حجز التوبة عن كل صاحب بدعة)[4].

وقال علي ــ رضي الله عنه ــ : «الهوى يصد عن الحق»[5].

وقال علي ــ كرم الله وجهه ــ : «الهوى عند من خالف السنّة حق وإن ضربت فيه عنقه»[6].

وقال ابن سيرين: «ما أخذ رجل بدعة فراجع سنّة»[7].

وقال عامر بن عبد الله: «ما ابتدع رجل بدعة إلاَّ أتى غداً بما ينكره اليوم»[8].

---

(١) البدع والنهي عنها (٥٥).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب الخوارج شر الخلق مع اختلاف يسير في ألفاظه. وأخرجه البخاري في كتاب استتابة المرتدين باب (٦)، الحديث (٦٩٣١) مع اختلاف يسير.

(٣) البدع والنهي عنها (٥٥).

(٤) سبق تخريجه قبل قليل.

(٥) الشرح والإبانة ١٢٢.

(٦) الشرح والإبانة ١٢٢.

(٧) الشرح والإبانة ١٣١.

(٨) الشرح والإبانة ١٣١.

وقال ابن عون: «إذا غلب الهوى على القلب استحسن الرجل ما كان يستقبحه»[1].

وقال الفضيل بن عياض: «لا يزال العبد مستوراً حتى يرى قبيحه حسناً»[2].

وعن ابن عون، قال: كان محمد يرى أن أسرع الناس ردة أهل الأهواء. وكان يرى أن هذه الآية أنزلت فيهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾[3] [سورة الأنعام، الآية: ٦٨].

وعن أبـي عمرو الشيباني، قال: «كان يقال: يأبـى الله لصاحب بدعة بتوبة، وما انتقل صاحب بدعة إلاَّ إلى شر منها»[4].

وعن علي بن أبـي طالب، قال: «ما كان رجل على رأي من البدعة فتركه إلاَّ إلى ما هو شر منه»[5].

وعن سودة، قال: «سمعت عبد الله بن القاسم وهو يقول: ما كان عبد على هوى فتركه إلاَّ إلى ما هو شر منه، قال: فذكرت هذا الحديث لبعض أصحابنا فقال: تصديقه في حديث عن النبـي ﷺ: (**يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يرجعون حتى يرجع السهم إلى فوقه**)[6].

وعن عطاء الخراساني، قال: «ما يكاد الله أن يأذن لصاحب بدعة بتوبة»[7].

---

(١) الشرح والإبانة ١٣١.

(٢) الشرح والإبانة ١٣١.

(٣) انظر: الإبانة ٢/ ٤٣١.

(٤) البدع والنهي عنها ٥٤.

(٥) البدع والنهي عنها ٥٤.

(٦) البدع والنهي عنها ٥٤، والحديث سبق تخريجه ص (٥١٠).

(٧) اللالكائي ١/ ١٤١؛ الآثار ٢٨٣ ــ ٢٨٦.

وعن الحسن بن أبي الحسن، قال: «أبى الله ــ تبارك وتعالى ــ أن يأذن لصاحب هوى بتوبة»[(١)].

قال رجل لأيوب: «يا أبا بكر إن عمرو بن عبيد قد رجع عن رأيه!!

قال: إنه لم يرجع.

قال: بلى يا أبا بكر إنه قد رجع.

قال أيوب: إنه لم يرجع ــ ثلاث مرات ــ أما إنه لم يرجع. أما سمعت إلى قوله: **«يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه حتى يرجع السهم إلى فُوقه»**[(٢)].

وقال شيخ الإسلام: «ولهذا قال بعض السلف ــ منهم الثوري ــ البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها، وهذا معنى ما روي عن طائفة أنهم قالوا: إن الله حجر التوبة على كل صاحب بدعة، بمعنى أنه لا يتوب منها؛ لأنه يحسب أنه على هدى، ولو تاب لتاب الله عليه، كما يتوب على الكافرين، ومن قال: إنه لا يقبل توبة مبتدع مطلقاً فقد غلط غلطاً منكراً، ومن قال: ما أذن الله لصاحب بدعة في توبة، فمعناه ما دام مبتدعاً يراها حسنة لا يتوب منها، فأما إذا أراه الله أنها قبيحة فإنه يتوب منها، كما يرى الكافر أنه على ضلال، وإلاَّ فمعلوم أن كثيراً ممن كان على بدعة تبين له ضلالها وتاب الله عليه منها، وهؤلاء لا يحصيهم إلاَّ الله»[(٣)].

---

(١) اللالكائي ١/ ١٤١؛ الآثار ٢٨٣ ــ ٢٨٦.
(٢) اللالكائي ١/ ١٤١؛ الآثار ٢٨٣ ــ ٢٨٦، والحديث سبق تخريجه ص (٥١٠).
(٣) الفتاوى ١١/ ٦٨٤، ٦٨٥.

عن عبد الله ــ يعني ابن مسعود ــ قال: «يجيء قوم يتركون من السنّة مثل هذا، يعني مفصل الأنملة، فإن تركتموهم جاؤوا بالطامة الكبرى، وإنه لم يكن أهل كتاب قط إلاَّ كان أول ما يتركون السنّة وآخر ما يتركون الصلاة، ولولا أنهم أهل كتاب لتركوا الصلاة»[1].

وقال الشاطبي: «فاعلموا أن البدعة لا يقبل معها عبادة من صلاة ولا صيام ولا صدقة ولا غيرها من القربات، ومجالس صاحبها تنزع منه العصمة ويوكل إلى نفسه، والماشي إليه وموقره معين على هدم الإسلام، فما الظن بصاحبها وهو ملعون على لسان الشريعة، ويزداد من الله بعبادته بعداً؟! وهي مظنة إلقاء العدواة والبغضاء ومانعة من الشفاعة المحمدية، ورافعة للسنن التي تقابلها، وعلى مبتدعها إثم من عمل بها، وليس له من توبة، وتلقى عليه الذلة والغضب من الله، ويبعد عن حوض رسول الله ﷺ، ويخاف عليه أن يكون معدوداً في الكفار الخارجين عن الملة، وسوء الخاتمة عند الخروج من الدنيا، ويسود وجهه في الآخرة يتعذب بعذاب جهنم، وقد تبرأ منه رسول الله ﷺ، وتبرأ المسلمون، ويخاف عليه الفتنة في الدنيا زيادة إلى عذاب الآخرة»[2].

وقال: «ومثاله ما يذكر عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أنه كان يقول بالإرجاء ثم رجع عنه. وقال: وأول ما أفارق ــ غير شاك ــ أفارق ما يقول المرجئون. وذكر مسلم عن يزيد عن صهيب الفقير قال: كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج، فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج، ثم نخرج على الناس. قال: فمررنا على المدينة، فإذا جابر بن عبد الله يحدث القوم. إلخ. . . القصة»، قال: «فرجعنا فلا والله ما خرج منا غير

---

(١) الإبانة ١/ ٣٣١، ٣٣٢.

(٢) الاعتصام ١/١٠٦، ١٠٧.

رجل واحد»[1]، يعني أنهم تابوا.

وقال عن سبب عدم قبول توبة المبتدعة: «وسبب بعده عن التوبة أن الدخول تحت تكاليف الشريعة صعب على النفس؛ لأنه أمر مخالف للهوى، وصاد عن سبيل الشهوات، فيثقل عليها جداً؛ لأن الحق ثقيل، والنفس إنما تنشط بما يوافق هواها لا بما يخالفه، وكل بدعة فللهوى فيها مدخل، لأنها راجعة إلى نظر مخترعها لا إلى نظر الشارع، فعلى حكم التبع لا بحكم الأصل، مع ضميمة أُخرى وهي: أن المبتدع لا بد له من تعلق بشبهة دليل ينسبها إلى الشارع، ويدعي أن ما ذكره هو مقصود الشارع، فصار هواه مقصوداً بدليل شرعي في زعمه. فكيف يمكنه الخروج عن ذلك وداعي الهوى مستمسك بحسن ما يتمسك به؟ وهو الدليل الشرعي في الجملة»[2].

«وعن ابن شوذب قال: سمعت عبد الله بن القاسم وهو يقول: ما كان عبد على هوى تركه إلاَّ إلى ما هو شر منه. قال: فذكرت ذلك لبعض أصحابنا فقال: تصديقه في حديث عن النبي ﷺ: (**يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يرجعون إليه حتى يرجع السهم على فوقه**).

وعن **أيوب قال**: كان رجل يرى رأياً فرجع عنه، فأتيت محمداً فرحاً بذلك أخبره، فقلت: أشعرت أن فلاناً ترك رأيه الذي كان يرى؟ فقال: انظر إلى ما يتحول؟ إن آخر الحديث أشد عليهم من الأول. أوله: «**يمرقون من الدين**»، وآخره: «**ثم لا يعودون**» وهو حديث أبي ذر أن النبي ﷺ قال: «**سيكون من أمتي قوم يقرؤون القرآن ولا يجاوز حلاقيمهم. يخرجون من**

(١) الاعتصام ١/١٤٦. ١٤٧.

(٢) الاعتصام ١/١٢٤.

الدين كما يخرج السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه. هم شر الخلق والخليقة». فهذه شهادة الحديث الصحيح لمعنى هذه الآثار. وحاصلها أنه (لا) توبة لصاحب البدعة عن بدعته، فإن خرج عنها فإنه يخرج إلى ما هو شر منها، كما في حديث أيوب، أو يكون ممن يظهر الخروج عنها وهو مصر عليها بعد، كقصة غيلان مع عمر بن عبد العزيز»[1].

❑ ❑ ❑

(١) الاعتصام ١/١٢٣.

(١٢)

الإكثار من حشو الكلاميات
ومن الكتب والمصنفات والردود (منهج وسمة)

الملاحظ أن أهل الأهواء هم أكثر الناس كلاماً وتأليفاً وردوداً منذ وقت مبكر في أول القرن الثاني، والسلف كانوا يكرهون ذلك إلاَّ للآثار والسنن، لذلك قلَّت مصنفاتهم إلاَّ للضرورة.

قال النيسابوري: «سمعت أبا عبد الله يقول: لا يعجبني شيء من وضع الكتب، ومن وضع شيئاً من الكتب فهو مبتدع»[١].

وقال: «سألت أبا عبد الله عن كتب أبـي ثور. فقال: كل كتاب ابتدع فهو بدعة»[٢].

قلت: هذا محمول على غير الضرورة وغير كتب الحديث والأثر، فإن الإمام أحمد نفسه كتب المسند والرد على الجهمية، وكتب عنه تلاميذه، وكان آخر ما كان عليه الأمر أن أذن السلف بكتابة الحديث والآثار والرد على أهل الأهواء، ولا يتجاوزون ذلك إلاَّ بقدر الحاجة.



(١) مسائل الإمام أحمد للنيسابوري ٢/ ١٦٤.
(٢) مسائل الإمام أحمد للنيسابوري ٢/ ١٦٥.

(١٣)
قلة البركة وقلة الفائدة
في مصنفاتهم وعلمهم (سمة)

من سمات أهل الكلام والأهواء، أن مؤلفاتهم ومصنفاتهم في مقولاتهم لا يفيد منها إلا أمثالهم، من مرضى القلوب أو نحوهم، إلا ما ألفوه فيما وافق السنّة فقد يفاد منه، لكنه قليل ولا يكون بمنزلة مؤلفات أئمة السنّة.

أما مصنفات أئمة السنّة فهي أعظم نفعاً وأعم فائدة.

قارن مثلاً ما كتبه الشافعي، ومالك، وأحمد، والبخاري، والدارمي، والبغوي، وابن بطة، واللالكائي، وابن تيمية، وابن القيم، وابن باز، والألباني، بما كتبه المعاصرون لهم؛ ممن ليس على السنّة، أو ممن خلط، أمثال: المريسي، والجاحظ، والماتريدي، والقاضي عبد الجبار، والبغدادي، والشهرستاني، والرازي، والأيجي، والغزالي، والباقلاني، وابن عربي. . وأمثالهم.



(١٤)

حرصهم على نشر بدعهم وقوة تأثيرهم فيمن يخالطهم (منهج وسمة)

من الملفت للنظر أن أهل البدع لديهم جلد وقوة حرص وتفان عجيب في الدعوة إلى بدعهم وأهوائهم، وذلك ـ والله أعلم ـ من الفتنة وتزيين الشياطين لأعمالهم، وأزّهم إلى الضلالة أزّاً. كما يدفعهم لذلك شعورهم بالهوان والغربة، ولذلك نجد أن لهم فيمن يخالطهم تأثيراً قوياً قلَّ أن يسلم منه جليسهم. لذلك حَذَّر السلف من مجالسة أهل الأهواء، وكانوا يهجرون من يجالسهم ويتلقى عنهم، وقد وقعت حالات كثيرة قديماً وحديثاً، من ذلك:

روى اللالكائي، قال: «كان عمران بن حطان من أهل السنّة، فقدم غلام من أهل عمان مثل البغل، فقلبه في مقعد»[١]، وصار حطان من رؤوس الخوارج، فتأمل ـ عافانا الله وإياك ـ .

وروى كذلك، قال: «قال مغيرة: قال محمد بن السائب: قوموا بنا إلى المرجئة نسمع كلامهم، قال: فما رجع حتى علقه»[٢] ـ يعني: الإرجاء ـ .

---

(١) الإبانة ٢/ ٤٧١.

(٢) الإبانة ٢/ ٤٦٢.

روى أبو نعيم في الحلية بسنده عن عبد الواحد بن زيد، قال: «قال لي أيوب: قل للثوري لا تصحب عمرو بن عبيد. قال: فقلت ذلك له، قال: إني أجد عنده أشياء لا أجدها عند غيره. فقلت ذلك لأيوب فقال لي أيوب: من تلك الأشياء أخاف عليه»[1].

فقد يكون عند أهل الأهواء المنطق الحسن، والإغراب في الرأي، والتشويق في الأسلوب والمقولة الملفتة، والقول الذي يستهوي السامع ويلبس عليه، ومعالجة الأمور التي تهم حياة الناس، أو تمس مصالحهم، أو نحو ذلك فيكون ذلك فتنة لهم «فتأمل الحكاية هنا»، قوله: «إني أجد أشياء لا أجدها عند غيره».

عن بعض أصحاب الشافعي، قال: «سمعت الشافعي يقول: كلمتني أم بعض أصحاب الكلام، على أن أكلم ابنها، ليكف عن الخوض في الكلام، قال: فكلمته ليكف عن الكلام، فدعاني إلى الكلام»[2].

وعن حسن بن عبد العزيز الجروي، قال: «كان الشافعي ينهى النهي الشديد عن الكلام في الأهواء، ويقول: أحدهم إذا خالفه صاحبه قال: كفرت، إنما يقال فيه: أخطأت»[3].

ولقد تأثر الحسن البصري ـ وهو من هو في إمامته وجلالته ـ بمعبد الجهني، رغم أنه كان يعيبه.

«قال يونس: أدركت الحسن يعيب قول معبد، ثم تلطف له معبد، فألقى في نفسه ما ألقى»[4].

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٣٣.
(٢) الإبانة ٢/ ٥٣٥.
(٣) الإبانة ٢/ ٥٣٥.
(٤) سير أعلام النبلاء ٤/ ١٨٧.

وقد نسب إلى الحسن القول بشيء من القدر، لكنه رجع عنه على الصحيح ــ والله أعلم ــ .

قال شيخ الإسلام: «وأما أهل الكفر والبدع والشهوات فكل بحسبه، قيل لسفيان بن عيينة: ما بال أهل الأهواء لهم محبة شديدة لأهوائهم، فقال: أنسيت قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ أو نحواً من هذا الكلام»[١]. اهـ.

وقال شيخ الإسلام ــ أيضاً ــ : «وفي الحكاية المعروفة أن عمرو بن عبيد ــ وهو رأس المعتزلة ــ مر بمن كان يناجي سفيان الثوري، ولم يعلم أنه سفيان، فقال عمرو لذلك الرجل: من هذا؟ فقال: هذا سفيان الثوري! وقال: من أهل الكوفة، قال: لو علمت بذلك لدعوته إلى رأيي، ولكن ظننته من هؤلاء المدنيين الذين يجيئونك من فوق»[٢] ــ يعني لا يقبلون منه ــ .

وهذا فيه دلالة على حرص أهل الأهواء على جذب الناس إلى أهوائهم ليكثروا سوادهم ويزيلوا غربتهم وهوانهم الذي يشعرون به، خاصة في ذلك الوقت.

لذلك كانوا يبثون الدعاة إلى مذاهبهم في كل مكان، ويتجشّمون الصعاب، فهذا واصل بن عطاء يرسل بعوثه إلى الأقاليم لينشروا مذهب المعتزلة، فقد بعث كلاًّ من[٣]:

١ ــ عبد الله بن الحارث إلى المغرب، فأجابه خلق كثير.

---

(١) الفتاوى ١٠/ ١٧٠.

(٢) الفتاوى ٢٠/١٠٣.

(٣) المنية والأمل ٣٢ وما بعدها؛ وانظر: مذاهب الإسلاميين لبدوي ١/ ٨١.

٢ ـ حفص بن سالم إلى خراسان وناظر جهماً فقطعه.

٣ ـ القاسم بن السعدي إلى اليمن.

٤ ـ أيوب إلى الجزيرة.

٥ ـ الحسن بن ذكوان إلى الكوفة.

٦ ـ وعثمان الطويل إلى أرمينية.

وكان لهؤلاء الدعاة الأثر الكبير في نشر مذهب المعتزلة في شرق البلاد الإسلامية وغربها وجنوبها ووسطها.



(١٥)
التعالم والغرور (سمة)

وأعني بالتعالم أن أهل الأهواء يدَّعون العلم والمعرفة والفقه في الدين، وهم دون ذلك، والأصل في أهل العلم التواضع، وعدم التعالي وعدم الغرور، والأدب والسمت واحترام أهل العلم وطلابه، والخضوع للعلماء والشيوخ، واحترام الأئمة.

لكن السمة الغالبة على أهل الأهواء التعالي والغرور والكبرياء، وعدم احترام العلماء والأئمة إلا إذا كانوا من شيوخهم، ولو لم يكن لديهم علم فيزين لهم الشيطان سوء عملهم ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾﴾ [سورة محمد، الآية: ١٤].

وينطبق على أكثرهم قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة الكهف، الآية: ١٠٣، ١٠٤].

وعن يحيى بن يعمر، قال: «كان رجل من جهينة فيه زهو، وكان يتوثب على جيرانه، ثم إنه قرأ القرآن، وفرض الفرائض، وقص على الناس، ثم إنه صار أمره أنه زعَم أن العمل أنف؛ من شاء عمل خيراً ومن شاء عمل شراً»[1]. وكأنه يقصد (معبد الجهني) ـ والله أعلم ـ.

---

(١) الإيمان لابن منده ١/ ١٤٣.

قال عبد الله بن أحمد: حدثني أبو معمر، نا سفيان بن عيينة، قال: قال عمرو بن عبيد: أليس قد نهاك أبوك أن تجالسني؟ قال: بلى[1].

وقال: حدثني نصر بن علي، نا الأصمعي، نا أبو عوانة قال: ما رأيت عمرو بن عبيد ولا جالسته قط إلا مرة واحدة، قال: فتكلم وطول، ثم قال حين فرغ: لو نزل من السماء ملك ما زادكم على هذا[2].

إذا تأملنا أهل الأهواء نجد أنهم قد يجزمون أحياناً ببعض مقولاتهم، ولكن جزم الغرور والكبرياء لا جزم اليقين والتسليم الذي عليه أهل الإيمان والسنّة. لذلك فهم مضطربون متناقضون متكلفون في تقرير أصولهم، كالذي يكذب فيعوض ذلك بكثرة الأَيمان وتكلف الحجج والبراهين، وقد يشهد الله على ما في قلبه، وهذه من خصال المنافقين.

قال شيخ الإسلام: «وكثيراً ما يرى الإنسان صورة اعتقاده، فيكون ما يحصل له بمكاشفته ومشاهدته هو ما اعتقده من الضلال، حتى أن النصراني يرى في كشفه التثليث الذي اعتقده، وليس أحد من الخلق معصوماً أن يُقرَّ على خطأ إلا الأنبياء، فمن أين يحصل لغير الأنبياء نور إلهي تدرك به حقائق الغيب وينكشف له أسرار هذه الأمور على ما هي عليه، بحيث يصير بنفسه مدركاً لصفات الرب وملائكته، وما أعده الله في الجنة والنار لأوليائه وأعدائه؟!

وهذا الكلام أصله من مادة المتفلسفة والقرامطة الباطنية، الذين يجعلون النبوة فيضاً يفيض من العقل الفعال على نفس النبي، ويجعلون ما يقع في نفسه من الصور هي ملائكة الله، وما يسمعه في نفسه من الأصوات هو كلام الله، ولهذا يجعلون النبوة مكتسبة، فإذا استعد الإنسان بالرياضة

---

(١) السنّة لعبد الله ٢/ ٤٣٦، رجاله ثقات.

(٢) السنّة لعبد الله ٢/ ٤٣٦، إسناده حسن؛ وانظر: ص ٤٣٧، ٤٣٨ المصدر نفسه.

والتصفية فاض عليه ما فاض على نفوس الأنبياء»[1]، والفلاسفة من أعظم أهل الضلال تيهاً وغروراً.

ومن غرورهم وخذلانهم: ظنهم أنهم ينصرون الإسلام:

قال شيخ الإسلام: «وكثير ممن تكلم بالألفاظ المجملة المبتدعة، كلفظ الجسم، والجوهر، والعرض، وحلول الحوادث.. ونحو ذلك؛ كانوا يظنون أنهم ينصرون الإسلام بهذه الطريقة، وأنهم بذلك يثبتون معرفة الله وتصديق رسوله، فوقع منهم من الخطأ والضلال ما أوجب ذلك، وهذه حال أهل البدع، كالخوارج وأمثالهم، فإن البدعة لا تكون حقاً محضاً موافقاً للسنّة، إذ لو كانت كذلك لم تخف على الناس، ولكن تشتمل على حق وباطل، فيكون صاحبها قد لَبَسَ الحق بالباطل: إما مخطئاً غالطاً، وإما متعمداً لنفاق فيه وإلحاد»[2].

❑ ❑ ❑

---

(١) درء التعارض ٥/ ٣٥٣.

(٢) درء التعارض ٢/ ١٠٤.

(١٦)

وقوعهم في الإثم (سمة)

من أعظم صفات أهل الأهواء خوضهم فيما نهى الله عنه، وفيما ليس لهم به علم. وهذا من أعظم الآثام، ومن ذلك الكلام في الله وأسمائه وصفاته وأفعاله بما لم يرد به الكتاب والسنّة، وخوضهم في القدر وفي أمور الغيب الأخرى، وتجاوزهم النصوص في ذلك.

قال هرم بن حيان: «صاحب الكلام على إحدى المنزلتين إن قصر فيه خصم، وإن أغرق فيه إثم»[١].

وكان الفضيل بن عياض يقول: «لا تجادلوا أهل الخصومات فإنهم يخوضون في آيات الله»[٢].

والخوض في آيات الله ــ تعالى ــ من أعظم الآثام. وهو ما تقوم عليه أصول أهل الأهواء، ولو قصَّروا فيه انهدمت أصولهم. فهم متقلبون بين الإثم أو الانقطاع.

❑ ❑ ❑

---

(١) اللالكائي ١/ ١٢٩.

(٢) اللالكائي ١/ ١٢٩.

(١٧)

وقوعهم في التقصير أو التعبد غير المشروع، والورع الكاذب (بين الغلو والتقصير) (منهج وسمة)

من سمات أهل الأهواء أنهم لا يوفقون إلى الوسطية، فهم بين الغلو والتقصير، فمنهم غلاة، ومنهم مقصرون، ومنهم من يجمع بين الغلو من جهة، والتقصير من جهة أخرى.

قال شيخ الإسلام: «لكن يقع الغلط في الورع من ثلاث جهات، أحدها: اعتقاد كثير من الناس أنه من باب الترك، فلا يرون الورع إلا في ترك الحرام، لا في أداء الواجب، وهذا يبتلى به كثير من المتدينة المتورعة، ترى أحدهم يتورع عن الكلمة الكاذبة، وعن الدرهم فيه شبهة: لكونه من مال ظالم أو معاملة فاسدة، ويتورع عن الركون إلى الظلمة من أجل البدع في الدين وذوي الفجور في الدنيا، ومع هذا يترك أموراً واجبة عليه، إما عيناً وإما كفاية؛ وقد تعينت عليه، من صلة رحم، وحق جار، وصاحب يتيم، وابن سبيل، وحق مسلم، وذوي سلطان، وذوي علم، وعن أمر بمعروف ونهي عن منكر، وعن الجهاد في سبيل الله.. إلى غير ذلك مما فيه نفع للخلق في دينهم ودنياهم مما أوجب عليه، أو يفعل ذلك لا على وجه العبادة لله ــ تعالى ــ، بل من جهة التكليف ونحو ذلك. وهذا الورع قد يوقع صاحبه في البدع الكبار، فإن ورع الخوارج والروافضة والمعتزلة

ونحوهم من هذا الجنس، تورعوا عن الظلم وعن ما اعتقدوه ظلماً من مخالطة الظلم في زعمهم، حتىَ تركوا الواجبات الكبار، من جمعة الجماعة والحج والجهاد؛ ونصيحة المسلمين والرحمة لهم، وأهل هذا الورع ممن أنكر عليهم الأئمة، كالأئمة الأربعة، وصار حالهم يذكر في اعتقاد أهل السنّة والجماعة»[١].

وقد وصف النبي ﷺ عبادة الخوارج، فقال: «**تحقرون صلاتكم عند صلاتهم**»[٢].

روي عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أنه كان يقول: «إن أشد الناس عبادة مفتون، يعني صاحب بدعة».

وكذلك متعبدة المعتزلة وزهادهم، كعمرو بن عبيد، وواصل، ومتعبدة الصوفية، والرافضة؛ كانوا على درجة عالية من التعبد والزهد، لكنهم دعاة ضلالة ــ نسأل الله السلامة ــ .

ورغم أنه يوجد في أهل الأهواء عبَّاد على غير طريقة مشروعة، فإن أهل الفسق والمجون فيهم كثير، قال الذهبي في الجاحظ، وهو من رؤوس المعتزلة: «قلت: كان ماجناً قليل الدين له نوادر». قال ثعلب: ما هو بثقة[٣].

ولما استأذن عليه ابن أبي داود قال: «من أنت؟ فقلت: رجل من أصحاب الحديث، فقال: أو ما علمت أني لا أقول بالحشوية؟، فقلت: إني

(١) الفتاوى ٢٠/ ١٣٩، ١٤٠.
(٢) الحديث سبق تخريجه ص ٢١٨.
(٣) سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٢٧.

ابن أبـي داود»[1] إلخ القصة.

قال الذهبـي: «ولا هو بمهتم في الحديث، بل في النفس من حكاياته ولهجته فربما جازف، وتلطخه بغير بدعة واضح، لكنه إخباري علامة، صاحب فنون وأدب باهر وذكاء بيِّن، عفا الله عنه»[2].

وهم كذلك أكثر استحلالاً للمحرمات لفساد أصولهم:

قال الشاطبـي: في تساهل الفلاسفة واستحلالهم المسكرات: «وأيضاً فإن بعض الفلاسفة الإسلاميين تأول فيها غير هذا، وأنه إنما يشربها للنفع لا للهو، وعاهد الله على ذلك، فكأنها عندهم من الأدوية أو غذاء صالح يصلح لحفظ الصحة، ويحكى هذا العهد عن ابن سينا. ورأيت في بعض كلام الناس ممن عرف عنه أنه كان يستعين في سهره للعلم والتصنيف والنظر بالخمر، فإذا رأى من نفسه كسلاً أو فترة شرب منها قدر ما ينشطه وينفي عنه الكسل، بل ذكروا فيها أن لها حرارة خاصة تفعل أفعالاً كثيرة تطيب النفس، وتصير الإنسان محباً للحكمة، وتجعله حسن الحركة، والذهن، والمعرفة؛ فإذا استعملها على الاعتدال عرف الأشياء، وفهمها، وتذكرها بعد النسيان؛ فلهذا ــ والله أعلم ــ كان ابن سينا لا يترك استعمالها ــ على ما ذكر عنه ــ وهو كله ضلال مبين، عياذاً بالله من ذلك»[3].

وكذلك صنف العلماء المتهاون في صلاة الجماعة من أهل الأهواء؛ لأنها من سماتهم ومن علامات النفاق.

يقول البربهاري: «وإذا رأيت الرجل يتعاهد الفرائض في جماعة في السلطان وغيره، فاعلم أنه صاحب سنّة ــ إن شاء الله تعالى ــ ، وإذا رأيت

---

(١) سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٣٠.
(٢) سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٣٠.
(٣) الاعتصام ٢/٤٦، ٤٧.

الرجل يتهاون بالفرائض في جماعة، وإن كان مع السلطان فاعلم أنه صاحب هوى»[1].

ومن ذلك أن أهل الأهواء أقل حمداً لله ـ تعالى ـ وشكراً:

يقول شيخ الإسلام: «اعلم أن أهل البدع القدرية من الجهمية المجبرة والقدرية النافية لا يحمدون الله ولا يشكرونه، كما أنهم لا يعبدونه، وأما أهل الإلحاد من المتفلسفة والباطنية فهم أبعد عن حمده وشكره. وذلك أن المجبرة حقيقة قولهم أنه ليس برحيم ولا مُنعم، بل ولا إله يستحق أن يعبد ويُحب، بل صدور الإحسان عنه كصدور الإساءة. وإنما هو يفعل بمحض مشيئة ترجِّح الشيء على مثله لا لمرجِّح، وكل الممكنات عندهم متماثلة، فلا فرق بين أن يريد رحمة الخلق ونفعهم والإحسان إليهم، أو يريد فسادهم وهلاكهم وإضرارهم، يقولون: هذا كله عندهم سواء»[2].



(١) شرح السنّة للبربهاري ٥٢.

(٢) جامع الرسائل (المجموع الأول) ١/ ١٠٣.

(١٨)

استحواذ الشياطين والجن
على طوائف منهم (سمة)

أكثر أهل الأهواء تستحوذ عليهم الشياطين، وتؤزهم إلى البدعة والمنكر أزاً، وتزين لهم سوء عقائدهم وأعمالهم. قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [سورة الزخرف، الآية: ٣٦]. وقال: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٢١].

«وكثيراً ما يتصور الشيطان بصورة المدعو المنادى المستغاث به، إذا كان ميتاً، وكذلك قد يكون حياً ولا يشعر بالذي ناداه، بل يتصور الشيطان بصورته، فيظن المشرك الضال المستغيث بذلك الشخص أن الشخص نفسه أجابه، وإنما هو الشيطان، وهذا يقع للكفار المستغيثين بمن يحسنون الظن به من الأموات والأحياء، كالنصارى يستغيثون بجرجس وغيره من قداديسهم، ويقع لأهل الشرك والضلال من المنتسبين إلى الإسلام الذين يستغيثون بالموتى والغائبين، يتصور لهم الشيطان في صورة ذلك المستغاث به، وهو لا يشعر. وأعرف عدداً كثيراً وقع لهم في عدة أشخاص، يقول لي كل من الأشخاص: إني لم أعرف أن هذا استغاث بـي، والمستغيث قد رأى ذلك الذي هو على صورة هذا وما اعتقد أنه إلا هذا، وذكر لي غير واحد أنهم استغاثوا بـي، كل يذكر قصة غير قصة صاحبه، فأخبرت كلاً منهم أني

لم أجب أحداً منهم ولا علمت باستغاثته، قيل: هذا يكون ملكاً، فقلت: الملك لا يغيث المشرك، إنما هو شيطان أراد أن يضله، وكذلك يتصور بصورته بعرفات، فيظن من يحسن به الظن أنه وقف بعرفات، وكثير منهم حمله الشيطان إلى عرفات أو غيرها من الحرم، فيجاوز الميقات بلا إحرام ولا تلبية، ولا يطوف بالبيت ولا بالصفا والمروة، وفيهم من لا يعبر مكة، وفيهم من يقف بعرفات ولا يرمي الجمار، إلى أمثال ذلك من الأمور التي يضلُّهم بها الشيطان، حيث فعلوا ما هو منهي عنه في الشرع، إما محرم وإما مكروه ليس بواجب ولا مستحب، وقد زين لهم الشيطان أن هذا من كرامات الصالحين، وهو من تلبيس الشيطان»[1].

وقال: «والمقصود أن أهل الضلال والبدع الذين فيهم زهد وعبادة على غير الوجه الشرعي، ولهم أحياناً مكاشفات، ولهم تأثيرات، يأوون كثيراً إلى مواضع الشياطين التي نُهي عن الصلاة فيها؛ لأن الشياطين تتنزل عليهم بها وتخاطبهم الشياطين ببعض الأمور كما تخاطب الكهان، وكما كانت تدخل في الأصنام، وتكلم عابدي الأصنام، وتعينهم في بعض المطالب كما تعين السحرة، وكما تعين عباد الأصنام وعباد الشمس والقمر والكواكب إذا عبدوها بالعبادات التي يظنونها أنها تناسب، من تسبيح لها ولباس وبخور وغير ذلك، فإنه تتنزل عليهم شياطين يسمونها روحانية الكوكب، وقد تقضي بعض حوائجهم»[2].

وهذا في عموم أهل الأهواء على تفاوت بينهم؛ لأنهم عدلوا عن الكتاب والسنّة ونهج السلف، فيسلط الله عليهم الشياطين والجن فيوحون إليهم زخرف القول غروراً، وهو في الصوفية والرافضة أكثر.

---

(١) الفتاوى ١٩/ ٤٧، ٤٨.

(٢) الفتاوى ١٩/ ٤١.

(١٩)

الجرأة على الله ورسوله ﷺ وعلى الدين (منهج وسمة)

ما أجرأ أهل الأهواء على الله ــ تعالى ــ وعلى رسوله ﷺ وعلى الدين! فقد خاضوا في علم الله ــ تعالى ــ وقدره ومشيئته وحكمه اعتراضاً وإنكاراً وتشكيكاً كما فعلت (القدرية).

وخاضوا في أسماء الله ــ تعالى ــ وصفاته وذاته وأفعاله، ولم يقدِّروا الله حق قدره ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ ــ سبحانه وتعالى ــ عما يصفون، كما فعلت (الجهمية والمعتزلة وأهل الكلام).

وافتروا على الرسول ﷺ وآله وأزواجه وصحابته كما فعلت (الرافضة والخوارج) فلم يسلموا لله ــ تعالى ــ ولا لرسوله ﷺ حق التسليم والإذعان (وهكذا جميع أهل الأهواء).

أخرج الهروي في ذم الكلام عن مالك قال: «إياكم والبدع. قيل: يا أبا عبد الله وما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان»[١].

---

(١) صون المنطق، ٥٦، ٥٧.

(٢٠)
من سمات أهل الأهواء
الذلة والصغار (سمة)

روى أبو نعيم بسنده عن سفيان بن عيينة: «ليس في الأرض صاحب بدعة إلاَّ وهو يجد ذلة تغشاه، قال: وهو في كتاب الله، قالوا وأين هي من كتاب الله؟ قال: أما سمعتم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ ﴾، قالوا: يا أبا محمد هذه لأصحاب العجل خاصة، قال: كلا اتلوا ما بعدها ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ فهي لكل مفترٍ ومبتدع إلى يوم القيامة»[1].

أقول: هذا هو الأصل إلى أن تقوم الساعة بإذن الله، فالذلَّة ذلتان ذلة الوجوه وهي ملازمة لأهل البدع والأهواء في كل زمان، وذلة الحال وهي الاستضعاف، فهي غالباً فيهم، ومع ذلك فقد تمر على السنّة وأهلها أزمان غربة يستضعفون فيها في بعض البلاد فتنقلب الحال كما هو واقع الآن في بعض ديار المسلمين، نسأل الله تعالى أن ينصر دينه ويقمع أهل البدع والشرك والفساد.

وعلى أي حال فإن أهل السنّة لا يمكن أن تصيبهم الذلة، وإن استضعفوا أحياناً.

(١) حلية الأولياء ٧/ ٢٨٠.

قال الشاطبي: «وجاء عن سفيان بن عيينة وأبي قلابة وغيرهما أنهم قالوا: كل صاحب بدعة أو فرية ذليل. واستدلوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾. وخرَّج ابن وهب عن مجاهد في قول الله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ﴾، يقول: ما قدموا من خير، وآثارهم التي أورثوا الناس بعدهم من الضلالة. وخرَّج أيضاً عن ابن عون عن محمد بن سيرين أنه قال: إني أرى أسرع الناس ردةً، أصحاب الأهواء. قال ابن عون: وكان ابن سيرين يرى أن هذه الآية في أصحاب الأهواء: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ...﴾ الآية.

وذكر الآجري عن أبي الجوزاء أنه ذكر أصحاب الأهواء فقال: والذي نفس أبي الجوزاء بيده لأن تمتلىء داري قردة وخنازير أحب إليَّ من أن يجاورني رجل منهم. ولقد دخلوا في هذه الآية: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾ ـ إلى قوله ـ : ﴿ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾. والآيات المصرحة المشيرة إلى ذمهم والنهي عن ملابسة أحوالهم كثيرة»[1].



(١) الاعتصام ١/ ٦٧.

(٢١)

أصولهم كلها مخترعة مبتدعة ليس لهم فيها قدوة من أعلام الهدى الأئمة الأعلام (منهج)

كل أصول أهل الأهواء والافتراق والبدع التي خرجوا بها عن السنّة محدثة مبتدعة، ليس لهم فيها مستند شرعي ولا قدوة من الأئمة، وهذا مما يفترض أن يكون بدهياً، لأنهم لو كان لهم في ذلك دليل أو قدوة معتبرة شرعاً لكانوا على حق، لكنهم ليسوا كذلك.

إنما قد يلبِّسون على الناس بالمتشابهات والمشتبهات وزلات العلماء فيهلكون بها ويُهلكون.

وكما أن الصحابة رضي الله عنهم لم يحدث من أحد منهم بدعة، ولا مفارقة للسنة والجماعة يتعلق بها أهل الأهواء والبدع والافتراق، فكذلك أئمة السنة من بعدهم لم يكن أحد منهم رأساً في البدع والافتراق والأهواء.

وعليه، فإن كل أصول أهل الأهواء وبدعهم ومحدثاتهم التي فارقوا بها السنة والجماعة أحدثها لهم من ليس قدوة في الدين: إما زنديق منافق، أو جاهل، أو متبع لهواه، أو طامع، أو كائد أو نحوهم، كما أن كثيراً من البدع التي حدثت من أهل الأهواء وفارقوا بها السنة والجماعة كانت من أتباع الأمم الأخرى وتأثيرها والتشبه بها: من اليهود والنصارى والمجوس

والصابئة والهنود والفلاسفة ونحوهم، مصداقاً لخبر النبي ﷺ في الحديث الصحيح. (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع... الحديث)[1].

❑ ❑ ❑

(١) انظر تخريجه ص ٥٩، ٦٠.

(٢٢)
زعمهم أنهم يعظمون الله
ومبالغتهم في ذلك بما يخالف حالهم
(منهج وسمة)

قال البربهاري: «وإذا سمعت الرجل يقول: إنا نحن نعظم الله ــ إذا سَمِـعَ أثر رسول الله ﷺ ــ فاعلم أنه جهمي يريد أن يرد أثر رسول الله ﷺ إذ قال: إنا نحن نعظم الله أن ينزل من موضع إلى موضع، فقد زعم أنه أعلم بالله من غيره، فاحذر هؤلاء فإن جمهور الناس من السوقة وغيرهم على هذه الحال، وحذر الناس منهم، وإذا سألك الرجل مسألة في هذا الباب وهو مسترشد فكلمه وأرشده، وإذا جاء يناظرك فاحذره، فإن في المناظرة المراء والجدال والمغالبة والخصومة والغضب، وقد نهيت عن جميع هذا، وهو يزيل عن طريق الحق ولم يبلغنا عن أحد من فقهائنا أنه جادل أو ناظر أو خاصم»[١].

فالخوارج تزعم أنها تعظم حدود الله وحرماته، لكنها تشددت وتنطعت وخرجت عن حد الشرع في ذلك.

والرافضة تزعم أنها تعظم آل بيت رسول الله ﷺ، لكنها غلت في ذلك وخرجت عن حد الشرع.

---

(١) شرح السنّة للبربهاري ٥٦.

والقدرية تزعم أنها تعظم الله وتنزهه عن فعل الشر وتقدير الضر، لكنها غلت في ذلك حتى طعنت في علم الله تعالى وإرادته وقدرته وحكمته.

والجهمية والمعتزلة وأهل الكلام زعموا أنهم ينزهون الله عن التشبيه، لكنهم غلوا في ذلك ووقعوا في التعطيل، والتأويل، وإنكار صفات الله وأفعاله.

والمشبهة زعمت أنها فرت من التعطيل، لكنها بالغت في الإثبات بما لم يرد به الشرع فوقعت في التمثيل، وهكذا بقية الفرق.



(٢٣)
ترك ما أمر الله به
والإخلال بالأصول المأمور بها
(منهج وسمة)

فأهل الأهواء كما ابتدعوا ما لم يشرعه الله ولم يأذن به، فكذلك بالمقابل تركوا ما شرعه الله وأمر به من أصول الدين وأحكامه.

قال شيخ الإسلام: «ثم إن أهل المعاصي ذنوبهم فعل بعض ما نهوا عنه: من سرقة أو زنا أو شرب خمر، أو أكل مال بالباطل. وأهل البدع ذنوبهم ترك ما أمروا به من اتباع السنّة وجماعة المؤمنين، فإن الخوارج أصل بدعتهم أنهم لا يرون طاعة الرسول ﷺ وأتباعه فيما خالف ظاهر القرآن عندهم، وهذا ترك واجب. وكذلك القدرية، لا يؤمنون بعلم الله تعالى القديم، ومشيئته الشاملة، وقدرته الكاملة، وهذا ترك واجب. وكذلك الجبرية، لا تثبت قدرة العبد ومشيئته، وقد يدفعون الأمر بالقدر، وهذا ترك واجب. وكذلك معتدلة المرجئة، مع أن بدعهم من بدع الفقهاء ليس فيها كفر بلا خلاف عند أحد الأئمة، ومن أدخلهم من أصحابنا في البدع التي حكى فيها التكفير ونصره فقد غلط في ذلك، وإنما كان لأنهم لا يرون إدخال الأعمال أو الأقوال في الإيمان، وهذا ترك واجب، وأما غالية المرجئة الذين يكفرون بالعقاب ويزعمون أن النصوص خوفت بما لا حقيقة له، فهذا القول

عظيم وهو ترك واجب. وكذلك الوعيدية، لا يرون اعتقاد خروج أهل الكبائر من النار ولا قبول الشفاعة فيهم، وهذا ترك واجب. فإن قيل قد يضمون إلى ذلك اعتقاداً محرماً: من تكفير وتفسيق وتخليد. قيل: هم في ذلك من أهل السنّة بمنزلة الكفار مع المؤمنين، فنفس ترك الإيمان بما دل عليه الكتاب والسنّة والإجماع ضلالة وإن لم يكن معه اعتقاد وجودي، فإذا انضم إليه اجتمع الأمران، ولو كان معهم أصل من السنّة لم يكن معه اعتقاد وجودي، فإذا انضم إليه اجتمع الأمران، ولو كان معهم أصل من السنّة لما وقعوا في البدعة»[1].



(١) الفتاوى ٢٠/١٠٤، ١٠٥.

(٢٤)
تقرير قواعد فاسدة
والقول بلوازمها (منهج)

أهل الأهواء يقعدون ويخترعون قواعد وضعية مظنونة أو وهمية، ثم يقولون بلوازمها ويعتقدونها، ويزعمون أن هذا من قطعيات العقل أو لوازمه.

قال ابن القيم: «والشبهة التي قادت نفاة الجهة إلى نفيها هي أنهم اعتقدوا أن إثبات الجهة يوجب إثبات المكان، وإثبات المكان يوجب إثبات الجسمية، ونحن نقول: إن إثبات هذا كله غير لازم، فإن الجهة غير المكان»[1].

وقال شيخ الإسلام عن الجهم بن صفوان ومقولاته: «ثم إن جهماً قال: إذا كان الأمر كذلك ـ امتناع دوام الحوادث ـ لزم فناء الجنة والنار، وأنه يعدم كل ما سوى الله»[2].

وقال: «ثم إن هؤلاء الجهمية أصحاب هذا الأصل المبتدع احتاجوا أن يلتزموا طرد هذا الأصل فقالوا: إن الرب لا تقوم به الصفات ولا الأفعال، فإنها أعراض وحوادث، وهذه لا تقوم إلاَّ بجسم والأجسام محدثة، فيلزم أن

---

(١) الصواعق المرسلة ٢/ ٤٠٧.

(٢) منهاج ١/ ٣١٠.

لا يقوم بالرب علم ولا قدرة ولا كلام ولا مشيئة ولا رحمة ولا رضا ولا غضب، ولا غير ذلك من الصفات، بل جميع ما يوصف به من ذلك فإنما هو مخلوق منفصل عنه»[1]. تعالى الله عما يقولون.

ومن السمات التي يتميّز بها منهجهم الاسترسال مع العقليات والظنون والأوهام إلى حد يوصلهم إلى الاضطراب والتناقض والحيرة كما فعل الرازي والآمدي والغزالي.

وبعضهم يتمادى في العقليات حتى يجعلها أصل الاعتقاد عنده، فإذا جاء النص رده أو أوله.

وللمتكلمين في تأويلهم للصفات قاعدة فاسدة وهي قولهم: «لا يعرف في الشاهد متصفاً بالصفات إلاّ ما كان جسماً، والله ليس بجسم».

وقولهم: «الظاهر المتبادر من نصوص الصفات التشبيه والتجسيم». فالجهمية والمعتزلة نفت الصفات بناء على هذا القول الفاسد.

والأشاعرة والماتريدية ونحوهم أوّلوا الصفات بناء على متابعة أولئك. وهذا من نوع قياس الغائب على الشاهد كما سبق[2].



(١) منهاج ١/٣١١.

(٢) انظر: ص (٤٣٠) من هذا البحث.

(٢٥)
القعود عن الجهاد وعن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (منهج وسمة)

أهل السنّة والجماعة هم أهل الجهاد والثغور والمرابطة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أما أهل الأهواء فليس من أصولهم ولا أعمالهم شيء من ذلك، إنما جهودهم مسلطة على المسلمين، وأغلبهم من القاعدين عن الجهاد والأمر والنهي، لأن أصولهم في ذلك فاسدة، ففيهم شبه بالمنافقين.

يقول شيخ الإسلام: «ولما كان في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله من الابتلاء والمحن ما يعرض به المرء للفتنة، صار في الناس من يتعلل لترك ما وجب عليه من ذلك بأنه يطلب السلامة من الفتنة، كما قال تعالى عن المنافقين: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ﴾ وقد ذكر في التفسير أنها نزلت في الحر بن القيس لما أمره النبي ﷺ بالتجهيز لغزو الروم، وأظنه قال: هل لك في نساء بني الأصفر؟ فقال: يا رسول الله إني رجل لا أصبر عن النساء، وإني أخاف الفتنة بنساء بني الأصفر فائذن لي ولا تفتني»[١].



(١) الفتاوى ٢٨/ ١٦٥، ١٦٦.

(٢٦)

تقربهم للملوك والسلاطين (سمة)

منهج السلف الابتعاد عن مجاملة السلاطين ومنادمتهم والإكثار من مجالستهم إلاَّ لأداء النصيحة والأمر والنهي، أو ما فيه مصلحة راجحة أو درء مفاسد محققة، بخلاف أهل الأهواء، فإن من سماتهم منادمة الولاة والتصنيف للملوك والساسة وأهل السيف والمال والوزراء، من ذلك[1]:

١ ــ الكرخي أبو الحسين الحنفي، كتب لبعض الأمراء كتاب: (تحليل النبيذ).

٢ ــ والجاحظ كتب للسلاطين كتباً عدة.

٣ ــ والرازي فخر الدين كتب (الملخَّص في الفلسفة) لوزير وقته، و (أحكام النجوم) لملك وقته، وكتاب (السحر وعبادة الأوثان) لأم الملك، وهو كتاب (السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم).

٤ ــ والسهروردي المقتول، كتب (الألواح العمادية) لعماد الدين قرة أرسلان.

٥ ــ وصاحب دعوة البلاغ الأكبر والناموس الأعظم ــ لعلّه أبو القاسم القيرواني ــ كتبه لسلاطين الباطنية.



(١) انظر: الاستقامة ١/ ٤٣ ــ ٤٧.

(٢٧)
يكتبون ما لهم ويعلنونه،
ويكتمون ما عليهم ويتجاهلونه
(منهج وسمة)

قال عبد الرحمن بن مهدي وغيره: «أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلاَّ ما لهم»[١].



(١) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٧٣، ٧٤.

(٢٨)
تدرجهم في الباطل
(منهج وسمة)

قال شيخ الإسلام في معرض كلامه عن أن الجهمية لم تفصح عن حقيقة تعطيلها بأسلوب يصادم عقائد العامة، بل يتكلمون بما فيه شبهة، قال:

«فهذا شأن كل من أراد أن يظهر خلاف ما عليه أمة من الأمم من الحق، إنما يأتيهم بالأسهل الأقرب لموافقتهم، فإن شياطين الإنس والجن لا يأتون ابتداء ينقضون الأصول العظيمة الظاهرة، فإنهم لا يتمكنون، ومما عليه العلماء: أن مبدأ الرفض كان من الزنادقة المنافقين، ومبدأ التجهم كان من الزنادقة المنافقين، بخلاف رأي الخوارج والقدرية، فإنه إنما كان من قوم فيهم إيمان لكن جهلوا وضلوا. . .»، وذكر أن القرامطة يجمعون بين التجهم والرفض معاً»[١].



(١) بيان تلبيس الجهمية ٢/ ٥٣٠، ٥٣١.

(٢٩)

التكلف والتعمق واتباع الصعاب

(منهج وسمة)

غالب أصول المتكلمين في أسماء الله وصفاته وأفعاله وغيرها لا يفهمها العامة ولا غالب المتعلمين ــ غير المتحذلقين منهم ــ والعامة، إنما يعتقدون ما جاء في ألفاظ القرآن والسنّة ــ وهي عقيدة السلف ــ وهي تخالف تكلفات المتكلمين؛ فهم يرون أن أئمة الدين وأتباعهم من العامة على الباطل، أو يزعمون للعقيدة ظاهراً وباطناً، أو هي عقيدتان للخاصة وأخرى للعامة. فلو استعرضت أسهل كتب المتكلمين ــ وليس منها سهل ــ لوجدته مليئاً بالعبارات الغامضة، والمعاني الصعبة، والفلسفات المعقدة، والعقليات المحيرة، والتناقضات، والألغاز والأحاجي، بما يدل على التكلف والتعمق، وارتكاب الصعاب للتعجيز والإغراب والغرور والتعالي والتعالم. نسأل الله العافية. ومن هذا المنطلق سمى الغزالي وأمثاله عقائد المتكلمين وفلسفاتهم وأوهامهم (المضنون به على غير أهله).



(٣٠)
إعراضهم عن ذكر الله وشرعه
(منهج وسمة)

ابتلي أهل الأهواء بالإعراض عن الحق والشرع وذكر الله تعالى فيما خالفوا فيه السنة والجماعة، وبعضهم تكاثرت عنده البدع وتجارت به الأهواء حتى ابتلي بالإعراض عن دين الله وذكره وعميت بصيرته بالكلية نسأل الله العافية.

قال شيخ الإسلام: «وأهل البدع ـ الجهمية ونحوهم ـ لما أعرضوا عن ذكر الله ـ الذكر المشروع الذي كان في الفطرة وجاءت به الشريعة، الذي يتضمن معرفته ومحبته وتوحيده ـ نسوا الله من هذا الوجه. فأنساهم أنفسهم من هذا الوجه، فنسوا ما كان في أنفسهم من العلم الفطري، والمحبة الفطرية، والتوحيد الفطري»[١].



(١) الفتاوى ١٦/ ٣٥٠.

(٣١)

السرية والكتمان والنجوى في الدين
(منهج وسمة)

النجوى من الشيطان، والأصل في الدين والسنّة والدعوة، الأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة لله تعالى ولرسوله ﷺ وأئمة المسلمين وعامتهم، والإعلان والبيان، وإقامة الحجة بالحكمة، والأصل في أصول الإيمان والإسلام وشعائر الدين الإظهار والإشهار.

أما السرية والنجوى في هذه الأمور، فلا تكون إلاَّ لضرورة يقدرها أهل العلم، وهي استثناء وليست أصلاً.

ولذلك كان من سمات أهل الأهواء التقية والكتمان والسرية والنجوى ما لم تكن لهم دولة وسلطان.

وقد حذر السلف عن التناجي في الدين، ذكر ابن الجوزي بسنده عن عمر بن عبد العزيز: «إذا رأيت قوماً يتناجون في دينهم بشيء دون العامة فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة»[(١)].

وعن معاذ بن معاذ يقول: «قلت ليحيى بن سعيد: يا أبا سعيد، الرجل وإن كتم رأيه لم يخف ذاك في ابنه ولا صديقه ولا في جليسه»[(٢)].

---

(١) تلبيس إبليس ٨٩، والدارمي ١/ ٩١، واللالكائي ١/ ١٣٥.

(٢) الإبانة ٢/ ٤٧٩.

وعن محمد بن عبيد الله، يقول: «كان يقال: يتكاتم أهل الأهواء كل شيء إلاَّ التآلف والصحبة»[1].

وفي هذين النصين دليل على أن أهل الأهواء آنذاك يكتمون ما هم عليه، إنما تظهر خائنتهم من لحن القول، ومن تآلفهم؛ لأن الطيور على أشباهها تقع.

❑ ❑ ❑

(١) الإبانة ٢/ ٤٧٩.

(٣٢)

فساد أصول أهل الأهواء
التي أسسوا عليها مذاهبهم الفاسدة
(منهج)

فمن أهل الأهواء من أسس أصوله على الأوهام كأهل الكلام، ومنهم من أسس أصوله على العواطف والنزعات الشخصية كالخوارج والمرجئة، ومنهم من أسس أصوله على الفلسفة كالجهمية والمعتزلة، ومنهم من أسس أصوله على الكذب كالرافضة، ومنهم من أسس أصوله على الإلحاد وقلب الحقائق كالباطنية، وهكذا. . .

وقد قسم شيخ الإسلام أصول أهل الأهواء إلى ثلاثة:

١ ـ الخوارج والوعيدية والمرجئة، أصل بدعتهم من فهمهم الفاسد للنصوص.

٢ ـ والرافضة، أصل بدعتهم تصديقهم النقل الكاذب. قلت: وإعراضهم عن النقل الصادق الذي نقله الصحابة رضي الله عنهم.

٣ ـ والجهمية والفلاسفة، بدعتهم مبنية على ما يقرّون أنه مخالف للأنبياء[١]. أي العقليات والفلسفات الوهمية والظنية التي جعلوها مقدمة على كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ.

---

(١) انظر: درء التعارض ١/٨.

(٣٣)
اعتقادهم ما تتوهمه عقولهم
(منهج)

أهل الكلام في خوضهم في أسماء الله وصفاته وأفعاله وسائر أمور الغيب، يتوهمون أموراً في عقولهم وخيالاتهم، ويتصورونها ثم يبنون على ذلك أحكاماً ويعتقدونها.

قال الذهبي: «المتأخرون من أهل النظر قالوا مقالة مولدة ما علمت أحداً سبقهم بها، قالوا: هذه الصفات تمر كما جاءت ولا تُؤوّل، مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد»[1].

وذكر الذهبي: «أن ظاهرها هو الذي يتشكل في الخيال من الصفة كما يتشكل في الذهن من وصف البشر، فهذا غير مراد»[2].

قلت: هذا التوهم في الذهن هو الذي استقر في عقائد أهل الكلام فأرادوا أن ينفوه، فوقعوا في نفي الصفة، وحقيقتها... فأتوا من قصور فهمهم وعجزهم وعدولهم عن فهم السلف الذي يعتمد على التسليم وعدم الخوض في الغيبيات، ويعدون ـ أعني السلف ـ علم الكلام، والفلسفة، والجدل، والعقليات، والمنطق، مما لا سبيل فيها إلى اليقين، وعليه فلا

---

(١) العلو للعلي الغفار ١٨٣.

(٢) العلو للعلي الغفار ١٨٣.

يبنى عليها عقيدة ولا تعارض بها النصوص وأصول الدين وما عليه السلف.

يقول شيخ الإسلام: «وأما ما يذكرونه من العلوم النظرية، فالصواب منها منفعته في الدنيا، وأما في العلم الإلهي فليس عندهم منه ما تحصل به النجاة والسعادة»(١).

والسلف لا يخوضون في تفسير الغيبيات إلَّا بما فسرها النبي ﷺ به.

قال شيخ الإسلام: «ومما ينبغي أن يعلم أن الألفاظ الموجودة في القرآن والحديث إذا عرف تفسيرها وما أريد بها من جهة النبي ﷺ لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم»(٢).

ثم قال: «وأهل البدع إنما دخل عليهم الداخل لأنهم أعرضوا عن هذه الطريق، وصاروا يبنون دين الإسلام على مقدمات يظنون صحتها، إما في دلالة الألفاظ، وإما في المعاني المعقولة، ولا يتأملون بيان الله ورسوله ﷺ، وكل مقدمات تخالف بيان الله ورسوله ﷺ فإنها تكون ضلالاً». ثم ذكر الشاهد لذلك من كلام أحمد وغيره(٣).



---

(١) الفتاوى ٩/ ٣٦.
(٢) الفتاوى ٧/ ٢٨٦.
(٣) الفتاوى ٧/ ٢٨٨.

(٣٤)

تستهويهم العقليات والفلسفات ويـزينـها لهـم الشيـطان (سمة)

من سمات أهل الأهواء أنهم تستهويهم مقولاتهم وينتشون بها نشوة تشبه السكر والثملان.

ولذلك يتهافتون فيها ويتمادون وتتشعب بهم سبلها.

انظر ــ رحمك الله ــ إلى أهل الكلام واعتزازهم بكلامهم ومقولاتهم ثم تهافتهم عليها وتسارعهم في تقريرها ونشرها. والجرأة فيها على الله وعلى شرعه ودينه بكبرياء وغرور.

وهذا الاستهواء من أكبر أسباب انتشار الكلام في طائفة كبيرة من أهل العلم بعد القرون الثلاثة الأولى.



(٣٥)

زعمهم أن عقيدة السلف مما لا يعقل (منهج)

يزعم أهل الأهواء أن الإقرار بالصفات كما جاءت لا يعقل، وأن الرؤية لا تعقل، وأن كلام الله واستواءه ونحو ذلك مما وردت به النصوص لا يعقل، لذلك سلكوا تأويله أو تعطيله.

قال الشاطبي: «فحكى أبو بكر بن العربي عن بعض من لقي بالمشرق من المنكرين للرؤية، أنه قيل له: هل يكفر من يقول بإثبات رؤية الباري أم لا؟ فقال: لا؛ لأنه قال بما لا يعقل، ومن قال بما لا يعقل لا يكفر، قال ابن العربي: فهذه منزلتنا عندهم، فليعتبر الموفق فيما يؤدي إليه اتباع الهوى، أعاذنا الله من ذلك بفضله. وزل بعض المرموقين في زماننا في هذه المسألة، فزعم أن خبر الواحد كله زعم، وهو ما حكي في الأثر «بئس مطية الرجل زعموا»[1] والأثر الآخر «إياكم والظن فإنَّ الظن أكذب الحديث»[2] وهذه من كلام هذا المتأخر زلة عفا الله عنه»[3].

❑ ❑ ❑

(١) حديث: أخرجه أبو داود وأحمد والبخاري في الأدب المفرد. انظر: الفتح ١٠/ ٥٥١.

(٢) حديث متفق عليه.

(٣) الاعتصام ١/ ٢٣٦.

(٣٦)
توهم المعارضة
بين العقل والشرع (منهج)

من توهمات أهل الكلام زعمهم التعارض بين الشرع والعقل، مما دفعهم إلى النفي والتأويل والتعطيل والقول بالمجاز في الصفات وغيرها.

قال ابن القيم: «إن الأصل الذي قادهم إلى النفي والتعطيل، واعتقاد المعارضة بين العقل والوحي أصل واحد، هو منشأ ضلال بني آدم، وهو الفرار من تعدد صفات الواحد، وتكثُّر أسمائه الدالة على صفاته، وقيام الأمور المتجددة به، وهذا لا محذور فيه، وهو الحق الذي لا يثبت كونه سبحانه رباً وإلهاً وخالقاً إلاَّ به، ونفيه جحد للصانع بالكلية وإنكار له، وهذا القدر اللازم لجميع طوائف أهل الأرض على اختلاف مللهم ونحلهم حتى لمن جحد الصانع بالكلية، وأنكره رأساً، فإنه يضطر إلى الإقرار بذلك، وإن قام عنده ألف شبهة»[1].



(١) الصواعق ٤/ ١٢٢٠.

(٣٧)

مضاهاتهم للشرع والشارع

(منهج وسمة)

قال الشاطبي: «والرابع أن المبتدع قد نزل نفسه منزلة المضاهي للشارع؛ لأن الشارع وضع الشرائع وألزم الخلق الجري على سننها، وصار هو المنفرد بذلك؛ لأنه حكم بين الخلق فيما كانوا فيه يختلفون، وإلَّا فلو كان التشريع من مدركات الخلق لم تنزل الشرائع، ولم يبق الخلاف بين الناس، ولا احتيج إلى بعث الرسل ـ عليهم السلام ـ . هذا الذي ابتدع في دين الله قد صير نفسه نظيراً ومضاهياً حيث شرع مع الشارع، وفتح للاختلاف باباً، ورد قصد الشارع في الانفراد بالتشريع وكفى بذلك»[1].



(١) الاعتصام ١/ ٥٠، ٥١.

(٣٨)
ليس في أئمتهم من تُجْمِع الأمة على أنه إمام هدى (سمة)

من السمات البينة (بحمد الله) لأهل الأهواء أنهم ليس فيهم ولا منهم من أئمة الهدى المقتدى بهم في الدين أحد، وإن اشتهر بعض رؤوسهم بأي نوع من أنواع الشهرة، فإن أمره لا يخفى ولا يلتبس على أهل الحق والعدل، فكل إناء بما فيه ينضح.



(٣٩)

شؤمهم على الأمة وإسهامهم في نكباتها وفرقتها وهوانها وتسلط أعدائها (سمة)

من أعظم سمات أهل الأهواء شؤمهم على المسلمين في كل زمان وحيثما كانوا.

ويكفيك أخي القارىء أن تنتقل بذهنك إلى أحداث التاريخ المشهورة، والتي ألحقت بالمسلمين الذلّة والفرقة والتشتت، تجدها من أهل الأهواء، وأمثلة ذلك: أول فتنة فرقت الأمة فتنة السبئية، وقد أدّت إلى قتل خليفة المسلمين الراشد عثمان ـ رضي الله عنه ـ، ثم تمخضت عن الخوارج والشيعة.

ولما ظهرت القدرية والمعتزلة والجهمية أفسدت عقائد طوائف من الأمة، وأوقعتها في الخصومات والمراء في الدين والفتنة في العقائد.

ولما تمكنت المعتزلة في الدولة ألزمت الأمة بالقول بالكفر (خلق القرآن) وامتحنت العلماء وعرضتهم للسيف والسجن والإهانة، والقول بخلاف الحق.

ولما تمكنت دويلات الرافضة والباطنية كالبويهية والعبيدية والقرامطة، قمعت السنّة والحديث، وأظهرت البدع والإلحاد والزندقة والكفر، وقتلوا الحُجَّاج وأخذوا الحجر الأسود، وعاثوا في الأرض فساداً، وأباحوا المحرمات، ومكنوا للنصارى من دخول ديار المسلمين.

ولمّا تمكن بعض الرافضة من الوزارة في آخر عهد الدولة العباسية والدويلات التي تلتها، خانوا الأمة، وأدخلوا التتار والنصارى ديار المسلمين ومكَّنوهم فيها.

ولما تمكنت الطرق الصوفية والبدع من الدولة العثمانية في آخر عهدها، ضعفت الأمة وذلّت، وعلقت أقدارها بغير الله، وتعلقت بالأضرحة والمشاهد والشيوخ، فأصابها الذل والتشتت وسلط عليها الأعداء فمزقوها وفرقوا شملها.

ولا تزال الطرق الصوفية ببدعها ومحدثاتها من أعظم أسباب وهن الأمة وانحطاطها، ناهيك عن هيمنة الرافضة والباطنية وأهل الأهواء والبدع والعلمنة والإلحاد، والإعراض عن دين الله وشرعه.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية بعض الآثار السلبية من جراء تأثير أهل الأهواء وتمكينهم. من ذلك:

شؤم الجعد بن درهم على دولة بني أمية ومروان بن محمد:

قال: «وقد قيل: إن أول من عُرِف أنه أظهر في الإسلام التعطيل الذي تضمنه قول فرعون: هو الجعد بن درهم، فضحى به خالد بن عبد الله القسري، وقال: أيها الناس، ضحُّوا تقبَّل الله ضحاياكم، إني مضحٍّ بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً. ثم نزل فذبحه، وشكر له علماء المسلمين ما فعله، كالحسن البصري وغيره.

وهذا الجعد إليه ينسب مروان بن محمد الجعدي آخر خلفاء بني أمية، وكان شؤمه عاد عليه حتى زالت الدولة؛ فإنه إذا ظهرت البدع التي تخالف دين الرسل انتقم الله ممن خالف الرسل، وانتصر لهم»[1].

---

(١) الفتاوى ١٣/ ١٧٧.

أثر الباطنية في إظهار الزندقة والرفض والإلحاد:

قال: «ولهذا لما ظهرت الملاحدة الباطنية وملكوا الشام وغيرها، ظهر فيها النفاق والزندقة الذي هو باطن أمرهم، وهو حقيقة قول فرعون: «إنكار الصانع وإنكار عبادته» وخيار ما كانوا يتظاهرون به الرفض، فكان خيارهم وأقربهم إلى الإسلام الرافضة، وظهر بسببهم الرفض والإلحاد، حتى كان من كان ينزل الشام مثل بني حمدان الغالية ونحوهم متشيعين؛ وكذلك من كان من بني بويه في المشرق»[1].

أثر ابن سينا وأهل بيته (الباطنية الإسماعيلية) وشؤمهم على الدولة العباسية:

قال: «وكان ابن سينا وأهل بيته من أهل دعوتهم، قال: وبسبب ذلك اشتغلت في الفلسفة، وكان مبدأ ظهورهم من حين تولى المقتدر، ولم يكن بلغ بعد، وهو مبدأ انحلال الدولة العباسية؛ ولهذا سمي حينئذ بأمير المؤمنين الأموي الذي كان بالأندلس، وكان قبل ذلك لا يسمى بهذا الاسم، ويقول: لا يكون للمسلمين خليفتان، فلما ولي المقتدر، قال: هذا صبي لا تصح ولايته، فسمي بهذا الاسم»[2].

وقال: «وكان بنو عبيد الله القداح الملاحدة يسمون بهذا الاسم، لكن هؤلاء كانوا في الباطن ملاحدة زنادقة منافقين، وكان نسبهم باطلاً كدينهم؛ بخلاف الأموي والعباسي، فإن كليهما نسبه صحيح، وهم مسلمون كأمثالهم من خلفاء المسلمين»[3].

لمّا ظهرت البدع والنفاق والفجور سلط الله على المسلمين أعداءهم:

---

(١) الفتاوى ١٣/ ١١٧.

(٢) الفتاوى ١٣/ ١٧٧.

(٣) الفتاوى ١٣/ ١٧٨.

قال: «فلما ظهر النفاق والبدع والفجور المخالف لدين الرسول ﷺ سلطت عليهم الأعداء، فخرجت الروم النصارى إلى الشام والجزيرة مرة بعد مرة، وأخذوا الثغور الشامية شيئاً بعد شيء، إلى أن أخذوا بيت المقدس في أواخر المائة الرابعة، وبعد هذا بمدة حاصروا دمشق، وكان أهل الشام بأسوأ حال بين الكفار النصارى والمنافقين الملاحدة؛ إلى أن تولى نور الدين الشهيد، وقام بما قام به من أمر الإسلام وإظهاره والجهاد لأعدائه، ثم استنجد به ملوك مصر بنو عبيد على النصارى فأنجدهم، وجرت فصول كثيرة، إلى أن أخذت مصر من بني عبيد، أخذها صلاح الدين يوسف بن سادي، وخطب بها لبني العباس؛ فمن حينئذ ظهر الإسلام بمصر، بعد أن مكثت بأيدي المنافقين المرتدين عن دين الإسلام مائة سنة»[(١)].

قال: «فكان الإيمان بالرسول ﷺ والجهاد عن دينه سبباً لخير الدنيا والآخرة، وبالعكس البدع والإلحاد ومخالفة ما جاء به سبب لشر الدنيا والآخرة»[(٢)].

وقال: «فلما ظهر في الشام ومصر والجزيرة الإلحاد والبدع سلط عليهم الكفار، ولما أقاموا ما أقاموه من الإسلام وقهر الملحدين والمبتدعين نصرهم الله على الكفار؛ تحقيقاً لقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٣﴾ [سورة الصف، الآية: ١٠ ـ ١٣].

وكذلك لما كان أهل المشرق قائمين بالإسلام كانوا منصورين على

---

(١) الفتاوى ١٣/ ١٧٨.

(٢) الفتاوى ١٣/ ١٧٩.

الكفار المشركين من الترك والهند والصين وغيرهم، فلما ظهر منهم ما ظهر من البدع والإلحاد والفجور سلط عليهم الكفار، قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾[1] [سورة الإسراء، الآية: ٤ ـ ٨].

ظهور البدع والزندقة والإلحاد على أيدي الفرق سبب لدخول التتار بلاد المسلمين:

قال شيخ الإسلام: «وكان من أسباب دخول هؤلاء ديار المسلمين ظهور الإلحاد والنفاق والبدع، حتى إنه صنف الرازي كتاباً في عبادة الكواكب والأصنام وعمل السحر، سماه «السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم»، ويقال: إنه صنفه لأم السلطان علاء الدين محمد بن لكش بن جلال الدين خوارزم شاه، وكان من أعظم ملوك الأرض، وكان للرازي به اتصال قوي، حتى إنه وصى إليه على أولاده، وصنف له كتاباً سماه «الرسالة العلائية في الاختيارات السماوية»[2].

أثر الجهمية والمعتزلة في فتنة القول بخلق القرآن وامتحان العلماء:

قال شيخ الإسلام: «ثم لمَّا ولي الخلافة ـ يعني المأمون ـ اجتمع بكثير من هؤلاء ـ يعني الجهمية والمعتزلة ـ ودعا إلى قولهم في آخر

---

(١) الفتاوى ١٣/ ١٧٩، ١٨٠.

(٢) الفتاوى ١٣/ ١٨٠.

عمره، وكتب ـ وهو بالثغر بطرسوس التي ببلدسيس ـ إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب كتاباً يدعو الناس فيه إلى أن يقولوا: القرآن مخلوق، فلم يجبه أحد، ثم كتب كتاباً ثانياً يأمر فيه بتقييد من لم يجبه وإرساله إليه، فأجاب أكثرهم، ثم قيدوا سبعة لم يجيبوا فأجاب منهم خمسة بعد القيد، وبقي اثنان لم يجيبا: الإمام أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح؛ فأرسلوهما إليه، فمات قبل أن يصلا إليه[1]، ثم أوصى إلى أخيه أبي إسحاق[2]، وكان هذا سنة ثماني عشرة ومائتين، وبقي أحمد في الحبس إلى سنة عشرين، فجرى ما جرى من المناظرة حتى قطعهم بالحجة، ثم لما خافوا الفتنة ضربوه وأطلقوه، وظهر مذهب النفاة الجهمية، وامتحنوا الناس فصار من أجابهم أعطوه، وإلاَّ منعوه العطاء وعزلوه من الولايات، ولم يقبلوا شهادته، وكانوا إذا افتكّوا الأسرى يمتحنون الأسير، فإن أجابهم افتدوه وإلاَّ لم يفتدوه.

وكتب قاضيهم أحمد بن أبي دؤاد على ستارة الكعبة (ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم)، لم يكتب وهو (السميع البصير).

ثم ولي الواثق واشتد الأمر إلى أن ولي المتوكل فرفع المحنة وظهرت حينئذٍ السنة»[3].

قلت: لو كان شيخ الإسلام حياً لرأى مصداق قوله في واقع المسلمين الراهن بين هيمنة العلمانية، والأقليات الباطنية، والرافضية، والصوفية، والمقابرية، والله المستعان.



(١) يعني: المأمون.

(٢) أبو إسحاق: المعتصم.

(٣) الفتاوى ١٣/ ١٨٣، ١٨٤.

(٤٠)

استمالتهم للعامة والغوغاء وأصحاب المطامع، وسرعة استجابتهم لهم (منهج وسمة)

قال ابن القيم: «وانظر سرعة المستجيبين لدعاة الرافضة والقرامطة والجهمية، والمعتزلة، وإكرامهم لدعاتهم وبذل أموالهم وطاعاتهم لهم من غير برهان أَتَوْهم به أو آية أَرَوْهم إياها، غير أنهم دعوهم إلى تأويل تستغربه النفوس، وتستطرفه العقول، وأوهموهم أنه من وظيفة الخاصة الذين ارتفعوا به عن طبقة العامة، فالصائر إليه معدود في الخواص، مفارق للعوام، فلم تر شيئاً من المذاهب الباطلة، والآراء الفاسدة، المستخرجة بالتأويل قـوبل الداعي إليه، الآتي به، أولاً بالتكذيب له، والرد عليه. بل ترى المخدوعين المغرورين يجفلون إليه إجفالاً، ويأتون إليه أرسالاً، تؤزهم إليه شياطينهم ونفوسهم أزاً، وتزعجهم إليه إزعاجاً، فيدخلون فيه أفواجاً، يتهافتون فيه تهافت الفراش في النار، ويثوبون إليه مثابة الطير إلى الأوكار. ثم من أعظم آفاته، سهولة الأمر على المتأولين في نقل المدعوين عن مذاهبهم، وقبيح اعتقادهم إليهم، ونسخ الهدى من صدورهم، فإنَّهم ربما اختاروا الدعوة إليه رجلاً مشهوراً بالديانة والصيانة، معروفاً بالأمانة»[1].

---

(١) الصواعق المرسلة ١/ ٣٥٢، ٣٥٣.

(٤١)
أهل الأهواء يبتدعون أموراً ويجعلونها من الدين (منهج وسمة)

من مناهج أهل الأهواء وسماتهم أنهم يبتدعون أموراً ومقالات على أصولهم ومناهجهم الفاسدة وأهوائهم، ثم يزعمون أنها من الدين، ويوالون عليها ويعادون، وقد يكفرون مخالفهم.

قال شيخ الإسلام: «لكن من شأن أهل البدع أنهم يبتدعون أقوالاً يجعلونها واجبة في الدين، بل يجعلونها من الإيمان الذي لا بد منه، ويكفرون من خالفهم فيها، ويستحلون دمه، كفعل الخوارج والجهمية والرافضة والمعتزلة وغيرهم. وأهل السنّة لا يبتدعون قولاً ولا يكفرون من اجتهد فأخطأ وإن كان مخالفاً لهم مستحلاً لدمائهم، كما لم يكفر الصحابة الخوارج مع تكفيرهم لعثمان وعليٍّ ومن والاهما واستحلالهم لدماء المسلمين المخالفين لهم»[١].

وقال: «والخوارج تكفر أهل الجماعة، وكذلك أكثر المعتزلة يكفرون من خالفهم، وكذلك أكثر الرافضة، ومن لم يكفّر فسق، وكذلك أكثر أهل الأهواء يبتدعون رأياً ويكفِّرون من خالفهم فيه. وأهل السنّة يتبعون الحق من ربهم الذي جاء به الرسول ﷺ، ولا يكفرون من خالفهم فيه، بل هم أعلم

---

(١) منهاج السنّة ٥/ ٩٥.

بالحق وأرحم بالخلق كما وصف الله ـ سبحانه وتعالى ـ به المسلمين بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١١٠]، قال أبو هريرة: كنتم خير الناس للناس. وأهل السنّة نقاوة المسلمين، فهم خير الناس للناس»[١].

فإن أهل الأهواء، حين أعرضوا عن الحق أو بعضه، دانوا بغير الحق من حيث يشعرون أو لا يشعرون، فمنهم من أضله الله على علم، وختم على سمعه وقلبه، ومنهم من يحسب أنه من المهتدين، وأنه ممن يحسنون صنعاً.

فإن سائر أهل الأهواء فيما خالفوا فيه السنّة يدينون بأهوائهم. والميزان في ذلك ما كان عليه السلف؛ لأنه قد يوجد من أهل الأهواء من يكون فيه صلاح واستقامة في أمور، وانحراف وهدى في أمور أخرى، فليست العبرة بالدعوة، ولا بمظاهر الصلاح والتقوى، إنما العبرة بشرع الله تعالى المتمثل بهدي السلف الصالح ونهج أهل السنّة والجماعة، فمن خالفهم في أصل من الأصول التي لا يسع فيها الاجتهاد فهو متبع لهواه أو مقلد على غير هدى.

فصاحب الهوى يدين الله تعالى بهواه، وربما يزعم أنه المحق وسواه مبطل، بل قد يوالي ويعادي على بدعته وهواه، وهو الغالب. نسأل الله تعالى أن يبصرنا بالحق ويعصمنا من الأهواء ومضلات الفتن.

وأضرب لذلك مثالين:

الأول: فيمن يسبون أصحاب رسول الله ﷺ أو بعضهم، فإنهم جعلوا ذلك من أصول دينهم، وعليه يوالون ويعادون.

---

(١) منهاج السنّة ١٥٨/٥.

الثاني: فيمن يرون جواز الخروج على الأئمة والولاة العصاة والفساق والظلمة لمجرد المعاصي والفسق والظلم، وهو مخالف لمنهج السلف، فإن أصحاب هذا الرأي يتدينون به، وربما يرون وجوبه، وعليه يوالون ويعادون، وبعضهم يسميه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

❑ ❑ ❑

فهرس المراجع والمصادر

(أ)

١ ــ **الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية**، لابن بطة العكبري الحنبلي، (ت ٣٨٧هـ)، تحقيق ودراسة رضا بن نعسان معطي، الطبعة الأولى، دار الراية، ١٤٠٩هـ.

٢ ــ **إبطال التأويلات لأخبار الصفات**، لأبـي يعلى الموصلي، تحقيق محمد بن حمد الحمود النجدي، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، دار الإمام الذهبـي ــ الكويت.

٣ ــ **اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية**، للإمام ابن القيم، تحقيق فواز أحمد زمرلي، طبعة دار الكتاب العربـي ــ بيروت، ١٤٠٨هـ الأولى.

٤ ــ **الأربعين في أصول الدين**، للغزالي، تحقيق لجنة إحياء التراث في دار الآفاق، نشر دار الآفاق الجديدة بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٢هـ.

٥ ــ **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي ــ بيروت.

٦ ــ **أساس التقديس**، لفخر الدين أبـي عبد الله الرازي، طبعة مصطفى البابـي الحلبـي وأولاده بمصر، ١٣٥٤هـ.

٧ ــ **الاستقامة**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٣هـ.

٨ ــ **الأسماء والصفات**، للبيهقي، تحقيق الكوثري، طبعة ١٣٥٨هـ.

٩ ــ **الإسماعيلية تاريخ وعقائد**، لإحسان إلٰهي ظهير، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، عالم الكتب ــ الرياض.

١٠ ـ **أصول الدين**، لعبد القاهر البغدادي، الطبعة الثانية، مصورة عن طبعة استانبول، ١٣٤٦هـ.

١١ ـ **الاعتصام**، لأبـي إسحاق الشاطبـي الغرناطي، بتعريف: محمد رشيد رضا، طبعة دار المعرفة، ١٤٠٢هـ.

١٢ ـ **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد**، للحافظ أحمد بن الحسين البيهقي، (ت ٤٥٨هـ)، بعناية أحمد عصام الكاتب، طبعة دار الآفاق الجديدة الأولى، ١٤٠١هـ.

١٣ ـ **الأعلام**، خير الدين الزركلي، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠م، دار العلم للملايين ـ لبنان.

١٤ ـ **الإعلام بوفيات الأعلام**، للإمام محمد بن أحمد الذهبـي، تحقيق مصطفى بن علي عوض وربيع أبو بكر عبد الباقي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، المكتبة التجارية بمكة.

١٥ ـ **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، لابن قيم الجوزية.

١٦ ـ **الأغاني لأبـي الفرج الأصبهاني**، طبعة ١٣٢٣هـ ـ القاهرة.

١٧ ـ **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق وتعليق ناصر بن عبد الكريم العقل، الطبعة الثانية، مكتبة الرشد، ١٤١١هـ.

١٨ ـ **الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع**، للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق مشهور حسن سلمان.

١٩ ـ **الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به**، للقاضي أبـي بكر الباقلاني، (ت ٤٠٣هـ)، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٢٠ ـ **إيثار الحق على الخلق**، لأبـي عبد الله محمد بن المرتضى، (ابن الوزير)، (ت ٨٤٠هـ)، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢١ ـ **إيضاح الدلالة في عموم الرسالة**، لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن الفتاوى، ج ١٩.

٢٢ ـ **الإيمان الأوسط**، لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن الفتاوى، ج ٧.

٢٣ ـ **الإيمان الكبير**، لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن الفتاوى، ج ٧.

٢٤ ـ **الباعث على إنكار البدع والحوادث**، لأبي شامة، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ، مطبعة النهضة الحديثة بمكة.

(ب)

٢٥ ـ **البداية والنهاية**، للحافظ أبي الفداء ابن كثير، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م، مكتبة المعارف ـ بيروت.

٢٦ ـ **بغية المرتاد**، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق ودراسة د. موسى بن سليمان الدويش، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، مكتبة العلوم والحكم.

٢٧ ـ **البيهقي وموقفه من الإلٰهيات**، د. أحمد بن عطية الغامدي، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة.

٢٨ ـ **بيان تلبيس الجهمية**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق كل من: أحمد معاذ/ يحيى الهنيدي/ راشد الطيار/ رشيد حسن/ محمد اللاحم/ عبد الرحمن اليحيى/ سليمان الغفيص/ محمد البريدي، (رسائل دكتوراه).

(ت)

٢٩ ـ **تاريخ الإسلام**، للإمام الذهبي، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، دار الكتاب، ١٤٠٩هـ.

٣٠ ـ **تاريخ التصوف الإسلامي**، د. عبد الرحمن بدوي، الطبعة الأولى، ١٩٧٤م.

٣١ ـ **التاريخ السياسي للمعتزلة حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، د. عبد الرحمن سالم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٣٢ ـ **تاريخ الطبري**، (تاريخ الأمم والملوك)، لأبي جعفر الطبري، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٣٣ ــ تاريخ الفرق الإسلامية، علي مصطفى الغرابي، طبعة علي صبح وأولاده بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٧٨هـ.

٣٤ ــ تاريخ المذاهب الإسلامية، تأليف محمد أبو زهرة، طبعة ١٩٨٩م، دار الفكر العربي.

٣٥ ــ التبصير في الدين وتمييز الفرق الناجية عن الفرق الهالكين، أبو المظفر الإسفراييني، تحقيق كمال يوسف الحوت، طبعة عالم الكتب، ١٤٠٣هـ.

٣٦ ــ تبيين كذب المفتري، ابن عساكر الدمشقي، (ت ٥٧١هـ)، بتعليق زاهد الكوثري، دار الكتاب العربي، طبعة ١٣٩٩هـ.

٣٧ ــ تحذير الخواص من أكاذيب القصاص، لجلال الدين السيوطي، تحقيق محمد الصباغ، طبعة المكتب الإسلامي الثانية، ١٣٩٤هـ.

٣٨ ــ تحريم النظر في كتب الكلام، للإمام موفق الدين ابن قدامة المقدسي، تحقيق عبد الرحمن دمشقية، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، دار عالم الكتب ــ الرياض.

٣٩ ــ التحفة العراقية، لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن الفتاوى، ج ١٠.

٤٠ ــ التدمرية، لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن الفتاوى، ج ٣.

٤١ ــ تذكرة الحفاظ، للذهبي، طبعة دار الفكر العربي.

٤٢ ــ التعليق المغني على الدارقطني، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، طبع بهامش سنن الدارقطني، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ، عالم الكتب ــ بيروت.

٤٣ ــ تفسير الطبري، (جامع البيان)، لابن جرير الطبري، طبعة دار المعرفة ــ بيروت، الثالثة، ١٣٩٨هـ.

٤٤ ــ تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، طبعة دار القلم، بيروت، الأولى.

٤٥ ــ تفسير مجاهد لمجاهد بن جبر المكي، تحقيق عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي، الطبعة الأولى، ١٣٦٩هـ.

٤٦ ــ تقريب التهذيب، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق وتعليق عبد الوهاب عبد اللطيف، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ.

٤٧ ـ **تلبيس إبليس**، لأبـي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، (ت ٥٩٧هـ)، الطبعة الثانية، ١٣٦٨هـ، إدارة الطباعة المنيرية.

٤٨ ـ **التلخيص**، للحافظ الذهبـي على هامش المستدرك.

٤٩ ـ **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، للإمام الحافظ ابن عبد البر الأندلسي، تحقيق وتعليق الأستاذ مصطفى بن أحمد العلوي والأستاذ محمد عبد الكبير البكري.

٥٠ ـ **التنبيه والرد**، للإمام أبـي الحسين الملطي، تحقيق زاهد الكوثري، طبعة ١٣٨٨هـ، مكتبة المثنى ببغداد، والمعارف، بيروت.

٥١ ـ **التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل**، للعلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، تحقيق وتعليق العلامة محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ، رئاسة البحوث العلمية بالمملكة العربية السعودية.

٥٢ ـ **تهذيب التهذيب**، للحافظ ابن حجر العسقلاني، طبعة ١٣٢٧هـ.

٥٣ ـ **التوحيد وإثبات صفات الرب ـ عز وجل ـ**، للإمام أبـي بكر بن خزيمة، تحقيق ودراسة د. عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، طبعة دار الرشد بالرياض، الأولى، ١٤٠٨هـ.

(ج)

٥٤ ـ **جامع الأصول**، لابن الأثير الجزري، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، طبعة ١٣٨٩هـ.

٥٥ ـ **جامع بيان العلم وفضله**، الإمام يوسف بن عبد البر، إدارة الطباعة المنيرية.

٥٦ ـ **جامع الرسائل المجموعة الأولى والثانية**، لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، طبعة دار المدني، الطبعة الأولى والثانية، ١٤٠٥هـ.

٥٧ ـ **الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير**، لجلال الدين السيوطي، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ، دار الفكر ـ بيروت.

٥٨ ــ **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، للخطيب البغدادي، تحقيق د. محمود الطحان، طبعة مكتبة المعارف بالرياض، ١٤٠٣هـ.

٥٩ ــ **الجواب الباهر في زوار المقابر**، لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن الفتاوى، ج ٢٧.

٦٠ ــ **الجواب الباهر في زوار المقابر**، لابن تيمية، عناية سليمان الصنيع وعبد الرحمن المعلمي، طبعة رئاسة البحوث، ١٤٠٤هـ.

٦١ ــ **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تقديم وإشراف علي السيد صبح المدني، طبعة مطبعة المدني بالقاهرة عام ١٣٨١هـ.

(ح)

٦٢ ــ **الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة**، للحافظ قوام السنة أبو القاسم الأصبهاني، تحقيق ودراسة محمد بن ربيع بن هادي المدخلي، طبعة دار الراية الأولى ١٤١١هـ.

٦٣ ــ **الحركات الباطنية في العالم الإسلامي**، د. محمد أحمد الخطيب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ، مكتبة الأقصى ودار عالم الكتب.

٦٤ ــ **الحق الدامغ**، لأحمد الخليلي، طبعة ١٤٠٩هـ، مطابع النهضة ــ مسقط.

٦٥ ــ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، لأبي نعيم الأصفهاني، (ت ٤٣٠هـ)، طبعة دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.

٦٦ ــ **الحموية الكبرى**، شيخ الإسلام ابن تيمية، ضمن الفتاوى، ج ٥.

(خ)

٦٧ ــ **خلاصة تذهيب تهذيب الكمال**، للحافظ صفي الدين الخزرجي الأنصاري، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ، مكتب المطبوعات الإسلامية ــ حلب.

٦٨ ــ **خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل**، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٦٩ ـ خلق أفعال العباد، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، بتحقيق د. عبد الرحمن عميرة، طبعة دار المعارف، ١٣٩٨هـ.

(د)

٧٠ ـ درء تعارض العقل والنقل، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، طبعة جامعة الإمام، ١٣٩٩هـ.

٧١ ـ دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعة)، الدكتور أحمد محمد جلي، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ. عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ـ الرياض.

٧٢ ـ دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، للحافظ أبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق محمد زاهد الكوثري.

(ذ)

٧٣ ـ ذم الكلام وأهله، للإمام الهروي الأنصاري (مخطوط) عن مخطوطة مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية رقم ٧٨٠٣/خ.

(ر)

٧٤ ـ رد الدارمي على المريسي، الإمام عثمان بن سعيد الدارمي، تعليق محمد حامد الفقي، الطبعة الأولى، ١٣٥٨هـ، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٧٥ ـ الرد على المخالف من أصول الإسلام، د. بكر بن عبد الله أبو زيد، الطبعة الثانية، دار الهجرة، ١٤١١هـ.

٧٦ ـ رسالة أهل الثغر (أصول أهل السنة والجماعة)، لأبي الحسن الأشعري، (ت ٣٢١هـ)، تحقيق د. محمد السيد الجليند، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.

٧٧ ـ رسالة في إثبات الاستواء والفوقية، للإمام عبد الله بن يوسف الجويني، والد إمام الحرمين، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١/ ١٧٤، طبعة ١٩٧٠م، إدارة الطباعة المنيرية.

٧٨ ـ الرسالة القبرصية، لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن الفتاوى، ج ٢٨.

٧٩ ـ **الرسالة المدنية**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ضمن الفتاوى، ج ٦.

(س)

٨٠ ـ **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ، المكتب الإسلامي.

٨١ ـ **السنة**، لأبـي بكر الخلال، (ت ٣١١هـ)، تحقيق ودراسة د. عطية الزهراني، طبعة دار الراية للنشر والتوزيع الأولى، ١٤١٠هـ.

٨٢ ـ **السنة**، للإمام الحافظ محمد بن نصر المروزي، تحقيق أبو محمد سالم بن أحمد السلفي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، مؤسسة الكتب الثقافية.

٨٣ ـ **سنن ابن ماجه**، للحافظ أبـي عبد الله محمد ابن ماجه القزويني، (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة إحياء التراث، ١٣٩٥هـ.

٨٤ ـ **سنن أبـي داود**، للحافظ أبـي داود سليمان بن الأشعث الأزدي، تعليق عزت عبيد الدعاس، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ.

٨٥ ـ **سنن الترمذي (الجامع الصحيح)**، للحافظ أبـي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، نشر المكتبة الإسلامية (للحاج رياض الشيخ).

٨٦ ـ **سنن الدارقطني**، للحافظ علي بن عمر الدارقطني، بتعليق أبـي الطيب محمد العظيم آبادي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ، عالم الكتب ـ بيروت.

٨٧ ـ **سنن الدارمي**، للإمام أبـي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، عناية محمد أحمد دهمان، دار إحياء السنَّة النبوية.

٨٨ ـ **السياسة الشرعية**، لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن الفتاوى، ج ٢٨.

٨٩ ـ **سير أعلام النبلاء**، للإمام الذهبـي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة الأولى، ١٤٠١هـ، الطبعة الأولى، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(ش)

٩٠ ـ **شذرات الذهب**، لابن العماد الحنبلي، الطبعة الأولى، دار التراث العربـي ـ بيروت.

٩١ ـ **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللآلكائي، تحقيق د. أحمد سعد حمدان، طبعة دار طيبة ـ الرياض.

٩٢ ـ **شرح السنة**، للإمام الحسين البغوي، (ت ٥١٦هـ)، تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط، طبعة المكتب الإسلامي الأولى، ١٣٩٠هـ.

٩٣ ـ **شرح العقيدة الطحاوية**، لابن أبـي العز الحنفي، تحقيق جماعة من العلماء، تخريج العلامة محمد ناصر الدين الألباني، طبعة المكتب الإسلامي الرابعة، ١٣٩١هـ.

٩٤ ـ **شرح فصوص الحكم**، الفصوص لابن عربـي الطائي، (محيـي الدين)، والشرح لعبد الرازق القاشاني، الطبعة الثانية، ١٣٨٦هـ، مصطفى البابـي بمصر.

٩٥ ـ **شرح كتاب الفقه الأكبر**، المتن لأبـي حنيفة والشرح لملا علي القاري، طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤٠٤هـ الأولى.

٩٦ ـ **الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة**، لابن بطة العكبري، تحقيق ودراسة رضا نعسان معطي، طبعة ١٤٠٤هـ.

٩٧ ـ **الشريعة**، لأبـي بكر محمد بن الحسين الآجري، (ت ٣٦٠هـ)، بتحقيق محمد حامد الفقي، طبعة دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ.

(ص)

٩٨ ـ **الصارم المسلول على شاتم الرسول**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق ودراسة محمد الحلواني وزميله (رسالة ماجستير)، طبع بالآلة الكاتبة، ١٤١٣هـ.

٩٩ ـ **صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري**، انظر (فتح الباري).

١٠٠ ـ **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، للشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

١٠١ ـ **صحيح مسلم**، الإمام مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابـي الحلبـي وشركاه.

١٠٢ ــ **صريح السنة**، للإمام ابن جرير الطبري، (ت ٣١٠هـ)، تحقيق بدر بن يوسف المعتوق، طبعة ١٤٠٥هـ.

١٠٣ ــ **صفة الغرباء**، تأليف الشيخ سلمان بن فهد العودة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، دار ابن الجوزي ــ الدمام.

١٠٤ ــ **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، الإمام أبو بكر بن قيم الجوزية، تحقيق ودراسة د. علي بن محمد الدخيل الله، الطبعة الأولى، دار العاصمة، ١٤٠٨هـ.

١٠٥ ــ **صون المنطق والكلام عن المنطق والكلام**، للسيوطي، تعليق علي سامي النشار، طبعة الباز، بمكة.

(ض)

١٠٦ ــ **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، طبعة المكتب الإسلامي.

(ط)

١٠٧ ــ **طبقات الحنابلة**، للقاضي أبـي الحسين محمد بن أبـي يعلى، طبعة دار المعرفة ــ بيروت.

١٠٨ ــ **الطبقات الكبرى**، لابن سعد، طبعة صادر ــ بيروت.

(ع)

١٠٩ ــ **عبد الله بن سبأ، دراسة للروايات التاريخية عن دوره في الفتنة**، (مقالة) كتبها الدكتور عبد العزيز صالح الهلابـي بحولية كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية (٨)، (سنة ٤٥)، عام ١٤٠٧ ــ ١٤٠٨هـ.

١١٠ ــ **عقيدة الإمام ابن عبد البر في التوحيد والإيمان**، (رسالة ماجستير)، إعداد سليمان بن صالح الغصن، طبع بالآلة الكاتبة، ١٤٠٩هـ.

١١١ ــ **عقيدة السلف أصحاب الحديث**، لشيخ الإسلام أبو إسماعيل الصابوني، تحقيق بدر البدر، طبعة الدار السلفية ١٤٠٤هـ.

١١٢ ــ **العقيدة السلفية في مسيرتها التاريخية (مالك بن أنس)**، تأليف محمد بن عبد الرحمن المغراوي، طبعة دار المنار، (الخرج)، ١٤١٢هـ.

١١٣ ــ **العلو للعلي الغفار**، للإمام الذهبي، صححه وقدم له عبد الرحمن محمد عثمان، الطبعة الثانية، ١٣٨٨هـ، المكتبة السلفية بالمدينة.

١١٤ ــ **العين والأثر في عقائد أهل الأثر**، عبد الباقي المواهبي الحنبلي، (ت ١٠٧١هـ)، تحقيق عصام رواس قلعجي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، دار المأمون للتراث.

(غ)

١١٥ ــ **الغرباء الأولون**، للشيخ سلمان بن فهد العودة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، دار ابن الجوزي ــ الدمام.

١١٦ ــ **الغنية في أصول الدين**، لابن سعيد عبد الرحمن النيسابوري المعروف بالمتولي الشافعي، (ت ٤٧٨هـ)، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، مؤسسة الكتب الثقافية.

(ف)

١١٧ ــ **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، للإمام أحمد بن حجر العسقلاني، تعليق الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

١١٨ ــ **الفتح الرباني شرح مسند الإمام أحمد**، تأليف أحمد عبد الرحمن البنا (الساعاتي)، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي.

١١٩ ــ **الفرقان بين الحق والباطل**، لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن الفتاوى، ج ١٣.

١٢٠ ــ **فرق الشيعة**، للحسن بن موسى النوبختي، وسعد بن عبد الله القمي، تحقيق وتعليق ودراسة د. عبد المنعم الحفني، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، دار الرشد ــ القاهرة.

١٢١ ــ **الفرق الكلامية الإسلامية: مدخل ودراسة**، د. علي عبد الفتاح المغربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧، مكتبة وهبة، بمصر.

١٢٢ ـ **الفَرق بين الفِرق** للبغدادي، تحقيق محيـي الدين عبد الحميد، طبعة دار المعرفة بلبنان.

١٢٣ ـ **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، لابن حزم الظاهري، تحقيق د. محمد إبراهيم نصر، د. عبد الرحمن راتب عميرة، طبعة دار الجيل ـ بيروت.

١٢٤ ـ **فضل علم السلف على علم الخلف**، للحافظ ابن رجب الحنبلي، تحقيق يحيـى مختار غزاوي، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، دار البشائر الإسلامية.

١٢٥ ـ **الفهرست**، لابن النديم، طبعة دار المعرفة بيروت، ١٣٩٨هـ.

(ق)

١٢٦ ـ **القائد إلى تصحيح العقائد**، للعلامة عبد الرحمن بن يحيـى المعلمي اليماني، تعليق العلامة محمد ناصر الدين الألباني، طبعة المكتب الإسلامي الثالثة، ١٤٠٤هـ.

١٢٧ ـ **قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق سليمان الغصن، طبعة دار العاصمة بالرياض، ١٤١١هـ الأولى.

١٢٨ ـ **قاعدة في الاسم والمسمى**، شيخ الإسلام ابن تيمية ضمن الفتاوى، ج ٦.

١٢٩ ـ **القاموس المحيط** للعلامة الفيروزآبادي، طبعة مؤسسة الرسالة الثانية، ١٤٠٧هـ.

(ك)

١٣٠ ـ **الكامل**، لابن الأثير، طبعة دار الكتاب العربـي، ١٤٠٣هـ.

١٣١ ـ **كتاب الأوائل**، لابن أبـي عاصم الشيباني، تحقيق محمد بن ناصر العجمي، طبعة دار الخلفاء للكتاب الإسلامي.

١٣٢ ـ **كتاب الإيمان**، للحافظ محمد بن يحيـى المدني، (ت ٢٤٣هـ)، دراسة وتحقيق حمد بن حمدي الحربـي، طبعة الدار السلفية، ١٤٠٧هـ.

١٣٣ ـ **كتاب التوحيد**، لأبـي منصور الماتريدي، تحقيق د. فتح الله خليف، طبعة دار الجامعات المصرية.

١٣٤ ـ **كتاب الزيارة**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، مراجعة وتعليق سيف الدين الكاتب، طبعة دار مكتبة الحياة بيروت، ١٤١٠هـ.

١٣٥ ـ **كتاب شرح السنَّة**، للبربهاري، تحقيق د. محمد سعيد القحطاني، دار ابن القيم، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٣٦ ـ **كتاب الصفدية**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

١٣٧ ـ **كتاب العظمة**، لأبـي الشيخ الأصبهاني، دارسة وتحقيق رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، دار العاصمة بالرياض.

١٣٨ ـ **كتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، للحافظ أبـي بكر بن أبـي شيبة، طبعة الدار السلفية بالهند، الأولى، ١٤٠٣هـ.

١٣٩ ـ **كتاب الصفات**، للحافظ علي بن عمر الدارقطني، (ت ٣٨٥هـ)، تحقيق وتعليق الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان، طبعة مكتبة الدار بالمدينة النبوية، الأولى، ١٤٠٢هـ.

١٤٠ ـ **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، لعلاء الدين البرهان فوري، عناية بكري حياني وصفوت السقا، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ، مؤسسة الرسالة.

(ل)

١٤١ ـ **اللباب في تهذيب الأنساب**، لعز الدين ابن الأثير الجزري، طبعة مكتبة المثنىٰ ببغداد.

١٤٢ ـ **لسان العرب**، لأبـي الفضل بن منظور، طبعة دار الفكر، دار صادر ــ بيروت.

١٤٣ ـ **لسان الميزان**، للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني، الطبعة الثانية، مؤسسة الأعلى للمطبوعات ــ بيروت، ١٣٩٠هـ، مصورة عن طبعة دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند، سنة ١٣٣٠هـ.

١٤٤ ـ **اللمع**، لأبـي نصر السراج الطوسي، حققه د. عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرور، طبعة دار الكتب الحديثة بمصر ودار المثنى ببغداد، عام ١٣٨٠هـ.

١٤٥ ــ **لمع الأدلة**، لأبـي المعالي الجويني، تحقيق د. فوقية حسين محمود، طبعة عالم الكتب الثانية، ١٤٠٧هـ.

(م)

١٤٦ ــ **الماتريدية**، ــ دراسةً وتقويماً ــ، تصنيف أحمد بن عوض الله الحربـي، النشرة الأولى، ١٤١٣هـ، دار العاصمة بالرياض.

١٤٧ ــ **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**، جمع وترتيب الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، طبع مكتبة المعارف بالرباط ــ المغرب.

١٤٨ ــ **مجموعة الرسائل المنيرية**، إعداد الطباعة المنيرية ١٣٤٣هـ، ونشرها محمد أمين دمج، عام ١٩٧٠م ــ بيروت.

١٤٩ ــ **محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين**، لفخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، دار الكتاب العربـي.

١٥٠ ــ **مختار الصحاح**، لمحمد بن أبـي بكر الرازي، طبعة ١٩٦٧م، دار الكتاب العربـي.

١٥١ ــ **مختصر الصواعق المرسلة**، لابن القيم، اختصار الموصلي، طبعة مكتبة الرياض الحديثة ــ الرياض.

١٥٢ ــ **مذاهب الإسلاميين**، د. عبد الرحمن بدوي، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.

١٥٣ ــ **مسائل الإمام أحمد**، لأبـي داود، مقابلة محمد بهجت البيطار، عناية محمد رشيد رضا، طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر.

١٥٤ ــ **مسائل الإمام أحمد**، رواية إسحاق بن إبراهيم بن هانيء النيسابوري، تحقيق زهير الشاويش، طبعة المكتب الإسلامي الأولى، ١٤٠٠هـ.

١٥٥ ــ **مسائل الإيمان**، للقاضي أبـي يعلى الفراء، حققه وعلَّق عليه سعود بن عبد العزيز الخلف، طبعة دار العاصمة بالرياض الأولى، عام ١٤١٠هـ.

١٥٦ ــ **مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة**، د. ناصر بن عبد الله القفاري، طبعة دار طيبة بالرياض الأولى، ١٤١٢هـ.

١٥٧ ــ **المستدرك على الصحيحين**، للإمام الحاكم النيسابوري، طبعة مكتب المطبوعات الإسلامية ــ حلب، بهامشه التلخيص للذهبي.

١٥٨ ــ **مسند الإمام أحمد**، لإمام السنة أحمد بن حنبل، طبعة المكتب الإسلامي ودار صادر.

١٥٩ ــ **مشكاة المصابيح**، للخطيب التبريزي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي.

١٦٠ ــ **مشكل الحديث**، لابن فورك، تحقيق وتعليق د. عبد المعطي أمين قلعجي، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ؛ وطبعة ١٤٠٠هـ، دار الكتب العلمية ــ بيروت.

١٦١ ــ **المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية**، د. محمد عمارة، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.

١٦٢ ــ **معجم البلدان**، لياقوت الحموي، طبعة ١٣٩٧هـ، دار صادر.

١٦٣ ــ **المعجم الفلسفي**، جميل صليبا.

١٦٤ ــ **المعجم الوسيط**، إصدار مجمع اللغة العربية، طبعة دار إحياء التراث العربي ــ بيروت.

١٦٥ ــ **المغني**، لابن قدامة المقدسي، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ود. عبد الفتاح الحلو، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

١٦٦ ــ **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ، النهضة المصرية.

١٦٧ ــ **المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى**، لأبي حامد الغزالي، بعناية بسام عبد الوهاب الجابي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، الجفان والجابي للطباعة والنشر.

١٦٨ ــ **مناقب الإمام الشافعي**، للإمام ابن كثير حققه وخرج نصوصه وعلق عليه خليل إبراهيم ملا خاطر، طبعة مكتبة الإمام الشافعي بالرياض الأولى، ١٤١٢هـ.

١٦٩ ـ **المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها** ـ عواد بن عبد الله المعتق، طبعة دار العاصمة بالرياض، عام ١٤٠٩هـ الأولى.

١٧٠ ـ **المطالب العالية**، لأبـي عبد الله الرازي ابن الخطيب، تحقيق: أحمد حجازي السقا، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربـي ـ بيروت.

١٧١ ـ **الملل والنحل**، لأبـي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، طبعة دار المعرفة، ١٤٠٢هـ ـ بيروت.

١٧٢ ـ **الملل والنحل**، لعبد القاهر البغدادي، حقَّقه وقدَّم له وعلَّق عليه: د. ألبير نصري نادر، طبعة دار المشرق ـ بيروت.

١٧٣ ـ **المنار المنيف**، لابن القيم، تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.

١٧٤ ـ **مناقب الإمام أحمد**، لأبـي الفرج بن الجوزي، تحقيق د. عبد الله التركي وتصحيح د. علي محمد عمر، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.

١٧٥ ـ **المنقذ من الضلال**، لمحمد بن محمد الغـزالي المسمى بحجة الإسلام، الطبعة الثامنة ١٣٩٤هـ، ومعها أبحاث في التصوف للدكتور عبد الحليم محمود، ونسخة أخرى بتحقيق د. جميل صليبا ود. كامل عياد، الطبعة السابعة، ١٩٦٧م، دار الأندلس.

١٧٦ ـ **منهاج السنة في نقض كلام الشيعة والقدرية**، لابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الأولى، عام ١٤٠٦هـ.

١٧٧ ـ **المنهج الأسعد في ترتيب أحاديث مسند أحمد**، إعداد عبد الله بن ناصر عبد الرشيد رحماني، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، دار طيبة بالرياض.

١٧٨ ـ **منهج الأشاعرة فـي العقيدة**، للـدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي (مذكرة).

١٧٩ ـ **منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل**، عرض وتقديم (رسالة ماجستير)، تأليف محمد بن ناصر السحيباني، طبع بالآلة الكاتبة، ١٤١٢هـ.

١٨٠ ــ **المهدي المنتظر عند الشيعة الإثني عشرية**، (رسالة دكتوراه)، مقدمة للجامعة الإسلامية بالمدينة من جلال الدين محمد صالح، مطبوع بالآلة ١٤١٢هـ.

١٨١ ــ **الموافقات في أصول الشريعة**، للشاطبي، تحقيق عبد الله دراز، طبعة دار المعرفة ــ بيروت.

١٨٢ ــ **المواقف في علم الكلام**، عضد الدين الإيجي، طبعة عالم الكتب ــ بيروت.

١٨٣ ــ **الموطأ**، للإمام مالك بن أنس، تحقيق وترقيم وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي.

١٨٤ ــ **موقف ابن تيمية من الأشاعرة**، (رسالة دكتوراه)، د. عبد الرحمن بن صالح المحمود، طبع الآلة الكاتبة، ١٤٠٨هـ.

١٨٥ ــ **ميزان الاعتدال**، للحافظ الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، طبعة دار الفكر.

(ن)

١٨٦ ــ **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، د. علي سامي النشار، الطبعة السابعة، دار المعارف، ١٩٧٧م.

١٨٧ ــ **نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها**، د. عرفان عبد الحميد فتاح، طبعة المكتب الإسلامي ١٣٩٤هـ ــ بيروت.

١٨٨ ــ **نقض المنطق**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد حامد الفقي ومحمد عبد الرزاق حمزة وسليمان الصنيع، طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت.

١٨٩ ــ **نهاية الإقدام في علم الكلام**، عبد الكريم الشهرستاني، حرَّره وصححه الفرد جيوم، طبعة مكتبة المتنبي.

١٩٠ ــ **نهج البلاغة**، جمعه الشريف الرضي ونسبه إلى علي بن أبي طالب، شرح محمد عبده، طبعة الأعلمي ــ بيروت.

(هـ)

١٩١ ــ **هجر المبتدع**، د. بكر بن عبد الله أبو زيد، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ، دار ابن الجوزي.

١٩٢ ـ **هدي الساري مقدمة فتح الباري**، للحافظ ابن حجر العسقلاني بتحقيق وتعليق سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، طبعة رئاسة البحوث بالمملكة العربية السعودية.

(و)

١٩٣ ـ **الوصية الصغرى**، لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن الفتاوى، ج ١٠.

١٩٤ ـ **الواسطية**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ضمن الفتاوى، ج ٣.

١٩٥ ـ **الوصايا**، لابن عربي الطائي، الطبعة مهملة وكتب الناشر في تقديمه، ١٩٥٨م، نشر دار الإيمان ـ بيروت ودمشق.

● ● ●

فهرس موضوعات الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الفصل الثاني:
الأهواء والفرق والبدع عبر تاريخ الإسلام: النشأة والأسباب

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الفصل الثالث:

مناهج أهل الأهواء والافتراق والبدع

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

● ● ●